

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



ISBN 978-9922-9467-7-1



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد ٣٦٨١ لسنة ٢٠١٩

BP193.1.A3 K54 2020

الخفاجي، رزاق فزع جنجر - مؤلف.

أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) دراسة في مسند أحمد بن حنبل / رزاق فزع جنجر الخفاجي. - الطبعة الأولى - كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، ٢٠٢٠ / ١٤٤٢ للهجرة

٦٤٠ صفحة؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة؛ ٨٠٥)، (مؤسسة علوم نهج البلاغة؛ ٢١٥)، (سلسلة الرسائل الجامعية؛ ٤٨).

يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ٥٩٩ - ٦٣٤).

١. علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ للهجرة - في حديث اهل السنة. ٢. أحمد ابن حنبل، ١٦٤ - ٢٤١ للهجرة - نقد وتفسير ٣. الحديث - مسند ابن حنبل أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). مؤسسة علوم نهج البلاغة - جهة مصدرة. ب. العنوان. تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

مِيزَانُ الْمَوْصِنِينَ

الأستاذ الدكتور محمد بن أبي طالب الحسيني

دراسة في مسند أحمد بن حنبل

تأليف

د. راق فزيع جعفر الحفافي

مراجعة وضبط

المختار العليني في موسسة عالم فخر البلاغ

إصدار

موسسة عالم فخر البلاغ

العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة
العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م



العراق - كربلاء المقدسة - مجاور مقام علي الأكبر (عليه السلام)

مؤسسة علوم نهج البلاغة

الموقع الإلكتروني: www.inahj.org

الإيميل: Inahj.org@gmail.com

موبايل: ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣ - ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠

تنويه:

إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة
تخلي العتبة الحسينية المقدسة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
الَّذِينَ يقيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
مَرَاكِعُونَ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة:

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدم، من عموم نعم
ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاهاء، والصلاة والسلام على خير الخلق
أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فلم يزل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) منهلاً للعلوم من حيث التأسيس
والتيين، ولم يقتصر الأمر على علوم اللغة العربية أو العلوم الإنسانية فحسب؛
بل شمل غيرها من العلوم التي تسير بها منظومة الحياة وإن تعددت المعطيات
الفكرية، إلا أن التأصيل مثلما يجري في القرآن الكريم الذي ما فرط الله فيه من
شيء كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾، كذا نجد يجري
مجراه في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾، غاية ما في الأمر أن أهل
الاختصاصات في العلوم كافة حينما يوفقون للنظر في نصوص الثقلين يجدون ما
تخصصوا فيه حاضراً وشاهداً فيهما، أي في القرآن الكريم وحديث العترة النبوية
(عليهم السلام) فيسارعون وقد أخذهم الشوق لإرشاد العقول إلى تلك السنن
والقوانين والقواعد والمفاهيم والدلالات في القرآن الكريم والعترة النبوية.

من هنا ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تتناول تلك الدراسات الجامعية
المختصة بعلوم نهج البلاغة وبسيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه
السلام) وفكره ضمن سلسلة علمية وفكرية موسومة بـ (سلسلة الرسائل الجامعية)
التي يتم عبرها طباعة هذه الرسائل وإصدارها ونشرها في داخل العراق وخارجه،

بغية إيصال هذه العلوم الأكاديمية الى الباحثين والدارسين وإعانتهم على تبين هذا العطاء الفكري والانتهاال من علوم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والسير على هديه وتقديم رؤى علمية جديدة تسهم في إثراء المعرفة وحقوقها المتعددة.

وما هذه الدراسة الجامعية التي بين أيدينا لنيل شهادة الماجستير في تخصُّص التاريخ الإسلامي إلا واحدة من تلك الدراسات التي وفق صاحبها للغوص في بحر علم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقد أذن له بالدخول إلى مدينة علم النبوة والتزود منها بغية بيان أثر تلك النصوص العلوية في الإثراء المعرفي والتأصيل العلمي، وقد استطاع الباحث الكريم: رزاق فزع جنجر الخفاجي أن يلج إلى أحد المصنفات التي توقفت عند أمير المؤمنين علي (عليه السلام) كثيرًا، وهو مسند أحمد بن حنبل، وهذا الكتاب قد احتوى مضامين كثيرة عن حياة أمير المؤمنين (عليه السلام) ومناقبه، ومن هنا وقع عليه اختيار الباحث عليه؛ ليكون مدوَّنة لبحثه ودراسته، التي جاءت في أربعة فصول تسبقها مقدمة وتمهيد وتتلوها خاتمة ضمَّت أهم نتائج الدراسة، فأما الفصل الأول فدرس شخصية ابن حنبل وحياته العلمية، والفصل الثاني تناول دراسة المسند ووصف منهجه وطريقة تنظيمه، ثمَّ جاء الفصل الثالث فدرس سيرة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في العهد النبوي، ثمَّ يأتي الفصل الرابع لبحث في سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد رحيل النبي (صلى الله عليه وآله).

وفي الختام فقد أبلى الباحث بلاءً طيِّبًا في دراسته ومتابعته للنصوص والأخبار. نسأل الله تعالى أن يجعل ذلك في ميزان أعماله مضاعفًا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

السيد نبيل الحسني الكربلائي

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

مقدمة الكتاب

نطاق البحث واستعراض المصادر

الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه والظاهر لقلوبهم بحجته، والصلاة والسلام على رسوله نبي الرحمة وإمام الأئمة وسراج الأمة أبي القاسم محمد، وعلى آله مصابيح الدجى والعروة الوثقى، أما بعد:

كثيرة هي الكتب التي انصرف مؤلفوها نحو تناول شخصية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بالدرس والتحليل، وكذلك الكتب التي ذهبت تتفحص ما كتب حوله في التاريخ، ليست فقط لدى المسلمين، بل وعند سواهم من أهل الديانات الأخرى^(١)، كما أن الكتب التي اكتفت بالحديث عن فضائله ومناقبه وما قدمه للإسلام وللإنسانية جمعاء يصعب إحصاؤها لكثرتها، وهذا لا يعني أن خزائن معرفته قد امتلأت، ولا يعني أيضاً أن العالم لم يعد بحاجة إلى المزيد مما يكتب عنه، بل على العكس، إن ما كُتب عن الإمام علي عليه السلام على كثرته وأهميته، ما يزال يعاني من مساحات كبيرة من الفراغ الذي يبحث عمّن يشغله، ذلك لأن كل الكتابات تصبو نحو الإحاطة الكلية بهذا الرجل العظيم؛ ولما لم تتمكّن من ذلك، باعتراف كل من كتب حول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، لا لأنها قاصرة، بل لأنه عليه السلام أمضى عمره الشريف مهتماً بالشؤون الدنيوية والأخروية في آن واحد،

(١) من المسيحيين الذين كتبوا عن الإمام علي عليه السلام في الشرق والغرب: بولس سلامة، وخلييل فرحات، وجورج جرداق، وأنطوان بارا، وسليمان كتاني، وروكس بن زايد العيزي، وعبد المسيح الأنطاكي، والمستشرق الفرنسي هنري كوربان، والايّرلندي توماس كارليل وغيرهم. ينظر: هيفا، راجي أنور، الإمام علي عليه السلام في الفكر المسيحي المعاصر، ط ١، دار العلوم، (بيروت، ٢٠٠٧م)، ص ٥٤.

وهذا ما لا يتوفر لكاتب أو باحث أو مؤرخ أن يحيط به، وإنما يأخذ طرفاً من هذه، أو طرفاً من تلك، لتلمع في ذهنه فكرة تأخذ طريقها إلى تدوين إضافة جديدة في سجل فهم ومعرفة الإمام (عليه السلام)، تلك المعرفة التي حصرها النبي الكريم ﷺ بقوله (يا علي لا يعرفك إلا الله وأنا) (٢)، فضلاً عن ما تمتع به عليه السلام من صفات الإنسان الكامل، الذي قصدت مجمل الديانات السماوية والفلسفات الكبرى سبيل بناء الإنسان بناءً يحذو حذو هذا المثال الأكمل (٣).

فكان علينا أن نسلط الضوء على الدور الذي نهض به الإمام علي عليه السلام - بقدر استطاعتنا وما توفيقنا إلا بالله - ليس بوصفه إماماً للمسلمين فحسب، بل بما هو مصداق واقعي لذلك السعي الفطري الإنساني الباحث عن مثاله الكامل من خلال استعراض سيرته المباركة من الأحاديث النبوية الواردة في مسند أحمد ابن حنبل، التي صرح بها رسول الله ﷺ بحكم معرفته الكاملة بالإمام علي عليه السلام، فالطريق إلى معرفة الإمام عليه السلام بما عرّف به الرسول ﷺ، وعرّف هو عليه السلام بنفسه، أدق وأصفى من باقي الطرق، لذا جاءت سيرة الإمام علي عليه السلام بلسان النبي ﷺ أو بلسانه المنبع الأصيل للكشف عن تلك الشخصية العظيمة (٤)، فعلي بن أبي طالب عليه السلام رجل اختصه رسول الله ﷺ لنفسه مثلما اختص الله تعالى نبيه الكريم

(١) يعقوب، سعيد، معراج الهداية (دراسة حول الإمام علي عليه السلام ومنهج الإمامة)، مركز الأبحاث العقائدية، (د.م، د.ت)، ص ٢.

(٢) ابن شعبة الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين، (من أعلام القرن الرابع الهجري)، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وسلم، قدم له وعلق عليه: محمد الحسين الاعلمي، ط ١، منشورات آفرند، (قم، ١٤٢٧هـ)، ص ٢٦.

(٣) جرداق، جورج، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية (علي وسقراط)، ط ١، دار ومكتبة صعصعة، (البحرين، ٢٠٠٣م)، ج ٣، ص ٩١.

(٤) محمديان، محمد، حياة أمير المؤمنين عليه السلام عن لسانه، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، (قم المقدسة، ١٤١٧هـ)، ج ١، ص ٥.

عليه السلام لنفسه؛ ولأن الإمام علياً عليه السلام ليس شخصاً عادياً آمن بالرسالة واطمئن للنبوة اطمئنان من قامت عليه الحجة فدخل في دين الله شأنه شأن من آمن من الآخرين، بل إنه يعرف كنه النبوة، ويعرف تمام القائم بها لا عن إعمال عقل، وإنما عن بصيرة نبعت من ذاته العليا، فهو القائل: (... حتى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمد ﷺ فأخرجه من أفضل المعادن منتبأً، وأعز الأرومات مغرساً، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه، وانتجب منها أمناءه، عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم، وبسقت في كرم، لها فروع طوال، وثمره لا تنال، فهو إمام من اتقى، وبصيرة من اهتدى، وسراج لمع ضوؤه، وشهاب ساطع نوره، وزند برق لمعه، سيرته القصد، وسنته الرشد، وكلامه الفصل، وحكمه العدل)^(١).

فإذا تأملنا هذا التوصيف للإمام عليه السلام نجد فيه إيماناً واعياً ممزوجاً بالحب الكامن في نفس الإمام لله ولرسوله ولدينه نتج عنه اندماج تام بين النبي محمد ﷺ والإمام عليه السلام، عبر عنه الرسول عليه السلام بقوله (أنت مني وأنا منك)^(٢)، ونفهم من هذه المقولة أنّ علياً عليه السلام ورسول الله ﷺ من جوهر واحد، وأن أمر هذا الجوهر صعب، بل شديد الصعوبة، لذلك قام النبي ﷺ ومنذ اللحظات الأولى من ولادته المباركة باحتضانه وفي ذلك يقول الإمام علي عليه السلام: (... وضعني في حجره وأنا

(١) الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى (ت: ٤٠٦هـ / ١٠١٥م) نهج البلاغة، مجموع ما اختاره من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تحقيق: جعفر الحسيني، ط ١، دار الثقلين، (قم، ١٤١٩هـ)، الخطبة (٩٤)، ص ١٤١.

(٢) ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني (ت: ٢٤١هـ / ٨٥٥م): مسند الإمام الحافظ أبي عبد الله أحمد بن حنبل، تحقيق: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، (الرياض، ١٩٩٨م)، الحديث (٩٣١)، ص ١١٤.

ولد، يضمُّني إلى صدره، وكان يمضغُ الشيء ثمَّ يُلقمُنيه...^(١) والتدليل على أنه الإمام الهادي لمواجهة زيف قلوب الناس نحو أشخاص لا يرى فيهم ابتداءً أهلية القيادة، فضلاً عن أن منصب الإمامة لا يطالونه بحال، لقصر قيامهم في تدبير الشؤون التي يربتها الله ورسوله في الناس، ويصعب على الناس التدخل فيها، وإن تدخلوا من غير حق، ويلحظ ذلك من خلال مواقف الإمام وآرائه وخطاباته أنه كان يهدف من ورائها إلى إعادة البناء النفسي الذي رسخ معالمه وابتدأ إنشاء النبي ﷺ، وكأن شيئاً مخالفاً لما جاء به النبي ﷺ قد صار في حياة المسلمين شأنًا اعتيادياً، وقد أدرك الإمام عليه السلام ذلك التغيير في سنن الله ورسوله فأراد إرجاع الأمة إلى جادة الطريق، في حين لم تتوفر القدرة لأحد على إدراكه، لذا كان عليه السلام أشدهم بأساً في أي شأن من شؤون الدنيا والآخرة^(٢)، وقد عبر عليه السلام عن هدفه هذا قائلاً: (أيتها النفوس المختلفة، والقلوب المتشتتة، الشاهدة أبدانهم، والغائبة عنهم عقولهم، أظأركم^(٣) على الحق وأنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الأسد، هيهات أن أطلع بكم سرار العدل، أو أقيم اعوجاج الحق، اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الخطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك)^(٤)، لقد كان بإمكان الإمام أن يكون سلطاناً منعماً بملذات الدنيا فهو القائل: (... لو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة الخطبة (٩٤)، ص ١٤١.

(٢) يعقوب، معراج الهداية، ص ١٦.

(٣) أظأركم، أعطفكم. ينظر: ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري (ت،

٧١١هـ / ١٣١١م)، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، (القاهرة،

د.ت)، ج ٣١، ص ٢٧٤٢.

(٤) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة (١٣١)، ص ١٩٥.

العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز...^(١)، وحاكمًا يسوس الناس بما يضمن منافعه ومصالحه الخاصة، إلا أنه ﷺ امتنع عن ذلك كله مبيناً المبدأ الذي تربى عليه، وتكونت أصوله الإيمانية الأولى به، بقوله: (علامة الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك، وألا يكون في حديثك فضل عن عملك، وأن تتقي الله في حديث غيرك)^(٢)، فصار أمثلةً للعدالة التي ينشدها جميع المصلحين في المجتمع الإنساني، على أن الإمام ﷺ بلغ في تطبيقها الإنسانية جمعاء ليصل بها إلى جميع الموجودات، ويدلنا على ذلك قوله ﷺ: (والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته)^(٣) ويشير الإمام علي ﷺ إلى علو مقامه، بقوله: (ينحدر عني السيل، ولا يرقى إلي الطير)^(٤).

وأما فضائله ﷺ فهو مجمع الفضائل ورئيسها^(٥)، حتى قال عنه رسول الله ﷺ: (لو الغياض أقلام، والبحر مداد، والجن حساب، والإنس كتاب، ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب)^(٦)، فقد شارك الإمام علي بن أبي طالب كل صاحب

(١) المصدر نفسه، من كتابه ﷺ إلى عثمان بن حنيف الأنصاري (٤٥)، ص ٤٤٠.

(٢) المصدر نفسه، من حكم أمير المؤمنين (٤٥٨)، ص ٥٨٥-٥٨٦.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة (٢٢٤)، ص ٣٦٢.

(٤) المصدر نفسه، الخطبة الشقشقية، ص ٢٤.

(٥) ابن حنبل، فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، تحقيق: حسن حميد السنيدي، المجمع العالمي لأهل البيت (ع)، (قم، ١٤٢٥هـ)، مقدمة التحقيق، ص ٦-٩.

(٦) الكنجي، عبد الله محمد بن يوسف الشافعي، (ت: ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م)، كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، مطبعة الغري، (النجف الأشرف، ١٩٣٧م، ص ٢٥١؛ الجويني، إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن عبد الله (ت: ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م)، فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط ١، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٧٨م) ج ١، ص ١٦.

فضيلة فضيلته، وانفرد هو عليه السلام بفضائل لم يشاركه فيها أحد قط^(١). فقد انزل الله سبحانه وتعالى في كتابة العزيز على رسوله الأمين ﷺ، ثلاثمائة آية قرآنية بحق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام^(٢).

وتكمن أهمية الموضوع في تقديم رؤية أحمد بن حنبل من خلال الأحاديث التي أوردها في مسنده عن الإمام علي عليه السلام وكذلك لبيان موقف الإمام عليه السلام الأثر على نفسه من أجل الحفاظ على بيضة الإسلام، ووحدية المسلمين، وإبراز موقفه عليه السلام من الفتن، وجهوده في إحلال السلم والسلام، والتزامه التام بالرجوع إلى القرآن الكريم، وتطبيق سنة النبي ﷺ، فضلاً عن إظهار فضائله ومناقبه التي أوردها إمام السنة والجماعة، وإمام أهل الحديث، وإمام المذهب الحنبلي في مسنده الذي يعد من أهم وأضخم الموسوعات الحديثية لدى المسلمين، التي صنفت في بداية القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، حيث وجدنا فيه أحاديث كثيرة يمكن استخراج مادة تاريخية مهمة منها، حول سيرة الإمام علي عليه السلام، بعد جمعها وترتيبها معتمدين في ذكر ما للحديث من قصة أو حادثة على كتب السيرة والتاريخ لاستكمال الحدث التاريخي؛ لأن كتب الحديث بصورة عامة لم تصنف لغرض سرد الحوادث التاريخية ككتب التاريخ العام، إنما صنفت لتدوين السنة النبوية.

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٩؛ القزويني، محمد كاظم، الإمام علي من المهدي إلى اللحد، ط ١، دار المرتضى، (بيروت، ٢٠٠٥م)، ص ١٣٢.

(٢) الحسكاني، أبو القاسم عبيد الله بن أحمد، (ت: ٤٩٠هـ / ١٠٩٦م)، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط ١، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، (طهران، ٢٠٠٦م)، ج ١، ص ١٤٥-١٥٠؛ الشيرازي، محمد الموسوي، ليالي بيشاور، تعريب وتحقيق: حسين الموسوي ط ١٢، دار الأضواء، (بيروت، ٢٠٠٣م)، ص ٣٦٦.

ومقصودنا من ذلك، الوقوف على آراء أحمد بن حنبل إمام المذهب الحنبلي، في الإمام علي عليه السلام، من خلال ما صنف من كتب في الحديث النبوي بوصفه واحداً من علماء الحديث المتقدمين وقد عدت آراؤه من المسلمات لدى أتباعه ولكن وبسبب ضغط الأنظمة السياسية، وكثرة الفتن المذهبية، أغفلت بعض آرائه، وضعفت بعض أحاديثه التي تؤكد مكانة الإمام علي عليه السلام ودوره البارز خلال فترة التكوين الأولى للإسلام في العهد النبوي، وما خصه النبي صلى الله عليه وآله من ألقاب وخصال تفرد بها.

تلك الأحاديث التي تشير إلى الجهود الكبيرة لأئمة الحديث، والمعاناة الضخمة التي أحاطت بالرواة والمحدثين الذين يخرجون عن إرادة سلطات التعسف في عصر بني العباس، إذ إنهم يمنحون رقابهم وظهورهم للجلادين مع كل حديث أو رواية فيها ذكر لعلي عليه السلام أو منقبة، وإلى حساسية المواقف التي يتعرض لها الرواة وأئمة الحديث حين يواجهون أسئلة محرجة عن صدق الحديث المتعلق بفضائل الإمام علي عليه السلام، أو أفضليته، وننقل لأحمد بن حنبل قولين في حق الإمام علي عليه السلام:

الأول: (أوتي علي عليه السلام من الفضائل ما لم يؤت أحد من الصحابة).

الثاني: قوله حين سأله ابنه عبد الله بن أحمد عن صحابة النبي صلى الله عليه وآله ومنهم الإمام علي عليه السلام: (يا بني هذا من أهل بيت لا يقاس بهم غيرهم).

لذلك يقول محقق كتاب الفضائل فيه: «... وبهذا يكون للإمام أحمد على الأمة الإسلامية وحواضرها - التي اتسمت بالنزعة الأموية - الفضل الكبير في الكشف عن بعض جوانب الفضيلة في شخصية هذا الإمام العظيم والقُدوة المثلى للأنام علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة والسلام»^(١). بالإضافة إلى الكثير من

(١) ابن حنبل، فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، مقدمة التحقيق، ص ٥.

الأحاديث التي رواها أحمد بن حنبل في شأن الإمام علي عليه السلام في المسند.

وبحسب علمنا إن هذه الدراسة لم تسبقها دراسة أكاديمية منهجية، سوى ما صنف بعضهم من كتب ذات طابع ديني في إطارها العام استل مؤلفوها بعض الأحاديث في فضائل الإمام علي عليه السلام من مسند أحمد بن حنبل، وهي كالآتي:

١ - كتاب سند الخصام في ما انتخب من مسند الإمام أحمد بن حنبل، ويقع في سبعة أجزاء، موزع على ثلاثة مجلدات، ومؤلفه: الشيخ شير محمد بن صفر علي الهمداني، المتوفى سنة (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م)، وهو من تحقيق: أحمد علي مجيد الحلي، من منشورات مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، صدر في عام ٢٠٠٩م.

٢ - كتاب ما للشيععة في مسند أحمد، وهو من تأليف الحجة السيد علي أكبر القرشي، عدد صفحاته (١٢٣) صفحة، أورد فيه بعض الأحاديث النبوية الموجودة في المسند، والتي تخص ثناء النبي ﷺ على أهل البيت - عليهم السلام، والكتاب من إصدارات: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ومخزن على شبكة الانترنت، في مكتبة نرجس.

وهناك أطروحة دكتوراه منشورة على شبكات الانترنت بعنوان (النصوص التاريخية في مسند أحمد بن حنبل عن فترة الخلفاء الراشدين) وهي من إعداد سعد بن موسى بن حمد الموسى، مقدمة إلى جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، في المملكة العربية السعودية، في عام (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م)، تناولت في أحد فصولها خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من خلال الأحاديث التي وردت في المسند عن هذه الحقبة التاريخية، التي ركز مؤلفها على حرب الجمل وصفين والنهروان.

وفي هذا الدراسة تتبعنا الأحاديث الواردة في المسند والتي تخص موضوع البحث، وقمنا بجمعها وتوزيعها على مواضيعها، ورتبناها حسب التسلسل الزمني لحوادث الفترة التاريخية منذ ولادة الإمام علي عليه السلام وحتى استشهاده، وقد حاول الباحث أن ينظم المادة المبحوث فيها من حيث التبويب لتربط مفرداتها ارتباطاً عضوياً يمهّد فيها السابق لللاحق، وبذل غاية الجهد لإيضاح العرض والتعبير، مستعينين بالأمثلة والشواهد، وقمنا باختصار ما لا فائدة في الإطالة فيه، وأطلنا فيما رأينا ضرورة الإطالة فيه، وقد اقتضت طبيعة البحث مراعاة الجوانب الآتية: لأهمية المسند، فقد قمنا بدراسة سيرة مؤلفه ودراسة منهجية أحمد بن حنبل في المسند، وإيضاح المعايير التي استند إليها في مواده عن شيوخه الذين استقى منهم الحديث.

ذكر الأحاديث الواردة في المسند عن الصحابي أو التابعي الراوي له، والمعني بكل موضوع، بعد حذف المكرر من الحديث إذا جاء بنفس الإسناد والمتن خوفاً من تضخم مادة البحث وخروجها عن المتعارف عليه في الدراسات الأكاديمية. مقارنة الأحاديث الواردة في مسند أحمد بن حنبل مع الروايات التاريخية لبيان مواطن الاتفاق والاختلاف بين ما جاء في المسند، وبين ما ذكرته المصادر الحديثية والتاريخية المتقدمة، مع الإشارة إلى ما تفرد به أحمد بن حنبل من الأحاديث والروايات، وكذلك واحتاجت هذه الدراسة إلى ذكر بعض الآراء التي طرحها الكتاب والباحثون العرب والمستشرقون من المحدثين والمعاصرين.

احتاجت بعض الروايات إلى التوضيح والتحليل من حيث مناقشة حيثيات موضوعها، فقمنا بتحليل الروايات على وفق المنهج الموضوعي القائم على إيراد الدلائل والحجج والقرائن لإثبات الرواية أو نفيها، ولجأنا إلى نقد الأحاديث أو

الروايات أو الآراء التي تبتعد عن الحقيقة، التي أثار التطرف المذهبي في إيرادها، بهدف تشويه الحقائق الفكرية والتاريخية، وذلك من خلال تفنيد تلك الآراء، وبيان عدم استقامتها مع الواقع والوقائع.

وقد انتظم البحث على مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، تناول التمهيد السنة النبوية وأثرها في التاريخ الإسلامي، من حيث جواز التدوين للسنة النبوية والمنع، وأثر الحديث النبوي وعلومه في التاريخ وتدوينه.

أما الفصل الأول الذي كان بعنوان: سيرة صاحب المسند، وضم الفصل ثلاثة مباحث، خصص المبحث الأول لدراسة حياة أحمد بن حنبل، أما المبحث الثاني فقد خصص لدراسة سيرته العلمية، وجاء المبحث الثالث بعنوان محنة خلق القرآن وأثرها على أحمد بن حنبل، وركز على مسألة خلق القرآن، وتطرق إلى علاقة ابن حنبل بالسلطة العباسية في أثناء المحنة وبعد انجلائها.

وتناولنا في الفصل الثاني كل ما يخص مسند أحمد بن حنبل، حيث قسم الفصل على ثلاثة مباحث، تعرضت في المبحث الأول للإطار العام للمسند والإشكالات التي أثيرت حوله إلى جانب وصف تفصيلي لشكل الكتاب ومضمونه وطريقة تنظيمه وعدد طبعاته وتحقيقه ورواته، وشرط أحمد بن حنبل في إيراد الحديث في مسنده، أما المبحث الثاني فخصصناه لدراسة منهج أحمد بن حنبل في المسند، فيما جاء المبحث الثالث بعنوان موارد أحمد بن حنبل، ليوضح المعايير التي اعتمدها ابن حنبل في الرواية عن شيوخه.

أما الفصل الثالث الذي خصص لدراسة سيرة الإمام علي عليه السلام في مرويّات أحمد بن حنبل في العهد النبوي والذي تضمن مبحثين، الأول: سيرة الإمام علي عليه السلام في العهد المكي، حيث تناول أهم الأحاديث الواردة في مسند أحمد التي تشكل

الأحداث التاريخية البارزة في حياة الإمام علي عليه السلام منذ نشأته عليه السلام في بيت النبوة إلى مبيته على فراش النبي صلى الله عليه وآله ليلة الهجرة، وقد خصص المبحث الثاني لدراسة سيرة الإمام عليه السلام في العهد المدني، حيث أوردنا زواجه من فاطمة الزهراء -عليها السلام-، وفضائله، ومناقبه، وجهاده في سبيل الله، وأدواره البطولية وشجاعته في معارك الرسول صلى الله عليه وآله وذكرنا في هذا المبحث موقفه من حادثة الإفك، والآراء التي طرحت في إشكاليات تلك الحادثة، وملازمته عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله في هذه المرحلة، وبعثه لهداية أهل اليمن وقضائه فيها، من ثم عرجنا على بيعة غدير خم، ورزية يوم الخميس واستشهاد النبي صلى الله عليه وآله، وجمعه عليه السلام للقرآن والسنة.

أما الفصل الرابع فقد خصص لدراسة سيرة الإمام علي عليه السلام منذ رحيل النبي صلى الله عليه وآله عن عالم الدنيا حتى استشهاد الإمام علي عليه السلام، فكان عنوان الفصل الرابع هو سيرة الإمام علي عليه السلام في مرويات ابن حنبل في عهد الخلافة، وقد احتوى على مبحثين، تناول المبحث الأول سيرة الإمام علي عليه السلام مع الخلفاء الثلاث وبيان مواقفه من بيعة السقيفة، واستخلاف عمر بن الخطاب، وشورى الستة، وانتخاب عثمان بن عفان للخلافة، وإيثاره على نفسه في تلك المرحلة، وتقديمه مصلحة الإسلام، من أجل الحفاظ على وحدة المسلمين، وخصص المبحث الثاني لذكر إخباره عليه السلام في أيام خلافته، من الإجماع على بيعته، وحروبه للناكثين والقاسطين والمارقين، وألحنا إلى مشروعه الإصلاحية لمؤسسات الدولة وأفرادها.

وقد ضمنا الفصلين الثالث والرابع الأحداث البارزة في حياة الإمام علي عليه السلام التي تغافل عنها أحمد بن حنبل ولم يذكرها في مسنده؛ بهدف تقديم سيرة متكاملة للإمام علي عليه السلام.

وأعقبنا هذه الفصول الأربعة بخاتمة احتوت أهم ما توصلنا إليه من نتائج خلال البحث.

من أهم الصعوبات التي واجهت البحث هي، إن كتاب المسند لم يرتب ترتيباً علمياً أو منهجياً لا على الأبواب الفقهية كما في كتب الصحاح، ولا على الحروف الأبجدية للرواة كما في كتب المسانيد الأخرى، وهذا الأمر كلف الباحث جهداً وعناء كبيرين في البحث للوصول إلى الحديث المراد، فعلى الرغم من أن أحمد بن حنبل قد افرد للإمام علي عليه السلام مسنداً خاصاً جمع فيه الأحاديث الواردة عنه عليه السلام والتي بلغت (٨١٨) حديثاً، إلا أنه لا يمكن النهوض به لتغطية سيرة الإمام علي عليه السلام، التي جاءت متناثرة في طيات المسند، وموزعة بشكل عشوائي على أحاديث الصحابة ومسانيدهم، فضلاً عن مشكلة أخرى تتعلق في اختلاف الآراء ببيان حال الرواة، ذلك الاختلاف الناشئ عن اختلاف مناهج علم الجرح والتعديل من حيث التشدد والتساهل والاعتدال، وكذلك الاختلاف الفكري والعقائدي بين العلماء المختصين في الجرح والتعديل، وقد ذلت هذه المسألة، بتجاوز آراء علماء الجرح والتعديل من كلا الطرفين، ما خلا بعض رواة الأحاديث الشاذة التي اتفقت الآراء على تضعيف راويها، فقد استعنا بتلك الآراء لغرض نقد الحديث أو الرواية.

نظراً لسعة الموضوع وشموليته فقد استلزم الرجوع إلى مصادر متعددة ومتباينة، منها:

١ - القرآن الكريم:

كانت الاستعانة بالله سبحانه وتعالى وبكتابه الكريم أساساً، في الوصول إلى هدف البحث.

٢ - كتب الحديث الشريف:

تكمن أهمية كتب الحديث النبوي الشريف في اهتمامها الكبير بصحة الروايات

وضبطها للسند من خلال تطبيق مناهج علم الجرح والتعديل على الرواية. وقد تنوعت كتب الحديث التي اعتمدت في الدراسة (كالمصنفات، وما يسمى بالصحاح، والسنن)، ومن أهم كتب الحديث بعد كتاب مسند أحمد بن حنبل لأنه محور الرسالة، مسند عبد الرزاق الصنعاني (ت: ٢١١هـ / ٨٢٦م) والمسمى بالمصنف، وكتاب المصنف في الحديث والآثار، لابن أبي شبة، عبد الله بن محمد (ت: ٢٣٥هـ / ٨٤٩م)، ويأتي في مقدمة كتب الصحاح كتاب صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، ثم كتاب صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ / ٨٧٤م).

ومن كتب السنة النبوية الأخرى التي استخدمناها في مقارنة وتوثيق الروايات الواردة في مسند أحمد بن حنبل، كتب السنن، وأهمها: سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)، وسنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، والسنن الكبرى لأحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣هـ / ٩١٥م)، وسنن البيهقي الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت: ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م).

وهناك الكثير من الكتب المتنوعة العناوين التي تقع ضمن إطار كتب السنة النبوية ومن أبرزها المعجم الكبير للطبراني سليمان بن أحمد (ت: ٣٦٠هـ / ٩٧٠م)، وكتاب المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله (ت: ٤٠٥هـ / ١٠١٤م)، وكتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي، نور الدين علي ابن أبي بكر (ت: ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م).

وهناك بعض الكتب التي اختصت بعلوم الحديث، وقد استفدنا منها في دراستنا لتوضيح بعض مقاصد المحدثين، من أهمها: كتاب الجامع لأخلاق

الراوي، للخطيب البغدادي أحمد بن علي (ت: ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)، وكتاب مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، لابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت: ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م)، وكتاب تدريب الراوي للسيوطي جلال الدين (ت: ٩١١هـ / ١٥٠٥م).

٣- كتب التفسير:

لما كانت الدراسة قد اهتمت بالآيات التي تنطق بالثناء على الإمام علي عليه السلام، وتأمّر المؤمنين بتوليّه والتزام منهجه، واتباع سلوكه، كان لابد من الرجوع إلى كتب التفسير، وأسباب النزول، لإغناء البحث بالآيات النازلة في حق الإمام علي عليه السلام، ومن هذه المصادر: كتاب جامع البيان في تأويل آي القرآن، للطبري (ت: ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، كتاب أسباب النزول، للواحدي (ت: ٤٦٨هـ / ١٠٧٦م)، وكتاب شواهد التنزيل، للحسكاني (ت: ٤٩٠هـ / ١٠٩٦م)، وكتاب الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (ت: ٩١١هـ / ١٥٠٥م).

٤- كتب السير والمغازي:

تعد كتب السيرة النبوية من المصادر ذات الأهمية الكبرى التي أخذنا منها في مقارنة وتوثيق عدد كبير من الروايات التي يوردها أحمد بن حنبل عن الإمام علي عليه السلام، فضلاً عن ذلك فقد استكملنا بعض المعلومات التاريخية عن سيرته عليه السلام من خلال هذه الكتب، ومنها كتاب السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام (ت: ٢١٣هـ / ٨٢٨م)، ومن ابرز كتب المغازي التي اعتمدنا عليها كتاب المغازي للواقدي، محمد بن عمر بن واقد الليثي (ت: ٢٠٧هـ / ٨٢٢م)، فقد كان لهذه الكتب دور متميز في الإفصاح عن كثير من الأحداث التي شارك فيها الإمام علي عليه السلام مع الرسول الكريم ﷺ وكان له دور فعال.

٥ - كتب التاريخ العام:

من المصادر المهمة التي أسهمت في مقارنة وتوثيق المرويات التي أوردها ابن حنبل في مسنده، كتب التاريخ العام، ومنها كتاب المحبر، لابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي (ت: ٢٤٥هـ / ٨٥٩م)، وكتاب الأخبار الموفقيات، للزبير ابن بكار (ت: ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، وكتاب الإمامة والسياسة، المنسوب لابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)، وكتاب انساب الأشراف، للبلاذري أحمد بن يحيى (ت: ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، وهو كتاب تاريخي نظمه مؤلفه في إطار النسب، لكنه يحتوي على معلومات تاريخية قيمة، وكتاب الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري (٢٨٢هـ / ٨٩٥م)، وكتاب تاريخ يعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب (ت: ٢٩٢هـ / ٨٩٧م)، وكتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، وكتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي (ت: ٣١٤هـ / ٩٢٦م)، وكتاب مروج الذهب ومعادن الجواهر للمسعودي علي بن الحسين (ت: ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، وكتاب الإرشاد للشيخ المفيد محمد بن النعمان (ت: ٤١٣هـ / ١٠٣٢م)، وكتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي أحمد بن علي المتوفى سنة (٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)، وكتاب إعلام الوري، للطبرسي الفضل بن الحسن (٥٤٨هـ / ١١٥٣م)، وكتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر علي بن الحسين المتوفى سنة (٥٧١هـ / ١١٧٥م)، الذي يعد موسوعة تاريخية كبيرة، وكتاب الكامل في التاريخ، لابن الأثير أبي الحسن بن أبي الكرم الشيباني (ت: ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، وكتاب البداية والنهاية لابن كثير إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م).

٦ - كتب الطبقات والتراجم:

من المصادر التي استخدمناها في دراستنا هذه كتب الطبقات، ويعد كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد محمد بن منيع (ت: ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) من أهم كتب

الطبقات التي اعتمدنا عليها، والكتاب امتاز بالسعة والشمول في معلوماته فضلاً عن انه من المصادر المتقدمة، وكتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني أحمد بن عبد الله (ت: ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م)، وكتاب طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، أبي الحسن محمد بن الحسين (ت: ٥٢٦هـ / ١١٣١م)، وكتاب طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، أبي نصر عبد الوهاب بن تقي الدين (ت: ٧٧١هـ / ١٣٦٩م)، وكتاب طبقات الحفاظ للسيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ / ١٥٠٥م).

أما كتب التراجم فكان اعتمادنا على: كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: أبي عمر يوسف بن عبد الله القرطبي (ت: ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)، وكتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير (ت: ٦٣٠ / ١٢٣٢م)، وكتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت: ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، وكتاب تذكرة الحفاظ، وكتاب سير أعلام النبلاء، وكتاب الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، وكتاب ميزان الاعتدال في نقد الرجال، وكلها للذهبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، وكتاب الوافي بالوفيات، للصفدي، صلاح الدين خليل ابن أيبك (ت: ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، وكتاب الإصابة في تمييز الصحابة، وكتاب تهذيب التهذيب، وكتاب لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، أبي الفضل أحمد بن علي (ت: ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م).

ويمكن أن نلحق بهذه المجموعة الكتب التي اختصت بعلم الجرح والتعديل، والتي كان لها أثر في بيان حال الراوي، ومن أهم الكتب في هذا المجال: كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ / ٩٣٨م)، وكتاب الثقات في الصحابة

والتابعين وأتباع التابعين، وكتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لابن حبان، أبي حاتم محمد بن أحمد البستي (ت: ٣٥٤هـ / ٩٦٥م)، وكتاب الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، أبي أحمد عبد الله بن محمد الجرجاني (ت: ٣٦٥هـ / ٩٧٥م).

٧- كتب الأدب:

كان لكتب الأدب أهمية كبيرة في هذا البحث بما قدمته من معلومات قيمة، إذ اشتهر من بينها كتاب الكامل في اللغة والأدب، للمبرد أبي العباس محمد بن يزيد (ت: ٢٨٥هـ / ٨٩٨م)، والذي أفادنا بأخبار الخوارج، وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد (ت: ٣٢٨هـ / ٩٣٩م)، وكتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م).

٨- كتب اللغة والمعاجم:

وأسهمت كتب اللغة والمعاجم العربية في إعطاء إيضاحات وافية عن معاني الكلمات التي اعتراها الغموض وصعب فهمها في البحث، فمن بين تلك الكتب: كتاب مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني أبي القاسم الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ / ١١٠٨م)، ومعجم لسان العرب لابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ / ١٣١١م)، وكتاب مختار الصحاح لأبي بكر الرازي (٧٢١هـ / ١٣٢١م).

٩- كتب الفضائل والمناقب:

من المصادر الأخرى التي تطلبتها سيرة الإمام علي عليه السلام كتب الفضائل والمناقب، ومن هذه الكتب كتاب فضائل الإمام علي عليه السلام لأحمد بن حنبل، (ت: ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، كتاب المناقب، للخوارزمي، الموفق بن أحمد (ت: ٥٦٨هـ / ١١٧٢م)، وكتاب مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب، أبي عبد الله محمد بن

علي المازندراني (ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢م)، وهناك كتاب مناقب الإمام أحمد بن حنبل، لابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)، ويبدو انه ألف على غرار كتب مناقب الإمام علي عليه السلام.

١٠ - كتب الجغرافية:

أسهمت كتب الجغرافية في تحديد عدد من المواقع الجغرافية ومن هذه الكتب كتاب المسالك والممالك، لابن خرداذبة، أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت حدود ٣٠٠هـ / ٩١٢م)، وكتاب معجم البلدان لياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله المتوفى سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) الذي يعطينا معلومات وافية عن المواقع الجغرافية وبتفاصيل جيدة.

١١ - المراجع الحديثة:

لا يمكن إغفال دور المراجع الحديثة لاحتوائها على معلومات واسعة، واستنتاجات دقيقة شملت جوانب متعددة من هذه الدراسة، ومن بين هذه المراجع، كتاب الغدير للأميني، وكتاب الصحيح من سيرة النبي الأعظم عليه السلام، لجعفر مرتضى العاملي، وكتاب ابن حنبل حياته وعصره لمحمد أبو زهرة، وكتاب الفتنة الكبرى لطفه حسين، وكتاب شرح نهج البلاغة رؤية اعتزالية عن الإمام علي عليه السلام، لجواد كاظم منشد النصر الله، وكتاب التغير في السياسة المالية للدولة الإسلامية في خلافة الإمام علي عليه السلام لحسين علي عبد الحسين الشرهاني. فضلاً عن بقية المصادر والمراجع التي وضعنا لها ثبناً في آخر هذه الدراسة.

وتجدر الإشارة إلى أمرين:

١ - اعتمدنا في هذه الدراسة على نسخة المسند طبعة مؤسسة بيت الأفكار الدولية، وتقع في مجلد واحد، صدر سنة ١٩٩٨م، بلغت عدد صفحاته (٢١٠٥)

صفحة، وعدد الأحاديث (٢٨١٩٩) حديثاً، وهي من تحقيق حسان عبد المنان.

٢- نظراً لخلو المسند من آراء مؤلفه الإمام أحمد بن حنبل، اضطررنا إلى الاستعانة ببعض كتبه الأخرى التي جمعها أبناؤه أو تلاميذه وأتباعه، التي أوردت معظم آراءه، ككتاب العلل ومعرفة الرجال، الذي جمعه عبد الله بن أحمد (ت/ ٢٩٠هـ / ٩٠٢م)، وكتاب مسائل الإمام أحمد المجموعة من قبل أبي بكر الخلال (ت ٣١١هـ / ٩٢٣م).

إن هذه الدراسة محاولة وشأن المحاولة أن لا تخلو من خلل أو ضعف، فالكمال لله وحده جل وعلا، فقد أعرب كل من كتب عن الإمام علي عليه السلام، من الكتاب المحدثين الذين اطلعت على كتاباتهم، عن عجزهم عن إدراك أبعاد تلك الشخصية العظيمة، فاعترفوا بأنهم لم يفوا موضوع بحثهم عن الإمام علي عليه السلام إلا بعض حقه، فإذا كانت صفحات سيرته المشرقة التي ملأت مجلدات التاريخ لم تستوعب شخصية الإمام علي عليه السلام الموسوعية - فكراً وسلوكاً - فكيف لهذه المساحة المحدودة من الأوراق أن تدرك المقام العالي الذي احتله بجدارة الإمام علي عليه السلام، ولكن حسبي أني كنت صادقاً في إدراك واستيعاب سيرة الإمام علي عليه السلام وفكره.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

التمهيد

أثر السنة النبوية في التاريخ الإسلامي

أولاً: السنة النبوية بين جواز التدوين والمنع:

من البديهيات المسلمة بها إن رسول الله ﷺ هو ترجمان القرآن، وموضح أحكامه، والعامل بمقتضاه، وإن كل ما أمر به النبي ﷺ وما نهى عنه يعد حكماً شرعياً يوجب المسلمين الالتزام به، لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١) وقد أكد النبي ﷺ على أن الله تعالى آتاه القرآن والسنة، ولا فرق بينهما، لأن كلاهما مصدره الوحي، فقال ﷺ: «ألا أي أوتيت الكتاب ومثله معه»^(٢).

فحديث النبي ﷺ له ثلاثة أوجه، الوجه الأول: عندما يقول: قال الله تعالى، يفهم أن هذا قرآن. الوجه الثاني: حديثه ﷺ الذي يضيف فيه قولاً إلى الله عز وجل، وهذا هو الحديث القدسي. الوجه الثالث: ما يحدث به هو ﷺ والمعبر عنه بالحديث النبوي. وكل هذه الأوجه الثلاثة هي وحي من الله عز وجل إلى رسوله^(٣)، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٤) لذا أصبحت السنة النبوية بمنزلة القرآن لأنها مصدر التشريع في عصر النبوة، ولا يمكن للمسلم أن يفهم الشريعة إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة، فقد أوجب الله عز وجل الالتزام

(١) سورة الحشر، الآية (٧).

(٢) ابن حنبل، الحديث (١٧٣٠٦)، ص ١٢٣٧.

(٣) ينظر: الصالح، صبحي، علوم الحديث ومصطلحه، ط ١، مطبعة أمير، (قم، ١٤١٧هـ)، ص ٣١.

(٤) سورة النجم، الآيات (٣-٤).

بطاعته ورسوله بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١) وقد حذر النبي ﷺ أصحابه من أن يفرقوا بين السنة والقرآن بذريعة الاعتماد على القرآن فقط، حيث ورد عنه عليه السلام: «لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»^(٢) ولأن القرآن مجمل، فقد احتاجت آياته إلى التفصيل، ولما كان ذلك التفصيل منوطاً بالنبي ﷺ فقط، لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٣)، لذلك توافقت أحكام السنة مع القواعد العامة في القرآن، كما صرح القرآن بذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، صِرَاطِ اللَّهِ﴾^(٤). وقد بلغ النبي ﷺ الرسالة كاملة، والتي كان عمادها الأساس - القرآن والسنة - يتبين ذلك من قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٥). ولا يخفى على أحد إن الشريعة الإسلامية هي أكمل الشرائع لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٦)، لأن رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل، فقد صرح القرآن بذلك بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(٧). ولما

(١) سورة النساء، الآية (٥٩).

(٢) الشافعي، محمد بن إدريس (ت: ٢٠٤هـ / ٨١٩م): كتاب الأم، ط ٢، دار الفكر، (بيروت، ١٤٠٣هـ)، ج ٧، ص ٣٠٣.

(٣) سورة النحل، الآية (٨٢).

(٤) سورة الشورى، الآيات (٥٢-٥٣).

(٥) سورة المائدة، الآية (٣).

(٦) سورة آل عمران، الآية (١٩).

(٧) سورة الأحزاب، الآية (٤٠).

كان النبي ﷺ يعلم انه ميت وأن أصحابه ميتون، لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(١). فلا بد للنبي ﷺ أن يقوم بحفظ الرسالة، لأن ذلك الحفظ جزء من البلاغ المبين المأمور به ﷺ، وأن لا يعتمد على حفظها في الصدور من قبل الصحابة، إنما حفظها في السطور كي يضمن إتمام تبليغ الرسالة، لذلك أمر بكتابة ما كان يقوله ﷺ، مثلما أمر بكتابة القرآن الكريم، ويؤكد القرآن الكريم على وجوب أن يكون العلم محفوظاً في كتاب، قال تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً﴾^(٤). وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ، وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ، وَكِتَابٍ مُسْطُورٍ، فِي رَقٍّ مَنشُورٍ﴾^(٧). وهذه الآيات تدل على ضرورة التدوين، على أن لا تشمل الكتابة للعلوم فقط، بل شملت الكتابة المعاملات الاقتصادية، فقال تعالى في شأن المداينة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾^(٨) إن تأكيد الآيات القرآنية على العلم وتقييده بالكتابة، جعل النبي ﷺ يأمر بكتابة وتدوين دستور

(١) سورة الزمر، الآية (٣٠).

(٢) سورة القلم، الآية (١).

(٣) سورة طه، الآية (٥٢).

(٤) سورة الأعراف، الآية (١٤٥).

(٥) سورة الأنبياء، الآية (١٠٥).

(٦) سورة القمر، الآيات (٥٢-٥٣).

(٧) سورة الطور، الآيات (١-٢-٣).

(٨) سورة البقرة، الآية (٢٨٢).

الصحيفة التي نصت على حقوق المهاجرين والأنصار ومشركي المدينة ويهودها فور وصوله إليها^(١)، ثم اتخذ النبي ﷺ قراراً في غاية الأهمية للخروج بالأمة من الظلمة إلى النور، وذلك بتعليمها القراءة والكتابة، وأول أمر صريح للنبي ﷺ في ذلك هو اشتراطه على أسرى قريش في معركة بدر الكبرى، تعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة، مقابل فكاكهم من الأسر لمن لم يكن عنده مال ليفدي به نفسه^(٢). ثم اخذ النبي ﷺ يحث المسلمين على طلب العلم وكتابته فقال ﷺ لهم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)^(٣)، ويبين لهم منزلة العلماء، حيث قال ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقهه بالدين)^(٤)، وأمرهم بالتبليغ عنه ورواية حديثه بقوله ﷺ: (سيأتي بعدي قوم يسألونكم الحديث عني، فإذا جاؤوكم فالطفوا بهم، وحدثوهم)^(٥). كما أمر ﷺ بكتابة حديثه، لأن الكتابة تساعدهم في الحفظ إذا اعترت ذاكرتهم آفة النسيان، وللحفاظ على سنته ﷺ المكتوبة في حالة تعرض أحد الصحابة للموت، فقال ﷺ لبعض الصحابة ممن اشتكى النسيان: (استعن

(١) ينظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري (ت: ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م)، السيرة النبوية، علق عليها واخرج أحاديثها: عمر عبد السلام تدميري، دار الكتاب العربي، (بيروت، ٢٠٠٨)، ج ١، ص ٣٠٠؛ أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م): الأموال، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب المصرية، (القاهرة، ١٩٣٤ م)، ص ٢٠٢-٢٠٦.

(٢) ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت، ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م): الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، د.ت)، ج ٢، ص ٢٢.

(٣) ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م): سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، (بيروت، د.ت)، ج ١، ص ٨١؛ الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر- (بيروت، ١٩٩٤ م)، ج ١، ص ١١٩.

(٤) الشافعي، كتاب الأم، ج ٧، ص ٥.

(٥) الرامهرمزي، أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن (ت: ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م): الخد الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، ط ٣، دار الفكر، (بيروت، ١٤٠٤ هـ)، ص ١٧٦.

على حفظك يمينك^(١)، وكان عليه السلام يؤكد للصحابة باستمرار على كتابة كل ما يسمعون منه، فقد أجاب حين سأله أحدهم: إنا نسمع منك أشياء، أفنكتبها؟ فأجابه عليه السلام: (اكتبوا ولا حرج)^(٢). وقال عليه السلام، لما منع بنو أمية بعض رجالها عن كتابة كل شيء عن النبي عليه السلام بزعم أنه بشر يتكلم في الرضا والغضب، قال وهو يشير إلى فمه بإصبعه: (اكتب فو الذي نفسي بيده، ما خرج منه إلا الحق)^(٣)، وأمر لمن لا يعرف الكتابة أن يكتب له الصحابة، سواء كان قريباً منهم، أو قادماً عليهم من مكان بعيد، فقد أمرهم أن يكتبوا لرجل من أهل اليمن سمع خطبة النبي عليه السلام في فتح مكة، بقوله عليه السلام: (اكتبوا له)^(٤). وقد بلغ حرص النبي عليه السلام على تدوين كل ما يتعلق بالمسلمين، حيث يروى أنه أمر بعد فتح مكة وتزايد أعداد الداخلين في الإسلام بكتابه أسمائهم بقوله عليه السلام: (اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس)^(٥). ومن الأدلة على أن النبي عليه السلام كان يعتمد على كتابة السنة لحفظها، أكثر مما يعتمد على ذاكرة الصحابة في الحفظ، ما ورد عن أبي هريرة^(٦) أنه قال: (ما من

-
- (١) العقيلي: أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى بن حماد المكي (ت: ٣٢٢هـ / ٩٣٣م): كتاب الضعفاء الكبير، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٦م)، ج ٣، ص ٨٣.
- (٢) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت: ٣٦٠هـ / ٩٧٠م): المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، ط ٢، مكتبة ابن تيمية، (القاهرة، د.ت)، ج ٤، ص ٢٧٦.
- (٣) ابن حنبل، مسند، الحديث (٦٥١٠)، ص ٤٩٣.
- (٤) المصدر نفسه، الحديث (٧٢٤١)، ص ٥٤٩.
- (٥) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت: ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م): فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ط ٢، دار المعرفة (بيروت، د.ت)، ج ٦، ص ١٢٣.
- (٦) أبو هريرة الدوسي، اختلف في اسمه اختلافاً كبيراً، من أكثر الصحابة رواية لحديث رسول الله ﷺ اسلم في خيبر، كناه النبي ﷺ بأبي هريرة لأنه يحمل في كفه هرة، وكان من أهل الصفة، وتوفي بالمدينة سنة ٥٧هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١١٣.

أصحاب النبي ﷺ أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو^(١) فإنه كان يكتب، وأنا لا اكتب^(٢) وإن انشغال الصحابة بالجهاد، وبأمور الحياة المختلفة كمزاوتهم لأعمالهم اليومية، وبعد بعض منهم عن الرسول ﷺ لإرسالهم إلى القبائل من قبل النبي ﷺ ليعلموهم القرآن وأحكام الإسلام، كان سبباً مهماً في عدم إمام الصحابة بسنة النبي ﷺ، ولسد هذا النقص الحاصل في السنة النبوية لدى بعض الصحابة، أمر النبي ﷺ الباقيين منهم بتدوين كل شيء عنه، حتى شاع بين الصحابة ذلك التمايز بينهم، فكان انس بن مالك^(٣) يقول: (كنا لا نعد علم من لم يكتب علمه، علماً)^(٤).

والحق أن بعض الصحابة دونوا صحفاً، وألواحاً، وسجلات، كتبوا فيها حديث رسول الله ﷺ، وقاموا بإملائه على الناس^(٥)، فقد كان عند الإمام علي

(١) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، أسلم قبل أبيه، وكان يكتب ويحفظ الحديث عن رسول الله ﷺ، شهد صفين مع أبيه لكنه لم يقاتل، توفي سنة ٦٣ هـ بمصر. ينظر: ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت: ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م): ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، (بيروت، د. ت)، ج ٣، ص ٣٤٦.

(٢) الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت: ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م): معرفة علوم الحديث، تحقيق: لجنة إحياء التراث، ط ٤، دار الأفاق الجديدة، (بيروت، ١٤٠٠ هـ)، ص ١٠؛ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م): تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، (بيروت، ١٤١٥ هـ)، ج ٦٧، ص ٣٤٢.

(٣) انس بن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري، من بني عدي بن النجار، خدم رسول الله ﷺ عشر سنين، وكان من المكثرين في رواية الحديث، توفي سنة ٩٣ هـ بالبصرة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٧.

(٤) الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، ص ١٤.

(٥) ينظر: الشهرستاني، علي، منع تدوين الحديث، ط ١، مركز الأبحاث العقائدية، (قم، ١٤٢٠ هـ)، ص ٣٩٧-٤٦٥.

عليه السلام صحيفة من إملاء النبي ﷺ وخط يده^(١)، ولدى انس بن مالك سجلاً فيه أحاديث كتبها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(٢)، وجمع أبو رافع^(٣) كتاباً في السنن والأحكام والقضايا^(٤)، وعند معاذ بن جبل^(٥) كتاب يحتوي على أحاديث^(٦)، وكذلك عبد الله بن عمرو الذي كان يكتب كل شيء عن النبي ﷺ حتى نهته قريش^(٧)، ولدى ابن عباس^(٨) ألواح جمع فيها أحاديث النبي ﷺ، يحدث بها الناس في مجلسه، فكان سعيد بن جبير^(٩) يأتي إليه فيكتب ما يسمعه من ابن

(١) الشافعي، كتاب الأم، ج ٢، ص ٩؛ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت: ٦٧١هـ / ١٢٧٢م): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق سالم مصطفى البدر، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٠هـ)، ج ١١، ص ٢٠٦.

(٢) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ / ٨٦٩م): التاريخ الكبير، تحقيق: هاشم الندوي، دار الفكر للطباعة والنشر، (بيروت، د. ت)، ج ٨، ص ٢٤٠.

(٣) أبو رافع مولى رسول الله ﷺ اسمه اسلم شهد المشاهد كلها معه، ثم لزم الإمام علياً عليه السلام وشهد معه حروبه، توفي في خلافة الإمام علي عليه السلام. ينظر: النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الأسدي (ت: ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م): رجال النجاشي، تحقيق: موسى الشيبيري، ط ٥، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٩٩٦م)، ص ٦.

(٤) النجاشي، رجال النجاشي، ص ٦.

(٥) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الخزرجي الأنصاري، شهد العقبة الثانية، وحضر المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، توفي في طاعون عمواس بالشام سنة ١٨هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٢٠؛ البخاري، التاريخ الكبير، ج ٧، ص ٣٥٩.

(٦) الشافعي، كتاب الأم، ج ٢، ص ٩.

(٧) ابن حنبل، مسند، الحديث (٦٥١٠)، ص ٤٩٣.

(٨) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو العباس القرشي الهاشمي، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، مات سنة ٦٨هـ وصلى عليه محمد ابن الحنفية. ينظر: ابن الأثير، اسد الغابة، ج ٣، ص ٢٩٠-٢٩٤.

(٩) سعيد بن جبير الأسدي الكوفي، حبشي الأصل، اعلم التابعين، اخذ علمه عن ابن عباس، قتله الحجاج بواسط. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ١٧٨.

عباس^(١)، وكان واثلة بن الأسقع^(٢) يملئ على الناس الأحاديث التي كتبها عن رسول الله^(٣) وقام عمرو بن حزم^(٤) بكتابة الفرائض والسنن والديات^(٥).

وينطلق هؤلاء الصحابة في جمعهم وروايتهم لحديث النبي ﷺ من قوله ﷺ: (اللهم ارحم خلفائي، اللهم ارحم خلفائي، فقليل له: يا رسول الله من خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدي يروون حديثي وستي^(٦)). وقوله ﷺ: من حفظ وكتب، ونقل بين الناس ما كتبه أربعين حديثاً يبعثه الله يوم القيامة عالماً فقيهاً، وينال شفاعتي^(٧)) ولم يمنع النبي ﷺ المرض الذي ألمَّ به في أواخر أيام عمره الشريف، أن يأمر بكتابة كتاب ليمنع المسلمين من الضلالة من بعده، بقوله: (اتوني بدواة وقلم، اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده)^(٨). وربما يكون ذلك الكتاب هو الجزء الأخير المتمم لسنته الشريفة، إلا إن امتناع بعضهم عن تنفيذ أمر النبي ﷺ حال دون كتابة الكتاب، لذا يطلق ابن عباس على هذه الحادثة اسم (رزية يوم الخميس)^(٩).

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٢١٦.

(٢) واثلة بن الأسقع بن الليثي الكناني، اسلم قبيل غزوة تبوك، خدم النبي ثلاث سنين، وكان من أهل الصفة، توفي سنة ٨٣هـ في بيت المقدس، ينظر: ابن الأثير، اسد الغابة، ج ٥، ص ٣٩٩.

(٣) السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت: ٥٦٢هـ / ١١٦٦م): أدب الإملاء والاستملاء، تحقيق: سعيد محمد اللحام، ط ١، مكتبة الهلال، (بيروت، ١٤٠٩هـ)، ص ١٩.

(٤) عمرو بن حزم بن زيد الخزرجي الأنصاري من بني النجار، استعمله النبي ﷺ على أهل نجران، توفي بالمدينة سنة ٥١هـ. ينظر: ابن الأثير، اسد الغابة، ج ٤ ص ٢٠٢.

(٥) ابن الأثير، اسد الغابة، ج ٤، ص ٢٠٣.

(٦) الشافعي، كتاب الأم، ج ٦، ص ٢١٦.

(٧) الرامهرمزي، الحد الفاصل، ص ١٨٧.

(٨) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٩٩١)، ص ٢٦٨.

(٩) الرزية، المصيبة. ينظر: الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: ٧٢١هـ / ١٣٢١م): مختار الصحاح، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٩٤م)، ص ١٠١.

ولعل حادثة الرزية تمثل بداية المنع لتدوين السنة النبوية، حيث اتفقت آراء بعض الصحابة بأن يكتفوا بالقرآن، بقولهم: (حسبنا كتاب الله) ^(١)، وبالرغم من ثبوت كتابة الحديث في حياة النبي ﷺ، وقيام الصحابة بتدوين الأحاديث، إلا أن أحمد بن حنبل ^(٢)، ومسلم ^(٣) أوردوا حديثاً يشير إلى أن النبي ﷺ قد كره كتابة حديثه، فعن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله ﷺ: (لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه)، ولأبي هريرة موقفان متناقضان، موقف يؤكد تجويز النبي ﷺ لكتابة الحديث، وآخر يلمح إلى رفض النبي ﷺ كتابة شيء مع القرآن يبدو أنه قال به بعد استمالته، إذ يروي أبو هريرة قائلًا: (خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نكتب الأحاديث، فقال: ما هذا الذي تكتبون؟ قلنا أحاديث نسمعها منك، قال: كتاب غير كتاب الله، أتدرون؟ ما ضل الأمم قبلكم إلا بما اكتبوا الكتب مع كتاب الله تعالى) ^(٤).

قدم العلماء جملة من الأقوال في شأن تلك الأحاديث نكتفي بإيرادها لإثبات جواز كتابة الحديث من قبل النبي ﷺ، وهي كالآتي:

١ - قال البخاري ^(٥) إن حديث أبي سعيد الخدري الذي ينص على أن النبي ﷺ

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٩٩١)، ص ٢٦٨؛ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٦، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٦م)، ج ٣، ص ١٩٣؛ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت: ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م): الإرشاد، ط ١، مؤسسة انتشارات محبين، (قم، ٢٠٠٥)، ص ١٤٠.

(٢) مسند، الحديث (١١١٠٣)، ص ٧٨٤.

(٣) مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ/ ٨٧٤م): صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، (بيروت، د.ت)، ج ٣، ص ٢٨٩.

(٤) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت: ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م): تقييد العلم، تحقيق يوسف العش، دار إحياء السنة النبوية، (د.م، ١٩٧٤م)، ص ٣٤.

(٥) ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج ٣، ص ٢١٨.

منع بعض الصحابة من الكتابة، حديث موقوف^(١) لا يصح الاحتجاج به.

٢- قال آخرون^(٢) إن حديث أبي سعيد الخدري صحيح لأن كلاً من أحمد بن حنبل ومسلم قد ذكروه في المسند، والصحيح، ولكنه من منسوخ السنة بالسنة، فقد كان النبي ﷺ نهى في بداية الهجرة عن كتابة الحديث، ثم أبطل الحكم السابق بحكم جديد، وهو إباحة الكتابة، فصار الحكم النهائي إلى الجواز.

٣- إن النهي عن كتابة الحديث، ليس مطلقاً بل نهى في حالة واحدة وهي لا تكتبوا الحديث مع القرآن في صفحة واحدة، لئلا يحصل الاشتباه، ويختلط القرآن الكريم بالحديث، وأن النبي ﷺ جَوَّزَ الكتابة فيما عدا تلك الحالة^(٣)، وقد استغل ذلك المنع المحدد إلى المنع العام.

٤- النهي عن كتابة الحديث كان في حق بعض الصحابة، والإذن بجواز الكتابة للبعض الآخر، لأمر يتعلق بمن يعرف الكتابة ولا يستطيع الحفظ، فقد خصص النبي ﷺ بعض الصحابة ممن كانوا لا يخطئون في الكتابة، ولا يخشى عليهم الغلط لكتابة الحديث^(٤)، وإن مبدأ التخصص من المبادئ الحضارية التي انتهجها النبي ﷺ في سياسة اختيار الصحابة لما يناسب قدراتهم من الأعمال التي يوكلها إليهم.

(١) والحديث الموقوف: هو الحديث الذي يروى عن الصحابة فيوقف عليهم، ولا يتجاوز إلى رسول الله ﷺ. ينظر: الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، ص ١٩.

(٢) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص ٣٢-٣٣؛ الرامهرمزي، الحد الفاصل، ص ٧١.

(٣) السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م): فتح المغيب بشرح ألفية الحديث، تحقيق: علي حسين علي، ط ١، مكتبة السنة، (القاهرة، ١٩٩٥م)، ج ٣، ص ١٨؛ الصنعاني، محمد بن إسماعيل (ت ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م): توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة السلفية، (المدينة المنورة، د.ت)، ج ٢، ص ٣٥٤.

(٤) ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م): تأويل مختلف الحديث، دار الجبل، (بيروت، ١٩٧٣م)، ص ٣٦٥-٣٦٦؛ الخطيب، محمد عجاج، السنة قبل التدوين، دار الفكر، ط ٢، (بيروت، ١٩٧١م)، ص ٣٠٧-٣٠٨.

من الثابت تاريخياً إن النهي كان في زمن الخلفاء الثلاث حيث تروي عائشة: إن أبا بكر بعد وفاة النبي ﷺ جمع خمسمائة حديث وكتبها، فبات ليلة يتقلب كثيراً... فلما أصبح قال لابنته: أي بنية: هلمي الأحاديث التي عندك، فجئته بها فدعا بنار فحرقها، ولما سأله عن السبب؟ قال: إنه يخشى أن يموت وهي عنده، فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنه ووثق به، ولم يكن كما حدثه، فيكون قد نقل ذلك^(١)، وقد شدد أبو بكر على منع رواية الحديث في خطبة له بعد استخلافه، فأمر الصحابة بعدم رواية الحديث، قائلاً لهم: (من سألکم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله)^(٢) وقد حدث لعمر بن الخطاب ما حدث مع أبي بكر، فقد كان يفكر في جمع السنة وأراد أن يكتبها فاستفتى أصحاب النبي ﷺ في ذلك، فأشاروا عليه بأن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً، فلم يلبث أن عدل عن كتابة السنة، معللاً عدوله عن الكتابة بقوله: (أني كنت أريد أن أكتب السنن، وأني ذكرت قوماً قبلکم كتبوا كتباً، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشي أبداً، لا كتاب مع كتاب الله)^(٣)، وبعد قراره هذا تشدد الخليفة عمر بن الخطاب مع الصحابة ممن يرون الحديث، حتى قال أبو هريرة: (ما كنا نستطيع أن نقول: قال رسول الله حتى قبض عمر لأننا كنا نخاف السياط)^(٤)، واتخذ عمر بن الخطاب موقفاً أكثر حزماً من خلال التهديد بالعقوبة لمن يروي حديث رسول

(١) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت: ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م): تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث

العربي، (بيروت، د.ت)، ج ١ ص ٥؛ الشهرستاني، منع تدوين الحديث، ص ٩.

(٢) الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي (ت: ٣٧٠هـ / ٩٨٠م): الفصول في الأصول، ١ (د.م، د.ت)، ج ١، ص ١٦١؛ أبو ريه، محمود، أضواء على السنة المحمدية، ط ٦، دار المعارف، (القاهرة، د.ت)، ص ٤٦.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ١٨٨؛ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف القرطبي الأندلسي (ت: ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م): جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، دار الكتب العلمية،

(بيروت، ١٩٧٨م)، ج ٢، ص ٦٤.

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٠، ص ١٧٢.

الله ﷺ، حيث يروى أنه خطب في الناس قائلاً: «أيها الناس، إنه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب أحبها إلى الله أعد لها وأقومها، فلا يبقين أحد عنده كتاباً إلا أتاني به، فأرى فيه رأيي»، فظنوا أنه يريد أن ينظر فيها ويقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف، فاتوه بكتبهم فاحرقها بالنار، وقال: (أمنية كأمنية أهل الكتاب)، ثم بعث إلى الأمصار من كان عنده منها شي فليمحه^(١) ويبدو واضحاً إن أسباب المنع عند الخليفة الثاني هي الأسباب نفسها التي كانت عند الخليفة الأول، وهي مخافة اختلاط السنة بالقرآن، ومخافة ترك القرآن والانشغال بالسنة، وما منع عنه الخليفة أبو بكر وعمر، كان ممنوعاً عند الخليفة عثمان فقد قال بصراحة: (لا يحل لأحد أن يروي حديثاً عن رسول الله لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا عهد عمر)، وأوضح الخليفة عثمان سبب المنع بقوله: (لم يمنعني أن أحدث عن رسول الله إلا أكون أوعى أصحابه عنده، إلا أنني سمعته يقول: من قال علي ما لم يقل فقد تبوأ مقعده من النار)^(٢).

أما الإمام علي عليه السلام فقد كان يرى جواز كتابة الحديث وروايته، وأنه عليه السلام جمع ودون القرآن والسنة بشكل كامل بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة^(٣)، وستتناول ذلك بالتفصيل، حين نتعرض لسيرته عليه السلام في العهد النبوي في الفصل الثالث.

وقد نتجت عن منع كتابة السنة آثار سلبية كثيرة، منها:

١ - ضياع الكثير من الأحاديث النبوية، ولم يعرف مضمونها، كإحراق خمسمائة

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٨١م) ج ٥ ص ٥٩؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ١ ص ١٥٠.

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (٤٦٩)، ص ٧٩.

(٣) الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٩هـ / ٩٤٠م): أصول الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط ٣، دار الكتب الإسلامية (طهران، ١٩٦٨م)، ج ١، ص ٨٥.

حديث من قبل الخليفة أبي بكر بعد أن كتبها، وكان وحده المطلع عليها.

٢- إن طرق إتلاف الحديث، كالحرق، والغسل بالماء، وأحاديث أخرى دفنت قيل إن عددها ثمانية عشر حديثاً^(١)، لم تترك الفرصة لأحد لإعادة كتابتها أو التعرف على أحكامها، ومن ثم فإننا نجد كتباً يصرح بأنها جمعت من قبل بعضهم، ولكننا لا نعرف مضمونها لأنها أُلغيت^(٢).

٣- ومن سلبيات المنع الخطيرة هي إن السنة دخلها من الوضع ما لم يستطع أحد أن يزيله أو حتى يكشف عنه، على الرغم من تصدي العلماء لهذا الأمر، وتطبيقهم ضوابط صارمة على الحديث وراوييه ليميزوا الصحيح من الموضوع إلا إن الأهواء والمصالح الشخصية، وظهور البدع، واختلاف المسلمين وتفرقهم شيعاً وأحزاباً، كلها أمور تدل دلالة واضحة على أن الوضعاء استطاعوا دس الأحاديث الموضوعة بين الأحاديث الصحيحة بطريقة حاذقة يصعب الكشف عنها في بعض الأحيان، وإن طبق العلماء منهج علم الجرح والتعديل على الإسناد، وبخاصة أن الوضعاء كانوا مدعومين من جهات داخلية وخارجية، بهدف تحريف السنة، وتمزيق وحدة المسلمين^(٣).

-
- (١) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت، ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م): تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٧م)، ج ٧، ص ٧٥؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٠، ص ١٨٧.
- (٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن (تفسير الطبري)، ضبطه وعلق عليه: محمود شاكر الحارستاني، ط ١، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، د.ت)، ج ٦، ص ٥٧-٥٨.
- (٣) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أبي عبد الله السورقي وإبراهيم حمد المدني، المكتبة العلمية (المدينة المنورة، د.ت)، ص ١٢٢؛ الرامهرمزي، الحد الفاصل، ص ٢٢؛ الجلال، محمد رضا الحسيني، تدوين السنة الشريفة، ط ٢، مكتب الإعلام الإسلامي، (قم، ١٤١٨هـ)، ص ١٧٣؛ عبد الحميد، صائب، تاريخ السنة النبوية ثلاثون عاماً بعد الرسول ﷺ، ط ١، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، (بيروت، ١٩٩٧م)، ص ٢٩.

٤- ومن الآثار السلبية لمنع تدوين السنة هو ضياع الحقائق التاريخية المتعلقة بالحقبة الأولى من التاريخ الإسلامي، حيث استمر المنع إلى زمن عمر بن عبد العزيز (٩٩هـ / ٧١٧م - ١٠١هـ / ٧١٩م)^(١).

وفي أوائل القرن الثاني الهجري شاع طلب الحديث النبوي، وتدوين السنة النبوية، فكثر المصنفات والكتب، بعدما أزال السلطة السياسية أسباب المنع، وأباح للعلماء الكتابة، أجمعت الأمة على الكتابة التي أصبحت من ضروريات حفظ الحديث، وفي ذلك يقول ابن الصلاح: «... ثم انه زال الخلاف واجمع المسلمون على تسويغ كتابة الحديث، ولولا تدوينه في الكتب لا ندرس في العصر الأخيرة»^(٢).

والملاحظ هو أن معظم كتب الحديث التي دوت السنة النبوية قد احتوت على أحاديث وفتاوى الصحابة واعتبرتها جزءاً من السنة وتعاملوا معها على قدم المساواة مع السنة النبوية الشريفة، ويعد مسند أحمد بن حنبل من ضمن تلك المصنفات التي اتخذت هذا المنوال وسارت عليه.

ثانياً: أثر الحديث النبوي وعلومه في التاريخ وتدوينه.

الإسلام دين تاريخي الروح يحمل في ذاته فكرة تاريخية عميقة، فقد أعطت العقيدة الإسلامية تصوراً واضحاً للكون والحياة منذ الخلق إلى يوم البعث، وربطت بينهما بحلقات الأنبياء والرسل، ولا بد من الإشارة إلى أن القرآن الكريم

(١) الجلال، تدوين السنة الشريفة، ص ١٠٩؛ عبد الحميد، تاريخ السنة النبوية ثلاثون عاماً بعد الرسول ﷺ، ص ٢٣.

(٢) الكتاني: محمد بن جعفر (ت: ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م): الرسالة المستطرفة، تحقيق: محمد المتصر، محمد الزمزمي الكتاني، ط ٤، دار البشائر الإسلامية، (بيروت، ١٩٨٦م)، ص ٤٦.

قد قدم مادة تاريخية مهمة وإن كانت أحياناً مجملّة، فالقصص القرآنية وبالرغم من أن الغرض منها هو الموعظة والاعتبار، إلا أن الرغبة في معرفة تفاصيل ما أجمله القرآن الكريم من ذلك القصص فتحت باباً من أبواب المعرفة، ويعد التاريخ واحداً من تلك المعارف، وإذا كان القرآن الكريم هو المصدر الموثوق لدراسة التاريخ، فإن حياة الرسول ﷺ كانت المحفز الآخر لدراسة تاريخه الشريف والمعبر عنه بالسيرة النبوية، فهو ﷺ مثل المسلمين الأعلى في الحياة، وأقواله وأفعاله تعد الركن الثاني في التشريع الإسلامي، لذا بدأ الاهتمام بجمع كل ما يتعلق بحياته، ثم اتسع نطاق هذه الدراسة لتشمل ما عرف به (المغازي)، والتي تغطي الجوانب السياسية والعسكرية من حياته، حيث لم تعد الجوانب الاجتماعية، التي رأيناها في السيرة مثار الاهتمام لوحدها، بل صار كفاحه وجهاده في سبيل نشر رسالته، بما في ذلك كفاحه المسلح - غزواته وسراياه - مثار المزيد من الاهتمام، لذا فإن التاريخ الإسلامي قد ولد ونشأ وترعرع، ووصل درجة النضج والكمال في ظل الإسلام (القرآن والسنة)، فقد ورد عن الإمام علي بن الحسين ﷺ انه قال: (كنا نعلّم مغازي النبي ﷺ وسراياه كما نعلّم السورة من القرآن)^(١). كانت بدايات التدوين التاريخي وثيقة الصلة بهذين المصدرين، فالحركة التاريخية التي نشأت في المدينة اعتمدت على الرواية الشفوية شأنها شأن الحديث النبوي، والخبر التاريخي كان عمدته السماع من الموثوق بهم من الحفاظ، وهذه هي طريقة الإسناد المستعمل عند المحدثين، وكل جيل ينهل من الذي قبله^(٢) على أن علم التاريخ نشأ عند

(١) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: الدكتور محمود الطحان، مكتبة المعارف، (الرياض، ١٩٨٢م)، ج ٢، ص ١٩٥؛ مصطفى، شاطر، التاريخ العربي والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله، ط ٣، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٨٣م)، ج ١، ص ٥٧.

(٢) الدوري، عبد العزيز، نشأت علم التاريخ عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، (د.م، ٢٠٠٠م)، ص ٣٠.

العرب للحفاظ على تراثين الأول: تراث النبي ﷺ (أفعاله، وأقواله، وتقريراته، ومغازيه). الثاني: تراث القبائل العربية السابق على الإسلام، من حروبها وما سمي بـ(الأيام)، وكذلك أنسابها، وتراثها الشعري واللغوي^(١).

يعد التاريخ الناشئ عن هذين التراثين هو الشكل الأصلي للتاريخ العربي، الذي اتخذ شكلاً محدداً في سرد الخبر، هو الرواية لحدث مفرد عبر سلسلة رواة تناقلوا الخبر ابتداءً ممن شهدوه أو زعم ذلك، وذلك طبقاً لمنهج اختصت به العلوم الحديثية، وهو منهج الإسناد أي تصحيح الخبر بناء على مدى الثقة بناقليه، ويشير شاكر مصطفى^(٢) إلى ذلك بقوله: وأشد روابط التاريخ قوة إنما كانت مع علم الحديث والسيرة من جهة، وعلوم النسب واللغة والأدب لأنه اشتق من ضلعها، وقد مشى خطواته الأولى خاصة مع السيرة ومع الأنساب والقصص الأدبي، كما اقتبس معظم مناهجه عن علم الحديث.

إن الكتابات التاريخية التي ظهرت في المجتمع الإسلامي، كانت قد تأثرت بالعوامل السياسية التي نشأت عملية التدوين التاريخي بظلمها، فروايات عوانة بن الحكم (ت: ١٤٧ هـ / ٧٦٤ م)^(٣) التي نقلها عنه المؤرخون تؤيد فكرة الجبر التي كان الأمويون يروجون لها تثبيتاً لخلافتهم، وتبريراً لأعمالهم، فيروي الطبري^(٤) عنه قول يزيد بن معاوية للإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام: (... أبوك نازعني سلطاني فصنع الله به ما قد رأيت...)، وكذلك تكليف المنصور العباسي

(١) مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج ١، ص ٨٨.

(٢) التاريخ العربي والمؤرخون، ج ١، ص ٨٨.

(٣) عوانة بن الحكم بن عوانة بن عياض، علامة أخباري، أحد الفصحاء، له كتاب التاريخ، مات سنة ١٤٧ هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٧، ص ٢٠١.

(٤) تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٦١.

(١٣٦هـ / ٧٥٤م - ١٥٨هـ / ٧٧٥م) لابن إسحاق (ت: ١٥١هـ / ٧٦٨م)^(١) ليصنف كتاباً لابنه المهدي العباسي (١٥٨هـ / ٧٧٥م - ١٦٩هـ / ٧٨٥م)^(٢)، فوضع كتابه على أساس الأحاديث التي جمعها في المدينة متقرباً به إلى العباسيين^(٣)، كما كانت تتأثر بحاجات المجتمع الإسلامي الدينية والدنيوية، فبرزت كتابات تاريخية ارتبطت بالتفسير لمعرفة الظروف التاريخية لنزول الآيات الكريمة، وارتبطت بالحديث والسنة وأخبار الفتوح والمغازي للمساعدة في استنباط الأحكام الفقهية المتعلقة بالسلوك البشري. بيد إن راوي الحديث ينال مكانة مرموقة عند العام والخاص^(٤)، وتبعاً لذلك بدأ الاهتمام بدراسة حياة الرسول ﷺ بمختلف جوانبها.

وقد عُدَّ المهتمون بهذه الدراسات في عداد المحدثين، وهذا الإعداد يعطي أهمية خاصة لموضوع الإسناد، بمعنى آخر تستمد أخبار الغزوات قيمتها المعنوية من خلال سلسلة الرواة والأسانيد، وبهذا يكون قد أدخل عنصر البحث والتحري والتدقيق في جمع الروايات، وبذلك يكون الحديث النبوي بأسانيده الأساس الأول والمتين للكتابة التاريخية^(٥).

يحدد المسعودي^(٦) بداية التدوين عند العرب المسلمين، إنما كانت في زمن

(١) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبی، من أقدم مؤرخي العرب من أهل المدينة، أشهر مصنفاته السيرة النبوية الذي هذبه ابن هشام، توفي ببغداد سنة ١٥١هـ. ينظر: ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت، ٦٨١هـ / ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط ١، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، (بيروت، ١٩٦٨م)، ج ٤، ص ٢٧٦.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار الفكر، (بيروت، ١٩٨٠م) ج ١٨، ص ٧.

(٣) معروف، بشار عواد، اثر الحديث في نشأت التاريخ عند المسلمين، (بغداد، ١٩٦٦م)، ص ١٢٤.

(٤) مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج ١، ص ٩٠.

(٥) معروف، اثر الحديث في نشأت التاريخ عند المسلمين، ص ١٢٤.

(٦) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت: ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: سعيد محمد اللحام، ط ٢، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٠م)، ج ٣، ص ١٤١.

معاوية بن أبي سفيان، حين استقدم عبيد بن شريّة الجرهني (ت: ٧٠ هـ تقريباً) من اليمن ليروي له أخبار الماضين، فيما يحدد الذهبي^(١) السنة التي بدأ بها تدوين العلوم العربية الإسلامية بأنها سنة ١٤٣ هـ، حيث شرع علماء الإسلام بتدوين الحديث والفقه والتفسير والمغازي، إلا أن مصطفى شاكر^(٢) يخالف هذا الرأي قائلاً: «ومن المؤسف إن الباحثين قد فاتهم حقيقة التدوين المبكر، والتي تسجل عملياً ظهور العلم المكتوب منذ زمن مبكر في الإسلام...»، مستدلاً برواية أحمد بن حنبل التي يقول فيها انه: (سئل الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن رأي والده في الخيار - أي أولي الفضل - فأمر بإحضار صندوق وأخرج منه صحيفة صفراء تضم آراء الإمام علي عليه السلام في ذلك)^(٣).

وأما ظهور الإسناد فقد كان متأخراً على التدوين، حيث ظهر في الثلث الأخير من القرن الأول، وكان سببه ضرورة الشهادة على الرواية نقلاً عن مصدرها الأول لتفشي ظاهرة الوضع في الحديث، وهو أمر نوه عنه النبي ﷺ في حياته بقوله عليه السلام: (لقد كثرت عليّ الكذابة في حياتي وستكثر بعد مماتي، ألا من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)^(٤)، وقد روي عن الإمام علي عليه السلام أنه مع ملازمته المستمرة للنبي ﷺ وكتابته عنه، فقد كان يستحلف من يحدث عن الرسول ﷺ^(٥).

لما كان الحديث جزءاً مهماً من السنة النبوية، فقد اهتم المحدثون بتدوين السيرة في كتبهم حسب شرط كل محدث ومنهجه في التصنيف، فقد كان اعتناء المحدثين

(١) تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ١٥١.

(٢) التاريخ العربي والمؤرخون، ص ٧٧ وما بعدها.

(٣) ابن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، تحقيق: وصي الله محمد عباس، ط ١، المكتب الإسلامي،

(بيروت، ١٩٨٨م)، ج ١، ص ١٠٤.

(٤) ابن حنبل، مسند، الحديث (٤٦٩)، ص ٧٩.

(٥) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٨١ - ٨٣.

بالسيرة من زاوية اهتمامهم بالحديث النبوي فلا يكاد يخلو كتاب حديث من ذكر لبعض جوانب السيرة، لكنها متفرقة لا يجمعها مكان واحد كما هو الحال في مسند أحمد بن حنبل، وذلك بسبب المنهج المتبع في التأليف، حيث يسوق الأحاديث على المسايد فيذكر أحاديث كل صحابي في مكان واحد غالباً، والسيرة جزء من التاريخ يجمعها قاسم مشترك وهو الترتيب على السنين إجمالاً، والعناية بتاريخ الواقعة والحادثة وتفصيلها، حيث إن السيرة النبوية لم تقتصر على حياة النبي ﷺ الشريفة بل قدمت صوراً مضيئة لرجال آزرُوا النبي ﷺ وناصروه وضُحُّوا معه بالغالي والنفيس ولم يدخروا وسعاً في الدفاع عن دين الله ونشره في الآفاق^(١).

ويبدو أن التدوين في السيرة استمر من قبل المؤرخين جنباً إلى جنب مع المحدثين مع اختلاف المنطلقات والمناهج، الذي صبغ مرويات السيرة بالإسناد هو أنها جزء من الحديث النبوي، وأن أعلامها البارزين كانوا من أعلام المحدثين ومشاهيرهم كعروة بن الزبير (ت: ٩٤هـ / ٧١٢م)^(٢)، حيث كان يهتم اهتماماً بالغاً بالحديث، فقد كان محدثاً، والإسناد الذي يتكرر له في كتب التاريخ والحديث هو: هشام عن عروة عن عائشة، ويعد أول من ألف في المغازي^(٣) والأحاديث التي وردت عنه مرتبة بشكل مترابط، ويستدل الباحثون على أن طريقته هذه تبويب جديد للأحاديث النبوية، تطورت فيما بعد ودخلت فيها رواية الأحداث المتعلقة بالرسول ﷺ والصحابة ومن عاصرهم، تروى وتدون بطريقة أهل الحديث

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ١٨٨؛ الخطيب، السنة قبل التدوين، ص ٣٠٢.

(٢) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، أبو عبد الله القرشي، أحد الفقهاء السبعة في المدينة، لم يشارك أباه في حرب الجمل، انتقل إلى البصرة ثم إلى مصر حيث أقام فيها سبع سنين، ثم عاد إلى المدينة فتوفي بها سن ٩٤ هـ. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣١٦.

(٣) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسنطي الرومي (ت: ١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، (بيروت، د. ت)، ج ٢، ص ١٧٤٧.

من حيث استعمال الإسناد وإقامة النقد عليها^(١)، وأبان بن عثمان (ت: ١٠٥ هـ / ٧٢٣م) الذي كان محدثاً يروي الحديث، وييدي اهتماماً بالمغازي وفقهياً من فقهاء المدينة ووالياً عليها^(٢)، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت: ١٢٤ هـ / ٧٤١م)^(٣)، فقد قام ببحث واسع عن روايات المدينة وأحاديثها فكانت جل موادها عن السيرة من الحديث مراعيّاً التسلسل التاريخي في حوادث السيرة ومؤرخاً للحوادث المهمة^(٤).

ثم جاء بعد الزهري تلامذته الذين ساروا على النهج الذي وضعه علماء المدينة المحدثون في كتابة المغازي ومن هؤلاء موسى بن عقبة (ت: ١٤١ هـ / ٧٥٨م)^(٥)، وقد انصب تأكيداً على الإسناد بشكل واضح وهو أمر يعكس تأثير الحديث على التاريخ^(٦)، بعد ذلك ظهرت شخصية فذة في السيرة النبوية، وهي

(١) معروف، اثر الحديث، ص ١٢٦.

(٢) إبان بن عثمان بن عفان الأموي القرشي، اشترك في خروج عائشة وطلحة والزبير على الإمام علي عليه السلام، فشهد واقعة الجمل، عينه عبد الملك بن مروان والياً على المدينة سنة ٧٥ هـ، له تنسب أولى المحاولات في تدوين السنة النبوية والمغازي وقد سلمها إلى سليمان بن عبد الملك فأتلفها، توفي سنة ١٠٥ هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ١١٢-١١٣؛ الزبير بن بكار، أبو عبد الله بن عبد الله القرشي (ت: ٢٥٦ هـ): الأخبار الموقفيات، تحقيق: سامي مكي العاني، ط ٢، عالم الكتب، (بيروت، ١٩٩٦م)، ص ٢٧٥-٢٧٧.

(٣) محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، أبو بكر القرشي، من أكابر الحفاظ في المدينة، قال عنه عمر بن عبد العزيز: «عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه»، مات سنة ١٢٤ هـ. ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ١٠٢.

(٤) معروف، اثر الحديث، ص ١٢٧.

(٥) موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي، مولى آل الزبير، من رجال الحديث بالمدينة، له كتاب في المغازي، قال عنه أحمد بن حنبل: «عليكم بمغازي ابن أبي عقبة فإنه ثقة» توفي سنة ١٤١ هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ط ١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد الدكن، ١٣٢٥ هـ)، ج ١٠، ص ٣٦٠.

(٦) معروف، اثر الحديث، ص ١٢٧.

شخصية محمد بن إسحاق (ت: ١٥١ هـ / ٧٦٨ م)، فقد روي عن الشافعي أنه قال: (من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق)^(١)، يقول عنه ابن سيد الناس^(٢): "إذ هو العمدة في هذا الباب لنا ولغيرنا، وكان ابن إسحاق تلميذاً للزهري، وكل من جاء بعده لم يزد عليه سوى الترتيب والتهذيب"^(٣)، كما فعل عبد الملك بن هشام (ت: ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م)^(٤)، ويبدو أن ابن إسحاق قد توسع في كتابه فشمل المبتدأ، والمبعث، والمغازي^(٥)، الأمر الذي أدى إلى سخط علماء الحديث من أهل المدينة المنورة، لخروجه على أسلوب المحدثين لأنه تطرق إلى دراسة المبتدأ، فاعتبروها خروجاً عن حدود الحديث النبوي، مبتعداً عن نطاق مدرسة أهل المدينة بشكل جزئي، وقد تابعهم بعض الكتاب المتأخرين ممن عرف عنهم شدة التعصب لأهل الحديث، كالخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣ هـ)، والذهبي (ت: ٧٤٨ هـ)، في توجيه التهم لابن إسحاق للسبب ذاته، وإن كانت مغايرة قد اخذوا بها رغم تضعيفهم له^(٦)، وربما كان ذلك السخط على ابن إسحاق سبباً وجيهاً في إقدام ابن هشام على حذف بعض المعلومات من كتاب السيرة لابن إسحاق عندما هذبه، فضلاً عن أن لابن هشام أسبابه الخاصة أهمهما المذهبية، ولا يعرف ما الذي حذفه ابن هشام، لاسيما أن الشكل الذي وضعه ابن إسحاق لم

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٢٦.

(٢) محمد بن عبد الله بن يحيى، (ت: ٧٣٤ هـ / ١٣٣٣ م)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٨٦ م)، ج ١، ص ١١.

(٣) معروف، اثر الحديث، ص ١٢٩.

(٤) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، أبو محمد المعافري، كان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب، ولد بالبصرة، أشهر كتبه، السيرة النبوية المعروف بسيرة ابن هشام، رواه عن ابن إسحاق، وتوفي بمصر سنة ٢١٣ هـ. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٩٠.

(٥) هوروفتس، يوسف، المغازي الأولى ومؤلفوها، ترجمة: حسين نصار، (القاهرة، ١٩٤٩ م)، ص ٨٢.

(٦) معروف، اثر الحديث، ص ١٢٩.

يصلنا، إنما الذي بين أيدينا هو تهذيب ابن هشام، ولكنه أي ابن هشام^(١) ذكر في المقدمة التي كتبها لهذا التهذيب خطته في الحذف والعرض، اقتبسنا منها ما يؤكد ذلك:

(... وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب، مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سببا لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسير له، ولا شاهدا عليه، لما ذكرت من الاختصار، وأشعارا ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره...)^(٢).

وقد حاول محمد بن عمر الواقدي (ت: ٢٠٧هـ)^(٣)، الرجوع في كتابه المغازي إلى أسلوب أهل المدينة، وهو أسلوب المحدثين، فاستعمل الإسناد بشكل أكثر دقة، وكان يشعر بما لقيه ابن إسحاق من نقد وسخط، من علماء المدينة ومحدثيها، فأراد أن يجنب نفسه ذلك المأزق، ونحن إذ نسوق هذه الأمثلة في هذا العرض، لنبين أن كتب الحديث وأسلوبها قد كون الدعامة الأساسية في تكوين المادة التاريخية للسيرة النبوية، فهي جزء منه نشأت بنشوءه وتطورت على أساسه^(٤).

ثم ظهر أسلوب آخر من أساليب التدوين التاريخي يختلف عن أسلوب المحدثين الذي اشتهرت به مدرسة المدينة المنورة، وهو أسلوب الإخباريين الذي

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٤

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٤

(٣) محمد بن عمر بن واقد السهمي، أبو عبد الله، من حفاظ الحديث، ومن أقدم المؤرخين في الإسلام، انتقل من المدينة إلى بغداد فتولى القضاء في عهد الرشيد، له عدة مصنفات، وقد روى عنه كاتبه محمد بن سعد صاحب الطبقات الكبرى، مات سنة ٢٠٧هـ. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٣، ص ٢١.

(٤) معروف، اثر الحديث، ص ١٢٩-١٣٠.

تَمَيَّزَ بإعطاء صورة كاملة عن الواقعة التاريخية، وذكّر التفاصيل، ورواية الشعر والخطب، وقد ظهر هذا الأسلوب في الكوفة، فقد تنبّه المؤرّخون إلى ضرورة توحيد صورة الحدث التاريخي، من أجل تقديم نسق دقيق ومترابط للأحداث، ميّز في النهاية العمل التاريخي عن العمل الحديثي، الذي يعنى بجمع الأحاديث بأسانيدھا، الأمر الذي دعا المؤرّخين إلى توحيد الأسانيد في مقدّمة الحدث المراد نقله وهو ما يعرف بالإسناد الجمعي: وهو جمع روايات الرواة لحديث واحد في إسناد واحد حتى يظهر المتن كأنهم رَوَوْه جميعاً كله بلفظه، مع أنه يوجد اختلافات بين الرواة تظهر إذا أفردت رواية كل راوٍ على حدة، ومع ذلك بقي تأثير المحدثين واضح على الكتابة التاريخية طالما هناك إسناد^(١).

ومن أشهر الإخباريين: عوانة بن الحكم (ت: ١٤٧هـ / ٧٦٤م)، وأبو مخنف (ت: ١٥٧هـ / ٧٧٣م)^(٢)، وسيف بن عمر الكوفي (ت: ٢٠٠هـ / ٨١٥م)^(٣)، وهشام محمد بن السائب الكلبي (ت: ٢٠٤هـ / ٨١٩م)^(٤) وعلي بن محمد المدائني (ت: ٢٢٥هـ / ٨٣٩م)^(٥)، الذي يُعدُّ من أهمّ الإخباريين؛ وذلك لاعتماده على الإسناد

(١) معروف، اثر الحديث، ص ١٣١.

(٢) لوط بن يحيى بن سالم بن مخنف الأزدي الغامدي، عالم بالسير والأخبار، كوفي، له تصانيف كثيرة أهمها كتاب مقتل الحسين (عليه السلام)، الذي روى عنه الطبري، توفي سنة ١٥٧هـ. ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص ٣٢٠.

(٣) سيف بن عمر الأسدي الكوفي، إخباري من أصحاب السير، له كتاب الجمل وكتاب الفتوح الكبير، توفي ببغداد سنة ٢٠٠هـ. ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ٢٥٩.

(٤) هشام بن محمد أبو النظر بن السائب بن بشر الكلبي، مؤرخ وعالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها، من أهل الكوفة توفي سنة ٢٠٤هـ. ينظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٨١٩.

(٥) أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله المدائني، راوية ومؤرخ وإخباري، من أهل البصرة، من أشهر كتبه، أخبار قريش، توفي سنة ٢٢٥هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٤٠٠-٤٠٢.

أكثر من غيره، واتباعه أسلوب المحدثين في نقد الروايات وتمحيصها وتنظيمها^(١) وفيما بعد تم الجمع بين أسلوبيين المدرستين^(٢).

ثم ظهرت المدونات الكبيرة الجامعة التي استوعبت تاريخ الإسلام بأكمله بترتيب أحداثه، وربما استوعبت أيضاً تاريخ الأنبياء والأمم السالفة، فضلاً عن الكثير من الأخبار التي تتعلق بالحقبة الإسلامية^(٣)، معتمدين على روايات الرواة والمحدثين، كان أبرزهم، محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)، الذي روى عن مشاهير الرواة والمحدثين أمثال: إسماعيل بن عياش الحمصي (١٨١ هـ / ٧٩٧ م)^(٤)، والوليد بن مسلم الدمشقي (ت: ١٩٥ هـ / ٨١٠ م)^(٥)، ومحمد بن بشار البصري المعروف ب(بندار) (ت: ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م)^(٦).

وقد عرّفت الثقافة التاريخية الإسلامية منذ وقت مبكر كتب الطبقات، وهي تلك التي تتعلّق بتدوين الحديث الشريف وتوثيقه، فأدّى ذلك إلى النظر في أسانيد الحديث، وأحوال الرواة، ومن ثمّ ولادة فكرة الطبقات نفسها، فقد كان على علماء

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٥٤.

(٢) الدوري، نشأت علم التاريخ عند العرب، ص ٤٣؛ مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ص ٥٥-٥٦.

(٣) معروف، اثر الحديث، ص ١٣٢.

(٤) إسماعيل بن عياش بن سليم العنسي الحمصي، كان ممن اشتهر برواية الحديث، قال عنه أحمد ابن حنبل: «ليس احد أروى لحديث الشاميين من إسماعيل بن عياش، مات سنة ١٨١ هـ. ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٢٣٣.

(٥) الوليد بن مسلم القرشي، أبو العباس الدمشقي، راوي حديث، مات سنة ١٩٥ هـ، روى له أحمد ابن حنبل (٤٥) حديثاً. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١١، ص ١٥١.

(٦) محمد بن بشار بن عثمان بن كيسان العبدي، أبو بكر البصري، من المشاهير برواية الحديث، وأطلق عليه لقب بندار لجمعه حديث مالك بن انس بكثرة، توفي ببغداد سنة ٢٥٢ هـ، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٢، ص ١٠١-١٠٥.

الحديث أن يهتموا بوضع معايير تسمح بقبول وتصحيح نص حديث الرسول ، وقد انصبَّت تلك المعايير على الجانب الخُلُقي في الراوي، وعلى مدى صدقه وتقواه، وأضافوا إليها تفصيلاً عن البيئة الأسرية للرواة، وطبيعة ارتباطهم بالنبي ، والمدة التي قضوها معه، وعلاقاتهم بصحابته المقربين، أو بخلفائه الراشدين. كما ركزوا على حدوث لقاء فعليٍّ أو محتمل، وحرصوا على معرفة تاريخ الولادة والوفاة لكل واحد من الأعلام المذكورين في سلسلة الإسناد، ومن ثمَّ كان الإسناد في الحديث سبباً في ظهور التراجم التي تضم تفصيلات عن كل واحد من رجال السند، ولما كان ينبغي ترتيب أولئك الرجال على طبقات متتالية، والتركيز على المعاصرة، والعلاقات المشتركة، وطبيعة تلك العلاقات؛ سعياً لتسلسل الإسناد إلى النبع الذي هو النبي ﷺ، كانت ولادة فكرة الطبقات، التي قدَّمت رجال السند تحت تصنيفات متعددة، وعليه فقد ظهرت الطبقات في مجالات شتى؛ منها: كتب طبقات المحدثين، وطبقات الحفاظ، وطبقات الفقهاء، وطبقات الشافعية، وطبقات الحنابلة، وطبقات القُرَّاء، وطبقات المفسِّرين، وطبقات الصوفية، وطبقات الشعراء، وطبقات النحويين، وطبقات الأطباء^(١). ومن أشهر كتب الطبقات: (الطبقات الكبرى)، لمحمد بن سعد الزهري (ت: ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م) تلميذ الواقدي وكاتبه^(٢).

(١) روزنثال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: أحمد صالح العلي، مراجعة محمد توفيق حسين، مكتبة المثنى، (بغداد، ١٩٦٣ م)، ص ٢٢؛ معروف، مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين، مجلة الأقلام، العدد الخامس، (بغداد ١٩٦٥ م)، ص ٢٩-٣٠؛ العمري، أكرم ضياء، الإسناد ظهوره وأهميته، مجلة كلية الشريعة، العدد الثالث، مطبعة الحكومة، (بغداد، ١٩٦٧ م) ص ١٧.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ٤٢٢.

وحتى بعد أن استقل علم التاريخ عند المسلمين وأصبح علماً قائماً بذاته نجد أن الكثير من المؤرخين المسلمين وطوال حقبة التاريخ الإسلامي ممن يعنون بالحديث وعلومه، بل كان معظمهم من حفاظ الحديث، وإن اهتمامهم بالحديث دفعهم إلى الاهتمام بالتاريخ، كالخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م)، وابن الجوزي (ت: ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م)، وابن الديلمي الواسطي (٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م)، وابن الساعي البغدادي (ت: ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م)، وشمس الدين الذهبي (٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)، وابن كثير الدمشقي (٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)، وابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م)، وجلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)^(١).

لقد احتوت المدونات الحديثية على مادة تاريخية غنية عن الأحداث في عصر الرسالة وما تلاها من المراحل التاريخية، إلا أنها جاءت غير متكاملة، الأمر الذي أدى إلى صعوبة عرض المادة التاريخية بتسلسلها الزمني وفق الحديث النبوي لأنه يفتقر إلى وحدة الموضوع، لوجود فجوات تاريخية لأحداث ومواقف مهمة، لا يمكن استدراكها إلا من خلال كتب المؤرخين. إلا أن نقطة القوة في كتب الحديث هو إن مصنفها طبقوا المنهج العلمي الاستقصائي - علم الجرح والتعديل - في نقل المرويات والأحاديث، وإن قواعد تحليل الرواية التاريخية إلى الآن تعتمد على قواعد علم الحديث في تبيان صحة الرواية أو سقمها، فتحليل الرواية التاريخية يبنى على ثلاث ركائز أساسية كلها نابعة من علوم الحديث^(٢)، وهي:

الركيزة الأولى: دراسة السند التاريخي للرواية من حيث معرفة رجاله بعد إخضاعهم لمنهج الجرح والتعديل، فضلاً عن معرفة نوع السند.

(١) معروف، أثر الحديث، ص ١٣٤.

(٢) الدوري، نشأت علم التاريخ عند العرب، ص ٤٦؛ مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ص ٥٩؛ معروف، أثر الحديث، ص ١٣٧.

الركيزة الثانية: دراسة نص الرواية التاريخية - المتن - ومقارنته بالنصوص الأخرى بعد تخريجه من بطون الكتب، من ثم نقده.

الركيزة الثالثة: دراسة حياة المؤلف وتاريخ مولده ووفاته واتجاهاته وميولاته واختصاصه، ودرجة مصداقيته، وكلها أمور يستخدمها علماء الحديث من النقاد^(١).

يتبين لنا انه على الرغم من تأخر التدوين للسيرة النبوية، وانتشار ظاهرة الوضع في الحديث، التي أثرت كثيراً في معرفة الحقائق العقائدية والتاريخية، إلا أن رغبة العلماء كانت كبيرة جداً في البحث عن كل ما يتعلق بحياة الرسول الكريم ﷺ، وجهودهم الحثيثة في تطبيق منهج صارم على سلسلة الرواة للتأكد من صحة الرواية، ومن ثم الحكم بأن الحديث صحيح، وقد كونت الأحاديث المجموعة من قبل العلماء المادة التاريخية الأساس عن التاريخ الإسلامي الأول، وقد كان لمنهج المحدثين وبخاصة ذكر سلسلة الإسناد أثر واضح على المصنفات التاريخية، ومن بين تلك المصنفات الحديثية التي حوت مادة تاريخية مهمة، وطبقت منهج الإسناد العالي، مسند أحمد بن حنبل.

(١) الحشاوي، رشيد لطيف إبراهيم، قواعد تحليل الرواية التاريخية، مجلة جامعة تكريت للعلوم، العدد التاسع، المجلد (١٨)، ٢٠١١م، ص ٢٢٠ - ٢٢١.



الفصل الأول

سيرة صاحب المسند

المبحث الأول

حياة أحمد بن حنبل

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته:

هو أحمد بن محمد بن حنبل^(١) بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن انس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكاب بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى ابن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان آد بن أدد بن الهميسع بن حمل بن النبت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم النبي ﷺ الشيباني الذهلي المروزي ثم البغدادي^(٢).

(١) الحنبل: القصير، الكثير الكلام أو الكثير اللحم، الضخم البطن، وقيل الفرو، والحنبل طلع أم غيلان، وحنبل الرجل إذا أكثر من أكل اللوبيا، والحنبل موضع بين البصرة ولينه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ١١٢٧.

(٢) ابن سعد، ج ٧، ص ٣٥٤؛ البخاري، التاريخ الكبير، ج ٢، ص ٥؛ ابن أبي حاتم الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت، ٣٢٧هـ / ٩٣٨م): - الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ١٩٩٢م)، ج ١، ص ٢٩٢؛ أبو نعيم الاصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط ٤، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٩٨٤م)، ج ٩، ص ١٦٠؛ ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت، ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م): جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، (مصر، ١٩٦٢م)، ص ٢١٤؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٤١٣؛ ابن ماكولا، أبو نصر علي بن هبة الله (ت ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م): الإكمال في رفع الارتياح عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، (حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٣م)، ج ٢، ص ٥٦٣؛ ابن أبي يعلى الحنبلي، أبو الحسين محمد بن محمد الحسين (ت: ٥٢٦هـ / ١١٣١م): طبقات الخنابلة، شرح أحاديثه ووضع حواشيه: أبو حازم أسامة بن حسن

والجدير بالذكر أن رواية النسب هذه وردت عن طريق صالح بن أحمد بن حنبل حيث يقول: رأى أبي هذا النسب في كتاب لي، فقال ما تصنع به؟ ولم ينكر النسب^(١).

وقد أخذه المؤرخون^(٢) منه، وعند تعرضهم لذلك النسب وجدوا بعض الاختلاف في الأسماء: مثل (قيدار) عنده (قندر)، و(حمل) عنده (مليح)، كذلك اسقط صالح بن أحمد بن حنبل كلاً من (إدريس، وآد) من سلسلة النسب، كما وبدت رواية صالح غير دقيقة لأنها تنسب الجد الحادي عشر لأحمد بن حنبل إلى ذهل بن شيان بينما المعروف لدى النسابة هو شيان بن ذهل وليس العكس، ولهذا يتدارك ابن الجوزي^(٣) ذلك الخطأ في الرواية، ويجعله من خطأ الرواة حيث يقول:

-
- وأبو الزهراء حازم علي بهجت، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٧م)، ج ١، ص ٤؛ السمعاني، الأنساب، تعليق عبد الله عمر البارودي، ط ١، دار الجنان، (بيروت، ١٤٠٨ هـ)، ج ٤، ص ٢٤٧؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م): مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ط ١، دار الآفاق الجديدة، (بيروت، ١٩٧٣م)، ص ١٦.
- (١) ورد هذا النسب ضمن رسالة صالح بن أحمد بن حنبل. ينظر: الدومي، أحمد عبد الجواد، أحمد بن حنبل بين محنة الدين ومحنة الدنيا، ط ١، المكتبة التجارية، (مصر، ١٣٨٠ هـ)، ص ٢٦٧.
- (٢) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج ٩، ص ٤؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٤١٣؛ ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٤؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٨٢؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١، ص ٦٤؛ المزي، أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (ت: ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق د. بشار عواد معروف، ط ١، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٨٠م)، ج ١، ص ٤٤٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ١٧٩؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، ط ١، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ٢٠٠٠م)، ج ٦، ص ٣٦٣؛ السبكي: تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وآخرون، ط ١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (القاهرة، ١٩٦٤م)، ج ٢، ص ٢٧.
- (٣) مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ١٦ - ١٧.

«ولا احسب هذا إلا إن بعض الرواة لم يضبط وسمع من الناس يقولون ذهل بن شيان فقال له...»، ويعلق علي الكوراني^(١) على ذلك قائلاً: (إن النسب المذكور لأحمد بن حنبل لا يوجب الاطمئنان له؛ لأن أولاده ادعوه لحاجتهم إليه بعد أن صار أبوهم مشهوراً)، ويرجح أن يكون جده حنبل حليفاً لهلال بن أسد الشيباني وليس ابناً له، محتجاً بأن أحمد بن حنبل لم يدع طوال حياته أنه من العرب، ومستدلاً بقول يحيى بن معين^(٢): (ما رأيت خيراً من أحمد بن حنبل قط، ما افتخر علينا قط بالعربية ولا ذكرها، وصحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مهما كان فيه من الصلاح، وما سمعته يقول أنا من العرب قط)^(٣)، ويستشهد الكوراني أيضاً برواية محمد بن الفضل التي يقول فيها: (وضع أحمد بن حنبل عندي نفقته فكان يجيء في كل يوم يأخذ منها حاجته، فقلت له يا أبا عبد الله بلغني أنك من العرب؟ فقال: يا أبا النعمان نحن قوم مساكين، فلم يزل يدافعني حتى خرج ولم يقل لي شيئاً)^(٤).

وفي تلك الروايات دلالة على أن أحمد بن حنبل كان يتحاشى التصريح عن نسبه أياً كان، لأسباب لم تذكرها المصادر، وإن من ألصقه بالنسب العربي كان ابنه صالح كما مر سابقاً، لاعتبارات خاصة بوضع الأسرة الجديد، إبان حكم المتوكل العباسي، ولكن اتفاق المصادر^(٥) على أن أحمد بن حنبل عربي الأصل، ثم يقولون

(١) الإمام الهادي عليه السلام (عمر حافل بالجهاد والمعجزات)، ط ١، (قم، ٢٠١٣م)، ص ٢١٣.

(٢) يحيى بن معين المري البغدادي، أبو زكريا الحافظ إمام المحدثين وأحد أئمة الجرح والتعديل في زمانه، ولد سنة ١٥٨ هـ، ومات بالمدينة في ذي القعدة سنة ٢٣٣ هـ. ينظر: ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٤٠٢.

(٣) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج ٩، ص ١٨١؛ ابن الجوزي، مناقب، ص ١٧٤.

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢٩؛ المزي، تهذيب الكمال، ج ١، ص ٤٤٤.

(٥) ينظر: مصادر ترجمته في ص ١٤.

بعد ذلك وأصله من مرو، يجعلنا نحتاط في البت في موضوع نسبه، وبخاصة أن الطوسي^(١) نسبه إلى شيبان، وعدّه من تلاميذ الإمام الرضا عليه السلام.

اشتهر أحمد باسم جده فهو على الألسن والأقلام أحمد بن حنبل، كان أبوه جندياً من جنود الدولة العباسية يسكن بمرو^(٢)، توفي وله من العمر ثلاثون سنة^(٣) أما جده حنبل فكان والياً على سرخس^(٤). وأم أحمد هي صفية بنت ميمون بن عبد الملك الشيباني من بني عامر^(٥)، ويكنى أحمد بن حنبل بأبي عبد الله وهو الابن الثاني له، وربما كانت كنيته قبل أن يولد له أبناء^(٦).

-
- (١) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م): رجال الطوسي، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٩٩٥م)، ص ٣٥١.
- (٢) مرو: من أشهر مدن خراسان وقصبتها وهي (مرو الشاهجان، مرو العظمى)، وقد أخرجت الكثير من الأعيان وعلماء الدين، والنسبة إليها (مروزي). ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار الفكر، (بيروت، د. ت)، ج ٥، ص ١١٢ - ١١٤.
- (٣) ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ١٩؛ ابن كثير، أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م): البداية والنهاية، مكتبة المعارف، (بيروت، د. ت)، ج ١٠، ص ٣٥٩؛ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد (ت: ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، (بيروت، د. ت)، ج ٢، ص ٥٦.
- (٤) سرخس: مدينة قديمة من نواحي خراسان تقع بين نيسابور ومرو. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٠٨.
- (٥) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج ٩، ص ١٦٣؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٤١٥؛ ابن الجوزي، المصعد الأحمدي في ختم مسند الإمام أحمد، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ١، دار السلفية، (القاهرة، ١٩٩٠م)، ص ٢٦.
- (٦) البخاري، التاريخ الكبير، ج ٢، ص ٥؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ١، ص ٢٩٢؛ ابن ماكولا، الإكمال، ج ٢، ص ٥٦٣؛ ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ١٤؛ المزي، تهذيب الكمال، ج ١، ص ٤٣٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ١٧٧ - ١٧٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ٣٦٣.

ثانياً: ولادته ونشأته:

ولد أحمد بن حنبل في سنة مئة وأربع وستين للهجرة، بعد انتقال أسرته إلى بغداد بأشهر قلائل^(١)، وهناك رواية تنص على أن أحمد بن حنبل ولد بمرو، وجيء به إلى بغداد وهو رضيع^(٢).

نشأ أحمد يتيماً الأب فتكفلت أمه بتربيته ورعايته والإنفاق عليه، فكان لها الدور الكبير في تشجيعه لتحصيل العلم منذ نعومة أظفاره^(٣)، ويروي أحمد ابتداءه التعليم بقوله: «كنت وأنا غليم اختلف إلى الكتاب، ثم اختلفت إلى الديوان وأنا ابن أربع عشرة سنة»^(٤)، ويصف ابن الجوزي الملامح الأولى لنشأة أحمد بن حنبل قائلاً: «اعلم أن مخايل الإنسان تبين في صباه أو يتملح في بدء أمره متتهاه، وقد كانت مخايل العلم والتقى تظهر على أحمد في بدايته، لذلك أثنى عليه مشايخه وقدموه»^(٥).

اشتهر أحمد بن حنبل بين أقرانه في صباه بالعلم والفضل، فيروي أحد زملائه في الكتاب قائلاً: «كنا في الكتاب وهو غليم نعرف فضله»، وأعجب الكثيرون به لما اظهر من قوة حفظ، قال: والد أبو سراج بن خزيمة^(٦) «أنا انفق على ولدي وأجيههم بالمؤدبين على أن يتأدبوا فما أراهم يفلحون وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيماً

(١) الربيعي، أبو سليمان محمد بن عبد الله بن زبير (ت، ٣٧٩هـ / ٩٨٩م): تاريخ موالد العلماء ووفياتهم، تحقيق: د. عبد الله أحمد سليمان، دار العاصمة، (الرياض، ١٩٩٠م)، ج ١، ص ٣٨١؛ الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (ت، ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م): طبقات الفقهاء، تحقيق: خليل الميس، دار القلم، (بيروت، د. ت)، ص ١٠١؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٧٣.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٦٤؛ ابن الجوزي، المصعد الأحم، ص ٢٦.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٤ ص ٤١٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ١٧٩.

(٤) ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٢١؛ ابن الجوزي، المصعد الأحم، ص ٢٦.

(٥) ابن الجوزي، مناقب، ص ٦٦.

(٦) لم اعثر له على ترجمة.

انظر كيف يخرج» وجعل يتعجب منه.

ونال أحمد ثقة الناس لما يتصف به من حسن الأدب والسلوك، فيروى أن النساء في بغداد ممن يعرفن أخلاقه كن يبعثن إلى أحمد بن حنبل ليكتب لهن جواب رسائل أزواجهن فكان يجيء مطأطأ رأسه^(١)، وتوقع له أن يكون ذا شان، فقد قال: الهيثم بن جميل^(٢) (إن عاش هذا الفتى سيكون حجة على أهل زمانه)^(٣).

في سنة ١٧٩هـ / ٧٩٥م بلغ أحمد بن حنبل من العمر ست عشرة سنة، فأخذ يطلب الحديث ببغداد من شيوخها^(٤)، فكان أبو يوسف^(٥) (ت: ١٨٢هـ / ٧٩٨م) أول من كتب عنه الحديث، ثم لزم هشيم^(٦) مدة أربع سنوات إلى وفاة هشيم سنة (١٨٣هـ / ٧٩٩م)، وخلال هذه المدة سمع أحمد من بعض شيوخ الحديث أمثال علي بن هاشم بن البريد (ت: ١٨٠هـ / ٧٩٦م)^(٧)، وجريز بن عبد الحميد (ت:

(١) ابن الجوزي، مناقب، ص ٦٦.

(٢) الهيثم بن جميل: أبو سهل الإنطاكي، بغدادي الأصل، سكن إنطاكيا وكان صاحب سنة، مات سنة ٢١٣هـ. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٥٦.

(٣) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ١، ص ٢٩٥؛ أبو نعيم، حلية الأولياء، ج ٩، ص ١٦٧.

(٤) ابن الجوزي، مناقب، ص ٢١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢، ص ٩٦.

(٥) أبو يوسف القاضي يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد الأنصاري، الكوفي تلميذ أبي حنيفة النعمان، ولد سنة ١١٣هـ، وهو قاضي الأفاق في زمن الرشيد، ومصنف كتاب الخراج، توفي سنة ١٨٢هـ. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٢٤٢.

(٦) هشيم بن بشير بن أبي حازم الواسطي، أبو معاوية السلمي، كان من حفاظ الحديث، سكن بغداد ونشر العلم بها وصنف التصانيف، ولزم أحمد بن حنبل هشيماً أربع سنين أو خمساً، توفي سنة ١٨٣هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص ٢٨٧؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت، ١٩٨٣م)، ج ١ ص ٣٠٣.

(٧) علي بن هاشم بن البريد، أبو الحسن القرشي الكوفي، الإمام الحافظ الصدوق، الشيعي الثقة، سمع منه أحمد بن حنبل الحديث ببغداد، توفي سنة ١٨٠هـ وقيل سنة ١٨١هـ. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ١١٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص ٣٤٢ وما بعدها.

١٨٨هـ / ٨٠٣م^(١).

وطلب مجلس ابن المبارك (ت: ١٨١ هـ / ٧٩٥م)^(٢) لكنه لم يحظَ به لأنه كان قد خرج من بغداد، وهكذا استفاد ابن حنبل من هؤلاء المشايخ وأخذ عنهم الحديث أول نشأته^(٣).

ثالثاً: زوجاته وأولاده:

تزوج أحمد بن حنبل من عباسية بنت الفضل وله من العمر أربعون سنة^(٤)، فأنجبت له ابنه الأكبر صالح^(٥)، ولما ماتت تزوج بريحانه التي أولدت عبد

(١) جرير بن عبد الحميد بن يزيد، أبو عبد الله الضبي الكوفي، الحافظ القاضي، ولد سنة ١١٠ هـ، ثقة كثير العلم، توفي سنة ١٨٨ هـ. ينظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٧٥؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١ ص ٢٧١-٢٧٢.

(٢) عبد الله بن المبارك بن واضح، أبو عبد الرحمن الحنظلي، ولد سنة ١٢٨ هـ، جمع بين العلم والفقه والزهد والأدب، وهو من الشخصيات التي تأثر بها أحمد بن حنبل وحاول التشبه بها، توفي سنة ١٨١ هـ. ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٢٧٤-٢٧٩، أبو زهرة، ابن حنبل حياته وعصره - وآراؤه الفقهية، دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٩٩٧م)، ص ٨٢.

(٣) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج ٩، ص ١٦٣؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٤١٦؛ ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٢٤؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢٩؛ المنزي، تهذيب الكمال، ج ١، ص ٤٤٦؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٧٣.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٤٣٨؛ ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٤٢٩؛ ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد، ص ٢٩٨ (ويورد عباسية باسم عائشة)؛ الذهبي سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٢٣٢.

(٥) صالح بن أحمد بن حنبل، أبو الفضل الشيباني، ولد سنة ٢٠٣ هـ، سمع أباه ولكنه قليل الكتابة عنه، قيل عنه صدوق وثقة، وكان سخياً، ولي قضاء أصبهان، مات سنة ٢٦٦ هـ أو ٢٦٥ هـ. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٣١٧؛ ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٠٥؛ ابن خلكان، وفیات الأعيان، ج ١، ص ٦.

الله^(١)، ثم تزوج أحمد بجارية اسمها (حُسن) فأنجبت له بنت يقال لها زينب ثم أنجبت توأماً (الحسن والحسين) لكنهما توفيا صغيرين، ثم أنجبت له الحسن ومحمداً فعاشا، ثم أولدت سعيداً^(٢)، ويروى أن أحمد بن حنبل تسرى بجارية سماها هو ریحانة، تيمناً باسم زوجته الثانية^(٣).

رابعاً: شخصيته:

وصف أحمد بن حنبل بأنه شديد السمرة متوسط القامة، ربعة من الرجال، يخضب رأسه ولحيته بالحناء، شديد العناية بنظافة ثوبه وبدنه، وقورٌ ومتواضعٌ^(٤)، كثير العبادة، حج خمس حجج، يتمتع بقوة حافظه فقد روي انه يحفظ ألف ألف (مليون) حديث^(٥)، وكان معاشه كفافاً، وطعامه بسيطاً^(٦).

(١) عبد الله بن أحمد بن حنبل، أبو عبد الرحمن الشيباني، ولد سنة ٢١٣ هـ، كان ثقة وعالمًا بعلل الحديث وأسساء الرجال، وهو الذي روى المسند عن أبيه، قيل فيه «لم يكن في الدنيا أحد روى عن أبيه أكثر منه» وقال فيه أبوه «أنت محظوظ في علم الحديث» وقال أيضاً فيه «إن أبا عبد الرحمن قد وعى علماً كثيراً» ألف كتاب السنة، توفي سنة ٢٩٠ هـ. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٣٧٥؛ ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٠٦؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٦٥؛ ابن الجوزي، المصعد الأحمدي، ص ٢٨ - ٣٠.

(٢) الحسن ومحمد لم تعرف أخبارهما، أما زينب فكبرت وتزوجت، وأما سعيد بن أحمد بن حنبل فقد ولد قبل وفاة أبيه بخمسين يوماً، وتولى قضاء الكوفة. ينظر: ابن الجوزي، مناقب، ص ٣٠٦.

(٣) ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٠٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص ٧٨ - ٧٩.

(٤) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج ٩، ص ١٦٣؛ ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٢١٣؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٤٧؛ ابن العباد، شذرات الذهب، ج ٢، ص ٩٦.

(٥) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ١٤؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٤١٩.

(٦) ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد، ص ٢٣٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٣٣٦؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢، ص ٥٠؛ المزي، تهذيب الكمال، ج ١، ص ٤٤٧؛ النووي، أبوزكريا محيي الدين يحيى شرف بن مري (ت، ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م): تهذيب الأسماء واللغات، دار الفكر (بيروت، ١٩٩٦ م)، ج ١ ص ١٢٣.

كان أحمد بن حنبل محدثاً ضمن مجموعة كبيرة من المحدثين البارزين في بغداد، غير أن هناك قدراً كبيراً من المبالغة والغلو رددتها الأفواه في شأن أحمد بن حنبل عقب انتصار المحدثين بعد المحنة، نسجت كردة فعل على الإقصاء الذي تعرض له المحدثون من قبل المعتزلة، وكذلك لتأجيج العاطفة الشعبية، ولكون تلك الروايات لا تستقيم ومستوى النضوج الفكري الذي وصلت إليه البشرية اليوم، فلا بد أن ترفع لأنها من الموضوعات على ابن حنبل، التي تعكس صورة سلبية عن مدى سذاجة تفكير واضعيها، لدى كل من يطلع عليها من المسلمين وغيرهم، وسنقتصر على ما رواه كبار الحفاظ وأئمة الحديث كأمثلة على تلك المبالغات:

قال الشافعي^(١): (أحمد بن حنبل إمام في ثمان خصال: إمام في الحديث، وإمام في الفقه، وإمام في اللغة، وإمام في القرآن، وإمام في الفقر، وإمام في الزهد، وإمام في الورع، وإمام في السنة)^(٢)، والقارئ لهذا النص الوارد عن الشافعي، وهو أستاذ لأحمد بن حنبل لحقبة من الزمن، يكشف أنه موضوع لأن ما عرف عن أحمد بن حنبل أنه اشتهر في الحديث فقط.

ويروي الخطيب البغدادي^(٣) رواية غريبة عن سلمة بن شبيب^(٤): (قال كنا عند

(١) أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي المطلبي، ولد عام ١٥٠ هـ، توفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ تلمذ على يد مالك بن انس في المدينة وهو إمام للمذهب الشافعي وهو من أبرز شيوخ أحمد بن حنبل. ينظر: المزي، تهذيب الكمال، ج ١٧، ص ٤٣٠.

(٢) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١٠، ص ١٠؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢٩.

(٣) تاريخ بغداد، ج ٥، ص ١٨٦.

(٤) سلمة بن شبيب، أبو عبد الرحمن النيسابوري، الحافظ بمكة روى عنه مسلم في صحيحه، توفي سنة ٢٥٧ هـ. ينظر: الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في كتب السنة، تحقيق: محمد عوامة، ط ١، دار القبلة للثقافة الإسلامية، (جدة، ١٩٩٢ م)، ج ١، ص ٥٩٥.

أحمد بن حنبل فجاءه رجل فدق الباب، وكنا قد دخلنا عليه خفية، فظننا أنه قد غمز بنا، فدق ثانية وثالثة، فقال أحمد: ادخل، قال فدخل فسلم، وقال: أيكم أحمد فأشار بعضنا إليه، قال أنا ملك جئت من البحر مسيرة أربع مائة فرسخ، أتاني آت في منامي فقال: أئت أحمد بن حنبل وسل عنه فإنك تدل عليه وقل له: إن الله عنك راضٍ وملائكة سماواته عنك راضون وملائكة أرضه عنك راضون، قال: ثم خرج فما سأل عن حديث ولا مسألة، ونوجه إلى الراوي سؤال: هل الملك تأتبه منامات وأحلام كالbشر؟ فليس لدينا رواية عن النبي ﷺ تخبر بذلك الأمر.

أما علي بن المديني^(١) فيقول: (أعز الله هذا الدين بالصاديق يوم الردة، وبأحمد يوم المحنة)^(٢)، وزاد عليه أبو عبيد القاسم بن سلام قائلاً: (وإن أبا بكر وجد يوم الردة أنصاراً وأعواناً، وإن أحمد بن حنبل لم يكن له أنصار ولا أعوان) ثم اخذ يثني على أحمد ويقول: (لست أعلم في الإسلام مثله)^(٣)، وينكر أحد الباحثين تلك المزاوجة بين الردة في زمن أبي بكر ومحنة أحمد بن حنبل في زمن المأمون، لعدم التناسب بين الحدثين^(٤).

يقول إسحاق بن راهويه^(٥): (أحمد حجة بين الله وبين عبيده في أرضه)^(٦).

(١) علي بن المديني هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن نجيح المديني الحافظ، ولد بالبصرة سنة ١٦١ هـ، وتوفي بسامراء سنة ٢٣٤ هـ. ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٣٤٩.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٥ ص ١٨٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٣٧٠.

(٣) ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ١٤١.

(٤) جدعان، فهمي، المحنة (بحث في جدلية الديني والسياسي في الإسلام)، ط ١، (الكويت، ١٩٨٩)، ص ١١٦.

(٥) أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم المعروف بابن راهويه، ولد سنة ١٦١ هـ وتوفي سنة ٢٣٨ هـ. ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ج ٤، ص ١٢٨.

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٣٣٦؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢٢.

ويمتدح ابن عربي^(١) أحمد بن حنبل بقوله: (هكذا هكذا وإلا فلا، لا)، ذلك لأن أحمد ترك أكل البطيخ لأنه لم يبلغه الكيفية التي كان يأكل بها رسول الله ﷺ البطيخ!!؟ ولما مات أحمد بن حنبل وقف رجلٌ أمام الجنازة ينادي بأعلى صوته مقرناً وفاة أحمد بن حنبل بوفاة الرسول العظيم ﷺ قائلاً:

وأظلمت الدنيا بفقد محمدٍ وأظلمت الدنيا لفقد ابن حنبل^(٢)

ويذكر ابن أبي حاتم^(٣) رواية منفردة عن الوركاني^(٤) يقول فيها: (ويوم مات أحمد بن حنبل وقع المأتم والنوح في أربعة أصناف: المسلمين واليهود والنصارى والمجوس، وأسلم يوم مات عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس!) وقد فند أحمد شاكر محمد محقق كتاب مسند أحمد بن حنبل تلك الرواية بقوله: (وهذه حكاية منكورة لا اعلم أحداً رواها إلا هذا الوركاني، وتفرد بها ابن أبي حاتم، لأن الوركاني مات قبل أحمد بن حنبل بدهر، فكيف يحكي يوم جنازته؟)^(٥) ويستغرب باتون^(٦) من كثرة عدد المنامات المغالية التي رآها الناس

(١) ابن عربي، محي الدين أبو بكر محمد بن علي (٥٧٥هـ/ ١١٨٠م): الفتوحات المكية، تحقيق: د.

عثمان يحيى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٨٥م)، ج ١، ص ٢٤٧.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج ٤، ص ٢٠.

(٣) الجرح والتعديل، ج ١، ص ٣٠٥.

(٤) وهو محمد بن جعفر الوركاني، كان جاراً لأحمد بن حنبل، توفي سنة ٢٢٨ هـ. ينظر: السمعاني، الأنساب، ص ٥١٨.

(٥) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل (مقدمة تحقيق)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وأكملة: أحمد الزين، دار الحديث، (القاهرة، ١٩٩٥م)، ج ١، ص ١٤٢.

(٦) ولتر ملفيل، أحمد بن حنبل والمحنة، ترجمه وعلق عليه وحقق نصوصه وأعلامه: عبد العزيز عبد الحق، راجع الترجمة: محمود محمود، دار الهلال، (القاهرة، ١٩٥٨م)، ص ٣٨.

بعد وفاة أحمد بن حنبل والتي تمثله في نعيم الجنة يرتع في بحبوحته، ثم يورد رواية لابن الجوزي مفادها بأن الله عز وجل يزور أحمد بن حنبل في قبره لأنه نصر كلامه في المحنة، ويجوز تقبيل قبر أحمد دون غيره من القبور، كرامة لرسول الله ﷺ لأن أحمد قبل وفاته أوصى بوضع ثلاث شعرات أعطيت له أيام المحنة من شعر رسول الله ﷺ على عينيه وفي فمه، والغريب أن ابن الجوزي يحرم تقبيل قبر الرسول ﷺ الذي يضم الجسد الطاهر بكامله ويجوز تقبيل قبر أحمد لأن فيه ثلاث شعرات لرسول الله ﷺ!!

تقول الرواية: (حدثني أبو بكر بن مكارم بن أبي يعلى الحربي، وكان شيخاً صالحاً قال: كان قد جاء في بعض السنين مطرٌ كثير جداً قبل دخول رمضان بأيام فممت ليلة رمضان فأريت في منامي كأني قد جئتُ على عادي إلى قبر الإمام أحمد ابن حنبل أزوره، فرأيت قبره قد التصق بالأرض حتى بقي بينه وبين الأرض ساف أو سافين، فقلت: إنما تم هذا على قبر الإمام أحمد من كثرة الغيث؟ فسمعت من القبر وهو يقول، لا، بل هذا من هيبة الحق عز وجل قد زارني، فسألته عن سر زيارته إياي في كل عام؟ فقال لي: يا أحمد لأنك نصرت كلامي فهو ينشر ويتلى في المحارب، فأقبلت على لحده اقبله ثم قلت - والكلام لأبي بكر مخاطباً أحمد -: يا سيدي ما السر في انه لا يقبل قبر إلا قبرك؟ فقال لي: يا بني ليس هذا كرامة لي لكن كرامة لرسول الله ﷺ لأن معي شعرات من شعره، ألا من يحبني يزورني في شهر رمضان)^(١).

(١) ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٤٥٤.

خامساً: وفاته ومدفنه:

توفي أحمد بن حنبل في يوم الجمعة، لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأول سنة مائتين وإحدى وأربعون للهجرة، على اثر مرض الحمى الذي أصابه، وكان له من العمر سبع وسبعون سنة^(١).

(١) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ١، ص ٣١٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط ٤، تحقيق: مكتبة التراث، مؤسسة التاريخ العربي، (بيروت، ١٩٩٤م)، ج ٦، ص ١٢٥؛ الذهبي، العبر في خبر من غير، تحقيق: أبو هاجر محمد سعيد، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٥م) ج ١، ص ٣٤٢؛ الياضي، أبو محمد عبد الله بن اسعد بن علي (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط ٢، منشورات مؤسسة الاعلمي، (لبنان، بيروت، ١٩٧٠م)، ج ٢، ص ١٣٣، (واختلف في شهر وفاته فقال البعض انه توفي شهر ربيع الآخر) ينظر: أبو نعيم، حلية الأولياء، ج ٩، ص ١٦٢؛ المزي، تهذيب الكمال، ج ١، ص ٤٦٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٦٤. (ورجح البعض الآخر إن وفاته في شهر رجب). ينظر الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ١٠١، السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢، ص ٣٤.

المبحث الثاني

سيرته العلمية

أولاً: رحلاته العلمية:

غدت الرحلة العلمية من مستلزمات نجاح طالب العلم وعلو منزلته بين أقرانه، ومن سمات العلماء المتقنين، ولما اتجهت همه أحمد بن حنبل نحو طلب الحديث، لم يكتفِ بالسماع من محدثي بغداد فشرع بالرحلة للتحصيل العلمي من مشايخ البلدان والأمصار^(١).

كانت أولى رحلاته وله من العمر عشرون سنة، حيث دخل الكوفة وذلك في سنة ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م^(٢)، فسمع أبا معاوية الضيرير (ت: ١٩٤ هـ / ٨٠٩ م)^(٣)، ووكيع بن الجراح (ت: ١٩٧ هـ / ٨١٢ م)^(٤)، وفي الكوفة حفظ أحمد بن حنبل ما

(١) الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، ص ٦-٩؛ الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، تحقيق: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٣٩٥ هـ)، ج ٢، ص ١٤٢-١٤٤؛ قيل «إن أحمد رأى خلقاً كثيراً ولم يكتب عنهم». ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٣.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٤١٢؛ المزي، تهذيب الكمال، ج ١، ص ٤٤٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ١٨٦؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٧٣.

(٣) أبو معاوية الضيرير محمد بن خازم الكوفي، كوفي ثقة ولكنه من المرجئة، مات سنة ١٩٥ هـ روى عنه ابن حنبل (٤٧٠) حديث حنبل. ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ١٢٠.

(٤) وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس بن جمجمة بن سفيان، أبو سفيان الرؤاسي الكوفي، محدث العراق، أحد الأعلام وأئمة الحفاظ، ولد سنة ١٢٩ هـ، عدة ابن قتيبة من المتشيعين، توفي

كتب وكيع، وأكثر من كتابة الحديث عنه.

وفي سنة ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م، رحل إلى البصرة^(١)، والتقى بمعتمر بن سليمان (ت: ١٨٧ هـ / ٨٠٣ م)^(٢)، وبشر بن الفضل (ت: ١٨٧ هـ / ٨٠٣ م)^(٣)، ومرحوم بن عبد العزيز الأموي (ت: ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م)^(٤)، وكان دائم الرحلة إلى البصرة يكتب الحديث عن شيوخها، ففي سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م دخل البصرة للمرة الثانية^(٥).

وفي سنة ١٩٤ هـ / ٨٠٩ م رحل إلى البصرة للمرة الثالثة^(٦)، فأقام عند يحيى ابن سعيد القطان (ت: ١٩٨ هـ / ٨١٣ م)^(٧) مدة ستة أشهر، وقد أكثر عنه، وفي أثناء إقامته في البصرة سمع من سليمان بن حرب (٢٤٤ هـ / ٨٥٨ م)^(٨)، ثم خرج من

سنة ١٩٧ هـ، روى له أحمد (١٨٩٥) حديثاً في مسنده. ينظر: ابن قتيبة الدينوري، المعارف، تحقيق:

ثروت عكاشة، دار المعارف، (مصر، ١٩٦٩ م)، ص ٣٢٥.

(١) أبو الفضل، صالح بن أحمد بن حنبل (ت: ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م): سيرة الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، ط ٣، دار السلف للنشر والتوزيع، (الرياض، ١٩٩٥ م)، ص ٣١.

(٢) معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي، أبو محمد البصري، قال عنه أحمد، حافظ ثقة، سمعت منه الحديث أول دخلتنا البصرة، مات بعد ذلك بسنة، روى عنه أحمد في مسنده (٣٨) حديثاً. انظر: ابن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، ج ٢، ص ٤٢٢؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٢٢٧.

(٣) بشر بن الفضل بن لاحق الرقاشي، أبو إسحاق البصري، المتوفى سنة ١٨٧ هـ، كان عثمانيّاً، روى عنه أحمد (١٦) حديثاً. ينظر: الذهبي، الكاشف، ج ١، ص ٧٩.

(٤) مرحوم بن عبد العزيز بن مهران العطار الأموي البصري، وثقة أحمد وابن معين، مات سنة ١٨٧ هـ، روى عنه ابن حنبل ثلاثة أحاديث. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص ٣٣٠.

(٥) ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٢٥.

(٦) أبي الفضل، سيرة الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٢؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٤١٢؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ١، ص ٣٥٤.

(٧) يحيى بن سعيد بن فروخ التميمي البصري الأحول القطان، أبو سعيد، ولد سنة ١٢٠ هـ، الحافظ، يعد من تابعي التابعين، توفي سنة ١٩٨ هـ، له (١٣٣١) حديثاً في مسند أحمد بن حنبل. ينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٩، ص ١٥٠.

(٨) سليمان بن حرب بن بجيل الأزدي، أبو أيوب البصري سكن بغداد وكان قاضيها، سمع منه أحمد

البصرة إلى واسط في السنة نفسها^(١) فسمع من يزيد بن هارون الواسطي (ت: ٢٠٦هـ / ٨٢١م)^(٢). وفي سنة ٢٠٠هـ / ٨١٥م رحل إلى البصرة رحلته الأخيرة^(٣)، فسمع فيها من عبد الصمد بن عبد الوارث (ت: ٢٠٧هـ / ٨٢٢م)^(٤)، ومن سليمان بن داود الطيالسي (ت: ٢٠٣هـ / ٨١٨م)^(٥).

كما تعددت رحلاته إلى الحجاز أيضاً، ففي سنة ١٧٨هـ / ٨٠٣م رحل ابن حنبل أول مرة إلى مكة^(٦) فحضر مجلس سفيان بن عيينة (ت: ١٩٤هـ / ٨٠٩م)^(٧)، وقد قال أحمد عندها (فاتني مالك فاخلف الله عليّ بسفيان بن عيينة)^(٨).

-
- ابن حنبل في البصرة، وكان لا يحدث إلا عن ثقة، ويعد من طبقة الشافعي، توفي سنة ٢٢٤هـ. لم تتجاوز أحاديثه في المسند المائة حديث. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٣٣.
- (١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٣٣٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٣٦٩.
- (٢) يزيد بن هارون بن زادي، الإمام القدوة، أبو خالد السلمي الواسطي، الحافظ، ولد سنة ١١٨هـ، وكان ثقة وحجة، توفي في خلافة المأمون سنة ٢٠٦هـ، روى أحمد عنه في المسند (١٢٨٠) حديثاً. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٣٦٨.
- (٣) أبو نعيم الاصبهاني، حلية الأولياء، ج ٩، ص ١٦٣؛ المزي، تهذيب الكمال، ج ١، ص ٤٤٧.
- (٤) عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التميمي، مولا هم أبو سهل البصري، صدوق في الحديث، له في المسند (٥٨٥) حديثاً. ينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٦، ص ٥٠.
- (٥) سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، نسبة إلى الطيالسة التي تجعل على العمام، مولى آل الزبير، ولد في البصرة سنة ١٣٣هـ، وأصله من فارس، الحافظ الثقة، عده العلماء أول من صنف مسنداً، ومسنده وصل برواية تلميذه يونس بن حبيب، وجمعه بعض الخراسانيين. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٢٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٣٧٨-٣٨٤، الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص ٤٦.
- (٦) أبو الفضل، سيرة الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٣؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٤١٤؛ ابن أبي يعلى، طبقات الخبابة، ج ١، ص ٤٧.
- (٧) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون، أبو محمد الهلالي الكوفي نزيل مكة، اجمع العلماء على انه ثقة ثبت من كبار الحفاظ، توفي سنة ١٩٨هـ، روى عنه أحمد في مسنده (٧٥٩) حديثاً. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٩، ص ١٧٤.
- (٨) العجلي، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي (ت: ٢٦١هـ / ٨٧٤م): معرفة الثقات من

وقد كان لقاءه الأول مع الشافعي في مكة، ثم تعددت اللقاءات بينهما في بغداد حين أقام فيها الشافعي سنة ١٩٥هـ / ٨١٠م مدة سنتين^(١).

وفي سنة ١٩١هـ / ٨٠٦م كانت رحلته الثانية إلى الحجاز، وفي سنة ١٩٦هـ / ٨١١م دخلها للمرة الثالثة، ثم عاد إليها سنة ١٩٧هـ / ٨١٢م وأقام فيها مدة، ثم رحل إليها رحلته الخامسة والأخيرة سنة ١٩٨هـ / ٨١٣م^(٢)، ومن مكة خرج إلى اليمن ماشياً مع يحيى بن معين للسماح من عبد الرزاق الصنعاني (ت: ٢١١هـ / ٧٢٦م)^(٣)، فأقام عنده عشرة أشهر سمع في أثناءها الكتب وذلك سنة ١٩٩هـ / ٨١٤م^(٤).

وكانت آخر رحلاته إلى الشام سنة ٢٠٩هـ / ٨٢٤م، لم يخرج بعدها من بغداد حتى كانت المحنة سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣م^(٥)، حيث دخل المصيصية^(٦) وسمع

-
- رجال أهل العلم والحديث، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، ط ١، مكتبة الدار، (المدينة المنورة، ١٩٨٥م)، ج ١، ص ٤١٧؛ ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٠.
- (١) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢، ص ١١٤.
- (٢) أبو الفضل، سيرة الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٤؛ أبو نعيم الاصبهاني، حلية الأولياء، ج ٩، ص ١٧٥؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٣٠؛ ابن الجوزي، مناقب، ص ٢٣٠.
- (٣) عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، أبو بكر الحميري الحافظ الكبير، عالم اليمن الكبير، الثقة صاحب المنصف، توفي سنة ٢١١هـ، بلغ عدد الأحاديث المروية عنه في مسند أحمد بن حنبل (١٥٦١) حديثاً. ينظر: البخاري، التاريخ الكبير، ج ٦، ص ١٣٠.
- (٤) أبو الفضل، سيرة الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٥؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٤١٥؛ ابن أبي يعلى، طبقات الخنابلة، ج ١، ص ٤٨.
- (٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٤١٦؛ ابن أبي يعلى، طبقات الخنابلة، ج ١، ص ٥٢.
- (٦) المصيصية: مدينة في ثغور الشام تقع بين آذنة وطرسوس، واسمها بالرومية (مابسستيا). ينظر: ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت: حدود ٣٠٠هـ / ٩١٢م): المسالك والممالك، مطبعة بريل (ليدن، ١٨٨٩م)، ص ٩٩.

فيها حجاج بن محمد الأعور (ت: ٢٠٦هـ / ٨٢١م)^(١)، ثم خرج منها قاصداً طرسوس^(٢) وبعدها رحل إلى الرقة^(٣).

ويشير بعضهم^(٤) إلى أن ابن حنبل رحل إلى فارس وخراسان والمغرب الأقصى لطلب الحديث، وعدت تلك الرحلات من جملة الأساطير والمبالغات التي يجب أن تطرح^(٥).

ثانياً: شيوخه وتلاميذه:

كان من نتائج كثرة أسفار أحمد بن حنبل وتعدد رحلاته، الكثرة العديدة لشيوخه الذين روى عنهم^(٦)، فقد عدّ ابن الجوزي أربعمائة وأربعة عشر شيخاً لأحمد بن حنبل^(٧)، ولكن عدد من روى عنهم في مسنده مائتان وثلاثة وثمانون شيخاً^(٨). ونتج أيضاً من تلك الرحلات المتعددة تعدد طرق الأحاديث التي كتبها أحمد بن حنبل، لذا كان يقول: (نحن كتبنا الحديث من ستة وجوه وسبعة

(١) حجاج بن محمد المصيصي، أبو محمد الأعور، اختلط في آخر عمره، مات سنة ٢٠٦هـ، روى عنه أحمد بن حنبل (٥٧٥) حديثاً. ينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ج ٣، ص ١٦٦.

(٢) طرسوس: مدينة بثغور الشام تقع بين إنطاكية وحلب وبلاد الروم، واسمها بالرومية (تارسم) وفيها توفي المأمون. ينظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٠٠.

(٣) الرقة: مدينة تقع بين نصيبين وعين الرومية. ينظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٢١٥.

(٤) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢١٨؛ ابن الجوزي، مناقب، ص ٢٦.

(٥) أحمد الششتناوي، وخورشيد: إبراهيم زكي، وعبد الحميد يونس: دائرة المعارف الإسلامية، النسخة العربية، دار الشعب، (القاهرة، ١٩٦٩م)، ج ٢، ص ٣٧٠.

(٦) ينظر في عدد شيوخ أحمد: أبو نعيم الاصبهاني، حلية الأولياء، ج ٩، ص ١٦١-٢٣٢؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٤١٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ١٨١؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢، ص ٢٩؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٧٠-٧٦.

(٧) مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٥٨-٨٠.

(٨) ابن الجوزي، المصعد الأحمدي، ص ٣٤؛ صبري، عامر حسن، معجم شيوخ الإمام أحمد بن حنبل، دار البشائر الإسلامية، (د. م. د. ت)، ص ٩.

وجوه ولم نضبطه، فكيف من كتبه من وجه واحد^(١).

تلقى أحمد بن حنبل ثقافته من عدد من العلماء ففي علوم القرآن أخذ من يحيى بن آدم (ت: ٢٠٣هـ / ٨١٨م)^(٢) وتعلم اللغة العربية وقواعدها على يد أحمد ابن يحيى (ت: ٢٩١هـ / ٩٠٣م)^(٣)، وأخذ الفقه والحديث من القاضي أبو يوسف (١٨٢هـ / ٧٩٨م)^(٤)، على مذهب أبي حنيفة النعمان^(٥)، ثم درس عند الشافعي (ت: ٢٠٤هـ / ٨١٩م) إلا أنه لم يرو عنه الحديث إلا بالواسطة عن طريق يحيى بن آدم^(٦)، ولم يلتق بمالك بن أنس^(٧)، وعدّه الشيخ الطوسي^(٨) من تلاميذ الإمام الرضا عليه السلام (ت: ٢٠٣هـ / ٨١٨م)، فيروى إن أحمد بن حنبل قال، لما ذكر السند المروي عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه المعصومين عن رسول الله ﷺ: (الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، قال: لو قرئ هذا السند على

(١) ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٥٨.

(٢) يحيى بن آدم بن سليمان، الحافظ المجود صاحب التصانيف، من موالى خالد بن عقبة بن أبي معيط، ولد سنة ١٣٠هـ، وتوفي سنة ٢٠٣هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ج ٩، ص ٥٢٢ وما بعده؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٢ ص ٨.

(٣) أحمد بن يحيى بن زيد أبو العباس النحوي الشيباني إمام الكوفيين في النحو واللغة توفي في جمادي الأولى سنة ٢٩١هـ. ينظر ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٨٣.

(٤) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الكوفي تلميذ أبي حنيفة، وقاضي هارون الرشيد، مؤلف كتاب الخراج، توفي سنة ١٨٢هـ. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٢٤٢.

(٥) أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، ولد سنة ٨٠هـ، وهو من فقهاء أهل العراق، وله مذهب يعرف بالمذهب الحنفي توفي سنة ١٥٠هـ. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٣ ص ٣٣٤.

(٦) ابن الجرزي، المصعد الأحمدي، ص ٣٥؛ صبري، معجم شيوخ الإمام أحمد، ص ١٠.

(٧) أنس بن مالك بن أنس بن أبي عامر، ولد سنة ٩٣هـ، مصنف كتاب الموطأ، وصاحب المذهب المالكي، توفي سنة ١٧٩هـ. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٤٣٧.

(٨) الطوسي، رجال الطوسي، ص ٣٥١.

مجنون لبرء من جنونه^(١).

كانت شخصية هشيم (ت: ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م) الأكثر تأثيراً في توجيه أحمد بن حنبل نحو طلب الحديث فقد لزمه لمدة طويلة تجاوزت الأربع سنوات فحفظ عنه الحديث، قال أحمد: (حفظت كل شيء من هشيم وهشيم حي قبل موته)^(٢)، على أن أحمد قد اتخذ من سفيان الثوري (ت: ١٦١ هـ / ٧٧٧ م)^(٣) وعبد الله بن المبارك (ت: ١٨١ هـ / ٧٩٧ م) مثلاً أعلى في حياته بالرغم من أنه لم يلتق بهم ولم يرو عنهم الحديث إلا بالواسطة؟ فقد قال: (أتدرون من الإمام؟ الإمام سفيان الثوري، لا يتقدمه أحد في قلبي)^(٤)، فيما كان عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١ هـ / ٨٢٦ م)، وسليمان بن داود الطيالسي (ت: ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م) ممن حفزوه على كتابة المسند^(٥)، أما ابرز شيوخه في الحديث الذين أكثر الرواية عنهم في مسنده فهم: عبد الرحمن بن مهدي، أبو سعيد البصري، حافظ للحديث، ولد سنة ١٣٥ هـ، قال عنه أحمد: حجة، توفي سنة (١٩٨ هـ / ٨١٣ م)^(٦)، له في المسند (١٠٣٨) حديثاً.

عفان بن مسلم بن عبد الله الصفار، أبو عثمان البصري، نزيل بغداد، ممن امتحن في خلق القرآن قبل أحمد بن حنبل ولم يجب فقطعت أرزاقه، توفي ببغداد

(١) ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله الأندلسي (ت: ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م): العواصم من القواصم، تحقيق: محب الدين الخطيب، ط ١، دار الكتب السلفية، (القاهرة، ١٤٠٥ هـ)، ص ١٥٩؛ الكثيري، محمد، السلفية بين أهل السنة والإمامية، ط ١، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، (بيروت، ١٩٩٧ م)، ص ٨٢.

(٢) أبو الفضل، سيرة الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٢؛ أبو زهرة، ابن حنبل، ص ٧٧.

(٣) سفيان بن سعيد، أبو عبد الله الثوري، أحد الأعلام في الفقه والحديث، ومن أصحاب المذاهب المدرسة، توفي سنة ١٦١ هـ. ينظر: الذهبي: الكاشف، ص ٤٤٩.

(٤) ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٢٣.

(٥) أبو زهرة، ابن حنبل، ص ٧٩.

(٦) العجلي، معرفة الثقات، ج ٢، ص ٨٨.

سنة (٢١٩هـ / ٨٣٤م)^(١)، روى عنه أحمد في مسنده (١٩٨٢) حديثاً.

محمد بن جعفر بن غندر، أبو عبد الله الهذلي، من رواة الحديث الموثقين، توفي سنة (١٩٣هـ / ٨٠٨م)^(٢)، له في المسند (١٧٦٤) حديثاً.

يزيد بن هارون بن زادي، أبو خالد الواسطي، ثقة حافظ، ولد سنة ١١٨هـ، توفي سنة (٢٠٦هـ / ٨٢١م)^(٣)، روى عنه أحمد في المسند (١٢٨٠) حديثاً.

أما تلامذته: ويطلق عليهم أصحاب الإمام أحمد بن حنبل، الذين نقلوا حديثه ومسائله ذكر ابن أبي يعلى^(٤) إن عددهم ستة وثلاثون رجلاً فقط، على إن هناك مبالغات واضحة في كثرة أعداد تلاميذ ابن حنبل ورواته، فابن الجوزي^(٥) يذكر إن عدد الطلاب الذين يحضرون مجلسه زهاء خمسة آلاف طالب، فيما أحصى ابن مفلح^(٦)، والعلمي^(٧) الذين روى عنه فكانوا خمسمائة وثمانية وسبعين شخصاً، علماً أن هؤلاء متأخرون جداً عن زمان أحمد بن حنبل، وقد عدوا أصحاب أحمد من قبل الحنابلة الذين جاءوا من بعده حتى زمانهم، ويعترض أبو زهرة^(٨) على كثرة أعداد طلاب ابن حنبل التي يذكرها ابن الجوزي قائلاً: «ولسنا نسلّم بأن هذا العدد هو الإحصاء الدقيق لمن كانوا يحضرون درسه، لعدم وجود جامع

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٢٦٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٣٧٨.

(٢) البخاري، التاريخ الكبير، ج ٦، ص ١٣٠؛ المزي، تهذيب الكمال، ج ١٨، ص ٥٢.

(٣) العجلي، معرفة الثقات، ج ٢، ص ٣٢٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٣٥٨.

(٤) طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٧.

(٥) مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٩٠.

(٦) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الله (ت: ٨٨٤هـ / ٤٧٩م): المقصد الأرشد في ذكر أصحاب

الإمام أحمد، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الرشيد، (الرياض، ١٩٩٠م)، ج ١، ص ٣٤.

(٧) أبو اليمن مجير الدين عبد الرحمن (ت: ٩٢٨هـ / ١٥٢١م): المنهج الأحمدي في تراجم أصحاب الإمام

أحمد، تحقيق: محمد محي الدين، ط ١، عالم الكتب، (بيروت، ١٩٨٣م)، ج ١، ص ٤٥٧.

(٨) ابن حنبل (حياته وعصره)، ص ٨٨.

او مسجد في بغداد آنذاك يحوي هذه الأعداد». وعند ملاحظة من روى وكتب عن أحمد بن حنبل نجد أنهم أفراد أسرته وبعض أصحابه المقربين، وعدد قليل ممن جمع مسائله، فأسسوا من خلالها المذهب الحنبلي، وقد رتبناهم حسب كثرة الرواية عن ابن حنبل، وهم:

- ابنه عبد الله، أبو عبد الرحمن (ت: ٢٩٠هـ / ٩٠٢م) راوي المسند عن أبيه^(١).
- ابنه صالح، أبو الفضل، (ت: ٢٦٦هـ / ٨٧٩م)، سمع المسند من أبيه ولكن بشكل متقطع لأنه انشغل بمعاش عياله، كتب رسالة عن سيرة أبيه^(٢).
- ابن عمه حنبل بن إسحاق بن حنبل، أبو علي الشيباني، (ت: ٢٧٣هـ / ٨٨٦م)، ممن سمع المسند مع أبناء أحمد، وله كتاب في ذكر محنة الإمام أحمد^(٣).
- أحمد بن محمد بن الحجاج بن عبد العزيز، أبو بكر المروذي، روى عن أحمد مسائل كثيرة، وهو الذي تولى غسل ودفن ابن حنبل لما مات، توفي سنة ٢٧٣هـ / ٨٨٦م، ودفن إلى جانب أحمد بن حنبل^(٤).
- أحمد بن محمد بن هاني، أبو بكر الأثرم الطائي الاسكافي (ت: ٢٦١هـ / ٨٧٤م)، وكان ممن كتب المسائل الفقهية عن أحمد بن حنبل^(٥).

ثالثاً: مذهبه الفقهي وأهم مؤلفاته:

عرف أحمد بن حنبل بين العلماء بأنه محدث، أما كون ابن حنبل من الفقهاء،

(١) ينظر: ابن حنبل، مسند، ص ٣٢.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٧٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ٥١٦.

(٣) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ١٧٣؛ العليمي، المنهج الأحمدي، ج ١، ص ٢٤٥.

(٤) ابن مفلح، المقصد الأرشد، ج ١، ص ٥٦؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٤٠٠.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٢٨٦؛ ابن الجوزي، مناقب، ص ٩٠.

وأن له مذهبا فقهيا كما يذهب أصحابه، فهذا ما لم يوافقوهم عليه، وذلك لأنه لم يصنف في الفقه كتابا ليكون أصلاً يؤخذ منه مذهبه، فقد كان أحمد يرفض وبشكل قاطع أن تكتب فتواه وتدون خوفاً من أن يخطئ في مسألة أو يتراجع عنها فيما بعد، فقد بلغه أن بعض تلاميذه قد كتبوا عنه، فقال لهم: (اشهدوا أي رجعت عن ذلك كله)^(١) ومما يؤكد ذلك أن الطبري (ت: ٣١٠هـ / ٩٢٢م) لما ألف كتابه (اختلاف الفقهاء) لم يجعل أحمد بن حنبل من الفقهاء، فقصدته الحنابلة وسألوه في ذلك، فقال: (لم يكن أحمد فقيهاً، إنما كان محدثاً) فلم يعجبهم قوله هذا فوثبوا عليه ورموه بمحابرهم، ثم قذفوا داره بالحجارة، ورغم أنه قدم كتاب اعتذار للحنابلة، إلا أنه ظل حبيس داره نحو عشر سنوات، وعندما توفي دفن بداره لئلاً لأن الحنابلة منعوا أن يدفن نهاراً^(٢). ولم يذكره ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)^(٣) في عداد الفقهاء الذين ساهم أصحاب الرأي، وقال القاضي عياض: (إنه دون الأصالة في الفقه وجودة النظر في مأخذه بعكس أستاذه الشافعي)^(٤)، ويقول جعفر السبحاني بعدما ذكر إن أحمد محدثٌ كبير: «ولم يكن فقيهاً مجتهداً، لأن الاجتهاد بالمعنى المصطلح

(١) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٧؛ ابن القيم الجوزية: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ / ١٣٥٠م): أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجبل، (بيروت، ١٩٧٣م)، ج ١، ص ٢٨؛ أبو زهرة، ابن حنبل، ص ١٣٥.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٢، ص ١٦٦؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، د. ت)، ج ١، ص ١٧٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٧٤؛ ابن كثير البداية والنهاية، ج ١١، ص ١١١؛ مطر، رحيم عباس، آل بيت النبوة - ع - في كتاب الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، (بغداد، ٢٠١٢م)، ص ٦٦.

(٣) المعارف، ص ١٦-١٧؛ باتون، أحمد بن حنبل والمحنة، ص ١٢.

(٤) أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت: ٥٤٤هـ / ١١٤٩م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبطه وجمعه: محمد سالم هاشم، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٨م)، ج ١، ص ٢٩.

عليه الذي كان يتمتع به سائر الأئمة لم يكن متوفراً فيه...»^(١).

كانت ردود فعل الحنابلة إزاء تلك الأقوال تفتقر إلى الأدلة الكافية، فرموا العلماء بالجهل! فضلاً عن استخدامهم القوة لفرض مذهبهم.

يقول ابن عقيل^(٢): (ومن العجيب ما نسمعه عن هؤلاء الأحداث الجهال أنهم يقولون أحمد ليس بفقير لكنه محدث، وهذا غاية الجهل، لأنه خرج عنه اختيارات بناها على الأحاديث بناء لا يعرفه أكثرهم، وخرج عنه من دقيق الفقه ما ليس نراه لأحد منهم، وانفرد بما سلموا له من الحفظ وشاركهم وربما زاد على كبارهم...)»^(٣).

والحنابلة المبالغون في إمامهم تعظيماً وتعصباً، عليهم أن لا ينسوا ما قاله علماءؤهم في إمامهم، فقد قال أحمد بن أبي بكر المديني: (محمد بن إسماعيل - أي البخاري - أفقه عندنا وأبصر من ابن حنبل)^(٤)، وقال أحمد بن حنبل: (ما جاوز جسر بغداد، أفقه من إسحاق بن راهوية، ولا أحفظ من أبي زرعة)^(٥)، فهذا اعتراف منه، وهو قد جاوز الجسر، بأن الأول أفقه منه، والثاني أحفظ منه، وقال إسحاق بن راهوية: (إن الله لا يستحي من الحق، أبو عبيد القاسم بن سلام - أعلم مني، ومن ابن

(١) بحوث في الملل والنحل، ط ٢، مؤسسة الإمام الصادق، (إيران، ١٤٢٤ هـ)، ج ١، ص ٧١؛ وينظر: حيدر، اسد، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، ط ١، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، (د.م، ٢٠٠٤ م)، ج ٢، ص ٤٤٩؛ الكثيري، السلفية بين أهل السنة والإمامية، ص ١٤٤.

(٢) وهو أبو الوفا علي بن محمد بن عقيل البغدادي، أحد شيوخ الحنابلة المتعصبين، توفي سنة ٥١٣ هـ. ينظر: ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٢٠٩.

(٣) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١ ص ٧.

(٤) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٢ ص ٤٢٨.

(٥) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١ ص ٢٠٠.

حنبل، ومن الشافعي^(١)، وقد كان بعض أهل العلم يُفضّلون عبد الله بن أحمد ابن حنبل على أبيه في كثرة الرواية والمعرفة^(٢)، وفضل طلبة العلم أستاذهم إبراهيم الحري على شيخه أحمد بن حنبل، فلما أخبروه بذلك امتنع عن تدريسهم.

إن القول بكون أحمد بن حنبل ليس فقيها، صدر من الحنابلة أنفسهم وليس من غيرهم، إذ يجمعون على أن ابن حنبل لم يكتب مسائله الفقهية في كتاب لأنه لم يكن يحبذ الكتابة وكان ينتقد المصنفين للكتب ويمنع تلاميذه من أن يكتبوا عنه مسائله^(٣) لكن أصحابه بعد موته قاموا بتأسيس مذهب فقهي نسبوه إليه، وجعلوه أحد المذاهب الفقهية، فقد جمع أصحابه مسائله بعد وفاته سماعاً أو بواسطة، الجامع لتلك المسائل هو أبو بكر الخلال^(٤) معتمداً على حرب بن إسماعيل الكرماني^(٥) الذي نقل أربعة آلاف مسألة عن أحمد بن حنبل دون أن يلقاه أو يسمع منه، حيث يقول الخلال: (قال لي - أي حرب - كنت أتصوف قديماً، فلم أتقدم في السماع وهذه المسائل حفظتها قبل أن أقدم إلى أبي عبد الله، وقبل أن أقدم على إسحاق بن راهوية، وقال لي: هي أربعة آلاف... ولم أعدها)^(٦)،

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٢ ص ٧٥.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٩ ص ٤٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٣ ص ٣٦٤.

(٣) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٧؛ ابن الجوزي، مناقب، ص ١٩١؛ الذهبي، سير أعلام

النبلاء، ج ١١، ص ٣٢٧؛ ابن القيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، ج ١، ص ٢٨

(٤) أحمد بن محمد بن هارون، جمع أقوال ابن حنبل وفتاواه بعد موته ممن سمعوه، ثم رتبها وبوبها

على أبواب الفقه، توفي سنة ٣١١ هـ. ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٢، ص ٢٦١

(٥) حرب بن إسماعيل الحنظلي الكرماني، ابتدأ حياته سالكاً مسلك المتصوفة، لم يلتق بابن حنبل إلا في

فترة متأخرة، ولم يعلم ابن حنبل إن الكرماني كان يكتب مسائله، وبعد وفاة أحمد ادعى أنه كتبها

عنه توفي سنة ٢٨٠ هـ. ينظر: ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ١٤٥.

(٦) العليمي، المنهج الأحمد، ج ١، ص ٣٩٤؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٢، ص ١٨٢؛ أبو

زهرة، ابن حنبل، ص ١٣٥.

ويستدل على كون ابن حنبل ليس فقيها متمرسا كباقي الأئمة، استخدام أحمد بن حنبل عبارات غامضة وغير محددة في إجاباته على المسائل الفقهية مثل: (يعجبني، لا يعجبني، اكره، لا ادري)^(١)، ويعترف ابن الجوزي^(٢) بعدم صحة كل ما ينسب إلى أحمد بن حنبل من أصول المذهب الحنبلي الفقهية لأنها وضعت من قبل أصحابه وبما يخالف فتاوى أحمد بن حنبل، حيث يقول: (رأيت أصحابنا من تكلم بالأصول بما لا يصح، فصنعوا كتباً شأنوا بها المذهب، ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام... وقد نصحت التابع والمتبوع، وقلت لهم يا أصحابنا: انتم أصحاب نقل وإتباع، وإمامكم الأكبر (أحمد بن حنبل) رحمة الله يقول وهو تحت الشياطين: كيف أقول ما لم يقل، فإياكم أن تتدعوا من مذهب ما ليس منه...). وفي ذلك يروي ابن النجار^(٣) قول أحد الوعاظ في بغداد لحنابلة بعد أن ذكر قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾^(٤)، ثم قال: (ما كفر أحمد بن حنبل، وإنما أصحابه).

أما أصول أحمد بن حنبل الفقهية، فقد جمعت من بطون كتب المسائل التي نقلها أصحابه عنه، ورتبها على خمسة أصول بعد حذف ما لا يتوافق مع مصالحهم وإضافة ما لم يقل به ابن حنبل، إذ إن عملية ترتيب القواعد الفقهية للمذهب الحنبلي تمت في فترة متأخرة جداً بعد وفاة ابن حنبل، وكل نقل متأخر

(١) ينظر: ابن حنبل، مسائل الإمام أحمد بن حنبل برواية ابنه عبد الله، تحقيق: علي سليمان المهنا، ط ١، مكتبة الدار، (المدينة المنورة، ١٩٨٦م)، ص ٢٣١-٢٣٤؛ الكثيري، السلفية، ص ١٢٥.

(٢) مناقب، ص ١٩٦؛ أبو زهرة، ابن حنبل، ص ٣٢٢.

(٣) أبو عبد الله محمد بن محمود بن حسن بن هبة الله بن محاسن الشافعي البغدادي (ت: ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م): ذيل تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ج ٢ ص: ١٨٥.

(٤) سورة البقرة، الآية (١٠٢).

لا يخلو من الوضع، ونسبها لأحمد بن حنبل، كي تكتسب الشرعية والقبول بين الناس بعد أن أصبح ابن حنبل مشهوراً بعد المحنة، إذ لو علم العوام أنها من تأليف أصحابه ولا تمت له بصلة لما قبلوها^(١)، وسنلاحظ إن هناك بعضاً من القواعد الفقهية، وضعت لأهداف مغرضة من أجل الطعن في بعض الأحاديث التي يرويها أحمد بن حنبل، والتي لا تناسب أفكار ومعتقدات من قام بترتيب أصول المذهب الحنبلي، التي سنوردها كما أوردتها جعفر سبحاني^(٢):

النص: ويقدم أحمد بن حنبل السنة والأثر على ظاهر القرآن، تقديم اعتبار واستدلال، لا تقديم بيان للإحكام، ولم يقدم على الحديث الصحيح، عملاً ولا رأياً ولا قياساً^(٣).

فتاوي الصحابة: وقد جعلها المحدثين من السنة النبوية، لان الصحابة شاهدوا التنزيل وسمعوا التأويل وعرفوا سنة النبي^(٤) عليه السلام.

إذا اختلف الصحابة تخير أقوالهم وما كان أقربها إلى الكتاب والسنة، وهو لا يخرج عن أقوالهم، فان تبين له موافقة، حكي الخلاف فيها ولم يجزم بقول^(٥).

(١) الكثيري، السلفية بين أهل السنة والإمامية، ص ١٢٦؛ الكوراني، الأمام الهادي، ص ٢١٤.

(٢) بحوث في الملل والمحل، ج ١، ص ٧٢؛ العشاوي، يجيب محمد علي، الجوانب الاقتصادية والمالية في مسند الإمام أحمد، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، (بغداد، ٢٠٠٦م)، ص ٤٣ - ٤٥.

(٣) ابن القيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، ج ١، ص ٢٩ - ٣٠؛ ابن بدران، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، المطبعة المنيرية (دمشق، د.ت)، ص ٤٣.

(٤) ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين، ج ١، ص ٣٠؛ ابن بدران، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٤٣.

(٥) ابن القيم، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١؛ ابن بدران، المرجع نفسه، ص ٤٣.

الأخذ بالحديث المرسل^(١)، والضعيف^(٢)، يكون من الأولى العمل بهذا الأصل إذا لم يجد أثراً يدفعه ولا قول صحابي ولا إجماع على خلافه^(٣).

القياس: يلجأ ابن حنبل إلى هذا الأصل عند الضرورة، حين لا يجد في الأصول السابقة ما يعينه على استنباط الحكم الشرعي^(٤).

مؤلفات أحمد بن حنبل:

من الثابت تاريخياً إن أحمد لا يجذب تأليف الكتب، ويكره التصنيف فيها وينهى عن كتابة الرأي الفقهي (الفتاوى)، كما أنه ينتقد أصحاب المصنفات من الفقهاء، يستثني من ذلك النهي، كتابة الحديث النبوي الشريف، فإنه كان يرى جمعه وحفظه وتدوينه، فقد ورد عن علي بن المديني أنه قال: قال لي أحمد بن حنبل لا تحدث إلا من كتاب، وقال لي: لا تكتب شيئاً من الرأي^(٥)، على هذا فإنه يثبت لأحمد بن حنبل مؤلفاته في الحديث، التي دونها في أوراق متفرقة، وجمعها ابنه عبد الله بن أحمد^(٦)، وهي:

(١) الحديث المرسل هو الحديث الذي سقط من إسناده راوٍ واحد، وهو ممن يروي التابعي المنقطع عن النبي ﷺ، وطبقات التابعين خمسة عشر طبقة، آخرهم من لقي انس بن مالك. ينظر: الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، ص ٣٢.

(٢) الحديث الضعيف: كل حديث لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح أو الحديث الحسن، ويقسم إلى (٤٩) قسمًا. ينظر: ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت، ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م): مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، تحقيق: نور الدين عتر، مطبعة الأصيل، (حلب، ١٩٦٦م)، ص ٢٧.

(٣) ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين، ج ١، ص ٣١؛ ابن بدران، مدخل، ص ٤٣.

(٤) ابن القيم، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٢؛ ابن بدران، المرجع نفسه، ص ٤٣.

(٥) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٢.

(٦) المديني، أبو موسى (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٤م): خصائص المسند، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الدار السلفية، (القاهرة، ١٩٩٠م)، ص ٢٥-٢٧؛ ابن الجزري، المصعد الأحمدي، ص ٣٠.

المسند: أهم كتب أحمد بن حنبل، فقد جمع فيه ابن حنبل كمًا هائلًا من الأحاديث موزعة على مساند الصحابة، سيأتي بيان تفصيلاته في الفصل الثاني. كتاب (الإيمان) وكتاب (الأشربة): وكلاهما سرد للأحاديث والآثار^(١).

كتاب العلل ومعرفة الرجال: وهو كتاب يبحث في علل الحديث، وأحوال رواته، قرأه عبد الله بن أحمد عن أبيه، حققه الدكتور: وصي الله بن محمد عباس، وطبع بأربعة أجزاء سنة ١٩٨٨م^(٢).

كتاب الزهد: - هو من كتب الحديث، حققه الدكتور محمد جلال شرف، وطبع في بيروت، سنة ١٩٩٩م^(٣).

كتاب فضائل الصحابة ومنه اجتزئ كتاب فضائل أهل البيت، حققه الدكتور: وصي الله، وطبع في مجلدين عن طريق مؤسسة الرسالة عام ١٩٨٣م^(٤).

أما ما ذكرته المصادر من مؤلفات أحمد بن حنبل في غير مجال الحديث، فإنها ليست من تصنيف ابن حنبل، إنما موضوعه عليه، كما صرح بذلك بعض المتقدمين والمتأخرين ممن حققوا في أمر تلك الكتب^(٥)، ومن أهم تلك الكتب:

(١) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ١، ص ٣٠٣؛ ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت: ٣٨٠هـ / ٩٩٥م)، الفهرست، تحقيق يوسف علي طويل، ط ٢، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٢م)، ص ٣٢٠؛ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، ص ١٠٤٠.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٠٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٣٢٧.

(٣) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٢٠؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ١٤٢٢.

(٤) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٢٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٣٣٠.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٢٨٦؛ الساعاتي، أحمد عبد الرحمن البناء، بلوغ الأماني من أسرار الفتوح الرباني شرح وترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، اعتنى به: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، (الرياض، ٢٠٠٤)، ص ١٧.

١ - كتاب المناسك الكبير والمناسك الصغير^(١): وهما رسالتان في قضايا الفقه نسبتا إلى ابن حنبل، على الرغم من الإجماع على كراهة ابن حنبل للتأليف في الفقه، التي تصل إلى حد التحريم حيث كان يصف كتابة الآراء الفقهية بالبدعة^(٢).

٢ - كتاب التفسير^(٣): لم يصنف كتاب بهذا الاسم، إنما ذكر فقط للإشارة إلى سعة علم أحمد في صنوف العلوم الإسلامية، فقد قال الذهبي^(٤) عن هذا الكتاب: (انه لا وجود له، وأنا اعتقد انه لم يكن).

٣ - كتاب الرد على الزنادقة والجهمية^(٥): مشكوك في أن يكون ابن حنبل قد صنف كتاباً هكذا، والكتاب موجود الآن وقد طبع بالقاهرة سنة ١٩٧٣ م، تحقيق: محمد حسن راشد.

٤ - كتاب رسالة في الصلاة^(٦): قال عنه الذهبي^(٧): (هو موضوع على أحمد).

٥ - كتاب مسائل الإمام أحمد بن حنبل^(٨): وهو كتاب في المسائل الفقهية (فتاوى أحمد بن حنبل) التي نهى عن كتابتها نهياً قاطعاً، إذ إن المعروف عنه انه كان يتراجع عن فتاواه بحسب استدلالاته التي تحاكي الخبر (الحديث)، فقد وجد

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٣٧٥؛ ابن الجوزي، مناقب، ص ١٩١.

(٢) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٢٩؛ ابن الجوزي، مناقب، ص ١٩١-١٩٤؛ الذهبي، سير

أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٣٢؛ ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين، ج ١، ص ٢٨.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٢٠.

(٤) سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٣٢٨.

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٢٠؛ ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٢٤٨؛ ابن أبي

يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٢٩.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٣٢١؛ الساعاتي، الفتح الرباني، ص ١٧.

(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٣٣٠-٣٣١؛ ابن بدران، المدخل، ص ٤٦-٤٧.

(٨) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ١٤٥.

تغاير واضح في فتاواه في القضية نفسها لوجود أحاديث متناقضة^(١).

وهناك عدد من الكتب والمؤلفات نسبت لأحمد بن حنبل ولا يعلم صحة ذلك^(٢)، فقد تكون كتبت باسمه لاشتهاره بعد وفاته، منها (الناسخ والمنسوخ، التاريخ، المقدم والمؤخر في القرآن، ذم الدنيا، الأسماء والكنى، طاعة الرسول، الإمامة، نفي التشبيه، أحكام النساء)^(٣).

رابعاً: مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه:

يبدو أن ظاهرة التفاضل بين أئمة الفقه والحديث ومذاهبهم، كانت مظهراً سائداً في تلك الفترة، إلا إن الحنابلة كانوا الأكثر مبالغة في تعظيم إمامهم والتعصب لمذهبهم، ويشاركهم أهل الحديث الذين وجدوا الفرصة سانحة مع أحمد بن حنبل بعد المحنة حيث ذاع صيته واشتهر اسمه، وأصبح مقرباً لدى العامة والخاصة، فصار إمام الحديث والمحدثين، ومن أمثلة المبالغة في الشناء على أحمد بن حنبل ما قاله الحافظ ابن مندة (ت: ٥١١ هـ / ١١١٧ م): (إن أحمد بن حنبل إمام المسلمين، وسيد المؤمنين، وبه نحيا وبه نموت، وبه نُبعث إن شاء الله تعالى، فمن قال غير هذا فهو من الجاهلين)، وقال أيضاً في وصفه لأحمد: (الإمام المرضي، وإمام الأئمة، وكهف الأمة، وناصر الإسلام والسنة، ومن لم تر عين مثله علماً وزهداً، وديانة وإمامة، والإمام الذي لا يُجارى، والفحل الذي لا يُبارى). وذكر أيضاً: (أن شيخاً بمكة رأى رسول الله ﷺ في المنام فقال له الرجل: يا رسول الله، من

(١) أبو زهرة، ابن حنبل، ص ١٨٣-١٨٤.

(٢) الساعاتي، الفتح الرباني، ص ١٨؛ الكثيري، السلفية بين أهل السنة والإمامية، ص ١٤٩.

(٣) ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص ٢٨٥؛ ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ١٩١-

١٩٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٣٢؛ ابن القيم الجوزية، أعلام الموقعين، ج ١، ص ٢٨؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ١٤٢٢.

تركت لنا في عصرنا هذا من أمتك نقتدي به في ديننا؟، فقال رسول الله ﷺ: أحمد ابن حنبل. ثم قال ابن مندة: فما قاله رسول الله ﷺ في منامه و يقظته فهو حق، وقد ندب ﷺ إلى الاقتداء به، فلزمنا جميعاً امتثال مرسومه و اقتفاء مأموره^(١).

وقوله هذا فيه باطل كثير، و صواب قليل، لأنه لا يصح الاعتماد على المنامات في تقرير الأحكام و العقائد و المذاهب، لأنها ليست مصدراً من مصادر الاستدلال، ولا نصاً من النصوص الشرعية، لأنه لو صح أنها كما زعم لأصبح كل إنسان يدعي ما يشاء و يقول رأيت في المنام كذا و كذا، والشئ نفسه يقوله أتباع المذاهب الأخرى في تعظيم أئمتهم و الدفاع عن مذاهبهم. وصف أحمد بن حنبل بأنه إمام المسلمين، و الصحيح أنه من أئمة المسلمين. كما أخطأ عندما وصفه بأنه: سيد المؤمنين، و هذا يعني أنه شهد له بدخول الجنة، و هذا أمر لا يعلمه إلا الله تعالى. و أقواله هذه دافعها المبالغة في تعظيم إمام المذهب^(٢).

ذكر ابن أبي يعلى^(٣) في كتابه طبقات الحنابلة قولاً لأحد المحدثين جاء فيه: (... ابن حنبل قام في الأمة مقام النبوة)، وكذلك يورد قول الشافعي: (من ابغض أحمد ابن حنبل فهو كافر)^(٤)، و يروي الخطيب البغدادي^(٥): (قول سعيد بن الخليل الذي يؤكد فيه بأنه لو كان أحمد في بني إسرائيل لكان آية). و يفضل ابن

(١) ابن رجب الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد البغدادي (ت: ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م): الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق، أسامة حسن، و حازم علي بهجت، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٧م)، ج ١ ص ١٠١ - ١٠٣.

(٢) علال، خالد كبير، التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي، دار المحتسب، (الجزائر، ٢٠٠٨م)، ص ٦٩.

(٣) طبقات الحنابلة، ج ١، ص ١٧؛ ابن كثير، البداية و النهاية، ج ١٠، ص ٣٣٦.

(٤) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ١٣.

(٥) تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٣٢٥.

الجوزي^(١) أحمد ابن حنبل على سائر العلماء ومذهبه على كل المذاهب حيث يقول: (فضل مذهب أحمد بن حنبل على مذهب مالك و أبي حنيفة و الشافعي اعتمادا على العلم لا على النسب، كما أنه وجد أحمد أوفر الأئمة حظا في العلوم الشرعية، و كان حافظا لكتاب الله، ومتفردا بعلم الحديث جرحا و تعديلا، و عارفا بالعربية و القياس، زاهدا ورعا في الدنيا، صابرا في المحنة، لم يأخذ عطاء السلطان)، و يذهب إلى ابعده من ذلك بقوله: (أحمد عندنا محنة فمن عاب أحمد فهو فاسق)^(٢). و قال الحافظ زكريا بن يحيى الساجي (ت: ٣٠٧هـ / ٩١٩م): (أحمد بن حنبل أفضل عندي من مالك، والاوزاعي، و الثوري، و الشافعي، و ذلك أن هؤلاء نظراء، و أحمد بن حنبل فلا نظير له)^(٣).

وقد ترتب عن مبالغات هؤلاء أنها عمّت خاصة الناس و عامتهم، و انتشر بينهم تقليد الأئمة و التعصب لهم بحق و بغير حق، و تجاوزوا الحد في تعظيم أئمتهم و امتثال أرائهم، إلى حد لا يُوصف عندهم للصحابة، بل ولا لكلام الله تعالى و سنة رسوله ﷺ^(٤). و قد ذكر المؤرخ أبو شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م)^(٥): أن المقلدين المتعصبين في زمانه بلغ بهم الأمر إلى أن أصبحت أقوال الأئمة عندهم بمنزلة الكتاب و السنة، فصدق عليهم قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ

(١) صيد الخاطر، المكتبة السلفية (المدينة المنورة، د.ت)، ص ٤٩٦ - ٤٩٧.

(٢) مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ١٢٥.

(٣) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ١٨.

(٤) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت: ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م): القول المفيد، تحقق: عبد

الرحمن عبد الخالق، ط ١، دار القلم، (الكويت، ١٣٩٦م)، ص ٧٠.

(٥) شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م): مختصر كتاب المؤمل للرد

إلى الأمر الأول، ضمن مجموع: من هدى المدرسة السلفية، دار الشهاب (الجزائر، د.ت)، ص،

أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ^(١)، ثم انتهى بهم الأمر إلى إهمال علوم الكتاب و السنة، و تفضيل ما هم عليه الذي ينبغي المواظبة عليه، فبدلوا بالطيب خبيثاً، وبالحق باطلاً، وبالهدى ضلالاً. هي أقوال مبالغ فيها جداً، سببها التقليد و التعصب المذهبي، و لا تقوم على أي أساس صحيح شرعاً و لا عقلاً، وإن أقوالهم المبالغ فيها تردها أقوال المذاهب الأخرى في أئمتهم والتي هي الأخرى مبالغ فيها أيضاً، وهي أقوال تشهد على أن هؤلاء الأئمة الأربعة -المبالغ فيهم- وُجد من العلماء من انتقدهم و فضل غيرهم عليهم.

ويستتج مما ذكرناه في مبحثنا هذا، أن ظاهرة التفاضل بالأئمة و مذاهبهم، كانت مظهراً من مظاهر التعصب المذهبي المذموم في كثير من جوانبها، أوصلت المتمذهبين إلى المبالغة في تعظيم أئمتهم و التعصب لهم، الأمر الذي فتح باباً من أبواب الفتن و الشرور بين المسلمين. و قد أصاب أحد الباحثين^(٢) كبد الحقيقة حين قال: إن الكلام على ترجيح فقه إمام و مذهبه على فقه إمام آخر و مذهبه، ليس من العلم في شيء، و أكثر من أبتلي بأمثال هذه الخرافات هم المقلدون للمذاهب و المتمذهبون، و الحق عدم الترجيح، و أصوبها و أشرفها ما كان موافقاً للكتاب و السنة، بعيداً عن شوائب الآراء و المظنة.

نعم، لأحمد بن حنبل فضل كبير في الحديث و علومه، و لا نبخسه حقه في صموده في المحنة، لكن تلك الأقوال فيها مبالغات شديدة، و غير صحيحة في كثير من جوانبها، بدليل المعطيات الآتية: أولها إنه قد كان لأحمد نظراء في الحديث و الفقه، و في مختلف العلوم الشرعية، و وُجد فيهم من كان يتفوق عليه

(١) سورة التوبة، الآية (٣١).

(٢) القنوجي، صديق بن حسن (ت ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م): أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، (بيروت ١٩٨٧)، ج ٣، ص: ١٢٢.

في بعضها وبخصوص صموده في محنة خلق القرآن، فليس هو الوحيد الذي صمد فيها وقاومها، فقد صمد فيها كثير من المحّثين ولم يقل بخلق القرآن^(١)، كما سنبين في ذلك في المبحث الثالث. وهذا هو هدفنا من الطرح السابق وليس غرضنا منه التقليل من شأن الإمام أحمد بن حنبل والخط من مكانته، بل على العكس فقد احتل ابن حنبل مكانة كبيرة بين المحدثين وإن ما يحسب له انه قال بنصرة القول بخلافة الإمام علي عليه السلام وصحتها، وذهب ابعده من ذلك حين قال: من لم يربّع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله ونهى عن مناكحته^(٢)، في حين كان أكثر المحدثين عثمانية - الذين يقفون عند خلافة عثمان بن عفان - ولأحمد بن حنبل موقف آخر يخص الإمام علياً عليه السلام وأهل بيته الكرام، عندما روى لهم في مسنده فقد خصهم بمسند سماه (مسند أهل البيت)، وتتبع فضائلهم.

وتجراً في رواية فضائل الإمام علي عليه السلام وأعلنها قائلاً: «ما روي في فضائل أحد من أصحاب رسول الله ﷺ بالأسانيد الصحاح مثلهما روي في علي بن أبي طالب عليه السلام»^(٣).

وقد فسر معنى الحديث الذي يروى عن الإمام علي عليه السلام: أنا قسيم النار لأصحابه حين سأله عنه قائلاً: وما تنكرون من ذا؟ أليس رويناه عن النبي ﷺ قال لعلي: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق. قلنا: بلى قال: فأين المؤمن؟ قلنا في الجنة. قال: فأين المنافق؟ قلنا في النار. قال: فعلي قسيم النار^(٤).

وعلى الرغم من أن الجو العام في تلك الحقبة كان مشبعاً بالعداء لأهل البيت

(١) القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج ١ ص: ٢٦٩، ٣٥٩.

(٢) هذه الرسالة بالمكتبة الظاهرية بخطه في مسودته نقلاً عن: حسن، ناصر بن علي عايض، عقيدة

أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، ط ١، مكتبة الرشد، (الرياض، ١٩٩٣م)، ج ٢، ص ٢٨٦.

(٣) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١ ص ٣٣٥؛ الكثيري، السلفية بين أهل السنة والإمامية، ص ١٢٥.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٢؛ الكوراني، الإمام الهادي عليه السلام، ص ١٨٧.

وأتباعهم - سياسياً ودينياً - فقد تجاوز عدد شيوخ أحمد بن حنبل من إتباع أهل البيت العشرين عالماً^(١)، ولما عاب عليه بعضهم تقريب أحد المحدثين المواليين لأهل البيت إليه^(٢)، كما جاء في رواية الخطيب البغدادي^(٣): كان يغشى أحمد بن حنبل فيقربه ويدينه، فقيل له: يا أبا عبد الله، عبد الرحمن رافضي؟ رد عليهم قائلاً: سبحان الله! رجل أحب قوماً من أهل بيت النبي ﷺ نقول له لا تحبهم، هو ثقة. لقد أدى الغلو والمبالغات في شخص أحمد بن حنبل، وفرض المذهب الحنبلي على الناس من خلال الأساطير والخرافات، أو باستخدام القوة والبطش، إلى تراجع العقل الإسلامي إلى الوراء، وتزايد الفتن الطائفية بين المسلمين، فضلاً عن العزوف عن اعتناق المذهب، لذلك كانت تلك الأساليب المتبعة من قبل الحنابلة من أهم الأسباب التي أدت إلى عدم انتشار المذهب الحنبلي مقارنة مع باقي المذاهب الإسلامية الأخرى^(٤).

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص ٣٤٢؛ صبري، معجم شيوخ الإمام أحمد في المسند، ص ٤٦.
 (٢) وهو عبد الرحمن بن صالح، أبو محمد الأزدي، قال عنه يحيى بن معين: محدث ثقة صدوق شيعي، لئن يجر من السوء أحب إليه من أن يكذب في نصف حرف، توفي سنة ٢٣٠ هـ. ينظر:
 الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٠، ص ٢٦٠.
 (٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٠، ص ٢٦٠.
 (٤) أبو زهرة، ابن حنبل، ص ١٨٥.

المبحث الثالث

محنة خلق القرآن وأثرها على أحمد بن حنبل

أولاً: مسألة خلق القرآن:

لا يختلف اثنان من المسلمين في أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى الذي أنزله على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ وهو الذي نتلوه في المصاحف بنصه وحرفه دون زيادة أو نقصان، وقد خصه الله تعالى بما لم يخص به سائر الكتب السماوية السابقة التي أنزلها على أنبيائه ورسله، حيث تكفل بحفظه من التحريف والتبديل والتغيير والضياع، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١)، وهو باقٍ ما بقي الدهر، وسيظل محفوظاً مصاناً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أما بالنسبة لمسألة خلق القرآن - الذي هو كلام الله - فقد كانت من أخطر المسائل الكلامية وأكثرها خصوصية وحساسية في تاريخ الفكر الإسلامي بشكل عام، وعلم الكلام^(٢) بشكل خاص مع أنها فرع وليست أصلاً كونها تندرج تحت أصل التوحيد الذي قالت به جميع طوائف الإسلام، وخصوصيتها تأتي من أن علم الكلام سمي بهذا الاسم نسبة إلى موضوعها الأساسي الذي دار حوله خلاف

(١) سورة الحجر، الآية (٩).

(٢) علم الكلام: هو العلم الذي يبحث في العقائد الإيمانية كوحانية الله تعالى وكماله وصفاته وقدرته، ويتناول إثبات ذلك بالدليل العقلي والحجج الجدلية بعد ثبوتها بالدليل النقل. ينظر: الجرجاني: أبو الحسن علي بن محمد بن علي (ت: ٨١٦هـ / ٤١٣م): التعريفات، تحقيق: د. أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ١٩٨٦م) ص ١٠٤.

فكري حاد بين المسلمين وهو: هل كلام الله عز وجل مخلوق أم غير مخلوق؟^(١)

أما شهرتها وحساسيتها دون غيرها من - مسائل ومباحث أصول الدين وعلم الكلام - فتعود إلى ما أفرزته تلك القضية من الأحداث التاريخية التي عرفت في كتب التاريخ بالمحنة^(٢) حيث اختلط فيها الفكر بالسياسة، وكان لهذه الأخيرة أثر رئيس في إخراج المسألة من إطارها الفكري، وتأجيج الصراع بين المعتزلة^(٣) وأهل الحديث، وإشعال الفتنة والعداء الفكري بينهما الذي امتد وألقى بظلاله بعد ذلك على سائر المسلمين سواء بالموافقة لهذا الطرف (فكرياً) أو ذاك، إثر تدخل السلطة السياسية آنذاك - ممثلة في الخلفاء العباسيين لحسم الخلاف والصراع الفكري بالقوة لصالح هذا الطرف ضد ذاك من خلال ممارسات قمعية علنية بدأت أحداثها من زمن الخليفة العباسي المأمون عام ٢١٨هـ / ٨٣٣م، الذي عرف بميله إلى مذهب المعتزلة ومنهجهم العقلي، فقر بهم، وتبنى مذهبهم وآراءهم، بعد أن كان محظوراً عليهم نشرها أو الإعلان عنها، ثم العكس في زمن المتوكل العباسي عام ٢٣٢هـ / ٨٤٦م.

ولعل من الأهمية بمكان قبل الدخول في الموضوع أن نوضح وباختصار معاني بعض المصطلحات الكلامية لارتباطها بصلب الموضوع، وهي: (القديم، والأزلي، والحادث) فالقديم في اصطلاح المتكلمين هو: الموجود الذي لم يسبق بالعدم (أي ليس مخلوقاً) وعليه فإن القديم هو الله سبحانه وتعالى، والأزلي هو: ما لا أول له، لذا فإن القدم والأزلية تشتركان في المعنى نفسه، وأما الحادث فهو: الموجود

(١) عبد الحميد، عرفان، الفلسفة في الإسلام، وزارة التربية، (بغداد، د. ت)، ص ٢٥٣.

(٢) سيأتي الحديث عن محنة خلق القرآن في المبحث القادم.

(٣) المعتزلة: فرقة كلامية تنسب إلى واصل بن عطاء، وتميل المعتزلة إلى تحكيم العقل والفكر في المسائل العقائدية، فقالت بنفي الصفات، وحدوث القرآن، وأما أصولها: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ينظر: ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مطبعة صبيح، (القاهرة، ١٣٤٨هـ)، ج ٢، ص ٨٩.

المسبوق بالعدم، أو الكائن بعد أن لم يكن (المخلوق)^(١).

إن محور المسألة بالنسبة للمعتزلة متعلق بالدرجة الأولى بعقيدة التوحيد وما تقتضيه من وجوب تنزيه الله عن أن يشاركه أحد في القدم، ومن ثم فإن القول بقدم القرآن وقدم سائر كلام الله المنزل على رسله على اختلاف كتبه كان يعني أن الله متكلم بكلام أزلي قديم ما يعني وجود قديم آخر غير الله مستقل بذاته لذلك قالوا بأن كلام الله قائم بذاته، فالتكلم عندهم من فعل الكلام، أي من صفات الفعل وليست من صفات الذات، وأن التكلم هي الصفة أما الكلام فهو أثر الصفة، وهو قائم بغير ذاته، كونه فعلاً من أفعاله يحدثه ويخلقه كيفما شاء إذا أراد مخاطبة المخلوقين كما كلم موسى ﷺ، وسمع الكلام من صوب الشجرة، فالله سبحانه لا يتكلم بآلة ولا جارحة ولا صوت، وإنما يخلق الكلام خلقاً^(٢). وأدلتهم من القرآن في ذلك: قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٣) واستدلوا أيضاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿مَا

(١) الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق (ت: ٣٢٤هـ / ٩٣٥م): الإبانة في أصول الديانة، ط ١، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٩٨٥م)، ص ٤١؛ القاضي عبد الجبار، عبد الجبار ابن أحمد الهمداني (ت: ٤١٥هـ / ١٠٢٤م): شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، ط ١، مطبعة مكتبة وهبة، (القاهرة، ١٩٦٥م)، ج ١، ص ١٢٨؛ الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت: ٥٤٨هـ / ١١٥٣م)، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كياني، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٨٠م)، ج ٢، ص ٦٨؛ صبحي، أحمد محمود، في علم الكلام، ط ٤، مؤسسة الثقافة الجامعية، (الإسكندرية، ١٩٨٢م)، ج ١، ص ١٢٩.

(٢) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ج ١، ص ١٢٩.

(٣) سورة النساء، الآية (١٦٤).

(٤) سورة آل عمران، الآية (٧٧).

يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرِ مَن رَّبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿١﴾.

أما أدلتهم على خلق القرآن من السنة النبوية: فقد احتجوا بما روي عن النبي ﷺ أنه قال: ما خلق الله من سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي (٢).

إن مسألة خلق القرآن عند من قال بأنه غير مخلوق، قد بدت - في أذهانهم - وكأنها منافية لقدسية القرآن بل ومعارضة لكونه منزلاً، ناهيك عن ارتباطه في وجدان العامة بسوء فهم على درجة كبيرة من الخطورة، فقد التبس عليهم لفظ الخلق بلفظ الاختلاق، بل إن هذا المفهوم من معاني لفظ الخلق، وليس مجرد تشابه لفظي، فضلاً عن التباس آخر لا يقل خطورة عن السابق في أذهان العامة هو ما يلزم عن تصور المخلوق حياً أنه لا بد أن يموت، لأن كل مخلوق فان (٣)، فضلاً عن أنه لم يرد عن النبي ﷺ أثر في مسألة خلق القرآن، ولا خاض فيها أحد من الصحابة، ولا ورد في كتاب الله تعالى لفظ (مخلوق) صراحة في وصف القرآن فضلاً عن قديم أو غير مخلوق (٤).

وكان محور استدلالهم من القرآن يستند إلى آيتين وهي قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٦)، ووجه استدلالهم على أن كلام الله غير مخلوق يتمثل أنه تعالى مميّز بين الخلق والأمر فوجب أن لا يكون كلامه داخلياً في الخلق لأن قوله كن هو كلامه

(١) سورة الأنبياء، الآية (٢).

(٢) القمي، علي بن إبراهيم بن هاشم (ت: ٣٢٩هـ / ٩٤٠م): تفسير القمي، مكتبة الهدى، (النجف الأشرف، ١٩٦٧م)، ج ١، ص ٨٥.

(٣) صبحي، في علم الكلام، ج ١، ص ١٣٦-١٣٧.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٣٢١؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأئمة، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط ١، مطبعة السعادة (القاهرة، ١٩٥٢م)، ص ٣٤٢.

(٥) سورة الأعراف، الآية (٥٤).

(٦) سورة النحل، الآية (٤٠).

الذي يكون به الخلق، وكلامه عز وجل الذي به يكون الخلق غير الخلق الذي يكون مكونا بكلامه، ومن ثم فإن القرآن غير مخلوق^(١).

وقد سعى كل فريق لإثبات صحة رأيه في القرآن الكريم بشتى الوسائل، وتبادل الطرفان الاتهامات، وعلى الرغم من أن نشوء هذه المشكلة كان نتيجة الخلاف الفكري الذي وقع بين المعتزلة وأهل الحديث، إرضاء لأهواء السلطات الحاكمة، إلا إن معظم التهم التي وجهت إلى المعتزلة لم تصدر عن إنصاف، بل كان التحيز رائد المتهمين، فالمعتزلة هم رواد علم الكلام الإسلامي، وعلماءهم هم الذين تصدروا للدفاع عن الإسلام ضد خصومه، واتبعوا المنهج العقلي الحر في البحث عن الحقيقة^(٢)، والمعتزلة من أرباب الاجتهاد في الدين، وكل مجتهد مأجور^(٣)، وبعض علماء الحديث البارزين، قالوا بقولهم في خلق القرآن، فيروى أن أبا حنيفة كان يقول بخلق القرآن^(٤)، وكذلك الكرايسي^(٥) قال بها^(٦)، ويرى البخاري^(٧) إن

(١) الأشعري، الإبانة في أصول الديانة، ص ١٩.

(٢) الخياط، أبو الحسين عبد الرحمن بن محمد (ت: ٣٠٠هـ/ ٩١٢م): الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، تحقيق: نيجرج، دار الكتب المصرية، (القاهرة، ١٩٢٥م)، ص ٨١؛ القاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق: سيد فؤاد، دار التراث، (القاهرة، ١٩٦٦)، ص ٢٣٤؛ صبحي، في علم الكلام، ج ١، ص ١٣٩-١٤٠.

(٣) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت: ٥٠٥هـ/ ١١١١م): المنقذ من الضلال، (دمشق، ١٩٣٣م)، ص ٣٨.

(٤) الأشعري، الإبانة في أصول الديانة، ص ٥٧.

(٥) هو أبو علي الحسين، لقب بالكرايسي لأنه كان يبيع الثياب الغليظة، صاحب الشافعي، كان عارفاً بالحديث والفقه، توفي سنة ٢٤٨هـ. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٤٤١.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٦٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٢، ص ٤٣٠.

(٧) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، أبو عبد الله البخاري (ت: ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، من الطبقة الحادية عشر من رتب المحدثين، صاحب الصحيح المشهور، روى عن أحمد بن حنبل حديثين في صحيحه، وثالث بالواسطة، وقد عرض صحيحه على أحمد فأجازه له. ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٢، ص ٥٥٧.

لفظ الإنسان بالقرآن مخلوق^(١).

لقد كانت جذور مسألة القدم والحدوث للقرآن نتيجة الخلاف العقائدي بين الإسلام والمسيحية المتمثل في الاعتقاد بألوهية السيد المسيح ﷺ، وكان الخوض فيها من قبل علماء ومتكلمي المسلمين ضرورة فرضها واجب الدفاع عن العقيدة الإسلامية، والحاجة الماسة إلى صياغة ثوابتها ومضامينها القرآنية المجملة صياغة فكرية بأدلة عقلية لتبيان مواقف العقيدة الإسلامية من سائر المعتقدات الضالة والباطلة بالنسبة للديانات الأخرى، ليتسنى للمسلمين مواجهة الحملة الفكرية الظاهرة والخفية والمتنوعة الوسائل والأساليب التي تعرض لها الإسلام والمسلمون آنذاك على اثر تغلبه على بلدانهم، ودخول الكثير من أبنائها في الإسلام، حيث بدأت تتسرب بعض المعتقدات إلى عامة المسلمين من خلال اختلاطهم بالأمم الأخرى^(٢)، فضلاً عن انتشار كتب الفلسفة والآراء اليونانية التي توفرت بكثرة في المجتمع الإسلامي من خلال الحركة النشطة للترجمة في العصر العباسي الأول^(٣).

من المعلوم أن القرآن الكريم قد خص السيد المسيح ﷺ دون سواه من الأنبياء والرسل بأنه (كلمة الله) بقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا

(١) ابن القيم الجوزية، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، (مكة المكرمة، ١٩٢٩م)، ج ٢، ص ٣٠٦.

(٢) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٥١؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، المقدمة، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، د.ت)، ص ٤٩٥-٤٩٦؛ النشار، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط ٣، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٥م)، ج ١، ص ٧٧.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٤٠-٣٤١؛ أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ط ١٠، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، ٢٠٠٢م)، ج ٣، ص ٨.

إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٍ مِّنْهُ فَامْنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا^(١).

فقد استغل بعض رجالات النصارى وعلمائهم ما جاء في القرآن الكريم من وصف عيسى عليه السلام بأنه (كلمة الله) وإقرار المسلمين جميعاً بذلك، في إثارة مسألة كلمة الله هل هي مخلوقة أم غير مخلوقة؟ والترويج لفكرة قدم (كلمة الله) في أوساطهم، لاسيما أن المسلم سينفر عند مجادلتها وطرح الأمر عليه من القول بأن كلمة الله مخلوقة، باعتبار دلالتها التلقائية عند المسلمين على أن كلام الله يتمثل بالقرآن، وأن لفظ مخلوق سيبدو وكأنه منافٍ لقدسية كلام الله وللقرآن تحديداً، ومعارض لكونه منزلاً ومصاناً من التحريف أو التبديل، ما يجعل فكرة القدم أقرب إلى الأذهان، فلما قام يوحنا الدمشقي^(٢) بتأليف كتاب ينتصر فيه للمسيحية ضد الإسلام، وكانت مسألة قدم الكلمة المتعلقة بصلب العقيدة المسيحية على رأس موضوعاته وذلك بهدف تعليم النصراني كيف يحاجج المسلم، ومما جاء فيه قوله مخاطباً النصراني: إذا قال لك المسلم: ما تقول في المسيح؟ فقل له: إنه كلمة الله حتى يجيبه المسلم قائلاً: كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه، فإن أجاب بذلك فاسأله: هل كلمة الله وروحه مخلوقة أم غير مخلوقة؟ فإن قال: مخلوقة فيرد عليه: بأن الله كان إذاً ولم تكن له كلمة، قال يحيى: فإن قلت ذلك فسيفحم المسلم لأن من يرى هذا الرأي زنديق في نظر المسلمين. وتدل عبارته الأخيرة أن القول بأن كلام الله مخلوق قد ظهر، وأن من يقول به أصبح متهماً بالزندقة في أوساط المسلمين. وتتحول بذلك المسألة إلى خلاف بين المسلمين أنفسهم له خصوصيته

(١) سورة النساء، الآية (١٧١).

(٢) صبحي، في علم الكلام، ص ٣١.

الإسلامية وأسبابه الفكرية وموضوعاته التي ترتبت عليه وإشكالاته وأدلتها السمعية والعقلية والتي قدمها كل فريق لإثبات رأيه في مواجهة الرأي الآخر، والرد عليه ومحاولة إبطاله^(١).

ومن هنا كان ظهور الرأي الإسلامي من قبل المتكلمين الأوائل الذين جادلوا بعض علماء النصارى وأدركوا أبعاد ذلك الطرح وانطلقوا من عقيدة التوحيد الثابتة وحقيقة بشرية المسيح ﷺ وكونه عبد الله ورسوله في مواجهة فكرة قدم الكلمة لدى النصارى وإبطال ما يترتب عليها من الحكم بقدوم المسيح ﷺ ومن ثم ألوهيته، وذلك من خلال إنكار قدم الكلمة والقول بأنها مخلوقة والتأكيد بأن الله سبحانه وتعالى كان ولم يكن معه شيء في الأزل لا كلمة ولا غيرها، وكل كلامه مخلوق محدث، وكان من الطبيعي أن ينصرف هذا القول في بداياته الأولى لدى بعض من تسامعوا به من المسلمين إلى القرآن الذي هو كلام الله مخلوق؟ ويصبح بذلك القرآن هو عنوان المسألة البارز والمتناقل بعد ذلك في أوساط المسلمين هنا وهناك، فواجه القول بخلق القرآن نفوراً واستنكاراً منذ البداية، ويجد القائلون به أنفسهم أمام معارضة ضمن الدائرة الإسلامية نفسها ولأسباب فكرية تخص العقلية المسلمة الغالبة، والنظرة للقرآن الذي بات مقاومة القول بقدمه والتأكيد على خلقه - بالنسبة لأولئك المتكلمين - أمراً يدفعهم إليه ما يحمله هذا القول

(١) وهو يحيى بن سرجون بن منصور الدمشقي، كان نصرانياً شديد التمسك بنصرانيته، عمل في خدمة الدولة الأموية، وعملت أسرته بالإدارة المالية للدولة الرومانية من قبل، وكان أبوه وكيلاً مالياً ثم وزيراً ومستشاراً لمعاوية وابنه يزيد، كذلك اشتغل يوحنا للخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ثم استقال لخدمة الدير، وإليه ينسب أول كتاب في النقاش بين المسيحية والإسلام: حوار بين مسيحي وشرقي مسلم. ينظر: ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط ٤، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٧٩م)، ج ١، ص ٢٢٤؛ نقلاً عن: أمين، ضحى الإسلام، ج ١، ص ١٧١.

من مضاهاة لقول النصارى في المسيح، وإشراك القرآن مع الله في القدم، وتمكين النصارى - في حال الحكم بقدّم كلام الله - من إقامة الحجة من كتاب الله على قدّم المسيح الذي وصفه القرآن بأنه كلمة الله^(١). يذهب إلى هذا الربط بين قضية خلق القرآن واللاهوت المسيحي الجمهور الأكبر من المستشرقين أمثال: مكدونالد، فنسك، كارل بيكر، فون كريمر وغيرهم^(٢). إلا إن ابن الأثير^(٣) يشير إلى أن القول بخلق القرآن أخذته المعتزلة من لبّيد بن الأعصم اليهودي الذي سم النبي ﷺ، والذي كان يقول بخلق التوراة، ويوافق المستشرق ترتون، على رأي ابن الأثير، حيث يقول إن قول المعتزلة بخلق القرآن مستمد في أصله من قول اليهود بأن التوراة مخلوقة^(٤).

ويورده السيوطي^(٥) نصّاً يشير إلى أن جذور هذه المسألة كانت منذ عهد عمر ابن الخطاب، حيث يقول: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب وسأله: هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق؟ فأتى به عمر إلى الإمام علي عليه السلام الذي قال: إن هذه كلمة وسيكون لها ثمرة. ونستبعد أن يكون هذا الرأي للإمام علي عليه السلام من حيث ينفرد بذكره السيوطي فقط وهو متأخر زمنياً عن فترة خلافة عمر بن الخطاب، ثم أي ثمرة يقصدها الإمام، جناها المسلمون من خلافاتهم حول مسألة خلق القرآن، فضلاً عن عدم تناسب أسلوب الرد مع بلاغة الإمام علي عليه السلام المعهود في إجابة السائل الجواب الكافي الشافي، وبخاصة إذا كان الأمر متعلّقاً بالعقيدة الإسلامية، ومحورها القرآن.

(١) أمين، ضحى الإسلام، ج ١، ص ٢٣٦؛ النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج ١، ص ٧٨

(٢) ينظر: عبد الحميد، الفلسفة في الإسلام، ص ٢٥٤

(٣) الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٢٦.

(٤) عبد الحميد، الفلسفة في الإسلام، ص ٢٥٤.

(٥) الدر المنثور، ط ١، دار المعرفة، (بيروت، ١٩٤٥م)، م ٢، ص ٨.

بيد أن معظم المصادر التاريخية^(١) تجمع على أن أول من قال بأن القرآن مخلوق هو الجعد بن درهم^(٢) في دمشق ثم طلبه الأمويون فهرب ونزل الكوفة فأخذ منه الجهم بن صفوان^(٣) القول الذي نسب إليه، ثم قالها ثانية، بشر المريسي^(٤) في عهد هارون الرشيد الذي توعدده بالقتل، ولكن المعتزلة يرفضون أن ينسبوا إلى الجهم ابن صفوان لأنه يقول بالجبر^(٥). فبقيت المسألة طي الكتمان إلى زمن المأمون حيث تبنى آراء المعتزلة، وبخاصة حين قرب رجالاتهم، وولاهم بعض المناصب الحساسة في الدولة، وتشير المصادر إلى الدور الذي قام به أحمد بن أبي داود^(٦) في فرض امتحان

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٤٧٢؛ البغدادي، عبد القادر بن طاهر بن محمد (ت: ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م): الفرق بين الفرق، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، (بيروت، ١٩٨٧م)، ص ١٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ٤٣٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩، ص ٣٥٠.

(٢) الجعد بن درهم: كان مؤدبا مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في دمشق وهو أول من نفى الصفات وأظهر فكرة خلق القرآن فطلبه بني أمية فهرب وسكن الكوفة، فقتله خالد بن عبد الله القسري والي العراق في عهد هشام بن عبد الملك وذلك في سنة ١١٨هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ٤٦٧.

(٣) الجهم بن صفوان، أبو محرز السمرقندي، من موالي بني راسب، رأس الجهمية، يقول بالجبر، قتل سنة ١٢٨هـ في خراسان على يد نصر بن سيار. ينظر: ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١، ص ١٠٩.

(٤) بشر بن غياث العدوي المريسي، أبو عبد الرحمن الفقيه اخذ الفقه من القاضي أبي يوسف، ثم نظر في الكلام فغلب عليه، فكان داعية للقول بخلق القرآن، فتوعدده الرشيد بالقتل فاختلف نحو عشرين سنة حتى مات الرشيد، توفي بشر أواخر سنة ٢١٨هـ. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان ج ١، ص ٢٢٧.

(٥) الخياط، الانتصار، ص ١٣٤؛ القاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال، ج ١، ص ٢٦٧؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ١٩٩.

(٦) أحمد بن أبي داود بن فرج، ابن حريز القاضي، أبو عبد الله الأيادي البصري، ولد سنة ١٦٠هـ اتصل بالمأمون عن طريق يحيى بن أكثم فأعجب بعقله ووصى به المعتمد فولاه منصب قاضي القضاة وكان رأساً للمعتزلة، توفي سنة ٢٤٠هـ. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٤، ص ١٤١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ١٦٩.

الفقهاء والمحدثين بمسألة خلق القرآن، وإجبارهم على القول به بالقوة^(١).

ثانياً: محنة خلق القرآن:

أخذت مسألة خلق القرآن منحني سياسياً أكثر مما هي قضية فكرية، الأمر الذي أدى إلى ظهور خلافات عميقة بين المسلمين أضيفت إلى ما سبق من الخلافات التي كان سببها هو تحكيم آراء الرجال في دين الله، نتيجة لابتعاد الأمة عن مرجعيتها التي جعلها الله لهم أماناً من الفتن، وربما أرادت السلطات السياسية وأتباعها تأسيس مدرسة فكرية تقف بالند والضد إزاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فكانت نتائجها زيادة في الفرقة والفتن بدلاً من التوحد والألفة، الذي يهمننا في طرح مسألة خلق القرآن في هذا المبحث هو لبيان اثر هذه المسألة على حياة أحمد بن حنبل، لأنها من أهم الأحداث التي سادت في عصره، وكانت السبب الرئيس في ذياع صيته.

لم تبلغ تعاليم الاعتزال مبلغها من القوة والانتشار في العصر العباسي الأول إلا في عهد الخليفة العباسي عبد الله المأمون (١٩٨-٢١٨هـ / ٨١٣-٨٣٣م)^(٢)، ففي عام ٢١٢هـ / ٨٢٧م، كشف المأمون عن قناعاته الجديدة واتجاهاته العقلانية ونزوعه نحو التفكير الحر التي تمثلت باعتناقه مبادئ المعتزلة، حيث اظهر القول بخلق القرآن، وأعلن تفضيل الإمام علي عليه السلام على الخلق بعد رسول الله ﷺ^(٣).

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٣٠؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٠، ص ١٨٣

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦١٨.

(٣) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر (ت: ٢٩٢هـ / ٩٠٤م)، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، (النجف الأشرف، ١٩٦٤م)، ج ٢، ص ٣٠٢ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦١٩؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٥٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٦٦.

على أن المأمون رغم إظهاره القول بخلق القرآن إلا أنه لم يضطر الناس إلى القول به، إنما أراد فرض هذا الرأي على القضاة والفقهاء والمحدثين ممن كان مرتبطاً بالدولة ويتقاضى منها راتبه وأرزاقه^(١)، هؤلاء فقط الذين طلب المأمون امتحانهم في خلق القرآن، أو ما عرف تاريخياً (بالمحنة)^(٢)، وذلك نتيجة تأثير المعتزلة على المأمون، وبالأخص أحمد بن أبي داود الذي حرص على أن يجعل الاعتزال مذهباً رسمياً للدولة^(٣) مقتدياً بما فعل المحدثون من قبل حيث كانوا يرغمون الآخرين على معتقدتهم، ويحدثون الناس في المساجد به بدعم من الدولة العباسية^(٤)، وهذا يعني أمرين:

الأول: إن مسألة خلق القرآن قضية سياسية أكثر من كونها قضية دينية.

الثاني: إنها لم تكن تخص أحمد بن حنبل لوحده إنما شملت عموم الفقهاء والمحدثين، بل إن كل الذين أصروا على عدم القول بخلق القرآن قتلوا خلال أيام المحنة، إلا إن ابن حنبل لم يقتل!

في عام ٢١٨ هـ / ٨٣٣ اتخذ المأمون قراراً بأن جعل القول بخلق القرآن المبدأ الرسمي للدولة، وأوجب امتحان كل من ارتبط بها من القضاة والمحدثين، واستمرت إجراءات المحنة خلال حكم الخلفاء (المعتصم، والواثق) من بعده بوصية منه.

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٠٣؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢، ص ٢٨؛ أمين، ضحى الإسلام، ج ٣، ص ١٦٨.

(٢) المحنة: اشتهر استعمال اسم المحنة في اختبار الفقهاء والمحدثين بالقول بخلق القرآن وما لاقوه من تشدد في ذلك، وكان من قبل يستخدم للإشارة إلى ما لقيه الأنبياء من العذاب على أيدي الطواغيت، وكذلك فيما لقيه الموالون لأهل البيت على يد السلطتين الأموية والعباسية. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٣١؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٢، ص ٣٤٤.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٣١؛ صبحي، في علم الكلام، ج ١، ص ٢٦٦.

(٤) أمين، ضحى الإسلام، ج ٣، ص ١٩٣.

أ/ محنة خلق القرآن في عصر المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ / ٨١٣ - ٨٣٣ م):

وقد وصل حماس المأمون لمبادئ الاعتزال، والقول بخلق القرآن ذروته، في ربيع الأول من عام ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م، بأن كتب إلى نائبه في بغداد إسحاق بن إبراهيم^(١) كتاباً يأمره فيه بامتحان الفقهاء والمحدثين في خلق القرآن، حيث كان المأمون في هذا الوقت يقود الجيوش العباسية لغزو الروم^(٢)، جاء فيه:

أما بعد، فإن حق الله على أئمة المسلمين وخلفائهم الاجتهاد في إقامة دين الله الذي است حفظهم، ومواريث النبوة التي أورثهم، وأثر العلم الذي استودعهم، والعمل بالحق في رعيته والتشمير لطاعة الله فيهم، والله يسأل أمير المؤمنين أن يوفقه لعزيمة الرشد وصريمته والإقسط فيما ولاه الله من رعيته برحمته ومنته^(٣).

وقد عرف أمير المؤمنين إن الجمهور الأعظم والسواد الأكبر من حشو الرعية وسفلة العامة ممن لا نظر له ولا روية ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته والاستضاءة بنور العلم وبرهانه في جميع الأقطار والآفاق أهل جهالة بالله، وعمى عنه، وضلالة عن حقيقة دينه وتوحيده والإيمان به، ونكوب عن واضحات أعلامه وواجب سبيله وقصور أن يقدروا الله حق قدره، ويعرفوه كنه معرفته،

(١) هو أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب الخزاعي، عرف بالطاهري نسبة إلى عمه طاهر بن الحسين قائد جيوش المأمون في حربه مع أخيه الأمين، كان مقرباً من الخلفاء، كان صاحب الشرطة أيام المأمون والمعتصم والواثق، استخلفه المأمون على بغداد حين غادرها لغزو الروم سنة ٢١٨ هـ، مات ببغداد في خلافة المتوكل سنة ٢٣٥ هـ. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ١٧.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٠٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٣١.

(٣) ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن طاهر الكاتب (ت: ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م): كتاب بغداد، شرح: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٩٤٩ م)، ص ١٨٥ - ١٩٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٣١ - ٦٣٤.

ويفرقوا بينه وبين خلقه، لضعف آرائهم ونقص عقولهم وجفائهم عن التفكير والتذكر، وذلك أنهم ساووا بين الله تبارك وتعالى وبين ما انزل من القرآن، فأطبقوا مجتمعين، واتفقوا غير متعاجين على أنه قديم أول لم يخلقه الله ويحدثه ويخترعه، وقد قال الله عز وجل في محكم الذي جعله لما في الصدور شفاء، وللمؤمنين رحمة وهدى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(١)، فكل ما جعله الله فقد خلقه، وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾^(٢)، وقال عز وجل: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾^(٣)، فاخبر أنه قصص لأمر أحدثه بعدها وتلا به متقدمها، وقال: ﴿الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾^(٤)، وكل محكم مفصل فله محكم مفصل، والله محكم كتابه ومفصله، فهو خالقه ومبتدعه.

ثم هم الذين جادلوا بالباطل فدعوا إلى قولهم، ونسبوا أنفسهم إلى السنة، وفي كل فصل من كتاب الله قصص من تلاوته مبطل قولهم، ومكذب دعواهم، يرد عليهم قولهم ونحلتهم، ثم اظهروا مع ذلك أنهم أهل الحق والدين والجماعة، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر والفرقة، فاستطالوا بذلك على الناس، وغروا به الجهال حتى مال قوم من أهل السمات الكاذب، والتخشع لغير الله، والتقشف لغير الدين إلى موافقتهم عليه، ومواطأتهم على سيء آرائهم، تزينا بذلك عندهم، وتصنعاً للرياسة والعدالة فيهم، فتركوا الحق إلى باطلهم، واتخذوا دون الله وليجة إلى ضلالتهم، فقبلت بتركيتهم لهم شهادتهم، ونفذت أحكام الكتاب بهم على دغل

(١) سورة الزخرف، الآية (٣).

(٢) سورة الأنعام، الآية (١).

(٣) سورة طه، الآية (٩٩).

(٤) سورة هود، الآيات (١، ٢).

دينهم، ونغل أديمهم وفساد نياتهم ويقينهم، وكان ذلك غايتهم التي إليها اجروا وإياها طلبوا في متابعتهم والكذب على مولاهم، وقد اخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يفرقوا على الله إلا الحق، ودرسوا ما فيه، أولئك الذين أصمهم الله وأعمى أبصارهم^(١)، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَاهَا﴾^(٢).

فرأى أمير المؤمنين إن أولئك شر الأمة ورؤوس الضلالة، المنقوصون من التوحيد حظاً، والمخسوسون من الإيمان نصيباً، وأوعية الجهالة وأعلام الكذب ولسان إبليس الناطق في أوليائه، والهائل على أعدائه من أهل دين الله، وأحق من يتهم في صدقه، وتطرح شهادته، ولا يوثق بقوله ولا عمله فإنه لا عمل إلا بعد يقين ولا يقين إلا بعد استكمال حقيقة الإسلام، وإخلاص التوحيد، ومن عمى عن رشده وحظه من الإيمان بالله وبتوحيده كان عما سوى ذلك من عمله والقصد في شهادته أعمى وأضل سبيلاً، ولعمر أمير المؤمنين إن احبى الناس بالكذب في قوله وتخرص الباطل في شهادته من كذب على الله ووحيه ولم يعرف الله حقيقة معرفته، وإن أولاهم برد شهادته في حكم الله ودينه من رد شهادة الله على كتابه، وبهت حق الله بباطله.

فاجمع من حضرتك من القضاة، وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا إليك، فابدأ بامتحانهم فيما يقولون وتكشيفهم عما يعتقدون في خلق الله القرآن وإحداثه، وأعلمهم إن أمير المؤمنين غير مستعين في عمله ولا واثق فيما قلده الله واستحفظه من أمور رعيته بمن لا يوثق بدينه وخلوص توحيده ويقينه، فإذا اقروا بذلك ووافقوا أمير المؤمنين فيه وكانوا على سبيل الهدى والنجاة فمرهم بنص من يحضرهم من

(١) ابن طيفور، كتاب بغداد، ص ١٨٥ - ١٩٤؛ الطبري، تاريخ، ج ٨، ص ٦٣١ - ٦٣٤.

(٢) سورة محمد، الآية (٢٤).

الشهود على الناس ومسألتهم عن علمهم في القرآن وترك إثبات شهادة من لم يقر أنه مخلوق محدث ولم يره، والامتناع من توقيعها عنده، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يأتيك عن قضاة أهل عملك في مسألتهم والأمر لهم بمثل ذلك، ثم اشرف عليهم وتفقد آثارهم حتى لا تنفذ أحكام الله إلا بشهادة أهل البصائر في الدين والإخلاص للتوحيد، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون في ذلك، إن شاء الله^(١).

ومما يلاحظ على كتاب المأمون الآتي: -

١- إن قراره بامتحان الفقهاء والمحدثين نهائي لا رجعة فيه، والقبول والإيجاب منهم إلزامي قسري.

٢- يشير الكتاب إلى شعور المأمون بزهو عقلي واكتفاء ذاتي في التفكير، بما لديه من علم استودعه الله تعالى إياه.

٣- وجه المأمون في كتابه الأول نقداً لا دعاً ووصفاً قاسياً إلى الفقهاء والمحدثين فمن جملة ما قاله بحقهم: فرأى أمير المؤمنين إن أولئك شر الأمة، ورؤوس الضلالة، المنقوصون من التوحيد حظاً، والمخسوسون من الإيمان نصيباً، وأوعية الجهالة، وأعلام الكذب، ولسان إبليس الناطق في أوليائه.

٤- ضمّن الكتاب عدداً من الآيات القرآنية كدليل على حدوث القرآن وقد أخذت تلك الآيات دليلاً في المحاججات مع الممتحنين.

٥- أمر المأمون صاحب شرطته أن يتولى امتحان المحدثين بنفسه، فمن يقول بخلق القرآن يقر على عمله، ومن يرفض يعزل عنه وتقطع أرزاقه وأن يكتب كتاباً يخبره بكل ما جرى، ويطلعه على أسماء الذين أجابوا، والذين رفضوا القول بخلق القرآن.

(١) ابن طيفور، كتاب بغداد، ص ١٨٥ - ١٩٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٣١ - ٦٣٤.

٦- صدرت الأوامر نفسها إلى الأقاليم الأخرى كمصر والشام والكوفة، فامتنح عددا من القضاة إلا أن الوضع في الأمصار الأخرى كان أقل وطأة عما جرى في بغداد من تشدد في الامتحان^(١).

وقد نفذ إسحاق بن إبراهيم الأوامر الصادرة له من المأمون، وامتنح سبعة من محدثي بغداد^(٢) وهم: (محمد بن سعد^(٣)، يحيى بن معين^(٤)، أبو مسلم المستملي^(٥)، أبو خثيمة^(٦)، إسماعيل بن داود^(٧)، إسماعيل بن أبي مسعود^(٨)، والدورقي^(٩)).

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٣٤؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت: ٨٤٧هـ / ١٤٤٣م): النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، ط ٢، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة، ١٩٣٢م)، ج ٢، ص ١٦٨-١٦٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٣٤؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢، ص ٣٩؛ باتون، أحمد بن حنبل والمحنة، ص ١٠٨-١٠٩.

(٣) محمد بن سعد بن منيع، تلميذ الواقدي وكتابه ولد في البصرة وسكن بغداد، توفي سنة ٢٣٠ هـ، ألف ابن سعد كتاب الطبقات الكبرى. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٥٠٧.

(٤) يحيى بن معين المري البغدادي، ترجم له في ص ٣٥.

(٥) عبد الرحمن بن يونس بن هاشم، أبو مسلم البغدادي من محدثي بغداد، كان كاتباً ليزيد بن هارون وثقه أبو حاتم، توفي سنة ٢٢٤ هـ. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٥٧.

(٦) أبو خثيمة أبو بكر أحمد بن أبي خثيمة النسائي راوية للأدب اخذ الحديث عن يحيى بن معين توفي في جمادي الأولى سنة ٢٧٩ هـ. ينظر: ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١٠، ص ٤٤.

(٧) إسماعيل بن داود من المحدثين الضعفاء، لم اعثر له على ترجمة سواها. ينظر: الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٥م)، ج ١، ص ١٠٥.

(٨) إسماعيل بن أبي مسعود: من كتاب الواقدي ومن أشهر المحدثين في بغداد. ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٢٢٠.

(٩) أحمد بن إبراهيم الدورقي من محدثي بغداد، قال في أحمد بن حنبل: من سمعتموه يذكر أحمد بن حنبل بسوء فاتهموه على الإسلام. ينظر، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٤٢٠.

فأجابوا بالقول بخلق القرآن، ولم يكن أحمد بن حنبل ضمن الممتحنين^(١)، فأرسل إسحاق بن إبراهيم إلى المأمون كتابا يخبره بوقائع الامتحان، فكتب إليه المأمون كتابه الثاني الذي لم يورد الطبري^(٢) نصه إنما أشار إلى مضمونه، يأمر فيه المأمون نائبه إسحاق بأن يشخص إليه المحدثين السبعة لامتحانهم بنفسه، فأرسلوا جميعاً إلى المأمون فأجابوه إلى مقالته، فأعادهم إلى بغداد برفقة كتاب ثالث من المأمون يتضمن الأمر بالتوسع في امتحان الفقهاء والمحدثين ويؤكد فيه مرة أخرى إن من لا يقول بخلق القرآن منهم لا يصلح لتولي أي عمل أو منصب، ويأمر المأمون أيضاً نائبه فيه بإشهار أمر المحدثين السبعة الذين اقرؤا بخلق القرآن أمام أهل بغداد، ثم يخلي سبيلهم، هذا نصه:

أما بعد، فإن حق الله على خلفائه في أرضه وأمنائه على عباده الذين ارتضاهم لإقامة دينه وحملهم رعاية خلقه وإمضاء حكمه وستته والائتمام بعدله في بريته، أن يجتهدوا لله أنفسهم وينصحوا له فيما استحفظهم وقلدهم ويدلوا عليه - تبارك اسمه وتعالى - بفضل العلم الذي أودعهم والمعرفة التي جعلها فيهم ويهدوا إليه من زاغ عنه ويردوا من أدبر عن أمره وينهجوا لرعاياهم سمت نجاتهم ويفقّوهم على حدود إيمانهم وسبيل فوزهم وعصمتهم ويكشفوا لهم مغطيات

(١) يذكر المؤرخون: إن أحمد بن حنبل لم يمتحن مع المحدثين السبعة. ينظر: ابن طيفور، كتاب بغداد، ص ١٨٦؛ الطبري، تاريخ، ج ٨، ص ٦٣٧. ويحاول البعض القول بأن اسمه كان مدرجاً ضمن السبعة المحدثين الذين أرسلوا إلى المأمون لامتحانهم إلا أن إسحاق بن إبراهيم رفع اسم أحمد بن حنبل. ينظر: ابن الجوزي، مناقب، ص ٣١٠؛ باتون، أحمد بن حنبل والمحنة، ص ١١٠. فيما ينفرد حنبل ابن إسحاق بذكر اسم أحمد بن حنبل ضمن أسماء المحدثين السبعة بعد أن يحذف اسم أحمد بن إبراهيم الدورقي. ينظر: ابن حنبل، إسحاق بن حنبل، ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: د. محمد نعش، ط ٢، (الرياض، ١٩٨٣ م)، ص ٣٥.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٣٧؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢، ص ٤١.

أمورهم ومتشابهاتها عليهم، بما يدفعون الريب عنهم ويعود الضياء والبينه على كافتهم، وأن يؤثروا ذلك من إرشادهم وتبصرتهم، إذ كان جامعا لفنون مصانعهم ومنتظما لحظوظ عاجلتهم وآجلتهم، ويتذكروا ما الله مرصد من مسألتهم عما حملوه ومجازاتهم بما أسلفوه وقدموا عنده، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله وحده، وحسبه الله وكفى به^(١).

ومما بينه أمير المؤمنين برويته وطالعه بفكره فتبين عظيم خطره وجليل ما يرجع في الدين من وكفه وضرره ما ينال المسلمين بينهم من القول في القرآن الذي جعله الله إماما لهم وأثرا من رسول الله ﷺ وصفيه محمد ﷺ باقيا لهم، واشتباهاه على كثير منهم حتى حسن عندهم وتزين في عقولهم ألا يكون مخلوقا فتعرضوا بذلك لدفع خلق الله الذي بان به عن خلقه وتفرد بجلالته من ابتداع الأشياء كلها بحكمته وإنشائها بقدرته والتقدم عليها بأوليته التي لا يبلغ أولها ولا يدرك مداها، وكان كل شيء دونه خلقا من خلقه، وحدثا هو المحدث له، وإن كان القرآن ناطقا به ودالا عليه وقاطعا للاختلاف فيه وضاهوا به قول النصاري في دعائهم عيسى ابن مريم: انه ليس بمخلوق إذ كان كلمة الله^(٢)، والله يقول: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(٣). وتأويل ذلك إنا خلقناه كما قال جل جلاله: ﴿وَجَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾^(٤). وقال: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا. وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾^(٥). ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(٦). فسوى عز وجل بين القرآن

(١) الطبري، المصدر نفسه، ج ٨، ص ٦٣٨؛ باتون، أحمد بن حنبل والمحنة، ص ١١٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٣٨-٦٤٠.

(٣) سورة الزخرف، الآية (٣).

(٤) سورة الأعراف، الآية (١٨٩).

(٥) سورة النبأ، الآيات (١٠، ١١).

(٦) سورة الأنبياء، الآية (٣٠).

وبين هذه الخلائق التي ذكرها في شية الصنعة، وأخبر أنه جاعله وحده فقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾^(١). فدل ذلك على إحاطة اللوح بالقرآن، ولا يحاط إلا بمخلوق، وقال لنبیه ﷺ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(٢). وقال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ﴾^(٣). وقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾^(٤)، وأخبر عن قوم ذمهم بكذبهم أنهم قالوا: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾^(٥)، ثم أكذبهم على لسان رسوله فقال لرسوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ﴾^(٦)، فسمى الله تعالى القرآن قرآنا وذكرنا وإيماننا ونورا وهدى ومباركا وعربيا وقصصا فقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾^(٧)، وقال: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ﴾^(٨)، وقال: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾^(٩)، وقال: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^(١٠)، فجعل له أولا وآخرأ ودل عليه أنه محدود مخلوق.

وقد عظم هؤلاء الجهلة بقولهم في القرآن الثلم في دينهم والجرح في أمانتهم وسهلوا السبيل لعدو الإسلام واعترفوا بالتبديل والإلحاد على قلوبهم حتى عرفوا

(١) سورة البروج، الآيات (٢١، ٢٢).

(٢) سورة القيامة، الآية (١٦).

(٣) سورة الأنبياء، الآية (٢).

(٤) سورة الانعام، الآية (٢١).

(٥) سورة الانعام، الآية (٩١).

(٦) سورة الانعام، الآية (٩١).

(٧) سورة يوسف، الآية (٣).

(٨) سورة الإسراء، الآية (٨٨).

(٩) سورة هود، الآية (١٣).

(١٠) سورة فصلت، الآية (٤٢).

ووصفوا خلق الله وفعله بالصفة التي هي لله وحده، وشبهوه به والاشتباه أولى بخلقه، وليس يرى أمير المؤمنين لمن قال بهذه المقالة حظاً في الدين، ولا نصيباً من الإيمان واليقين، ولا يرى أن يحل أحداً منهم محل الثقة في أمانة ولا عدالة ولا شهادة ولا صدق في قول ولا حكاية ولا تولية لشيء من أمر الرعية، وإن ظهر قصد بعضهم، وعرف بالسداد مسدد فيهم فإن الفروع مردودة إلى أصولها ومحمولة في الحمد والذم عليها ومن كان جاهلاً بأمر دينه الذي أمره الله به من وحدانيته فهو بما سواه أعظم وأجهل وعن الرشيد في غيره أعمى وأضل سبيلاً فأقرا على جعفر بن عيسى، وعبد الرحمن بن إسحاق القاضي كتاب أمير المؤمنين بما كتب إليك وأنصصها عن علمها في القرآن وأعلمها إن أمير المؤمنين لا يستعين على شيء من أمور المسلمين إلا بمن وثق بإخلاصه وتوحيده، وإنه لا توحيد لمن لم يقر بأن القرآن مخلوق، فإن قالوا بقول أمير المؤمنين في ذلك فتقدم إليهما في امتحان من يحضر مجالسهما بالشهادات على الحقوق ونصهم عن قولهم في القرآن، فمن لم يقل منهم انه مخلوق أبطلاً شهادته ولم يقطعاً حكماً بقوله، وإن ثبت عفافه بالقصد والسداد في أمره، وافعل ذلك بمن في سائر عملك من القضاة، واشرف عليهم إشرافاً يزيد الله به البصيرة في بصيرته ويمنع المرتاب من إغفال دينه، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون منك في ذلك^(١).

على اثر كتاب المأمون الثالث، استدعى إسحاق أغلب الفقهاء والمحدثين للامتحان الثاني في داره، وكان بينهم أحمد بن حنبل الذي رد على إسحاق حين امتحنه بخلق القرآن قائلاً: هو كلام الله لا أزيد عليها، بعد أن أبى أكثر المحدثين القول بالخلق، الأمر الذي دعا إسحاق بن إبراهيم أن يكتب إلى المأمون كتاباً فصل

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٣٩؛ باتون، أحمد بن حنبل والمحنة، ص ١١٥.

فيه ردود القوم وما أجابوا به وذلك في جمادي الآخرة من عام ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م^(١). وبعد تسعة أيام وصل كتاب المأمون الرابع للرد على من رفض القول بخلق القرآن، وقد تضمن تطورات خطيرة في مسار المحنة، حيث أمر نائبه بإعادة امتحان المحدثين واستتابتهم، فمن تاب منهم أشهر أمره، وأن يرسل إليه كل من لا يقر بخلق القرآن إلى معسكره مقيداً بالأصفاد ليمتحنهم بنفسه، باستثناء اثنين منهم فقد أمر أن تضرب أعناقهم وتبعث رؤوسهم مع الآخرين إن لم يتوبا ويتراجعا عن موقفهما، لأنه -أي المأمون- عدّهما من المرتدين حيث كانا قد أفصحاه بالموافقة والإقرار على مقولته بالخلق سراً، وتبع المأمون عورات المحدثين وظهر زلاتهم وسقطاتهم رجلاً رجلاً^(٢)، فقد جاء في الكتاب الرابع ما نصه:

أما بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك جواب كتابه كان إليك فيما ذهب إليه متصنعة أهل القبلة وملتمسو الرئاسة فيمن ليسواله بأهل من أهل الملة في القول في القرآن، وأمر بك به أمير المؤمنين من امتحانهم وتكشيف أحوالهم وإحلالهم محالهم، تذكر إحضارك جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن إسحاق عند ورود كتاب أمير المؤمنين مع من أحضرت ممن كان ينسب إلى الفقه ويعرف بالجلوس للحديث وينصب نفسه للفتيا بمدينة السلام، وقراءتك عليهم جميعاً كتاب أمير المؤمنين ومسألتك إياهم عن اعتقادهم في القرآن والدلالة لهم على حظهم وإطباقهم على نفي التشبيه واختلافهم في القرآن، وأمر بك من لم يقل منهم انه مخلوق بالإمساك عن الحديث والفتوى في السر والعلانية، وتقدمك إلى السندي وعباس مولى أمير المؤمنين بما تقدمت به فيهم إلى القاضيين بمثل ما مثل لك أمير المؤمنين من

(١) الطبري، المصدر نفسه، ج ٨، ص ٦٣٨؛ ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٩٤؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢، ص ٤٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٣٩؛ باتون، أحمد بن حنبل والمحنة، ص ١١٥.

امتحان من يحضر مجالسهما من الشهود، وبث الكتب إلى القضاة في النواحي من عملك بالقدوم عليك لتحملهم وتمتحنهم على ما حده أمير المؤمنين، وتثبيتك في آخر الكتاب أسماء من حضر ومقالاتهم، وفهم أمير المؤمنين ما اقتضت، وأمير المؤمنين يحمد الله كثيرا كما هو أهله ويسأله أن يصلي على عبده ورسوله محمد ﷺ، ويرغب إلى الله في التوفيق لطاعته وحسن المعونة على صالح نيته برحمته، وقد تدبر أمير المؤمنين ما كتبت به من أسماء من سألت عن القرآن وما رجع إليك فيه كل امرئ منهم وما شرحت من مقالاتهم^(١).

فأما ما قال المغرور بشر بن الوليد في نفي التشبيه وما أمسك عنه من أن القرآن مخلوق وادعى من تركه الكلام في ذلك واستعهاد أمير المؤمنين، فقد كذب بشر في ذلك وكفر وقال الزور والمنكر ولم يكن جرى بين أمير المؤمنين وبينه في ذلك ولا في غيره عهد ولا نظر أكثر من إخباره أمير المؤمنين من اعتقاده كلمة الإخلاص والقول بأن القرآن مخلوق فادع به إليك وأعلمه ما أعلمك به أمير المؤمنين من ذلك، وأنصصه عن قوله في القرآن واستتبه منه فإن أمير المؤمنين يرى أن تستتيب من قال بمقالته، إذ كانت تلك المقالة الكفر الصراح والشرك المحض عند أمير المؤمنين، فإن تاب منها فأشهر أمره وأمسك عنه وإن أصر على شركه ودفع أن يكون القرآن مخلوقا بكفره وإلحاده فاضرب عنقه وابعث إلى أمير المؤمنين برأسه، إن شاء الله. وكذلك إبراهيم بن المهدي فامتحنه بمثل ما تمتحن به بشرا، فإنه كان يقول بقوله، وقد بلغت أمير المؤمنين عنه بوالغ فإن قال: إن القرآن مخلوق فأشهر أمره واكشفه وإلا فاضرب عنقه وابعث إلى أمير المؤمنين برأسه، إن شاء الله. وأما علي بن أبي مقاتل، فقل له ألسنت القائل لأمر المؤمنين:

(١) الطبري، المصدر نفسه، ج ٨، ص ٦٣٩؛ باتون، المرجع نفسه، ص ١١٥.

انك تحلل وتحرم، والمكلم له بمثل ما كلمته به مما لم يذهب إلى ذكره! وأما الذيال ابن الهيثم، فأعلمه أنه كان في الطعام الذي كان يسرقه في الانبار وفيما يستولي عليه من أمر مدينة أمير المؤمنين أبي العباس ما يشغله وانه لو كان مقتفيا أثار سلفه وسالكا مناهجهم ومحتذيا سبيلهم لما خرج إلى الشرك بعد إيمانه. وأما أحمد بن يزيد المعروف بأبي العوام، وقوله انه لا يحسن الجواب في القرآن، فأعلمه إنه صبي في عقله لا في سنه، جاهل، وإنه إن كان لا يحسن الجواب في القرآن فسيحسنه إذا أخذه التأديب ثم إن لم يفعل كان السيف من وراء ذلك، إن شاء الله. وأما أحمد ابن حنبل وما تكتب عنه، فأعلمه أن أمير المؤمنين قد عرف فحوى تلك المقالة وسبيله فيها، واستدل على جهله وافته بها^(١). وأما الفضل بن غانم، فأعلمه انه لم يخفَ على أمير المؤمنين ما كان منه بمصر وما اكتسب من الأموال في اقل من سنة وما شجر بينه وبين المطلب بن عبد الله في ذلك، فإنه من كان شأنه شأنه وكانت رغبته في الدينار والدرهم رغبته، فليس بمستنكر أن يبيع إيمانه طمعا فيهما، وإيثارا لعاجل نفعهما، وانه مع ذلك القائل لعلي بن هشام ما قال، والمخالف له فيما خالفه فيه، فما الذي حال به عن نقله إلى غيره. واما الزيادي، فأعلمه أنه كان منتحلا ولا كأول دعي كان في الإسلام خوالف فيه حكم رسول الله ﷺ وكان جديرا أن يسلك مسلكه، فأنكر أبو حسان أن يكون مولى لزياد او يكون مولى لأحد من الناس، وذكر انه إنما نسب إلى زياد لأمر من الأمور. وأما الفضل بن الفرخان، فأعلمه أنه حاول بالقول الذي قاله في القرآن اخذ الودائع التي أودعها إياه عبد الرحمن بن إسحاق وغيره تربصا بمن استودعه وطمعا في الاستكثار لما صار في يده، ولا سبيل عليه عن تقادم عهده وتطاول الأيام به، فقل لعبد الرحمن ابن إسحاق: لا جزاك الله خيرا عن تقويتك مثل هذا وائتمانك إياه، وهو معتقد

(١) الطبري، تاريخ، ج ٨، ص ٦٤١؛ باتون، أحمد بن حنبل والمحنة، ص ١١٧.

لشرك منسلخ من التوحيد. وأما محمد بن حاتم وابن نوح والمعروف بأبي معمر، فأعلمهما أنهم مشاغل بأكل الربا عن الوقوف على التوحيد، وأن أمير المؤمنين لو لم يستحل محاربتهم في الله ومجاهدتهم إلا لإربائهم وما نزل به كتاب الله في أمثالهم لا ستحل ذلك فكيف بهم وقد جمعوا مع الإرباء شركا، وصار للنصارى مثالا.

وأما أحمد بن شجاع، فأعلمه أنك صاحبه بالأمس والمستخرج منه ما استخرجته من المال الذي كان استحلّه من مال علي بن هشام، وأنه ممن الدينار والدرهم دينه.

وأما بسعدويه الواسطي، فقل له: قبح الله رجلا بلغ به التصنع للحديث والتزين به والحرص على طلب الرئاسة فيه أن يتمنى وقت المحنة فيقول بالتقرب بها متى يمتحن فيجلس للحديث.

وإما المعروف بسجادة، وإنكاره أن يكون سمع ممن كان يجالس من أهل الحديث وأهل الفقه بأن القرآن مخلوق، فأعلمه أنه في شغله بإعداد النوى وحكه لإصلاح سجادته وبالودائع التي دفعها إليه علي بن يحيى وغيره ما أذهله عن التوحيد وأهله، ثم سله عما كان يوسف بن أبي يوسف ومحمد بن الحسن يقولانه، إن كان شاهدهما وجالسهما.

وأما القواريري، ففيما تكشف من أحواله وقبوله الرشا والمصانعات ما أبان عن مذهبه وسوء طريقته وسخافة عقله ودينه، وقد انتهى أمير المؤمنين أنه يتولى لجعفر بن عيسى الحسنى مسائله فتقدم إلى جعفر بن عيسى في رفضه وترك الثقة به والاستئمان إليه. وأما يحيى بن عبد الرحمن العمري فإن كان من ولد عمر بن الخطاب فجوابه معروف. وأما محمد بن الحسن بن علي بن عاصم، فإنه لو كان مقتديا بمن مضى من سلفه لم ينتحل النحلة التي حكيت عنه، وأنه بعد صبي يحتاج إلى تعلم.

وقد كان أمير المؤمنين وجّه إليك المعروف بأبي مسهر بعد أن نصه أمير المؤمنين عن محنته في القرآن، فأحجم عنها وجلج فيها حتى دعا له أمير المؤمنين بالسيف فأقرّ ذمياً، فأنصصه عن إقراره فإن كان مقيماً عليه فأشهر ذلك وأظهره، إن شاء الله.

ومن لم يرجع عن شركه ممن سميت لأمر المؤمنين في كتابك وذكره أمير المؤمنين لك أو أمسك عن ذكره في كتابه هذا ولم يقل إن القرآن مخلوق بعد بشر ابن الوليد وإبراهيم بن المهدي فاحملهم أجمعين موثقين إلى عسكر أمير المؤمنين ويسلمهم إلى من يؤمن بتسليمهم إليه لينصهم أمير المؤمنين، فإن لم يرجعوا ويتوبوا حملهم جميعاً على السيف، إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله^(١).

يبدو واضحاً إن المأمون كان منزعاً من امتناع المحدثين بالقول بخلق القرآن، وإنه أراد بعمله هذا أن يحمل المحدثين على القول بخلق القرآن حتى تتبع العامة أقوالهم لتأثيرهم الديني عليهم، فعزل ذلك الامتناع بسبب جهل المحدثين وعدم تدنيهم، فضلاً عن أنهم استغلوا بعده عنهم وعدم إشرافه على امتحانهم بنفسه، لذلك فقد أنفذ المأمون كتابه هذا معجلاً به إذ لم ينتظر اجتماع البريد، طالباً إرسال من يمتنع عن القول بخلق القرآن إليه^(٢).

جمع إسحاق بن إبراهيم المحدثين، وكانوا نحو ثلاثين محدثاً، ولما قرأ على أسماءهم كتاب المأمون وما جاء به من الرد الشديد والفاضح لهم، أجاب المحدثون كافة إلا أربعة منهم: أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح المضروب^(٣)،

(١) الطبري، تاريخ، ج ٨، ص ٦٤٢-٦٤٤؛ باتون، أحمد بن حنبل والمحنة، ص ١١٩-١٢٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٤٥؛ باتون، أحمد بن حنبل والمحنة، ص ١٢٥.

(٣) محمد بن نوح المضروب بن ميمون الجنديسابوري الإمام الحافظ الثبت حدث بدمشق، مات سنة ٢١٨ هـ أثناء عودته إلى بغداد في مدينة عانة وصلى عليه أحمد بن حنبل. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٣٤.

والحسن ابن حماد المعروف ب(سجادة)^(١)، وعبيد الله بن عمر القواريري^(٢)، وبعد أن أعيد الامتحان على هؤلاء الأربعة في يومين متتاليين أجاب في اليوم الثاني سجادة ثم أجابهم في اليوم الثالث القواريري، فيما بقي ابن حنبل وابن نوح على موقفهما، فأرسلوا موثقين إلى معسكر المأمون في طرسوس وبرفقتهما كتابان: الأول يتعلق بشأنيهما، والثاني خاص بالذين أجابوا بخلق القرآن من المحدثين^(٣).

وقد أشاع البعض في بغداد تبريرا للمحدثين الذين قالوا بخلق القرآن، بأن إجاباتهم كانت تقية السلطان من بطشه، استناداً إلى الرخصة التي أجازها القرآن لمن أكره وقلبه مطمئن بالإيمان، فعاد إسحاق بن إبراهيم الكتابة إلى المأمون ليخبره بتأويل القوم فيما أجابوا إليه محتجين بأن قضيتهم مماثلة لقضية عمار بن ياسر^(٤)، لما أجبره مشركو قريش على النيل من النبي ﷺ، وذكر آهتهم بخير، ففعل ذلك بلسانه ولما عوتب من قبل المسلمين على ذلك أنزل الله تعالى فيه آية تجوز فعل عمار بن ياسر، وتستثني من تتعرض حياته للخطر ان يظهر الشرك ويبطن الإيمان، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(٥). وحسباً لهذه القضية المثارة أمر المأمون بإرسالهم جميعاً إليه وهذا هو الكتاب الخامس والأخير للمأمون في هذه القضية، حيث قال فيه: لقد أخطأ التأويل، إنما عنى الله عز وجل بهذه الآية من كان معتقداً الإيمان مظهر الشرك، فأما من كان معتقداً الشرك مظهر الإيمان

(١) الحسن بن حماد بن كسيب الحضرمي البغدادي المعروف بسجادة من محدثي بغداد توفي سنة ٢٤١ هـ. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٧، ص ٢٩٥.

(٢) عبد الله بن عمر بن ميسرة القواريري نزيل بغداد ولد سنة ١٥٢ هـ وتوفي في بغداد سنة ٢٣٥ هـ. ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٤٤٢.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٤٥؛ باتون، أحمد بن حنبل والمحنة، ص ١٢٦.

(٤) الطبري، المصدر نفسه، ج ٨، ص ٦٤٥؛ باتون، المرجع نفسه، ص ١٢٦.

(٥) سورة النحل، الآية (١٠٦).

فليس هذه له^(١).

والغريب إن الفقهاء والمحدثين كانوا ينكرون على من يعمل بالتقية خوفاً من الضرر الديني والدينيوي، ولكن ما إن مسهم الإكراه من السلطات، حتى اقرروا بها، باعتبارها تشريعاً إسلامياً صريحاً أقرها الكتاب كما أقرتها السنة النبوية^(٢). علماً إن إقرارهم للتقية كان لدفع الحرج الاجتماعي بعد أن اهتزت مكانة المحدثين عند أهل بغداد، ولم يكن ذلك الإقرار بوازع ديني صرف.

تنفيذا لأمر المأمون في كتابه الخامس أرسل إسحاق بن إبراهيم واحداً وعشرين محدثاً من بغداد في اثر أحمد بن حنبل ورفيقة محمد بن نوح، كانوا ممن رجع عن القول بخلق القرآن وتأول آية التقية في إقراره لما امتحن^(٣)، فبلغهم خبر موت المأمون وهم في الطريق إليه وذلك في رجب سنة ٢١٨ هـ ٨٣٣ م فأعيدوا جميعهم إلى بغداد وفي طريق العودة توفي محمد بن نوح فصلى عليه ابن حنبل، فأخلي سبيلهم، باستثناء أحمد بن حنبل الذي أودع في السجن ريثما تتم البيعة للمعتصم خلفاً للمأمون ولا نعلم لماذا استثنى أحمد بن حنبل دوناً عن باقي أقرانه من المحدثين^(٤)، علماً أن عفان بن مسلم^(٥) كان ممن ثبت في الامتحان فامتنع عن القول بخلق القرآن، إلا أن المأمون اكتفى بقطع الرزق عنه، حيث كان يتقاضى ألف درهم في كل شهر، ولم يطلب من صاحب شرطته إرساله إليه، ولم

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٤٥؛ باتون، أحمد بن حنبل والمحنة، ص ١٢٦.

(٢) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١١٢.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨-٦٤٦؛ باتون، أحمد بن حنبل والمحنة، ص ١٢٨.

(٤) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٥؛ ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣١٤؛

الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ٣٦٥؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢، ص ٤٣؛ ابن

تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٢٢٢.

(٥) عفان بن مسلم بن عبد الله الصفار، أبو عثمان البصري، ترجم له في ص ٤٩.

يأمره بسجنه^(١).

من خلال الروايات الواردة في شأن علاقة المحدثين بالمأمون، نجد انه استخدم معهم سياسة الفضح والتهديد بقطع الأرزاق عنهم، لحملهم على القول بخلق القرآن، ولم يطبق سياسة السجن أو القتل مع احد من المحدثين، لأنه لم يشأ إن يختلف الناس وتكون فتنة^(٢).

يميل أبو زهرة^(٣) إلى تبرئة المأمون من أوزار المحنة ونسبتها إلى بطانته بزعم أن المأمون كان في تلك الحقبة مريضاً، وانه يتسامى عما تحتويه الكتب التي بعثها من الطعن بالفقهاء والمحدثين، مشيراً إلى أنها من إنشاء ابن أبي داود.

لقد كان لأحمد بن أبي داود دور في التأثير على المأمون وإقناعه بعقيدة الاعتزال^(٤). ولكن من المستبعد أن يكون هو الذي أعد كتب المأمون الخاصة بالمحنة ذلك لأن المأمون كان في تلك الفترة سليماً معافى وأنه امتحن بنفسه المحدثين السبعة الذين اشخصوا إليه بعد الكتاب الأول، ومن جهة أخرى لم يكن المأمون بحاجة إلى أن يستعين بقاضي قضاته ليكتب له الكتب لما عرف عنه من الثقافة والعلم، ومن جهة ثالثة إن ذكر معاييب الفقهاء والمحدثين من اختلاس الودائع وأكل الربا وخساسة المتجر وادعاء العلم، هذه المعلومات كانت تستقى من جهاز خاص للإخبار ارتباطه مباشر بالخلفاء، وكان يشرف عليه موظف كبير يسمى (صاحب الخبر) يتحسس أخبار الناس ويستكشف دخائلهم مستعيناً بمختلف الأعوان من

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٢٦٩؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢، ص ٤٢.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ٦٣١؛ باتون، أحمد بن حنبل والمحنة، ص ٩٦.

(٣) ابن حنبل حياته وعصره، ص ٥١-٥٢.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٥١؛ أمين، ضحى الإسلام، ج ٣، ص ١٦٥.

الرجال والنساء^(١).

ب/ المحنة في عهد المعتصم العباسي (٢١٨ - ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ - ٨٤١ م):

في غرة شهر رمضان من عام ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م دخل المعتصم إلى بغداد بعد مبايعته للخلافة، وقد عمل بوصية أخيه المأمون في حمل الناس على القول بخلق القرآن، وتقريب المعتزلة، وأن يعتمد على مشورة أحمد بن أبي داود في ذلك^(٢). على أن أهم وقائع المحنة في عهد المعتصم كانت محنة أحمد بن حنبل، حيث يروى إن ابن حنبل ظل محبوساً من آخر عهد المأمون إلى بداية عهد المعتصم وقد لبث في سجنه مدة ثمانية وعشرين شهراً، بعدها امتحن وضرب ثمانية وثلاثين سوطاً^(٣)، وفي تقديرنا إن أحمد بن حنبل قضى في السجن ثلاثون يوماً ثم اخلي سبيله بعد ما امتحن، وإن تحريفاً لحق بالأرقام والتواريخ في وقت لاحق، إذ إن من الثابت أن محنة أحمد بن حنبل بدأت في عهد المعتصم في شهر رمضان من عام ٢١٨ هـ.

ولكن بعضهم عدَّ بدايتها في رمضان سنة ٢٢٠ هـ^(٤)، ويذكر باتون إن ابن حنبل امتحن على يد أحمد بن أبي داود في عهد المعتصم في شهر رمضان من العام

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦١٩؛ البيهقي: إبراهيم بن محمد (ت: ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م): المحاسن والمساوي، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٠ م)، ج ١، ص ١١٥؛ ابن الطقطقي: محمد بن علي ابن طباطبا (ت: ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م): الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٦ م)، ص ٢١٦.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٥٠؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٤، ص ١٤٢.
(٣) أبو الفضل، سيرة الإمام أحمد بن حنبل، ص ٥١؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٦١؛ أبو نعيم، حلية الأولياء، ج ٩، ص ١٩٧؛ ابن الجوزي، مناقب، ص ٣٣١ - ٣٣٤؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٦٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٢٤٥.

(٤) العليمي، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، ج ١، ص ٣٣؛ نوري، موفق سالم، أحمد ابن حنبل وعلاقته بالسلطة العباسية (إشكالية الفقيه والسلطان)، جامعة الموصل، مجلة كلية الآداب، العدد (٢٥)، لسنة ٢٠٠٨ م، ص ٩.

٢١٨هـ، في ثلاثة أيام متتالية عقدت خلالها جلسات مداولة خاصة تلت الامتحان جمعت بين أحمد بن حنبل والخليفة المعتصم وأحمد بن أبي داود، ثم أطلق سراحه^(١) وتعددت الأقوال حول إطلاق سراح أحمد بن حنبل رغم رفضه القول بخلق القرآن وعدم انصياعه لرغبة السلطان، ويرجح البعض السبب هو رافة المعتصم به وإعجابه بثباته على موقفه وخشيته من إثارة العامة التي تجمعت حول قصره غاضبة^(٢)، في حين أفادت رواية أخرى عدم جدوى الاستمرار في امتحانه وحبسه وإن قتله سيحوّله إلى رمز من رموز العامة حسب ما رأى أحمد بن أبي داود الذي نصح الخليفة بإطلاق سراحه لأن وفاته قريبة^(٣)، بينما تقول رواية أخرى بأن أحمد بن داود من أشد المحرضين للمعتصم على قتل أحمد بن حنبل^(٤)، بيد أن كل ما ورد من مبررات في إطلاق سراح أحمد بن حنبل، تنتقض عندما نرى تشدد المعتصم مع المحدث نعيم بن حماد^(٥) الذي احضر من مصر وامتحن في خلق القرآن، فامتنع عن القول فحبسه المعتصم مدة عشر سنوات إلى أن مات في سجنه، والحقيقة إن رواية محنة أحمد بن حنبل أرادوا أن يجعلوا منه بطلاً فردياً، فأغمضوا عن كل من صمد في المحنة غيره رغم أن جميع من أصر على عدم القول بخلق القرآن قد قضى نحبه.

(١) أحمد بن حنبل والمحنة، ص ١٤٧-١٤٩.

(٢) ابن الجوزي، مناقب، ص ٣٤٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١١ ص ٢٤٧.

(٣) أبو نعيم الاصبهاني، حلية الأولياء، ج ٩، ص ٢٠٦.

(٤) العليمي، المنهج الأحمد، ج ١، ص ٣٣.

(٥) نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث، أبو عبد الله الخزاعي المروزي الأعور، قال عنه أحمد بن حنبل هو أول من عرفناه يكتب المسند، أودع في سجن المطبق بسامراء لعدم قوله بخلق القرآن مدة عشر سنوات، إلى أن مات فيه في خلافة الواثق سنة ٢٢٩ هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٥٩٥-٦١٢.

لذلك جاءت روايات المعاصرين لمحنة ابن حنبل تختلف عما روى عنه المتأخرون من المؤرخين، فقد هوّن الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)^(١)، من أمر المحنة وما لحق أحمد بن حنبل فيها من أذى مؤكداً بأنه أقر بخلق القرآن، والجاحظ كما هو معروف معاصر لأحمد بن حنبل، فقد جاء في معرض كلامه مخاطبا الحنابلة الذين لم يردوا عليه قائلاً: (...) وقد كان صاحبكم هذا -يعني أحمد بن حنبل- يقول: لا تقية إلا في دار الشرك، فلو كان ما أقر به من خلق القرآن كان منه على وجه التقية، فقد اعمل التقية في دار الإسلام وقد اكذب نفسه، وإن كان ما أقر به على الصحة فلستم منه وليس منكم، على أنه لم ير سيفاً مشهوراً، ولا ضرب ضرباً كثيراً، ولا ضرب إلا ثلاثين سوطاً مقطوعة الشار مشعبة الأطراف، حتى أفصح بالإقرار مراراً...).

وكذلك أورد اليعقوبي (ت: ٢٩٢هـ / ٩٠٤م)^(٢) المؤرخ المعاصر لأحمد بن حنبل رواية أخرى أشارت إلى أن إسحاق بن إبراهيم قد أفلح في حمل أحمد بن حنبل على القول بخلق القرآن، يقول فيها: وامتنحن المعتصم أحمد بن حنبل في خلق القرآن، فقال أحمد: أنا رجل علمت علماً ولم اعلم فيه هذا، فأحضر له الفقهاء وناظره عبد الرحمن بن إسحاق وغيره فامتنع أن يقول إن القرآن مخلوق، فضرب عدة سياط، فقال إسحاق بن إبراهيم: ولّني يا أمير المؤمنين مناظرته، فقال: شأنك به، فقال إسحاق هذا العلم الذي علمته نزل عليك ملك أو علمته من الرجال؟ قال: بل علمته من الرجال، قال شيئاً بعد شيء أو جملة؟ قال: علمته شيئاً بعد شيء، قال فبقي عليك شيء لم تعلمه؟ قال: بقي عليّ، قال: فهذا مما لم تعلمه وقد علمكه أمير المؤمنين، قال: فإني أقول ما يقول أمير المؤمنين، قال: في

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: ٢٥٥هـ / ٨٦٨م): رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٩٦٤م)، ج ٣، ص ٢٩٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤٧٢.

خلق القرآن؟ قال: في خلق القرآن، فأشهد عليه وأخلع عليه وأطلق سراحه.
وبعد إخلاء سبيل أحمد بن حنبل مكث يحدث ويدرس في المسجد حتى مات
المعتصم^(١).

ج/ المحنة في عهد الخليفة الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ / ٨٤١ - ٨٤٦ م):

تولى بعد المعتصم ابنه هارون الواثق، فتشدد بامتحان المحدثين بخلق القرآن،
فقد كتب إلى ولاته في سائر الولايات والثغور بأن يمتحنوا العلماء، وأن لا يجيزوا
شهادة أحد منهم إلا من يقول بخلق القرآن^(٢)، وبلغ الواثق في التشدد ما لم يبلغه
سلفه المعتصم والمأمون، فقد قتل أحمد بن نصر الخزاعي^(٣) بيده وعلق رأسه
في بغداد لمدة ست سنوات لامتناعه عن القول بمقالة الخلق^(٤)، وحمل يوسف
البويطي^(٥) من مصر إلى العراق للامتحان، ولما امتنع عن القول بخلق القرآن، زج
به في السجن إلى أن مات^(٦)، كما مات أيضاً في عهده نعيم بن حماد في سجنه، وأمر
بضرب أعناق أربعة نفر من أهل الثغور لم يقرروا بالقول بخلق القرآن^(٧)، وترك

(١) ابن حنبل، ذكر محنة الإمام أحمد، ص ٧٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٤٨٩.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٠٧؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٧٥.

(٣) أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي شغل أبوه وجده المناصب العليا في الدولة العباسية،
وهو من تلاميذ مالك بن انس قتل سنة ٢٣١ هـ بيد الواثق وعلق رأسه بسبب محاولته تأجيج
الفتنة ضد الواثق ولكن لم يسأله الواثق إلا عن خلق القرآن فلما أبى القول قتله. ينظر: الذهبي،
سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ١٦٦.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ١٣٥؛ باتون، أحمد بن حنبل والمحنة، ص ١٦٣.

(٥) هو أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي، وبويط قرية في صعيد مصر في أسوط، وهو صاحب
الإمام الشافعي، كان فقيهاً ومحدثاً، توفي في السجن لامتناعه عن القول بخلق القرآن، سنة ٢٣١ هـ.
ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٢٩٩-٣٠٤.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٣٠٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٣٠٨.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ١٤١.

الأسرى بيد الروم ممن لم يقر بخلق القرآن في أثناء عملية الفداء التي تمت سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٥م^(١) إلا أن الواثق لم يتعرض لأحمد بن حنبل لامتحانه مجدداً، ولكنه أرسل إليه يقول: لا تساكني بأرض^(٢)، فانقطع أحمد بن حنبل عن التحديث، ثم أثر الاختفاء في الأيام الأولى من خلافة الواثق، لكنه عاد فلزم داره ولم يخرج منها^(٣)، ويروى أن الواثق سأله أن يجعل المعتصم في حل من ضربه له، فرد عليه أحمد قائلاً: انه قد فعل ذلك منذ أن أطلق وخلي سبيله^(٤).

بذلك يكون كل من رفض القول بخلق القرآن قد تعرضوا لسلط الخلفاء العباسيين إما سجنًا أو قتلاً أو إقصاءً وقطع الأرزاق، باستثناء أحمد بن حنبل، وهذا الأمر يوحى لنا بأن ابن حنبل قد اقر بخلق القرآن لذلك نجا من الموت، وربما كان ثمة اتفاق مع المعتصم العباسي وأحمد بن حنبل لحفظ ماء الوجه بعدما شاع خبر امتناعه بين الناس فأقر للمعتصم بخلق القرآن سراً، وضرب ضرباً خفيفاً وقد علم الواثق بذلك الاتفاق فبعث إلى ابن حنبل ليخفي نفسه في داره. لقد بالغ المؤرخون في ثبات أحمد في المحنة وأهملوا من قتل على مبدأه إهمالاً كاملاً لاعتبارات سياسية لأن المتوكل كان قد قرب أحمد بن حنبل إليه، وخوفاً من عصا الحنابلة الذين استبدوا كثيراً بعد انفراج المحنة، فيما وجد أهل الحديث ضالتهم في أحمد بن حنبل فانهالوا عليه بأنواع الأحاديث المبالغ فيها^(٥).

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٠٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ١٤٢.

(٢) ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٤٨.

(٣) ابن حنبل، ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل، ص ٧٠؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ١٨؛ ابن الجوزي، مناقب، ص ٣٤٤.

(٤) ابن الجوزي، مناقب، ص ٣٤٤.

(٥) الكوراني، الإمام علي الهادي عليه السلام، ص ٢٠٠، طرايشي، جورج، من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث (النشأة المستأنفة)، ط ١، دار الساقبي، (بيروت، ٢٠١٠م)، ص ٤٩٣.

د/ نهاية المحنة في خلافة المتوكل (٢٣٢- ٢٤٧هـ/ ٨٤٦- ٨٦١م):

بانتقال الخلافة إلى المتوكل العباسي بدأت مرحلة جديدة مختلفة بكل معطياتها عن المرحلة السابقة، فقد احتاج المتوكل إلى تأييد ودعم شعبيين، الأمر الذي يتطلب استرضاء الجمهور وذلك عن طريق إقصاء المعتزلة ومقولاتهم ليحل محلهم أهل الحديث، وعلى اثر هذه السياسة الجديدة للدولة تم رفع المحنة وإبطال القول بخلق القرآن وإطلاق سراح من سجن لرفضه مشايعة المعتزلة في مقولاتهم بالخلق كان ذلك في سنة ٢٣٤هـ / ٨٤٨م^(١)، مما أتاح لأحمد بن حنبل العودة إلى مجالس التحديث مرة أخرى، ويبدو انه كان شغوفاً بذلك لاسيما وأنه قد نال شهرة كبيرة بعد المحنة ارتبطت بانتصار المحدثين وأقول نجم المعتزلة فأحيط ابن حنبل بالكثير من الاحترام والتقدير من الخاصة والعامة^(٢) ما لبث أن تحول إلى مبالغات وغلو في شخصه، مما أسهم في تكوين تيار سياسي وفكري كشف عن فعاليته في أحداث لاحقة^(٣).

ففي سنة ٢٣٧هـ / ٨٥١م استقدم المتوكل العباسي أحمد بن حنبل إلى سامراء على اثر وشاية بأحمد مفادها انه يأوي ثائراً علوياً في بيته، وبالرغم من طلب أحمد بن حنبل إعفائه من السفر إلى سامراء لكبر سنه إلا انه لم يعف^(٤).

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٠٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ١٨٨؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٩١.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ٢٥١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٤٩٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٣٣٧.

(٣) الكثيري، السلفية بين أهل السنة والإمامية، ص ١٣٨؛ طرايشي، من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث، ص ٤٩٣.

(٤) أبو نعيم الاصبهاني، حلية الأولياء، ج ٩، ص ٢٠٦-٢٠٨؛ ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٥٩.

ولم تقدم لنا المصادر تفاصيل عن هذه الزيارة التي استغرقت ستة عشر يوماً بعدها عاد أحمد إلى بغداد، سوى لقاء أحمد بالمعتز ابن المتوكل وإكرام المتوكل لأحمد بالاحترام والعطايا والهدايا والخلع وأقام له مادبه طعام وأجرى لأبناء أحمد عطاء شهرياً مقداره أربعة آلاف درهم شهرياً، وخلال هذه السفرة أمر المتوكل بإنزال رأس أحمد بن نصر المعلق ببغداد منذ أيام الواثق ودفنه مع جسده^(١).

إلا إن نتائج هذا اللقاء كانت كبيرة جداً فقد عقدت زعامة أهل الحديث لأحمد ابن حنبل، واتخاذ قراراً ألا يحدث بعد حديثاً واحداً تاماً، ثم أصبح أحمد بن حنبل مستشاراً للمتوكل، فكان لا يولي أحداً من القضاة إلا بعد مشورته^(٢).

إن حوادث المحنة أحيطت بالكثير من الغموض والتناقض بسبب تحامل الخصوم ومغالة الأنصار، وإن البحث في تاريخ أئمة المذاهب الإسلامية يقتضي وجوب التفرقة بين إمام المذهب وأتباعه فقد ينحوا الأتباع نحواً يخالفون فيه إمامهم في الكثير من المسائل، فضلاً عن خضوع مسألة خلق القرآن إلى ما يتعلق برد الفعل باتجاهين:

الاتجاه الأول: يتماشى مع رغبة السلطان، فإننا نجد أحمد بن حنبل يسمي المعتصم ب (أمير المؤمنين) بالرغم من انه امتحنه وضربه بالسياط، وكذلك يدعو المتوكل باللقب نفسه ولم يكن المتوكل من أهل العلم ولا أفضل أهل زمانه^(٣).

الاتجاه الثاني: يتقاطع مع الخصوم فقد قال أحمد بن حنبل في بداية المحنة:

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ١٩٠؛ ابن الجوزي، مناقب، ص ٣٦٨.

(٢) وكيع، محمد بن خلف بن حيان (ت: ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م): أخبار القضاة، عالم الكتب، (بيروت، د. ت)، ج ٢، ص ١٦١؛ ابن الجوزي، مناقب، ص ٣٦٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٩٣.

(٣) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة ج ١، ص ١٤٤؛ ابن الجوزي، مناقب، ص ٢٧٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٤٦٤؛ صبحي، في علم الكلام، ص ١٣٢-١٣٣.

إن القرآن كلام الله لا أزيد على ذلك، فلما قالت المعتزلة انه مخلوق زاد في عقيدته بقوله: إن القرآن غير مخلوق، ولما سئل عن ذلك قال لما زادوا زدنا، وبعد الانقلاب المتوكلي عرض أحمد بن حنبل المعتزلة على السيف للاستتابة وإلا ضربت أعناقهم لكفرهم وخروجهم على الملة الإسلامية^(١).

ويمكن القول بأن المبدأ الذي فرض نفسه منذ بداية المحنة وما بعدها هو: إن الناس لا خيار لها إلا أن تكون على دين ملوكها، لذلك أصبح الامتحان الديني أداة سياسية في يد الخلافة العباسية لإظهار من يدينون بالطاعة والولاء للخليفة العباسي، كي يسهل القضاء على من يخرج على طاعتهم بعد انكشاف أمره في الامتحان^(٢).

هـ/ موقف أئمة أهل البيت - عليهم السلام - من خلق القرآن:

لا بد لنا من معرفة موقف المعصوم عليه السلام من ذلك الجدل الفكري والصراع العقدي والآراء المتضاربة حول مقولة خلق القرآن، ولا سيما المعاصرين لأحداث المحنة ليتسنى لنا معرفة الرأي الصواب في مسألة خلق القرآن.

فقد ورد عن أحد أتباع أهل البيت قوله أول ما شاع بين الناس مقالة خلق القرآن: قال: قلت للرضاء عليه السلام يا بن رسول الله ﷺ، اخبرني عن القرآن أخلق أم مخلوق؟ فقال عليه السلام: ليس بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله عز وجل^(٣).


(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ١٣٥؛ ابن الجوزي، مناقب، ص ٢٧٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩، ص ٣٢٤؛ أمين، ضحى الإسلام، ج ٣ ص ٢٠٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٥٠، بتصريف في النص الأصلي.

(٣) الأربلي، علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت: ٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م): كشف الغمة في معرفة الأئمة، ط ٢، دار الأضواء (بيروت، ١٩٨٥ م)، ج ٣، ص ١٠٢؛ المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني (ت: ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م): بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط ٢، مؤسسة الوفاء، (بيروت، ١٩٨٣ م)، ج ٤٩، ص ١٢٧.

وعندما تفاقمت مقولة القرآن مخلوق في زمن الإمام الهادي عليه السلام كتب إلى شيعته ببغداد كتاباً هذا نصه: بسم الله الرحمن الرحيم: عصمنا الله وإياكم من الفتنة، فإن يفعل فأعظم بها من نعمة، وإلا يفعل فهي التهلكة، نحن نرى إن الجدل في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له، وتكلف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلا الله وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الظالمين، جعلنا الله وإياكم من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون^(١).

(١) مطر، آل بيت النبوة في كتاب تاريخ الرسل والملوك، ص ٥٢؛ وينظر: الصدوق، أبو جعفر محمد ابن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ / ٩٩١م): التوحيد، ط ٢، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٩٧٧م)، ص ٢٢٤.



الفصل الثاني

مسند أحمد بن حنبل

المبحث الأول

الوصف العام لكتاب مسند أحمد بن حنبل

أولاً: تعريف المسند.

التعريف اللغوي للمسند: اسم مفعول يدل على انضمام الشيء إلى الشيء، وقد سمي الدهر (مسنداً) لأن بعضه متضام، وكل شيء أسندت إليه شيئاً فهو مسند، وجمعه مسانيد أو مساند، والسند ما ارتفع من الأرض، أو ما قابلك من الجبل وعلا من السفح، وفلان سند أي معتمد، والإسناد في الحديث رفعه إلى قائله ليعرف به ويقوى^(١).

التعريف الاصطلاحي: المسند هو ما اتصل بإسناده إلى رسول الله ﷺ، والمسانيد: هي الكتب التي جمع فيها مؤلفوها أحاديث النبي ﷺ وأقوال كل صحابي على حدة بدون النظر إلى موضوعات هذه الأحاديث، مع التأكيد على سند الحديث فالإسناد: هو الطريق الموصل إلى المتن^(٢)، وقد حظي السند باهتمام كبير من قبل المحدثين، والتزمت به كتب الحديث الأولى التي دونت منذ النصف الأول من القرن الثاني الهجري، ولذلك أطلق عليها اسم (المسانيد)، للدلالة على

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ٢٢، ص ٢١١٦.

(٢) ابن خير الأشبيلي: أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي (ت: ٥٧٥ هـ/ ١١٧٩ م): فهرسة ما رواه عن شيوخه، تحقيق: فرنسكة قدارة زيد، وآخرون، دار الآفاق الجديدة، (بيروت، ١٩٧٩ م)، ص ١٣٧؛ السخاوي، فتح المغيث في شرح ألفية الحديث، ج ١، ص ١٧؛ ابن الصلاح، علوم الحديث، ص ٣٧-٣٨؛ الصنعاني، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، ج ١، ص ٢٢٨؛ الكتاني: الرسالة المستطرفة، ص ٦٠-٦١.

العلاقة بفكرة الالتزام بالسند، وهذا ما عمله أحمد بن حنبل في مسنده^(١).

ثانياً: أهمية المسانيد:

تعد المسانيد من أوائل المؤلفات المخصوصة في تدوين الحديث النبوي، فهي بمثابة موسوعات حديثة جليلة القدر، حجة النفع، كثيرة الفوائد، ومن أهم تلك الفوائد:-

عدّ الإسناد الوسيلة التي تميز الصادق من الكاذب على رسول الله ﷺ، فيرقى الإسناد بالحديث إلى درجة الصحيح، فصار الإسناد أمراً لا بد منه، ولا سيما بعد انتشار الفتن والأهواء والتحزب لفريق دون آخر، الأمر الذي أدى إلى انتشار الكذب على رسول الله ﷺ، بالرغم من أن السند لم يعطِ معالجات كافية لقضية الكذب على النبي ﷺ بل اتخذ البعض غطاءً لتمرير بعض الأحاديث المكذوبة، علماً أن الإسناد ظهر متأخراً، واستهدف تضعيف الرواة غير السنة، فقد ورد عن ابن سيرين^(٢): (لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم)^(٣) وقد اختلف الباحثون المحدثون في تفسير قول ابن سيرين ومراده بالفتنة، فقال العمري^(٤): (إن المراد بها الفتنة التي أدت إلى مقتل عثمان بن عفان)، وذهب فريق آخر بالقول إلى: (إن المقصود بالفتنة هي فتنة انشقاق معاوية عن

(١) العمري، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، ط ٤، مكتبة العلوم والحكم، (المدينة المنورة، ١٩٨٤م) ص ٥٢-٥٣.

(٢) محمد بن سيرين، أبو بكر الأنصاري، الإنسي البصري، مولى انس بن مالك، توفي لتسع مضي من سوال، سنة ١١٠ هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٦٢١.

(٣) مسلم: صحيح مسلم، ج ١، ص ١٧؛ الرامهرمزي، الحد الفاصل، ص ٢٠٩؛ الخطيب البغدادي الكفاية في علم الرواية، ص ١٩٢.

(٤) العمري، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، ص ٤٣.

الإمام علي في أمر الخلافة^(١)، ويعدّ المستشرق شاخ^(٢) (إن كلام ابن سيرين موضوع عليه حيث يحدد شاخ المقصود بالفتنة: هي فتنة الوليد بن يزيد المتوفى سنة ١٢٦هـ في حين إن ابن سيرين توفي سنة ١١٠هـ)^(٣)، ويذهب بعض المستشرقين إلى (إن المراد بالفتنة هي فتنة عبد الله بن الزبير)^(٤)، ويقول بشار عواد معروف^(٥): (... إن ابن سيرين لم يقصد أيّاً من الفتن المعروفة في التاريخ، وإنما أراد انتشار الكذب والأهواء وتنازع المسلمين، وكثرة الوضع والانتحال وتهيؤ الأسباب لذلك)، ويقرر فؤاد سزكين (إن الإسناد لم يكن موجوداً قبل سنة ٧٥هـ، وانه بدأ بالزهري (ت: ١٢٤هـ)، ثم تبعه باقي المحدثين)^(٦).

عنى مؤلفو المساند ببيان الأسانيد حفظاً للعلم، يقول ابن الأثير^(٧) عنهم: (منهم من قصرت همته على تدوين الحديث مطلقاً ليحفظ لفظه...).

يعتقد فريق من أهل الحديث المتقدمين إن الذمة تبرأ بمجرد الإسناد، قال ابن حجر العسقلاني^(٨): (أكثر المحدثين في الأعصار الماضية من سنة مائتين وهلم جرا، إذا ساقوا الحديث بإسناده اعتقدوا أنهم برئوا من عهده...).

(١) موافي، عثمان، منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأدبي ط ٢، مكتبة الإسكندرية، (الإسكندرية، ١٩٧٦م)، ص ٣٤.

(٢) يوسف شاخ مستشرق ألماني الأصل، متخصص في الفقه الإسلامي، له كتاب أصول الفقه الإسلامي. ينظر: بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ط ٣، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٩٣م)، ص ٣٦٧.

(٣) بهاء الدين، محمد، المستشرقون والحديث النبوي، ط، دار النفائس، (الأردن، ١٩٩٩)، ص ١٠٩.

(٤) المرجع نفسه، ص ١١١.

(٥) مظاهر تأثير علم الحديث على التاريخ عند المسلمين، ص ٢٢-٢٥.

(٦) العمري، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، ص ٤٨.

(٧) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت: ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م): جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط ١، دار الفكر، (دمشق، ١٣٨٩هـ)، ج ١، ص ٤٣.

(٨) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ١٥.

إثبات صحبة الصحابي للنبي ﷺ بطريقة مباشرة، حين يصرح في أحاديثه بقوله (سمعت رسول الله ﷺ، أو رأيته، أو قال لي)، ونحو ذلك.

جمع مرويات الصحابي في موضع واحد يفيد في معرفة الصحابة الكثيرين والمقلين منهم، ومن ثم معرفة طرق الحديث ورواياته عن صحابي معين. إن لمعرفة إسناد الحديث اثر كبير في الوصول إلى الحكم على الحديث الذي يراد الاحتجاج به في المسائل والاختيارات.

تزداد فائدة المسانيد عندما تعنى بعلم الحديث، من تسميه الرواة، ومعرفة صيغ أدائهم ولا سيما المدلسين، والرواة عن المختلطين، واتصال الأسانيد، كما له أثره في متن الحديث من حيث تأويل الحديث، وفهم معانيه، ومعرفة الزيادات، وضبط الألفاظ، إضافة إلى ما يتصل بمدى تقوية الحديث بمعرفة متابعاته وشواهده، أو تضعيفه بمعرفة اختلاق الرواة فيه المفضي إلى إظهار علله^(١).

ثالثاً: من ألف في المسانيد قبل أحمد بن حنبل:

اختلفت الأقوال في أول من صنف مسنداً على طريقة ترتيب الصحابة منذ بداية عصر تدوين الحديث ومن أهم تلك الأقوال:

القول الأول: إن أول من صنف المسند بالبصرة هو أبو داود الطيالسي (ت: ٢٠٤هـ / ٨١٩م)^(٢)، وبالكوفة عبيد الله بن موسى العبسي (ت: ٢١٣هـ / ٨٢٨م)^(٣)،

(١) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٤٣٣.

(٢) ترجم له في ص ٤٦.

(٣) عبيد الله بن موسى العبسي أبو محمد الحافظ، ولد في حدود عام ١٢٠ هـ، وكان مجوداً للقرآن، وحديثه في الكتب الستة، مات سنة ٢١٣ هـ، وقيل ٢١٤ هـ، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٥٥٣ - ٥٥٧.

ثم من صنف كان تبعاً لهما^(١).

القول الثاني: كان أول من صنف المسند بالبصرة مسدد بن سرهد (ت: ٢٢٨هـ / ٨٤٢م)^(٢)، وأول من صنف بالكوفة يحيى الحماني (ت: ٢٢٨هـ / ٨٤٢م)^(٣)، وأول من صنف بمصر^(٤) أسد بن موسى (ت: ٢١٢هـ / ٨٢٧م)^(٥).
القول الثالث: إن أوائل من صنف المسند بمكة هو أبو بكر الحميدي (ت: ٢١٩هـ / ٨٣٤م)^(٦)، وفي نيسابور^(٧) محدثها أبو إسحاق السوراني^(٨) (٢١٣هـ / ٨٣٤م)^(٩).

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٥٥٤.

(٢) مسدد بن سرهد بن مسربل، أبو الحسن البصري، الحافظ الحجة، قال عنه أحمد بن حنبل: مسدد صدوق، توفي سنة ٢٢٨هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٥٩١-٥٩٥.

(٣) أبو زكريا يحيى بن عبد الحميد الحماني الكوفي الحافظ الثقة، ولد نحو عام ١٥٠هـ، قال عن نفسه: إني أول من جمع المسند، مات سنة ٢٢٨هـ في سامراء، وكان أول من مات بها من المحدثين الذين أقدموا إليها في مسألة خلق القرآن. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ١٦٧.

(٤) أسد بن موسى بن إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي، ولد سنة ١٣٢هـ، ونزل مصر وكان يقال له (أسد السنة)، روى له أبو داود في سننه، مات بمصر سنة ٢١٢هـ، وله من العمر ثمانون سنة. ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٢٤٦.

(٥) ابن عدي، عبد الله بن عدي بن محمد بن المبارك الجرجاني (ت: ٣٦٥هـ / ٩٧٥م): الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٧م)، ج ٧، ص ٢٦٩٤.

(٦) أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدي القرشي الأسدي، الحافظ والفقيه، حدث عنه البخاري والترمذي، مات سنة ٢١٩هـ، ومسنده مطبوع في جزئين بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي وهو من منشورات المجلس العلمي بالهند. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، نص ٥٣٦.

(٧) نيسابور، وهي كورة واسعة جلييلة الرساتيق والضيايق والقنى من كور خراسان، يقال أن اسمها نسبة إلى ملك الساسانيين سابور الذي قام ببنائها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٨٥٧.

(٨) أبو إسحاق إبراهيم بن نصر الخراساني المطوعي السوراني، وسوريان قرية من قرى نيسابور، قتل في حرب بابك الخرمي سنة ٢١٣هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٣٩٧.

(٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٦١٦.

القول الرابع: نقلاً عن أحمد بن حنبل^(١) إن أول من عرفناه يكتب المسند نعيم ابن حماد ويقول أيضاً: أول من صنف مسنداً نعيم بن حماد (ت: ٢٢٨ هـ / ٨٤٢ م)^(٢). ثم تبعهم أحمد بن حنبل فصنف في بغداد كتابه المشهور بمسند أحمد.

بغض النظر عن أن أول من كتب الحديث من إماء رسول الله ﷺ، ويخط يده، الإمام علي بن أبي طالب ﷺ^(٣)، إلا أنه يعدّ الإمام موسى بن جعفر الكاظم ﷺ أول من صنف في المسانيد، ومسنده عبارة عن مجموعة من الأحاديث المسندة المرفوعة إلى النبي ﷺ التي أسندها الإمام الكاظم ﷺ (١٤٨-١٨٣ هـ) إلى آبائه، ومجموع ما في مسند الإمام ﷺ من الأحاديث (تسع وخمسون) حديثاً^(٤).

رابعاً: تاريخ تأليف المسند، ودافع التأليف:

شرع أحمد بن حنبل بتصنيف المسند عقب رجوعه من عند شيخه عبد الرزاق الصنعاني عالم اليمن نحو سنة (٢٠٠ هـ / ٨١٥ م)، وهو في السادسة والثلاثين من عمره، وانتقاه من أكثر من سبع مئة ألف حديث سمعها في رحلاته، فكتبه في أوراق مفردة ومفرقة في أجزاء منفردة على نحو ما تكون المسودة، ولم يكن مرمى ابن حنبل أن يؤلف كتابه على أبواب الفقه، وإنما غايته هو جمع ما اشتهر من الحديث على امتداد الرقعة الإسلامية بسند متصل إلى رسول الله ﷺ حسب رواته من الصحابة، وهي طريقة غايتها الاستيعاب^(٥).

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٣٠٦.

(٢) نعيم بن حماد، ترجم له في ص ٨٢.

(٣) الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٢٣٩؛ الجلال، تدوين السنة، ص ١٧٣.

(٤) النجاشي، رجال النجاشي، ص ٤٠٧؛ الطوسي، الفهرست، تحقيق: جواد القيومي، ط ١، مؤسسة

النشر الإسلامي، الناشر مؤسسة نشر الفقاهة، (قم، ١٤١٧ هـ)، ص ٢٤٤.

(٥) المديني، خصائص المسند، ص ٢٥-٢٧؛ ابن الجزري، المصعد الأحمدي، ص ٣٠.

وفي سنة (٢٢٥هـ / ٨٣٩م)، وعقب انفراج المحنة جمع أحمد بن حنبل ولديه - صالح وعبد الله - وابن عمه حنبل ابن إسحاق وقرأ عليهم المسند سماعاً، وصرح لهم عن الدافع الذي جعله يصنف هذا الكتاب بأن قال: إن هذا الكتاب قد جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة وخمسين ألفاً، فما اختلف فيه المسلمون من حديث رسول الله ﷺ فارجعوا إليه، فإن كان فيه وإلا فليس بحجة، وكان أحمد بن حنبل كتب أحاديث المسند في أوراق وأجزاء متفرقة على نحو المسودة، وقد كتب عبد الله ابن أحمد المسند على السماع، حيث تذكر الرواية إن أحمد بن حنبل كان يقرأ الحديث على ابنه عبد الله ويقول له ضع هذا الحديث في مسند فلان من الصحابة^(١).

خامساً: رواية المسند.

كان عبد الله بن أحمد بن حنبل أكثرهم مداومة على السماع، فهو الذي انفرد برواية المسند عن أبيه، ولم ينقل المسند كاملاً إلا عن طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل، فهو كاتب المسند عن أبيه^(٢)، لذلك ينسب تصنيف المسند وترتيبه العام لأحمد بن حنبل باعتبار أصل وضعه، ومن هنا طعن فيه البعض واتهموا عبد الله ابن أحمد بوضع أحاديث على أبيه.

وينسب لابنه عبد الله روايته وترتيبه التفصيلي للمسند، وقد ضم إليه بعض مسموعاته، التي تعرف بزوائد عبد الله في المسند^(٣). وقد وصل المسند إلى القطيعي

(١) ابن أبي يعلى، طبقات الخنابلة، ج ١، ص ١٤٣؛ المديني، خصائص المسند، ص ١١؛ ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد، ص ٢٤٨. ابن نقطة الحنبلي: أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي الحنبلي (ت ٦٢٩هـ / ١٢٣١م): التقييد لمعرفة الرواة والسنن والأسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٨هـ)، ص ١٦١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٣٢٧.

(٢) ابن الجوزي، المصعد الأحمدي، ص ٣١.

(٣) ابن الجوزي، المصعد الأحمدي، ص ٢٨.

(ت: ٣٦٨هـ / ٩٧٨م)^(١)، فرواه عن عبد الله بن أحمد، وهو الآخر زاد في المسند زيادات محدودة، ثم رواه عن القطيعي، علي بن المذهب (ت: ٤٤٤هـ / ١٠٥٢م)^(٢)، وعن ابن المذهب رواه هبة الله بن الحصين (ت: ٥٢٥هـ / ١١٣٠م)^(٣) وهناك رواية آخرون عن عبد الله لكنهم لم يطلعوا إلا على أجزاء من المسند^(٤).

سادساً: أشهر نسخ المسند وطبعاته:

ظهرت أول نسخة مطبوعة لمسند أحمد بن حنبل في العصر الحديث في مصر سنة ١٣١٣هـ / ١٨٦٥م، التي تسمى بالطبعة الميمنية، التي اعتمدت على: نسخة مخطوطة للمسند موجودة في خزانة السادات الوفائية بمصر، وتم مقابلتها بالنسخ المخطوطة للمسند المخزونة في مكتبات الأوقاف الدينية أهمها: نسخة خزائن الكتب المصرية والمكتبة الأزهرية، والنسخة المغربية الموجودة في المكتبة الكتانية، ونسخة المكتبة القادرية العامة ببغداد، ونسخة مكتبة الأوقاف العامة بالموصل.

(١) القطيعي: أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك البغدادي، سكن قطيعة الدقيق فنسب إليها، ولد في ٢٧٤هـ، سمع المسند من عبد الله بن أحمد مع عم أمه (عبد الله بن الجصاص)، حيث كان عبد الله يقرأ المسند لأحد أبناء السلطان، فحضر القطيعي وسمع منه، وفي آخر عمره خلط وكف بصره، توفي سنة ٣٦٨هـ. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٧٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ٢١٢.

(٢) وهو أبو علي الحسن بن علي بن محمد بن علي بن المذهب التميمي الواعظ، ولد سنة ٣٥٥هـ، سمع المسند كاملاً من القطيعي في سنة ٣٦٦هـ فهو أشهر رواة، توفي ابن المذهب سنة ٤٤٤هـ. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٧، ص ٣٩٠؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٥١٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ص ١٥٥.

(٣) وهو أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيباني البغدادي، ولد سنة ٤٣٢هـ، سمع المسند كاملاً من ابن المذهب، وسمع من ابن الحصين (ابن عساكر وابن الجوزي)، وقد وثقه جميعهم، توفي سنة ٥٢٥هـ. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٥٣٦-٥٣٩.

(٤) المدني، خصائص المسند، ص ٢٠.

وطُبع بحاشية المسند كتاب (منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال) للمتقي الهندي، تقع هذه الطبعة في ست مجلدات كبار، عُنِيَ بتصحيحها محمد الزهري الغمراوي^(١)، وقد اعتمدت كل الطبقات اللاحقة على الطبعة الميمنية.

وللمسند طباعات كثيرة، ومن أشهر طبعاته المنتشرة بين أيدي المسلمين:

- ١ - طبعة دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٧٤م، حيث عمل على تحقيق المسند وترقيمه أحمد محمد شاكر، وقام بتخريج الأحاديث والحكم عليها بالصحة أو الضعف واعتمد شاكر على الطبعة الميمنية، لكن المنية عاجلته فلم يكمل الكتاب، فخرج الكتاب بستة عشر جزءاً. ثم طبعت دار الحديث المسند بتحقيق حمزة الزين الذي أكمل ما حققه أحمد شاكر من الأجزاء الأولى فظهرت الطبعة الأولى عام ١٩٩٥م، بعنوان (المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل)، شرحه وصنع فهرسه أحمد محمد شاكر، أكمله حمزة الزين، وكان عدد الأجزاء (عشرون جزءاً) وعدد الصفحات (١١٤٩٥) وعدد الأحاديث فيها (٢٧٥١٩) حديثاً، اخرج منها أحمد محمد شاكر (١٥٠٠٠) حديث، واتبع الزين خطة عمل أحمد شاكر في التحقيق^(٢)
- ٢ - طبعة مؤسسة الرسالة، المحققون: الشيخ شعيب الأرناؤوط وآخرون، حققت على عدة نسخ خطية، فضلاً عن نسخة المطبعة الميمنية، صدرت سنة ١٩٩٥م، عدد الأحاديث في هذه الطبعة (٢٧٦٤٧) حديثاً^(٣).

(١) ينظر: ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي، عُنِيَ بتصحيحه: محمد الزهري الغمراوي، المطبعة الميمنية، بإدارة أحمد البابي الحلبي، (مصر، ١٣١٣هـ)، ج ٦، ص ٤٦٨.

(٢) ينظر: ابن حنبل، المسند للإمام أحمد بن حنبل، شرحه وصنع فهرسه: أحمد محمد شاكر وأكمله حمزة الزين، ط ١، دار الحديث، (القاهرة، ١٩٩٥م)، ج ١، ص ٦ - ٢٠.

(٣) ينظر: ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، ط ١، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٩٥م)، ج ١، ص ١٣٨ - ١٥١.

٣- طبعة عالم الكتب صدرت بمصر، عام ١٩٩٨م، في أحد عشر مجلد، المحققون: أبو المعاطي النوري، وآخرون، عدد أحاديث المسند فيها (٢٨١٩٩) حديثاً^(١).

٤- طبعت مؤسسة بيت الأفكار الدولية المسند في مجلد واحد، صدر سنة ١٩٩٨م، بلغت عدد صفحاته (٢١٠٥) صفحات، وعدد الأحاديث (٢٨١٩٩) حديثاً، وهي الطبعة المعتمدة في بحثنا، وهي من تحقيق حسان عبد المنان^(٢).

٥- طبعة دار الكتب العلمية، عدد المجلدات ١٢، عدد الصفحات ٨٣٨٤، المحقق محمد عبد القادر عطا سنة الطبع ٢٠٠٨م، وعدد الأحاديث فيها (٢٨٤١٤) حديثاً^(٣).

٦- طبعة دار المنهاج، تحقيق جمعية المكنز، بإشراف أحمد معبد عبد الكريم، وقد بلغت أحاديث المسند (٢٨٢٩٥) حديثاً، وتقع في أربعة عشر مجلداً^(٤).

سابعاً: أقوال العلماء في المسند:

وردت جملة من شهادات الحفاظ في وصف مسند أحمد بن حنبل، وبيان أهميته ومكانته بين المصنفات الحديثية، نذكر منها:

١- قال أبو موسى المديني (ت: ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م): (... وهذا الكتاب - أي

(١) ينظر: ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حققه وضبط نصه: السيد أبو المعاطي النوري وآخرون، ط ١، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٩٩٨م)، ج ١، ص ٧-١٥.

(٢) ينظر: ابن حنبل، مسند، ص ٥-١١.

(٣) ينظر: ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حققه ووضع حواشيه ورقم أحاديثه: محمد عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٨م)، ج ١، ص ٣-٦.

(٤) ينظر: ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل مكنز المسترشدين في الدلالة إلى حديث سيد المرسلين، دار المنهاج، جمعية المكنز الإسلامية، (جدة، ١٤٢٩هـ)، ج ١، ص أ-ز.

المسند - أصل كبير، ومرجع وثيق لأصحاب الحديث، انتقي من حديث كثير، ومسموعات وافرة، فجعله إماماً ومرجعاً، وعند التنازع ملجأ ومستنداً^(١).

٢- وقال عنه ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م): (مسند أحمد من دواوين المسلمين المعتمدة، لهذا نزه أحمد مسنده من الأحاديث الموضوعية، فشرطه في المسند أجود من شرط أهل السنن)^(٢).

٣- وقال الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م) عن المسند: (مسند أحمد اصح صحيحاً من غيره)^(٣).

٤- قال ابن الجوزي (٨٣٣هـ / ١٤٢٩م) في كتاب المسند: (وهو كتاب لم يروَ على الأرض كتاب في الحديث أعلى منه)^(٤).

٥- وقال ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م): (هذا المصنف العظيم الذي تلقته الأمة بالقبول والتكريم، وجعله إمامهم حجة يرجع إليه، ويعول عند الاختلاف عليه)^(٥).

٦- وقال فيه ابن كثير (ت: ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م): (لا يوازي مسند أحمد كتاب مسند في كثرته، وحسن سياقته)^(٦).

(١) خصائص المسند، ص ٢١.

(٢) أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم الحراني، (ت: ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م): منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط ١، مؤسسة قرطبة، (القاهرة، ١٤٠٦هـ)، ج ٤، ص ٢٧.

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٩، ص ١٢٦.

(٤) المصعد الأحم، ص ٢٨.

(٥) القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد، إدارة ترجمان السنة، (باكستان، د.ت) ص ٤.

(٦) الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ٣، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، (مصر، د.ت)، ج ١، ص ١١٨.

٧- وقال عنه السيوطي (ت: ٩١١هـ / ١٥٠٥م): «وكل ما كان في مسند أحمد فهو مقبول»^(١).

٨- وقال عنه أحمد محمد شاكر محقق الكتاب: (المسند بحر واسع لا ساحل له)^(٢).

ثامناً: الكتب المؤلفة حول المسند:

نال المسند عناية كبيرة من العلماء، وتتجلى تلك العناية في جهودهم في التأليف في ترتيبه وشرح غريبه واختصاره وإعرابه ورواته وتخرج أطراف أحاديثه والدفاع عنه، ومن أهم المؤلفات التي صنفت حول المسند:

أ/ التأليف في ترتيب المسند: رتب ابن زكنون المعروف بابن عروة الحنبلي (ت: ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م)، المسند على أبواب البخاري وسماه (الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري) وشرحه في مئة وعشرين مجلداً^(٣)، ولا يزال مخطوطاً لم يطبع، وقام أحمد بن عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي، بترتيب المسند على الأبواب الفقهية في كتاب سماه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني^(٤).

ب/ التأليف في غريب المسند: جمع محمد بن عبد الواحد المعروف ب(غلام ثعلب) (ت: ٣٤٥هـ / ٩٥٦م) غريب الحديث على مسند أحمد بن حنبل، والكتاب مفقود^(٥).

(١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط ١، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٩٥٩م، ص ١٠١.

(٢) ابن حنبل، مقدمة تحقيق المسند، ج ١، ص ٤٦.

(٣) ابن الجرزي، المصعد الأحمدي، ص ٤٠.

(٤) ينظر: الساعاتي، الفتح الرباني، ص ١٧.

(٥) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٦٨٢.

ج/ التأليف في إعراب المسند: ألف جلال الدين السيوطي كتاباً في إعراب حديث المسند سماه (عقود الزبرجد على مسند أحمد)، وجاء في ثلاثة أجزاء^(١).

د/ التأليف في رجال المسند: صنف الحافظ أبو المحاسن شمس الدين محمد بن علي الحسيني الشافعي (ت: ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م) كتاباً سماه (الإكمال)^(٢).

هـ/ التأليف في أطراف المسند: جمع ابن حجر العسقلاني أطراف أحاديث المسند في ثمانية مجلدات سماه (أطراف المسند المعتلى بأطراف المسند الحنبلي)^(٣).

و/ التأليف خصائص المسند: صنف أبو موسى المديني كتاباً سماه (خصائص المسند)^(٤)، وألف ابن الجرزي كتاباً اسمه (المصعد الأحمدي في ختم مسند الإمام أحمد)^(٥)، وألف ابن حجر العسقلاني (القول المسدد في الذب عن مسند أحمد)^(٦).

(١) ينظر: السيوطي، عقود الزبرجد في إعراب الحديث النبوي، تحقيق: سلمان القضاة، دار الجيل، (بيروت، ١٩٩٤م)، ص ٥.

(٢) ينظر: الحسيني الشافعي، الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال سوى من ذكر في تهذيب الكمال، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، ط ١، منشورات جامعة الدراسات الإسلامية، (باكستان، د.ت)، ص ٧.

(٣) ينظر: ابن حجر العسقلاني، أطراف المسند المعتلى بأطراف المسند الحنبلي، تحقيق: د. زهير بن ناصر الناصر، ط ١، دار ابن كثير، (بيروت، ١٩٩٣م)، ج ١، ص ٩.

(٤) ينظر: المديني، خصائص المسند، ص ٤.

(٥) ينظر: ابن الجرزي، المصعد الأحمدي، ص ٣٩.

(٦) ينظر: ابن حجر العسقلاني، القول المسدد، ص ٤.

المبحث الثاني

منهج أحمد في المسند

أولاً: ترتيب المسند ومضمونه:

يعد مسند أحمد بن حنبل أوسع المنصنفات الحديثية التي ضمت الأحاديث المرفوعة عن النبي ﷺ الواردة عن الصحابة ومن تلاهم من التابعين وتابعي التابعين في القرن الثالث الهجري، فقد سلك ابن حنبل مسلك الجمع والتدوين رغبة منه في جمع السنة النبوية، فضم أربعين ألف حديث منها عشرة آلاف مكررة حسب تقدير المتقدمين^(١) في حين ان عدد الأحاديث في الكتب الستة مجتمعة (٣٨٨٧٠) حديثاً بالمكرر، ولم يضاهاه مسند ابن حنبل من حيث السعة إلا مسند بقي بن مخلد^(٢) لكنه مفقود^(٣) وقد كان لأحمد بن حنبل في مسنده منهج يختلف عن مناهج كتب الحديث الأخرى من حيث أسلوب التنظيم، وموافق لها من حيث المضمون، وقد تتبعنا أسلوب أحمد بن حنبل في كتابه المسند، فوجدنا انه يتميز بالآتي:

(١) المديني، خصائص المسند، ابن النديم، الفهرست، ص ٣٢٠.

(٢) بقي بن مخلد بن يزيد، أبو عبد الرحمن القرطبي، إمام مدرسة الحديث بالأندلس، وصاحب المسند الكبير ولد سنة ٢٠١ هـ بالأندلس، له رحلتان إلى الشرق، دخل بغداد وسمع من أحمد ابن أحمد حنبل أيام المحنة متنكراً بزي متسول، توفي سنة ٢٧٦ هـ. ينظر: ابن الفريسي: أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت: ٤٠٣ هـ / ١١٠٢ م).: تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، (القاهرة ١٩٦٦ م)، ج ١، ص ٩١.

(٣) العمري، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، ص ٣٧٤.

رتب ابن حنبل كتابه على مسانيد الصحابة، حيث افرد لكل صحابي مسنداً خاصاً به جمع فيه أحاديثه، من دون ان ينظر إلى موضوعات الأحاديث، فقد تجد حديثاً في غسل الجمعة ثم يتبعه بحديث في حكم لبس الحرير ثم يتلوه بحديث في الموارد ثم يليه بحديث في الحدود... وهكذا، يقول الصنعاني: ^(١) وشرط أهلها - أي أهل المسانيد - أن يفردوا أحاديث كل صحابي على حده... من غير نظر إلى الأبواب التي تلائم الحديث، كما يصنعه غيرهم من المؤلفين على الكتب والأبواب، ويستقصون جمع حديث ذلك الصحابي كله.

ولم يعتمد أحمد بن حنبل أسلوباً محدداً في ترتيب أسماء الصحابة في مسنده على ما كان شائعاً، يقول الخطيب البغدادي ^(٢): الاختيار في تخريج المسند إلى المصنف، فإن شاء رتب أسماء الصحابة على حروف المعجم من أوائل الأسماء، فيبدأ بأبي بن كعب، وأسماء بن زيد، ومن يليهما، وإن شاء رتبها على القبائل فيبدأ ببني هاشم، ثم الأقرب فالأقرب إلى رسول الله ﷺ في النسب، وإن شاء رتبها على قدر سوابق الصحابة في الإسلام، ومحلهم في الدين، وهذه الطريقة أحب إلينا في تخريج المسند، فيبدأ بالعشرة رضوان الله عليهم، ثم يتبعهم بالمقدمين من أهل بدر، ويتلوهم أهل الحديبية... ثم من أسلم وهاجر بين الحديبية والفتح كخالد بن الوليد، وعمر بن العاص، وأبي هريرة، ثم من أسلم يوم الفتح، ثم الأصغر الأسنان الذين رأوا رسول الله ﷺ وهم أطفال...، كان أحمد بن حنبل قد اتبع أساليب متعددة في ترتيب الصحابة حيث جعل:

مسند الخلفاء الراشدين مع ترتيبهم بالذكر بحسب الخلافة، وبلغ عدد الأحاديث في هذا المسند (١٣٧٩) حديثاً بالمكرر، لأبي بكر (٨١) حديثاً، ولعمر

(١) توضيح الأفكار، ج ١، ص ٢٢٨.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج ٢، ص ٢٩٢.

ابن الخطاب (٣١٧) حديثاً، ولعثمان بن عفان (١٦٣) حديثاً، وللإمام علي عليه السلام (٨١٨) حديثاً^(١).

ثم تلاهم بمسند العشرة المبشرين بالجنة من غير الخلفاء الأربعة، وكانت عدد الأحاديث الواردة في هذا المسند (٣٢٢) حديثاً^(٢).

وجاء بعده بمسند توابع العشرة، وهم عبد الرحمن بن أبي بكر، وزيد بن خازجة، والحارث بن خزيمة، وسعد مولى أبي بكر، وعدد أحاديثهم (١٦) حديثاً^(٣).

وخصص مسنداً لآل أبي طالب، تضمن أحاديث الإمام الحسن عليه السلام، وأحاديث الإمام الحسين عليه السلام، وأحاديث عقيل بن أبي طالب، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعدد الأحاديث اجمعها (٦١) حديثاً، منها حديث للإمام الحسن عليه السلام، وأحاديث للإمام الحسين عليه السلام^(٤).

تبعه بمسند آل العباس وتضمن حديث العباس بن عبد المطلب، والفضل ابن عباس، وتام بن عباس، وعبيد الله بن عباس، وكانت أحاديثهم (٧٥) حديثاً، فيما افرد لعبد الله بن عباس مسنداً على حدة، احتوى على (١٧١٠) أحاديث لذا اعتبره ضمن مسند المكثرين من الحديث^(٥).

رتب مسانيد المكثرين في الحديث عن رسول الله ﷺ من غير إن يراعي التسلسل في أسماءهم حروف المعجم، ولا عدد أحاديثهم من حيث الكثرة، فجعل مسند عبد الله بن مسعود بعد مسند ابن عباس وعدد أحاديثه (٩٠٠) حديث، ثم

(١) ابن حنبل، مسند، ص ٣٥-١٤٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٩-١٧٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٧٥-١٧٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٧٧-١٨٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٨٢-٣٠٦.

مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب وأحاديثه عددها (٢٠٢٨) حديثاً، ومسند عبد الله بن عمرو بن العاص وعدد أحاديثه (٦٤١) حديثاً وقد أضاف إليه حديث أبي رزمة، ثم مسند أبي هريرة عدد أحاديثه (٣٨٧٩) حديثاً، ومسند أبي سعيد الخدري عدد أحاديثه (٩٦٥) حديثاً، ومسند انس بن مالك وعدد أحاديثه (٢١٩٤) حديثاً، ومسند جابر بن عبد الله الأنصاري وأحاديثه عددها (١٢١٥) حديثاً^(١).

بعد ذلك رتب على أساس البلدان فجاء أولاً بمسند المكيين وعدد من اخرج لهم أحمد بن حنبل من الصحابة (٢٤٩)، فيما كان عدد أحاديث المكيين (٨١٥) حديثاً^(٢)، وتلاه بمسند المدنيين، وعدد الأحاديث الواردة في هذا المسند (٧٤٧) حديثاً، وعدد الصحابة فيه (١٤٩)^(٣)، ثم مسند الشاميين، وجاءت أحاديثهم بالعدد (١٣٢٣) حديثاً، وعدد الصحابة المخرج لهم من الشاميين (١٩٢) صحابياً، على ان ابن حنبل قد عد معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص من ضمن الشاميين^(٤)، مسند الكوفيين، ويشتمل على (١٧٤٣) حديثاً، وعدد الصحابة (١٦٢)^(٥)، ثم مسند البصريين، وكان عدد أحاديث البصريين (١٣٩٨) حديثاً، وعدد الصحابة (١١٧) صحابياً^(٦)، ثم جعل مسنداً خاصاً بالأنصار غير مسند المدنيين، وعدد أحاديثهم (٣١١٢) حديثاً، وعدد الصحابة في هذا المسند (٢١١) صحابياً^(٧).

(١) ابن حنبل، مسند، ص ٣٠٦ - ١٠٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٦٨ - ١١٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٤٢ - ١٢٠٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٠٧ - ١٣١٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٣١٧ - ١٤٤٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٤٤٩ - ١٥٤٥.

(٧) ابن حنبل، مسند، ص ١٥٤٦ - ١٨٠١.

وجعل بعد مساند البلدان مسند النساء الذي ابتداء بعائشة زوج النبي ﷺ ثم فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ ثم باقي أمهات المؤمنين، وغيرهن من نساء المهاجرين والأنصار، وقد بلغ عدد النساء المروي عنهم في المسند (٩٦) امرأة، وعدد أحاديثهن (٣٦٧٦) حديثاً^(١)، تفردت عائشة بنت أبي بكر برواية (٢٤٣٤) حديث، على أن ابن حنبل لم يورد لأم المؤمنين خديجة أي حديث سوى ما حدثت به عائشة عنها^(٢)، فيما كان عدد الأحاديث المروية عن الزهراء ع (١٠) أحاديث. وتداخل مسند المقلين من الرجال بمسند النساء، وكان عددهم (٢٣) رجلاً، منهم (١٩) رجلاً ذكروا في وسط مسند النساء^(٣)، وأربعة جاؤوا في آخر المسند^(٤)، ليتتهي المسند بحديث شداد بن الهاد^(٥).

وهذا الأسلوب في الترتيب يكلف الباحث جهداً وعناء كبيرين في البحث عن حديث واحد لأنه غير مرتب على أبواب السنن ولا مهذب على حروف المعجم، فضلاً عن وجود اختلاط وتداخل بين أحاديث المكين والمدنيين وأحاديث الشاميين والمدنيين، ولم يحصل فيه التمييز بين روايات الكوفيين والبصريين، وامتزج فيه بعض أحاديث الرجال بأحاديث النساء، واختلطت مسانيد القبائل بمسانيد أهل البلدان، وعلى الرغم من قيام عبد الله بن أحمد بترتيب بعض الأمور في المسند، إلا أنه لم يستوفِ كل ما مطلوب منه لترتيب مسند أبيه، فأبقى التداخل والاختلاط في أحاديث مسانيد الصحابة على حالها أو كما رواها أبوه

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٠٢ - ٢٠٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٢٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٣٠ - ٢٠٣١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٦٤ - ٢٠٦٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٠٨٣.

له^(١)، ويمكن الوقوف على بعض الأمثلة لبيان ذلك التداخل في مساند الصحابة:

الإمام علي عليه السلام: له حديث في مسند عثمان، وحديث في مسند ابن عباس^(٢).

عمر بن الخطاب: له حديث في مسند أبي بكر، وحديثان في مسند ابن عباس^(٢).

الفضل بن العباس: له حديثان في مسند عبد الله بن عباس^(٣).

الإمام الحسن عليه السلام: له حديث في مسند أبي هريرة^(٤).

الإمام الحسين عليه السلام: له حديث في مسند الإمام علي عليه السلام^(٥).

طلحة بن عبيد الله: له حديث في مسند أبي هريرة^(٦).

سعد بن أبي وقاص: له حديث في مسند أبي هريرة، وحديث في مسند أبي بكر^(٧).

عبد الله بن عباس: له حديث في مسند جابر بن عبد الله، وحديث في مسند أبي هريرة، وحديث في مسند أبي عامر الأشعري، وحديث في مسند زيد بن ثابت، وثلاثة أحاديث في مسند عمر بن الخطاب، وثلاثة أحاديث في مسند عائشة،

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢١٣؛ ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ١٨٠؛ ابن عساكر، ترتيب أسماء الصحابة الذين اخرج حديثهم أحمد بن حنبل في مسنده، تحقيق: عامر حسن صبري، ط ١، دار البشائر الإسلامية، (بيروت، ١٤٠٩ هـ)، ص ٢/أ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ٥٢٤؛ ابن الجوزي، المصعد الأحمدي، ص ٣٠.

(٢) ابن حنبل، مسند، ص ٨٤، ص ٢٢٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٠، ص ٢١٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٦٧ - ٢٩١، ص ١٢٦٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٣٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ١١٣.

(٦) المصدر نفسه، ص ٦٢١.

(٧) المصدر نفسه، ص ٦١٩، ص ١٥٠٠.

وأربعة أحاديث في مسند عبد الله بن عمر^(١).

عبد الله بن عمر بن الخطاب: له حديث في مسند عثمان بن عفان، وحديث في مسند انس بن مالك، وحديثان في مسند جابر بن عبد الله، وحديثان في مسند عائشة، وحديثان في مسند حفصة، وثلاثة أحاديث في مسند أبي سعيد الخدري وسبعة أحاديث في آخر مسند أبيه، وتسعة أحاديث في مسند عبد الله بن عباس^(٢) عبد الله بن عمرو بن العاص: له حديث في مسند ابن عباس^(٣).

عبد الله بن مسعود: له حديث في مسند أبي هريرة، وحديث في مسند جابر، وحديث في مسند الأشعث بن قيس^(٤).

معاذ بن جبل: له حديث في مسند ابن أبي أوفى^(٥).

جابر بن عبد الله الأنصاري: له حديث في مسند ابن عباس، وحديث في مسند عبد الله بن عمر، وحديث في مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، وحديث في مسند سلمة بن الأكوع، وحديث في مسند ثعلبة بن صعيير، وحديثان في مسند أبي هريرة، وثلاثة أحاديث في مسند أبي سعيد الخدري^(٦).

أبو هريرة: له حديث في مسند انس بن مالك، وحديث في مسند جابر،

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٤٧، ص ٧٦٣، ص ١٢٦٢، ص ١٥٩٢، ص ٤٤-٤٦-٤٦، ص ١٨٠٥-١٨١٩-٩٢٠هـ ٤٠١-٤٣٠-٤٣٥-٤٧٦.

(٢) ابن حنبل، مسند، ص ٧٩، ص ٧٦٥، ص ١٠٤٧-١٠٥٧، ص ١٨٣٤-١٩٢٠، ص ١٩٦٥، كلها في ص ٧٣، ص ١٩٧-٢٠٨-٢١٧-٢٣٥-٢٧٤-٢٧٨-٢٨٨-٢٩٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٢٤، ص ٩٩٢، ص ١٦١٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٤٢٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٠٩، ص ٣٩٨، ص ٥٠٧، ص ١١٧٥، ص ١٧٥٩، ص ٦٢٨-٦٨٨، ص ٧٨٠-٨٢٩-٧٨٤.

وحديث في مسند طلحة بن سهل، وحديثان في مسند ابن عباس، وحديثان في مسند عبد الله بن مسعود، وثلاثة أحاديث في مسند عائشة، وثلاثة أحاديث في مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب، وثمانية عشر حديثاً في مسند أبي سعيد الخدري^(١)

أبو سعيد الخدري: له حديث في مسند عمر بن الخطاب، وحديث في مسند انس بن مالك، وحديث في مسند زيد بن أرقم، وحديثان في مسند جابر بن عبد الله، وإثنا عشر حديثاً في مسند أبي هريرة^(٢).

انس بن مالك: له حديث ورد في مسند عمر بن الخطاب، وحديث واحد في مسند جابر بن عبد الله، وأربعة أحاديث في مسند عبد الله بن عباس^(٣).

البراء بن عازب: له حديث في مسند ابن أبي أوفى، وحديثان في مسند ابن أرقم^(٤).

زيد بن أرقم: له حديث في مسند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام^(٥).

سهل ابن أبي حثمة: له حديث في مسند رافع بن حديج^(٦).

(١) المصدر نفسه، ص ٨٦٦، ص ٩٩٣، ص ١١٢٦، ص ٢٢٠-٢٤٢، ص ٣٢٣-٣٢٤، ص ١٨٣٠-١٨٩١ - ١٩٣٩، ص ٤٠٠-٤٤٨-٤٧١، ص ٧٧٧-٧٧٨-٧٧٩-٧٨٠-٧٨٤-٧٨٨-٧٩٨-٨٠٥-٨١٠ - ٨١٧-٨٢٢-٨٢٥-٨٢٨-٨٣٣-٨٣٨-٨٤١-٨٤٢-٨٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥، ص ٩٣٨، ص ١٤١٥، ص ٩٩٣-١٠٤٦، ص ٦٢٠-٥٧٦-٥٩٧-٥٩٨ - ٦٠٣-٦١٠-٦٥٦-٧٠٤-٧٠٥-٧١٧-٧٢٢-٧٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٣، ص ١٠٥١، ص ٢٢١-٢٢٦-٢٤٧-٢٩٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٤٠٠، ص ١٤١٣-١٤١٤.

(٥) ابن حنبل، مسند، ص ١١٦.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٢٤٤.

عبادة بن الصامت: له حديث في مسند فضالة بن عبيد^(١).

عبد الله بن الزبير: له حديث في مسند عبد الله بن عباس، وحديث في مسند عبد الله بن عمر، وحديث في مسند جابر بن عبد الله، وحديثان في مسند عمر بن الخطاب^(٢).

المقدام بن معد يكرب: له حديث في مسند المقداد بن الأسود^(٣).

نافع بن عتبة: له حديث في مسند سعد بن أبي وقاص^(٤).

أبو الدرداء: له حديث في مسند أبي هريرة^(٥).

أبو ذر الغفاري: له حديث في مسند رافع بن عمرو المزني^(٦).

أبو موسى الأشعري: له ثلاثة أحاديث في مسند عبد الله بن مسعود^(٧).

درة بنت أبي لهب: لها حديث في مسند عائشة^(٨).

سودة بنت زمعة: لها حديث في مسند ابن عباس^(٩).

ميمونة بنت الحارث: لها حديث في مسند عائشة^(١٠).

(١) المصدر نفسه، ص ١٧٩٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٧، ص ٤٧٦، ص ١٠٠٤، ص ٥٣ - ٦٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٧٨٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٦١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٦٣٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٤٨٩.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٨٢٦.

(٨) المصدر نفسه، ص ١٨٢٦.

(٩) المصدر نفسه، ص ٢٧٠.

(١٠) المصدر نفسه، ص ١٩٠٧.

أم سلمة هند بنت أبي أمية: لها حديث في مسند أم حبيبة، وست أحاديث في مسند عائشة^(١).

عائشة بنت أبي بكر: لها حديث في مسند عبد الله بن عمر، وحديث في مسند انس بن مالك، وحديث في مسند حفصة، وحديثان في مسند أبي هريرة، وحديثان في مسند ميمونة، وأربعة أحاديث في مسند أم سلمة، وخمسة أحاديث في مسند ابن عباس^(٢). وغيرها الكثير من حالات التداخل بين المساند.

لعل أحمد بن حنبل كان يجمع الروايات على أساس شيوخه من رواة الحديث، ثم رتب الأحاديث على طريقة المسند المذكورة، لذلك نجد في المسند تداخل بعض المسانيد لصحابي معين في مسند صحابي آخر وذلك بسبب أن الراوي جمع في الحديث الواحد بين صحابين في إشارة من أحمد بن حنبل إلى الاختلاف الواقع في إسناد الحديث لبيان اختلاف الرواة في الأسانيد^(٣).

عدد مسانيد الصحابة وفي المسند الذي اعتمدناه (١٨) مسنداً^(٤)، وقد أحصى البعض تلك المساند فعدها ابن حجر العسقلاني (١٧) مسنداً^(٥)، وأحصاها الوادي آشي^(٦) فكانت (١٦) مسنداً، ويعلل هذا الاختلاف في عدد المسانيد الرئيسة في

(١) المصدر نفسه، ص ١٩٩٠، ص ١٨٠٤ - ١٨٠٥ - ١٨٠٦ - ١٨١٣ - ١٩٤٠ - ١٩٤٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٧٦، ص ٩٦٩، ص ١٩٦٦، ص ٥٧٩ - ٥٨٠، ص ١٩٩٤ - ١٩٩٥، ص ١٩٦٨ - ١٩٦٩ - ١٩٨٠ - ١٩٨٢، ص ١٩٠ - ١٩٩ - ٢١٤ - ٢٤١ - ٢٤٧.

(٣) صبري، زوائد عبد الله بن أحمد بن حنبل في المسند، ط ١، دار البشائر الإسلامية، (بيروت، ١٩٩٠م)، ص ١١٢.

(٤) ينظر: ابن حنبل، مسند، ص ٣٥ - ٢٠٦٥.

(٥) إطراف المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي، ج ١، ص ١٧٣.

(٦) محمد بن جابر، (ت: ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)، برنامج الوادي آشي، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مركز البحوث العلمي، (مكة المكرمة، ١٤٠١هـ)، ص ١٩٨.

الكتاب إلى أنه أضيف بعض المسانيد إلى بعض^(١).

كان عدد الأحاديث في المسند الذي اعتمدناه هو (٢٨١٩٩) حديثاً بالمكرر، فإذا حذفنا المكرر من الأحاديث وإن كان قد جاء بطريق آخر من الرواة^(٢)، يكون عدد أحاديث المسند (٩٥٦٦) حديثاً، اخرج منها في الصحيحين (٣١١٥) حديثاً، واخرج في كتب السنن الخمسة والموطأ (٢٩٠٥) أحاديث، وانفرد أحمد بن حنبل عن كتب الحديث الثمانية، برواية (٣٥٤٦) حديثاً^(٣)، ويخالف ذلك ما جاء عن المحققين القدامى للمسند الذين ذكروا بأن المسند محتوٍ على أربعين ألف حديث، عشرة آلاف منها مكررة وثلاثون ألفاً غير مكررة، فقد كثر تكرار الحديث المروي بعينه بالمتن والإسناد لغير فائدة في إعادته بل مجرد تكرار، أقله تكرار الحديث مرتين وأكثره تكرر (٢٢)^(٤) مرة، وينفي ابن عساكر^(٥) أن يكون التكرار من عمل أحمد بن حنبل، حيث يقول: ولست أظن ذلك إن شاء الله وقع من جهة أبي عبد الله رحمة الله فإن محله في هذا العلم أوفى ومثل هذا على مثله لا يخفى، وإن ذلك التكرار في الأحاديث ناتج عن رواية المسند.

على أن هناك سبباً لتكرار الأحاديث وذلك لوجود اختلاف يسير في الحديث المكرر إما في سنده أو في متنه، فحديث الفضل بن عباس: انه كان رديف النبي ﷺ من جمع - يعني المزدلفة - فلم يزل يلبي حتى رمى الجمرة^(٦)، تكرر (٢٠) مرة

(١) ابن الجوزي، المصعد الأحمَد، ص ٢٨.

(٢) ينظر: ابن حنبل، مسند، ص ٣٥-٢٠٦٥.

(٣) الشامي، صالح أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل محذوف الأسانيد والأحاديث المكررة ومرتب على الأبواب، دار القلم، (دمشق، د. ت)، ص ١٥.

(٤) المديني، خصائص المسند، ص ٢٢.

(٥) ترتيب أسماء الصحابة، ص ٢/أ.

(٦) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٧٩٦)، ص ١٨٥.

وبصيص مختلفة في المتن والإسناد^(١).

قدر عدد الصحابة في مسند أحمد ب(٧٠٠) صحابي حسب تقدير صاحب كتاب خصائص المسند^(٢)، وعدّهم ابن الجرزي^(٣) فبلغوا (٨٠٠) سوى ما فيه من الأبناء والمبهمات وغيرهم، بينما قدرهم ابن كثير^(٤) (٩٨٠) صحابياً وصحابية، وعند ابن عساكر^(٥) عدد الصحابة (١٠٥٦) صحابياً وفي المسند المعتمد في بحثنا كان عدد الصحابة (٩٠٤)^(٦)، وربما كان ذلك الاختلاف بسبب اعتمادهم على التخمين والتقدير في عدد الصحابة، لضخامة حجم المسند وكثرة الأسماء والمرويات فاعتبر قسم من أقوال التابعين ضمن مرويات الصحابة، أو لكون النسخ المخطوطة المعتمد عليها فيها نقص أو إسقاط^(٧).

إن اصح الأسانيد وأثبتها وأجودها عند أحمد بن حنبل فقد قال: (ليس بالكوفة اصح من هذا الإسناد: عن يحيى بن سعيد القطان عن سفيان الثوري عن سليمان التيمي عن الحارث بن سويد عن علي بن أبي طالب عليه السلام)^(٨)، وقيل أن اصح الأسانيد وأثبتها وأجودها التي رواها ابن حنبل في مسنده من رواية أهل المدينة المنورة: هو ما رواه الزهري عن سالم بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن عمر

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٥ - ١٨٧.

(٢) المديني، خصائص المسند، ص ٢٣.

(٣) المصعد الأحمدي، ص ٣٤.

(٤) ابن كثير، الباعث الحثيث، ص ٤٠.

(٥) ترتيب أسماء الصحابة، ص ١٧١.

(٦) ابن حنبل، مسند، ص ١٤.

(٧) حنبل، مسند، طبعة المكتز والمنهاج، مقدمة التحقيق، ص ٨٠/م.

(٨) البلقيني، عمر بن رسلان بن نصير، (ت: ٨٠٥هـ، ١٤٠٢م)، محاسن الاصطلاح وتضمنين كتاب

ابن الصلاح، تحقيق: د. عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطي -، دار الكتب، (بيروت، ١٩٧٤م)،

ص ٨٧.

ابن الخطاب، متفقاً مع إسحاق بن راهويه في ذلك، إلا أن الرأي الأول أصوب^(١).
أما أكثر الصحابة رواية وحديثاً عن رسول الله ﷺ عند أحمد في المسند فهم
سنة: أبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وعائشة، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وعبد
الله بن عباس، وأنس بن مالك^(٢).

وشرط أحمد في قبول الرواية في المسند فهو: لا يخرج حديثاً إلا عما ثبت صدقه
وديانته، دون من طعن في أمانته، فهو يروي عما اشتهر بعدالته وضبطه بين أهل
العلم، وشاع الثناء عليه بالثقة والأمانة، فاستغنى فيه بذلك عن بينة شاهدة بعدالته
تنصيهاً، وكان شرطه أقوى من شرط أبي داود في سننه^(٣)، وإن كانت الدراسات
التي تناولت المسند قد طعنت في التزام أحمد بن حنبل في شرطة لقبول الرواية عن
راويها لأسباب تتعلق في اختلاف منهج المتقدمين من المحدثين عن المتأخرين منهم،
وأخرى تتعلق بالاختلافات المذهبية بين الحنابلة وغيرهم بعد وفاة أحمد بن حنبل.
وسنوضح ذلك مفصلاً في مبحث موارد أحمد بن حنبل عن شيوخه.

لم يكن التوثيق لأحوال الرواة (جرحاً وتعديلاً) منهجاً معتمداً لدى أحمد بن
حنبل في المسند، والسبب في ذلك حسب ما يقول: قصدت في المسند الحديث المشهور،
وتركت الناس - الرواة - تحت ستر الله تعالى....^(٤) وتؤخذ آراؤه في الجرح والتعديل
مما رواه ابنه عبد الله بن أحمد في كتاب أبيه المسمى بالعلل ومعرفة الرجال^(٥).

(١) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م): إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن
خير الخلائق ﷺ، تحقيق: د. نور الدين عتر، ط ٢، دار البشائر الإسلامية، (بيروت، ١٩٩١م)، ص ٥٨.

(٢) ينظر: ابن حنبل، مسند، (مسند المكثرين)، ص ١٨٨ - ١٠٦٨.

(٣) المديني، خصائص المسند، ص ١٢؛ ابن الجزري، المصعد الأحمدي، ص ٢٤؛ ابن الصلاح، علوم
الحديث، ص ٩٥.

(٤) المديني، خصائص المسند، ص ٢٧.

(٥) ينظر: ابن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، ج ١، ص ١٨.

وفي المسند (٣٣٣) حديثاً مما تسمى بثلاثيات المسند: وهي الأحاديث التي رواها أحمد بن حنبل عن ثلاثة رواة تفصله عن رسول الله ﷺ، وهناك (١٤٠) حديثاً في المسند من الرباعيات التي يكون إسنادها مكوناً من أربعة رواة^(١).

تنقسم أحاديث مسند أحمد بن حنبل إلى قسمين: -

القسم الأول: الأحاديث التي كتبها أحمد بن حنبل في أوراق متفرقة، وقرأها على ابنه عبد الله بن أحمد سماعاً، وأمره بكتابتها، وهذا القسم كبير جداً، وهو المسمى بمسند الإمام أحمد بن حنبل، وتُميّز أحاديثه من خلال القول الموجود في بداية سند الحديث: (حدثنا فلان، عن فلان)^(٢)

القسم الثاني: الأحاديث التي أضافها راوي المسند (عبد الله بن أحمد) على مسند أبيه أحمد بن حنبل، ويسمى هذا القسم (بالزوائد)^(٣)، ويبدأ سند الأحاديث في زوائد عبد الله بن أحمد (قال عبد الله: حدثني فلان...). ويقال أن للقطيعي زوائد في مسند أحمد بن حنبل^(٤)، ولكن بعد تتبع دقيق في المسند وصلنا إلى أنه لا يوجد للقطيعي زيادات في المسند سوى حديث واحد، رواه في مسند أبي مسعود عقبة

(١) السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي (ت: ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ م)، نفثات صدر المكمد وقرة عين الأرمذ لشرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط ٥، المكتب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٥ م، ص ٢٣.

(٢) المدني، خصائص المسند، ص ٢٤؛ ابن الجوزي، المصعد الأحم، ص ٣١.

(٣) الزوائد هي الأحاديث الزائدة على كتب المسانيد أو غيرها من المصنفات الحديثية، وغالباً ما تلحق الزوائد بأصل الكتاب. ينظر: الكتاني، الرسالة المستظرفة، ص ١٧٠؛ صبري، زوائد عبد الله ابن أحمد بن حنبل في المسند، ص ١١٢.

(٤) ابن حجر العسقلاني، أطراف المسند المعتلي، ج ١، ص ٢٧٠؛ اللحيان، زيادات القطيعي على مسند الإمام أحمد برواية عبد الله (دراسة وتحريماً)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (الرياض، ١٤٢٠ هـ)، ص ٢٦ (يذكر أن هناك أربعة أحاديث من زوائد القطيعي في المسند؛ الساعاتي، الفتح الرباني، ص ٢١، (بذكر احد عشر حديثاً للقطيعي في المسند).

ابن عمرو الأنصاري، قال القطيعي: حدثنا الفضل بن الحباب، حدثنا القعنبي، حدثنا شعبة، حدثنا منصور بن ربيعي عن أبي مسعود، عن النبي ﷺ قال: مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستح فاصنع ما شئت^(١).

التزم أحمد بن حنبل بإيراد الأحاديث في مسنده كما سمعها من شيوخه من دون تغيير في اللفظ أو إضافة، فقد ورد عنه قوله: اتبع لفظ الشيخ ولا تتعدها. ويدل ذلك على دقته وضبطه في النقل^(٢)، لكن مع تلك الطريقة يصعب على الباحث الوصول إلى شخصية أحمد بن حنبل، ومنهجه في المسند، فضلاً عن معرفة الأسباب التي دعت له لذكر حديث معين وإهمال آخر في مسنده، إذ لم يصرح هو بشيء من ذلك في كتابه، ونادراً ما يضيف على الأحاديث التي يرويها في مسنده تعليقاً بسيطاً أو إضافة معينة، وقد تتبعنا هذه الندرة لتيان منهج ابن حنبل في كتاب المسند.

ثانياً: منهجية ابن حنبل في المسند:

أ/ منهج أحمد في السند والمتن: كان منهج أحمد بن حنبل في الرواية أنه إذا كان للحديث أكثر من إسناد وأراد الجمع بينها فإنه يراعي ألفاظ شيوخه كما رواها عنهم، ولو كانت يسيرة لا تؤثر في المعنى وقد نبه ابن حجر إلى ذلك بقوله (وقد كان أحمد لهجا ببيان اختلاف ألفاظ مشايخه...)، وإن كان ذلك لا يسوغ عند المحدثين وغيرهم وإنما يريد أحمد بذلك بيان اختلاف ألفاظ مشايخه فيرتب على إعادته اسم شيخه^(٣). ومن الأمثلة على ذلك:

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٧٣١٨)، ص ١٢٣٠.

(٢) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي، ج ١، ص ٢٧١؛ ابن الصلاح، علوم الحديث، ص ٢٠٨؛ ابن كثير، الباعث الحثيث، ص ١٣٥.

(٣) ترتيب أسماء الصحابة، ص ٢/أ.

حدثنا يزيد وعباد بن عباد قالا: أنبانا هشام بن أبي هشام - قال عباد: ابن زياد - عن أمه، عن فاطمة ابنة الحسين - عن أبيها الحسين بن علي، عن النبي ﷺ: قال: ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وإن طال عهدا - قال عباد: قدم عهدا - فيحدث لذلك استرجاعا، إلا جدد الله له عند ذلك، فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب بها^(١).

نلاحظ إن أحمد بن حنبل يحرص على إيراد ألفاظ شيوخه كما هي، ففي السند نجد ان عباد بن عباد حين سمى شيخه ذكر اسمه واسم أبيه (هشام بن زياد)، بينما ذكر يزيد بن هارون اسمه وكنيته فقال (هشام بن أبي هشام)، أما تمييز ألفاظ شيوخه في المتن فيشير أحمد إن قول يزيد هو (وإن طال عهدا)، وقول عباد هو (وإن قدم عهدا).

حدثنا عبد الله بن الوليد ومؤمل - المعنى وهذا لفظ عبد الله - قالا حدثنا سفيان، عن سمالك بن حرب، عن جعفر بن أبي ثور، عن جابر بن سمرة: إن رجلا سأل النبي ﷺ أتوضأ من لحوم الغنم... الحديث^(٢).

ويريد أحمد بقوله (المعنى وهذا لفظ عبد الله) إن لفظ الحديث الذي ساقه هو لعبد الله بن الوليد، ويوافقه مؤمل في المعنى.

حدثنا محمد بن جعفر وعفان قالا: حدثنا شعبة، عن الحكم، عن أبي ليلى - قال عفان في حديثه - حدثني الحكم، قال سمعت ابن أبي ليلى، عن سمرة بن جندب، عن النبي ﷺ قال: من روى عني حديثا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين. - قال عفان أيضا: (الكذابين)^(٣).

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٧٣٤)، ص ١٧٨.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٢١٠٩٦)، ص ١٥٢٨.

(٣) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٠٤٨٧)، ص ١٤٨١.

روى أحمد في هذا الحديث عن محمد بن جعفر بن غندر وعفان بن مسلم، فابن غندر رواه عن شعبة فقال عن الحكم، عن أبي ليلى، ورواة عفان أيضا عن شعبة مع اختلاف طفيف في اللفظ، فقال حدثني الحكم، سمعت ابن أبي ليلى، وأما الاختلاف في متن الحديث فقد بينه ابن حنبل، ففي رواية محمد بن جعفر بن غندر جاءت لفظة (الكاذبين) بينما في رواية عفان بن مسلم كانت بلفظ (الكذابين).

٤- حدثنا يزيد، حدثني ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: (من كانت عنده مظلمة من أخيه من عرضه أو ماله، فليتحللها اليوم قبل أن يؤخذ حين لا يكون دينار أو درهم...) ثم يجيء أحمد بعده بحديث: وقال يزيد بن هارون ببغداد: قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم، بعدها يورد ثالث يقول فيه: وحدثناه روح بإسناده ومعناه، وقال: من قبل أن يؤخذ منه حين لا يكون دينار ولا درهم^(١). يروي أحمد الحديث عن يزيد بن هارون الواسطي حين كان في واسط، ثم يتبعه برواية ثانية عنه حين قدم إلى بغداد مع تغيير في بعض الألفاظ، وكذلك يورد أحمد رواية ثالثة عن روح بن عباد بالمعنى نفسه مبينا اختلاف ألفاظ شيوخه.

ب/ التحويل بين اسنادين: وهو الانتقال من إسناد إلى آخر، وعادة يرمز له المحدثون بالحرف (ح) وهو حرف تحويل الإسناد عند المحدثين^(٢) يستعمل أحمد بن حنبل التحويل في الإسناد للإشارة إلى تعدد رواة الحديث وطرقه، وذلك من أجل تقوية السند الأول للحديث، ثم يسوق الحديث مع مراعاة الفروق بين الأحاديث. ومثال ذلك:

(١) المصدر نفسه، الأحاديث (١٠٥٨٠، ١٠٥٨١، ١٠٥٨٢)، ص ٧٤٩.

(٢) ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد الأنصاري (ت: ٨٠٤هـ / ١٤٠١م): المنع في علوم الحديث، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، ط ١، دار فواز، (الرياض، ١٤١٣هـ)، ص ٣٦٤.

حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد (ح) وسريج وحسين قالا: حدثنا ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن عامر بن سعد - قال حسين ابن أبي وقاص - قال: سمعت عثمان بن عفان يقول: ما كان يمنعني أن أحدث عن رسول الله ﷺ إن لا أكون أوعى أصحابه عنه، ولكنني أشهد لسمعته يقول: من قال عليّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار. وقال حسين: أوعى صحابته عنه^(١).
حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا شعبة، حدثنا قتادة (ح) وحدثنا حجاج، قال سمعت شعبة يحدث، عن انس قال: جمع القرآن على عهد رسول الله أربعة (قال يحيى: كلهم من الأنصار): أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد^(٢).

نرى أن أحمد بن حنبل قد سمع الحديث الأول من إسحاق بن عيسى وسريج ابن النعمان وحسين بن محمد، وقد جاء بحرف تحويل الإسناد (ح) للفصل بين إسحاق وسريج وحسين، ثم إبان عن رواية كل منهم فقال: إن إسحاق ذكر اسم ابن أبي الزناد بأنه (عبد الرحمن)، أما سريج وحسين فاكتفيا بذكر ابن أبي الزناد، وإن إسحاق وسريج قالا: عن عامر بن سعد، بينما حسين قال: عن عامر بن سعد ابن أبي وقاص، هذا في إسناد الحديث، أما في الاختلاف في المتن، فكان يبين أقوال الرواة، فيسوق القول للراوي الأول ثم يذكر اختلافه عن الراوي الآخر. وهذا دليل ضبط من أحمد بن حنبل، بأن ينسب لكل واحد من شيوخه ما قاله بالحرف الواحد إسناداً ومتناً، وإن كان معنى الحديث واحداً. وكذلك في الحديث الثاني.

ج/ الشواهد والمتابعات: والشواهد هي نوع من أنواع الإحالات، فهي: إحالة متن حديث الصحابي على متن حديث لصحابي آخر، والمتابعات، هي موافقة

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٤٦٩)، ص ٧٩.

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٣٩٨٤)، ص ٩٧٧.

الراوي لغيره في الرواية، والهدف من الشواهد والمتابعات هو لتقوية الحديث^(١)، وقد اتبع أحمد بن حنبل ثلاثة مناهج في ذلك:

المنهج الأول: (في اختلاف سند الحديث وألفاظ المتن) وهو أن يذكر سند الشاهد والمتابعة بتعدد طرقه، ثم يذكر متن الحديث باختلاف ألفاظه، ومن الأمثلة على ذلك:

في مسند عبد الله بن عمر (حدثنا أبي حدثنا حماد بن أسامة حدثنا عبيد الله حدثنا نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (إذا دعي أحدكم إلى وليمة فليجب)^(٢) .

ثم يحيل ابن حنبل هذا الحديث على حديث لأبي هريرة في مسند ابن عمر قائلا: وحدثنا قبله قال حدثنا هشام وابن عون عن محمد عن أبي هريرة قال: صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي ركعتين ثم سلم، فقال: إذا دعي أحدكم إلى وليمة فليجب^(٣) .

المنهج الثاني: (في اختلاف سند الحديث، واتفاق ألفاظ المتن): وهو أن يذكر ابن حنبل سند الشاهد او المتابعة، ولا يذكر المتن، بل يشير إليه ببعض العبارات، كأن يقول، مثله، أو نحوه، ومن الأمثلة على ذلك:

حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله ﷺ: لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم انفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه^(٤) .

(١) السخاوي، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، ج ١، ص ٢٠٨

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (٤٩٥٠)، ص ٤٠٠ .

(٣) المصدر نفسه، الحديث (٤٩٥١)، ص ٤٠٠ .

(٤) ابن حنبل، مسند، الحديث (١١٥٣٦)، ص ٨١٤ .

ثم يورد أحمد بن حنبل بعده حديثاً مماثلاً في المتن من طريق إسناد آخر فيقول:
حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سليمان، عن ذكوان، عن أبي سعيد
الخدري، عن النبي ﷺ: مثله^(١).

المنهج الثالث: (في اتفاق سند الحديث واختلاف ألفاظ المتن): أما إذا اتفق
الإسناد نفسه في مجموعة أحاديث مختلفة للصحابي نفسه فلا يذكر ابن حنبل الإسناد
إنما يقول: وبهذا الإسناد أو بإسناده، ثم يورد الحديث، ومن الأمثلة على ذلك:
حدثنا يزيد قال حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال
رسول الله ﷺ: (إني لأستغفر الله عز وجل وأتوب إليه كل يوم مائة مرة)^(٢).
وبإسناده قال رسول الله ﷺ: (المدينة من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً أو تولى
غير مولاة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً)^(٣).
وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يزال البلاء بالمؤمن أو المؤمنة في
جسده وماله وولده حتى يلقي الله عز وجل وما عليه من خطيئة)^(٤).

ثالثاً: منهج ابن حنبل في أداء الرواية (التحمل):

اهتم علماء الحديث بالرواية والرواة اهتماماً كبيراً، ويستوضح ذلك بالاهتمام
بطرق تحمل الرواية، لما لذلك من أهمية في قبول الخبر أو رده، والتحمل: هو نقل
الحديث عن الغير بأي طريق من طرق النقل الصحيحة والمعتبرة، وهذا الغير
يسمى في عرف المحدثين (الشيخ)، وأما أداء الحديث فتعني روايته^(٥).

(١) المصدر نفسه، الحديث (١١٥٣٧)، ص ٨١٤.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٩٨٠٦)، ص ٧٠٦.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (٩٨٠٧)، ص ٧٠٦.

(٤) المصدر نفسه، الحديث (٩٨١٠)، ص ٧٠٦.

(٥) ابن الصلاح، علوم الحديث، ص ١٦٤؛ السيوطي، تدريب الراوي، ج ٢، ص ٨.

وقد حدد العلماء ثمانية طرق لتحمل الحديث وأدائه على أساس الحصر المنطقي والالتزام العرفي، وهي (السماع، والقراءة، والإجازة، والمناولة، والمكاتبة، والإعلام، والوصية، والوجادة)^(١).

ويعد السماع من أقدم طرق التحمل وأرفعها وأعلاها رتبة في نقل الحديث وتداوله كونها تدل على السماع المباشر من الشيوخ، ويشتمل السماع على التحديث والإملاء فالتحديث: ما يحدث به الشيخ من أحاديث على طلابه وهم يسمعون، وإما الإملاء: فهو ما ينطق به الشيخ من لفظ الحديث ويمليه على سامعيه وتلامذته، وهم يكتبون عنه^(٢)، أما الألفاظ التي تدل على السماع فهي (حدثنا، أخبرنا، أنبأنا، ذكر لنا، قال لنا، سمعنا)، إذا كان السامعون للشيخ مجموعة، أما إذا كان الراوي عن شيخه لوحده فيأتي بالألفاظ مفردة، وتسمى بالألفاظ السماع^(٣).

وقد استخدم أحمد بن حنبل في روايات المسند طريقتين من طرق تحمل الحديث، وهما، الأولى: (السماع) في أكثر روايته، أما الطريقة الثانية فهي (القراءة على الشيخ).

واقصر ابن حنبل في مسنده على لفظتين من ألفاظ السماع، هما: (حدثنا، وأخبرنا) فقط، فيما جاءت طريقة القراءة على الشيخ في المسند مقرونة بلفظة

(١) الشهيد الثاني، زين الدين علي بن أحمد العاملي (ت: ٩٦٥هـ / ١٥٥٧م): شرح البداية في علم الدراية، تحقيق: محمد رضا الحسيني الجلال، ط ١، منشورات الفيروز آبادي، (قم المقدسة، ١٤١٤ هـ)، ص ٩٠.

(٢) القاضي عياض، الالماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط ٢، دار التراث، (القاهرة، ١٩٧٧م)، ص ٦٣؛ ابن الصلاح، علوم الحديث، ص ٦١؛ ابن دقيق العبد، محمد بن علي القشيري، (٧٠٢هـ / ١٣٠٢م): الاقتراح في بيان الاصطلاح وما أضيف إلى ذلك من الأحاديث المعدودة في الصحاح، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٦هـ)، ص ٢٣٢.

(٣) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٣٢٠-٣٣١؛ ابن الصلاح، علوم الحديث، ص ٩٨؛ السيوطي، تدريب الراوي، ج ٢، ص ٨، ج ٢، ص ٣٦.

(قرأت على فلان)، ويمكن بيان منهج أحمد بن حنبل على النحو الآتي:

أ/ منهج أحمد بن حنبل في التعريف بشيوخه في المسند: مما يلاحظ في منهج أحمد بن حنبل في الأداء والتحمل: انه في بعض الروايات يعرف بشيخه تعريفاً مختصراً، ومن الأمثلة على منهج أحمد في التعريف بشيوخه:

حدثنا أبو يوسف المؤدب يعقوب - جازنا^(١). حدثنا الحسن بن يحيى من أهل مرو^(٢). حدثنا إسحاق بن إبراهيم الرازي - ختن سلمه الأبرش^(٣). حدثنا غسان ابن الربيع - موصلياً^(٤) حدثنا عمار بن محمد - وهو ابن أخت سفيان الثوري^(٥). حدثنا أبو كامل واسمه مظفر بن مدرك^(٦). حدثنا حماد بن خالد - وكان حافظاً وكان يحدثنا وكان يحفظ كتبت عنه أنا ويحيى بن معين^(٧). حدثنا مهنا بن عبد الحميد - كنيته أبو شبل^(٨). حدثنا ربعي بن إبراهيم - وهو أخو إسماعيل بن إبراهيم يعني ابن عليّة، وكان يفضل على أخيه^(٩). حدثنا عبد الواحد الحداد أبو عبيدة^(١٠). حدثنا عبد الوهاب بن همام - أخو عبد الرزاق^(١١). حدثنا سليمان

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٥٩٠)، ص ٨٩.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٣٨٥٤)، ص ٣٢٩.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (٩١٨٥)، ص ٦٦٩.

(٤) المصدر نفسه، الحديث (٩٥٦٣)، ص ٦٨٦.

(٥) المصدر نفسه، الحديث (٩٧٠٠)، ص ٧٠٠.

(٦) المصدر نفسه، الحديث (١٢٦٥١)، ص ٨٩١.

(٧) المصدر نفسه، الحديث (١٧٥٠٢)، ص ١٢٥٢.

(٨) المصدر نفسه، الحديث (١٩٦٩٥)، ص ١٤٢٧.

(٩) المصدر نفسه، الحديث (٧٤٤٤)، ص ٥٦١.

(١٠) المصدر نفسه، الحديث (٧٤٩٤)، ص ٥٦٤.

(١١) المصدر نفسه، الحديث (١٧٧٦١)، ص ١٢٧٢.

بن داود- وهو أبو داود الطيالسي^(١). حدثنا إسماعيل - يعني ابن إبراهيم بن علي^(٢). حدثنا عامر بن صالح- من ولد عبد الله بن الزبير^(٣). ومحمد بن كثير - اخو سليمان بن كثير^(٤). حدثنا إسماعيل بن محمد- يعني أبو إبراهيم المعقب، حدثنا مروان- يعني ابن معاوية الفزاري^(٥) حدثنا سريج- عبد الله بن ميسرة الخراساني^(٦). حدثنا أبو قرة الزبيري وهو موسى بن طارق من أهل الحصيب إلى جانبها رمع، وهي قرية أبي موسى الأشعري، وكان أبو قرة قاضياً لهم^(٧).

ب/ منهجه في ذكر مكان السماع: أحياناً يضيف أحمد بن حنبل بعض القرائن التي تؤكد سماعه ومنها انه يذكر مكان سماعه من شيخه. قال في بعض الروايات: حدثنا عبد الله بن الحارث المخزومي - بمكة^(٨). حدثنا شعيب بن حرب - أبو صالح - بمكة^(٩). حدثنا روح، إملاء علينا ببغداد^(١٠). قال روح ببغداد^(١١). حدثنا محمد بن يونس الفريابي - بمكة^(١٢). حدثنا الوليد بن مسلم - أبو العباس

(١) المصدر نفسه، الحديث (١٠٣٥٨)، ص ٧٣٧.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (١٢٨٢٨)، ص ٩٠٢.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (٢٦٧٣٠)، ص ١٩٤٧.

(٤) المصدر نفسه، الحديث (٢٤٤٦١)، ص ١٧٩٦.

(٥) المصدر نفسه، الحديث (١١٦٧٨)، ص ٨٢٤.

(٦) المصدر نفسه، الحديث (١١٦٧٩)، ص ٨٢٤.

(٧) المصدر نفسه، الحديث (١٥٤٨٦)، ص ١٠٧٧.

(٨) ابن حنبل، مسند، الحديث (٨٥٧٣)، ص ٦٣٢.

(٩) المصدر نفسه، الحديث (٨٧٤٩)، ص ٦٤٣.

(١٠) المصدر نفسه، الحديث (١٤٤٤)، ص ١٥٤.

(١١) المصدر نفسه، الحديث (٢٠١٧٦)، ص ١٤٦٢.

(١٢) المصدر نفسه، الحديث (١٠٨٩٨)، ص ٧٦٨.

الدمشقي - بمكة^(١). حدثنا أزهر بن القاسم الراسبي - بمكة^(٢). حدثنا يزيد بن هارون ببغداد^(٣).

ج/ منهجه في ذكر زمان سماعه من شيخه: وفي بعض الأحاديث يضيف أحمد ابن حنبل تاريخ سماعه من شيخه ومن الأمثلة على ذلك:

سمعت من علي بن هاشم بن البريد في سنة تسع وسبعين في أول سنة طلبت الحديث مجلساً، ثم عدت إليه المجلس الآخر وقد مات، وهي السنة التي مات فيها مالك بن انس^(٤). وفي موضع آخر قال: حدثنا علي بن هاشم بن البريد سنة تسع وتسعين^(٥) حدثنا نصر بن باب أبو سهل، في شوال سنة إحدى وثمانين ومائة^(٦). حدثنا عامر بن صالح الزبيري سنة ثمانين ومائة^(٧). حدثنا كثير بن مروان أبو محمد سنة إحدى وثمانين ومئة^(٨). سمعت من قران بن تمام في سنة إحدى وثمانين ومائة، وكان ابن المبارك ها هنا، وفيها مات ابن المبارك^(٩). حدثنا عبد الجبار بن محمد الخطابي في سنة ثمانين ومائتين^(١٠).

د/ منهجه في بيان أنواع السماع: ينوه أحمد بن حنبل في بعض الأحاديث عن

-
- (١) المصدر نفسه، الحديث (١٧٧٧٩)، ص ١٢٧٤.
 - (٢) المصدر نفسه، الحديث (١٥٠٦١)، ص ١٠٤٧.
 - (٣) المصدر نفسه، الحديث (١٥٩٧١)، ص ١١٢٠.
 - (٤) المصدر نفسه، الحديث (٦٠٩٤)، ص ٤٦٧.
 - (٥) المصدر نفسه، الحديث (٢٦٧٨٥)، ص ١٩٥١.
 - (٦) المصدر نفسه، الحديث (٢٢٢٧)، ص ٢١٣.
 - (٧) المصدر نفسه، الحديث (١٦٧٨٧)، ص ١١٩٣.
 - (٨) المصدر نفسه، الحديث (١٨٢١٣)، ص ١٣١٢.
 - (٩) المصدر نفسه، الحديث (٢٥٧٩٠)، ص ١٨٨٦.
 - (١٠) المصدر نفسه، الحديث (٢٦٩٦٢)، ص ١٩٦٥.

الطريقة التي اتبعها شيخه في أداء الحديث حين سمعه منه، سواء كانت من كتابه أو من حفظه، والكيفية التي ينقل ابن حنبل حديث الشيخ، أكانت بالحفظ أم بالإملاء، ومن أمثلة نوع سماع الأحاديث في المسند:

قال عبد الوهاب من كتابه^(١). حدثنا يحيى بن إسحاق من كتابه^(٢). حدثنا عفان بن مسلم من كتابه^(٣). حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ من كتابه^(٤). قال روح إملاء من كتابه^(٥).. حدثنا به وكيع في المصنف^(٦). حدثنا زيد بن الحباب من كتابه^(٧).. حدثنا حسين في تفسير شيان^(٨).. حدثنا أبو عبد الرحمن - عبد الله بن يزيد - بحفظه^(٩). حدثنا الوليد بن مسلم - إملاء^(١٠)

هـ/ منهج أحمد بن حنبل في تحمله وأدائه عن شيوخه عن طريق القراءة: القراءة على الشيخ وهي الطريق الثاني الذي اتبعه أحمد بن حنبل لنقل الحديث في كتابه وتلي السماع في الرتبة، وأكثر المحدثين يسمونها ب(العرض)^(١١)، ومن الأمثلة على طريق القراءة على الشيخ عند أحمد بن حنبل في المسند:

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٣٤٥٩)، ص ٩٤٤.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (١٥٩٣٧)، ص ١١١٦.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (١٩١٤٥)، ص ١٣٨٤.

(٤) المصدر نفسه، الحديث (٦٥٧٢)، ص ٤٩٧.

(٥) المصدر نفسه، الحديث (١٩٧٠٠)، ص ١٤٢٧.

(٦) المصدر نفسه، الحديث (٢٨٠٨)، ص ٢٥٦.

(٧) المصدر نفسه، الحديث (٦٦٣٣)، ص ٥٠٢.

(٨) المصدر نفسه، الحديث (١٦٤٦٤)، ص ١١٦٢.

(٩) المصدر نفسه، الحديث (١٥٧٢٣)، ص ١٠٩٧.

(١٠) المصدر نفسه، الحديث (١٧٧٧٩)، ص ١٢٧٤.

(١١) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٢٩٦ - ٢٩٨؛ ابن الصلاح، علوم الحديث، ص

١٠٠؛ السيوطي، تدريب الراوي، ص ج ٢، ص ٨.

قرئ على يعقوب في مغازي أبيه.^(١) حدثنا سليمان - وذلك من كتابه قرأه علينا^(٢)، قرئ على سفيان^(٣). قرأت على أبي قرة موسى بن طارق^(٤). حدثنا حاتم بن إسماعيل قراءة علينا من كتابه^(٥)، وقد كان أحمد كثيراً ما يقرأ على شيخه عبد الرحمن بن مهدي حيث كان عدد الأحاديث الواردة في المسند بهذا الطريق عن أحمد بن حنبل، قراءة على عبد الرحمن بن مهدي (١٥٠) حديثاً متناثراً في المسند^(٦).

و / منهج عبد الله بن أحمد في مسند أبيه:

يبلغ عدد الأحاديث التي تنسب إلى عبد الله والتي تناثرت في المسند (١٠٤٧) حديثاً مروياً عن (٤١) صحابياً والتي تعرف باسم زوائد عبد الله بن أحمد في مسند أحمد وللزوائد فائدة وهي جمع مادة كبيرة من الأحاديث التي لا توجد في المسانيد وخصوصاً المفقود منها أو التي تصل ناقصة^(٧)، ومن أشهر الكتب التي اختصت بالزوائد: كتاب (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد)، للهيتمي (ت: ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م)، وكتاب (إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة)، للبوصيري (ت: ٨٤٠ هـ / ١٤٣٦ م)، وكتاب (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية)، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م)^(٨). ويبدو أن عبد الله سار على منهج أبيه

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٥٦١٠)، ص ١٠٨٨.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٢٤٤٢٧)، ص ١٧٩٣.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (١٢١١٢)، ص ٨٥٥، الحديث (١٥٦٦٠)، ص ١٠٩٢.

(٤) المصدر نفسه، الحديث (٥٥٩٤)، ص ٤٣٧.

(٥) المصدر، نفسه، الحديث (١٥٣٧٢)، ص ١٠٦٧.

(٦) المصدر نفسه، الحديث (١٠٩٠٩)، ص ٧٦٩.

(٧) الأحدث، خلدون، علم زوائد الحديث، ط ١، دار القلم، (دمشق، ١٤١٣ هـ)، ص ٦٧.

(٨) أبو صعلبيك، محمد عبد الله، كتب الزوائد، ط ١، دار القلم، (دمشق، ١٩٩٦ م)، ص ١٩.

في رواية الحديث. فقد استخدم عبد الله لرواية الحديث في زوائده نفس طرق الأداء والتحمل عن شيوخه التي استخدمها أحمد بن حنبل في مسنده، ولكنه زاد عليه باستخدام طريقين لم يستخدمهما أبوه أحمد بن حنبل^(١)، وهما:

الطريق الأول: (المكاتبة)، وهي أن يكتب الشيخ مسموعاً أو شيئاً من حديثه لتلميذه سواء كان حاضراً عنده أو غائباً عنه^(٢) ومن الأمثلة على هذا النوع من الأداء: قال عبد الله كتب إلي إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير، قال: كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك، فحدث بذلك عني^(٣).

الطريق الثاني: (الوجادة)، وهي الأحاديث التي وجدها عبد الله بن أحمد في كتاب أبيه سواء سمعها منه أو لم يسمعها في أثناء سماعه للمسند من أبيه، ويشترط في صيغة الأداء (وجدت في كتاب فلان بخط يده)^(٤)، ومثال الوجادة في المسند: قال عبد الله وجدت في كتاب أبي بخط يده هذا الحديث حدثنا يحيى بن إسحاق أخبرنا ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عكرمة عن بن عباس: (أن رسول الله ﷺ لعن الواصلة والموصولة والمتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال)^(٥).

(١) صبري، زوائد عبد الله، ص ١١٥.

(٢) ابن الصلاح، علوم الحديث، ص ١١٢.

(٣) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٦٣٠٧)، ص ١١٥٠.

(٤) ابن الصلاح، علوم الحديث، ص ١١٨؛ ابن كثير، الباعث الحثيث، ص ١٣٠؛ صبري، الوجادة في مسند الإمام أحمد، ط ١، دار البشائر الإسلامية، (بيروت، ١٩٩٦م) ص ١٤-١٨.

(٥) ابن حنبل، مسند، ص ١٠٣، الحديث (٧٧٧).

رابعاً: منهج ابن حنبل في المرويات التاريخية:

يحتوي مسند أحمد بن حنبل على عدد كبير من الأحاديث لأحداث هامة في التاريخ الإسلامي، وتتميز مرويات ابن حنبل التاريخية في المسند بما يأتي:

لم تحط مرويات ابن حنبل في المسند بجميع جوانب الحدث التاريخي، شأنه شأن كتب الحديث عامة، إذ لم تكن الغاية من تصنيف تلك الكتب في الأصل كمصنفات تاريخية.

وردت مرويات ابن حنبل مبثوثة في المسند، فلم يتبع ابن حنبل الترتيب الزمني للأحداث التاريخية، كما لم يعتمد ابن حنبل التبويب في مواضيع المسند، كما فعل البخاري في صحيحه حيث عقد باباً خاصاً بالمغازي.

اتصفت المرويات التاريخية في المسند بأنها مجزأة، فكثيراً ما يروي ابن حنبل جزءاً محدداً من الحدث التاريخي في حديث، ويضيف تفاصيل معينة لنفس الحدث في حديث آخر. وكمثال على ذلك حينما ينقل ابن حنبل تفاصيل زواج الإمام علي عليه السلام من السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، نجده يورد في مسند الإمام علي عليه السلام، عن رجل سمع علياً عليه السلام يقول: (أردت أن أخطب إلى رسول الله ﷺ ابنته فقلت مالي من شيء فكيف؟ ثم ذكرت صلته وعائده فخطبتها إليه، فقال: هل لك من شيء، قلت: لا، قال: فأين درعك التي أعطيتك يوم كذا وكذا قلت: هي عندي، قال: فأعطها إياه)^(١)، ثم يورد في آخر المسند حديثاً يستكمل فيه تفاصيل وليمة العرس، عن أبي بريدة قال: (لما خطب علي عليه السلام فاطمة الزهراء عليها السلام، قال: رسول الله ﷺ إنه لا بد للعرس من وليمة...) ^(٢).

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٦٠٣)، ص ٩٠.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٢٣٤٢٤)، ص ١٧١٠.

من السمات البارزة في المرويات التاريخية في مسند أحمد بن حنبل تكرار الروايات في أكثر من موضع، وأمثلة تكرار الأحاديث في المسند كثيرة، منها حديث المارقة من أمة محمد ﷺ (الخوارج) فقد تكرر مرات^(١).

امتازت أغلب مرويات المسند التاريخية بأنها قصيرة ومختصرة، حيث أن أطول رواية تاريخية وردت في المسند^(٢) كانت في حادثة الإفك^(٣).

يمكن تقسيم الروايات التاريخية في مسند أحمد بن حنبل إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: روايات مطابقة للحدث التاريخي، كتحديد زمن حدوث معركة بدر الكبرى في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة^(٤).

النوع الثاني: روايات تاريخية متناقضة في تفاصيلها، فقد يروي ابن حنبل رواية لحادثة تاريخية محددة، ثم يروي رواية ثانية للحدث نفسه تخالف ما ورد في الرواية الأولى، فيكون بين الروایتين تناقض، ومثال حالة التناقض في مرويات أحمد بن حنبل في المسند: روايات تحديد عمر النبي ﷺ حين وفاته، فيورد ابن حنبل رواية عن ابن عباس يقول فيها: (قبض النبي ﷺ وهو ابن خمس وستين)^(٥). بينما يورد عن عائشة أنها قالت: (قبض رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة)^(٦).

(١) المصدر نفسه، الحديث (٧٠٦)، ص ٩٨، الحديث (١١٩٧)، ص ١٣٤، الحديث (١٢٥٥)، ص ١٣٨، الحديث (١٣٠٣)، ص ١٤١، الحديث (١١٣٠٥)، ص ٧٩٨، الحديث (١٦٠٧٣)، ص ١١٣٠، الحديث (١٩٣٤١)، ص ١٤٠١، الحديث (١٩٣٦٢)، ص ١٤٠٢، الحديث (٢٠٠٢١)، ص ١٤٥٠.

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٦١٤١)، ص ١٩٠٨.

(٣) الإفك لغة: هو الكذب، اصطلاحاً: كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه. ينظر: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن الفضل (المتوفى في حدود ٤٢٥هـ/ ١٠٣٣م): مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داودي، ط ٣، انتشارات ذوي القربى، (قم، ١٤٢٤هـ) ص ٧٩.

(٤) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٢٣٢)، ص ٢١٣.

(٥) المصدر نفسه، الحديث (١٨٤٦)، ص ١٨٨.

(٦) المصدر نفسه، الحديث (٢٥١٢٥)، ص ١٨٤٢.

النوع الثالث: روايات تفرد بإيرادها أحمد بن حنبل في المسند، منها حديث يورده ابن حنبل عن الإمام الصادق عليه السلام يصف فيه ما كان يفعل الإمام علي عليه السلام لما كان يغسل النبي صلى الله عليه وآله يقول فيه: (كان ماء غسله صلى الله عليه وآله حين غسلوه بعد وفاته يستنقع في جفون النبي صلى الله عليه وآله - يتجمع الماء في محاجر عينيه - فكان علي عليه السلام يحسوه - أي يشربه -) ^(١).

تناولت مرويات ابن حنبل في المسند أهم الموضوعات التاريخية، التي يمكن إجمالها بالآتي:

أخبار الأنبياء والرسل وبعض الأمم السابقة، وكان عدد الروايات فيها (٩٧) رواية ^(٢).

روايات تاريخية عن السيرة النبوية والمغازي، وقد بلغ عددها (١٦١٥) رواية تاريخية، تناولت الحقبة المكية من مولد النبي صلى الله عليه وآله إلى الهجرة، وبلغ عدد الروايات لهذه الحقبة (١٣٤) رواية، أما الحقبة المدنية التي امتدت من هجرته صلى الله عليه وآله وحتى استشهاده فكان عدد الروايات (٨٠٠) رواية تاريخية بالإضافة إلى شئائه وفضائله صلى الله عليه وآله وميراثه ومخلفاته وخطبه والتي بلغ عدد الروايات فيها (٧٨١) رواية. عدا المكرر من الروايات ^(٣).

روايات تاريخية عن الخلافة الراشدة، وعدد رواياتها (٥٠٠) رواية تاريخية. وقد بلغ عدد الروايات التاريخية التي تناولها في هذا البحث عن الإمام علي بن

(١) المصدر نفسه، الحديث (٢٤٠٤)، ص ٢٢٦.

(٢) ينظر: الساعاتي، الفتح الرباني شرح ترتيب مسند الإمام أحمد، (كتاب خلق العالم، قسم التاريخ) ص ٣٦١٥ - ٣٧٧١. لأنها كثيرة ومتناثرة في المسند وترهق الهامش إذا أدرجناها.

(٣) الساعاتي، الفتح الرباني، (كتاب سيرة أول النبيين وخاتم المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وآله، قسم التاريخ) ص ٣٧٧٣ - ٤٢٥٨.

أبي طالب عليه السلام في مسند ابن حنبل (٣٣٧) رواية تاريخية، منها (٥٠) رواية تناولت حياته الشريفة مع النبي صلى الله عليه وآله في مكة، و(١٤٠) رواية لأحداث الفترة المدنية، وقد شملت فضائله ومناقبه عليه السلام ومشاركته مع النبي صلى الله عليه وآله في سراياه وغزواته، وكان عدد الروايات الواردة في المسند حول الإمام علي عليه السلام مع الخلفاء الراشدين (٥٧) رواية، أما مدة خلافته وحروبه وإصلاحاته فبلغت (٩٧) رواية تاريخية، تضمنت استشهاداً، والفترة الأولى لخلافة الإمام الحسن عليه السلام (١).

مرويات تاريخية عن مناقب وفضائل الصحابة، وأمّهات المؤمنين من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته -عليهم السلام- (٢).

روايات تاريخية وردت في مسند أحمد بن حنبل عن الدولة الأموية، لم تتجاوز (٥٠) رواية. ركز بعضها على الفضائل الثلاث التي حدثت في عهد يزيد بن معاوية (مقتل الإمام الحسين عليه السلام والأخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله حول مقتله ومكان قتله وحزنه عليه قبل حصول الواقعة، وواقعة الحرة، وضرب الكعبة بالمنجنيق) (٣).

مرويات متنوعة وردت في المسند عن خصائص القبائل والأماكن (٤).

وأخيراً وردت في المسند روايات تاريخية عن العلامات الكبرى لظهور الإمام المهدي عليه السلام التي وردت على لسان النبي صلى الله عليه وآله، كخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم، وظهور يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها (٥).

(١) ينظر: عدد الأحاديث الواردة في المسند حول الإمام علي عليه السلام، ملاحق الرسالة، ص ٤٩٥ وما بعدها

(٢) الساعاتي، الفتح الرباني، (كتاب المناقب والفضائل، قسم التاريخ) ص ٤٢٥٩ - ٤٤٧٦.

(٣) المرجع نفسه، (كتاب الخلافة والإمارة، قسم التاريخ)، ص ٤٥٦٤ - ٤٥٧٧.

(٤) المرجع نفسه، (كتاب فضائل الأزمنة والأمكنة، قسم التاريخ)، ص ٤٥٧٩ - ٤٦٣٦.

(٥) المرجع نفسه، (كتاب الفتن وعلامات الساعة - قسم التاريخ)، ص ٤٦٣٧ - ٤٦٩٠.

كانت مقاصد أحمد بن حنبل في إيراد المرويات التاريخية على أنها جزء من السنة النبوية.

المبحث الثالث

موارد أحمد بن حنبل في المسند

أولاً: موارد المسند:

بدأ ابن حنبل بجمع الأحاديث النبوية وهو في سن السادسة عشر من عمره^(١)، معتمداً على ذاكرته وحفظه تارةً، وعلى تدوينه وما كان يكتبه في مجلس السماع تارةً أخرى، وقد استقى أحمد بن حنبل موارده في المسند بالدرجة الأولى عن طريق المشاهدة (السماع) من شيوخه، إذ قام أحمد بن حنبل برحلات عديدة إلى الأمصار الإسلامية لتتبع رواة الحديث، والاستزادة من الحديث، وحفظ ما لم يكن موجوداً عند علماء بلده وأهل مصره من الأحاديث، ولتحصيل علو الإسناد وقدم السماع، ولتنوع طرق الحديث ومعرفة أحوال الرواة من حيث العدالة والحفظ فضلاً عن معرفة علل الحديث^(٢)، فقد استوطنت أعداد كبيرة من الصحابة المدن والأقاليم الإسلامية المعروفة آنذاك، ولازم كل صحابي تلاميذ من الجيل الثاني عرفوا بالتابعين، وسمي تلاميذ التابعين بتابعي التابعين، والأخذ عن هؤلاء يعني الحصول على الإسناد العالي المطلق^(٣)، وبذلك أصبح الارتحال إليهم مذهب عموم المحدثين، بل وقاعدة عامة لكاتب الحديث، وسمة متميزة

(١) ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٢٣.

(٢) ابن الجوزي، المصعد الأحمدي، ص ٤٩٧.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٤٩٣ وما بعدها؛ ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٥٥ (مقدمة التحقيق).

من سمات مدرسة الحديث النبوي الشريف^(١)، وفي ذلك يقول بشار عواد معروف^(٢): "إن المئتين الثانية والثالثة شهدتا نهضة لا مثيل لها في جمع السنة النبوية الشريفة وتتبعها وتدوينها وتبويبها على أنحاء شتى من التنظيم والتبويب مما لم تعرفه أمة من الأمم، فكان ذلك خصيصاً بهذه الأمة الإسلامية، وهياً الله سبحانه مئات الحفاظ الجهابذة الذين حفظوا ودونوا مئات الألوف من طرق الحديث، ورحلوا من أجلها إلى البلدان النائية، وطوفوا في البلدان شرقاً وغرباً ليصدروا عن خبرة وعيان، وسألوا عن الرواة واطلعوا على مروياتهم ومدوناتهم ومحفوظاتهم، ثم غربلوا ما كتبوا من مئات الألوف وانتقوا منه ما يمكن أن يكون صحيحاً أو حسناً أو ضعيفاً... وللقارئ أن يتصور الجهد الهائل الذي بذله هؤلاء الأئمة الجهابذة في تصفية هذه الطرق والمتون، حينما يعلم مثلاً إن الإمام أحمد بن حنبل أخرج مسنده من جملة سبع مئة ألف حديث، وأن مسنده بحدود الثلاثين ألف طريق فقط، وإن البخاري أخرج كتابه الصحيح من زهاء ست مئة ألف حديث، وأحاديثه بالمكرر بحدود السبعة آلاف وخمس مئة حديث فقط، وذكر مسلم بن الحجاج أنه صنف صحيحه من ثلاث مئة ألف حديث مسموعة، وكتب يحيى بن معين ست مئة ألف حديث، والروايات في هذا الأمر معروفة متواترة.

كان أحمد بن حنبل من الآخذين عن تابعي التابعين، والمكثرين من الرحلة إليهم، لذلك فقد تعددت طرق الحديث عنده وتضخمت بشكل يصعب تصويره إذ بلغت مئات الألوف من الأحاديث تراكمت في خزائنه، فلما شرع في تصنيف مسنده أخرج من جملة سبع مئة ألف حديث مستنداً إلى أسس النقد الحديثي

(١) الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، ص ١٣٥؛ السيوطي، تدريب الراوي، ج ٢، ص ١٤٢؛ أبو بكر، عمر إيمان، التأسيس في فن دراسة الأسانيد، مكتبة المعارف، (الرياض، د.ت)، ص ١٣.

(٢) اثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين، ص ١٢٤ - ١٢٥.

التي كانت سائدة بين أهل الحديث في عصره^(١).

وقد بلغ عدد شيوخ أحمد بن حنبل في المسند بحسب رواية المتقدمين^(٢) (مائتين وثلاثة وثمانين شيخاً)، فيما بلغ عدد شيوخ ابنه عبد الله من الزوائد والوجدات وغيرها على المسند (مئة وثلاثة وسبعين شيخاً)، وعند استقصاء عدد شيوخ أحمد بن حنبل في المسند المعتمد في هذا البحث وجد أن عددهم (مئة وواحد وتسعون شيخاً) وعدد شيوخ عبد الله بن أحمد بن حنبل (مئة وستة وخمسون شيخاً)^(٣)، ويمكن تقسيم أنواع الموارد في المسند مابين أحمد وابنه عبد الله إلى أربعة أنواع:

النوع الأول: المشاهدة (السمع): ويبرز هذا النوع من الموارد في المسند في إضافة أحمد بن حنبل بعض القرائن التي تؤكد حضوره في مجالس شيوخه وسماعه لهم وتثبت مشاهدته الشخصية للشيخ في الزمان والمكان الذي تلقى فيه الحديث، هذا المورد اتخذه علماء الحديث في منهجهم في توثيق الأحاديث النبوية الشريفة لمعرفة رواة الحديث، فاعتمدوا الملاحظة المباشرة التي هي أحد أصول المنهج الإسلامي وقواعده لضمان صحة الرواية. وإن الغالب على روايات المسند هذا المورد حيث تأتي بصيغة (حدثنا، أخبرنا، أنبأنا)^(٤).

النوع الثاني: المشافهة: كان لالتقاء أحمد بن حنبل بالعديد من العلماء والشيوخ والأخذ منهم بالسمع أو القراءة عليهم، بشكل فردي -لوحده- أثر في حفظه الكثير من الأحاديث، التي قد أوردها بأسانيدها، مما يدل على أن الرواية الشفوية

(١) ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٢٧ - ٣٠؛ ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١، ص ١٣٠.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ١٨١؛ ابن الجوزي، المصعد الأحمدي، ص ٣٤.

(٣) متفقين بذلك العدد مع ما أحصاه: صبري، معجم شيوخ الإمام أحمد، ص ١١.

(٤) ينظر: ابن حنبل، مسند، الحديث (٨٥٧٣)، ص ٦٣٢.

تمثل عماد الحديث النبوي الأساسي، لما تميزت به من خصائص كالدقة والضبط. فكانت من أهم موارد المحدثين، لذلك لم يستغن المحدثون عن الرواية الشفوية، وتدوينها بألفاظ المشافهة: حدثني، أخبرني، قرأت على فلان^(١)، وقد جاء المسند كله كما ورد عن عبد الله بن أحمد: حدثني أبي^(٢).

النوع الثالث: الخطوط: وتسمى عند المحدثين (الوجادة) وهي من صيغ التحمل، فقد اقتبس عبد الله بن أحمد ما وجدته في كتاب أبيه من أحاديث وأدرجها ضمن المسند، ويشكل الاقتباس عن الخطوط أهمية تاريخية قيمة، نظراً لأنها جاءت بخط صاحبها فتكون بعيدة عن التحريف والتصحيف أو الإسقاط، وقد حرص عبد الله على استعمال ألفاظ دالة على نقله من الخطوط. كقوله: ووجدت بخط أبي في كتابه^(٣).

النوع الرابع: الأسئلة والمكاتبة: وتكون بسؤال المصنف عن حديث ما بصورة شخصية استناداً إلى معرفة الشيخ الموجه إليه السؤال بموضوع الحديث، ولم يستعمل أحمد بن حنبل هذا النوع من الموارد في المسند، إنما استخدمه ابنه عبد الله^(٤). وتجدر الإشارة إلى أن أحمد بن حنبل أجاز لنفسه التحديث بعد سن الأربعين^(٥)، وأجاز لابنه عبد الله رواية المسند، وقد دل قوله: احتفظ بهذا المسند فإنه سيكون للناس إماماً، على إجازته له^(٦). وقد وصف أحمد بن حنبل بأنه من العارفين بعلم الحديث

(١) ينظر: ابن حنبل، مسند، الحديث (١٧٦٨١)، ص ١٢٦٦.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٩٥١)، ص ٩٦٣.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (٥٠٥٧)، ص ٤٠٦.

(٤) المصدر نفسه، الحديث (٥٧٥)، ص ٨٨.

(٥) ابن الجوزي، مناقب، ص ١٨٨؛ أبو زهرة، ابن حنبل، ص ٣٧.

(٦) ابن الجوزي، المصعد الأحمدي، ص ٢٠.

وضروبه لذلك عدّ من علّية المحدثين^(١)، ومن النقاد المتقدمين الذين اعتمد منهجهم النقدي على دراسة حديث الشيخ فيحاكموه إلى ما روى، فإذا كان قد روى حديثاً صحيحاً - سنداً ومتنا - كان من الثقة في حديثه، وأما إذا روى حديثاً خطأ أو منكراً أو باطلاً فيكون من الضعفاء والمتروكين، أي أنه كان يحكم على الراوي بمروياته^(٢)، مع الاهتمام ببعض الجوانب التي يجب توافرها في الشيخ الذي يروي عنه منها: سلامة الراوي من الفسق وخوارم المروءة، وهو ما يعرف بالعدالة، وكذلك دقة أدائه للحديث، وهو ما يعرف بالضبط والإتقان عند المحدثين. فقد ضعّف ابن حنبل بعض الرواة لكثرة غلطه^(٣). إن كان الشيخ الراوي متخصصاً في الحديث - رواية ودراية -، وكثيراً ما كان أحمد بن حنبل ينتقد غير المتخصصين بطلب الحديث بقوله: لم يكن صاحب حديث، أو بقوله: ما رأيته يطلب الحديث^(٤).

ويفضل أحمد بن حنبل السماع من الشيخ على القراءة عليه - العرض -، والراوي الذي يحدث من كتابه لا من حفظه، وكان هو لا يحدث إلا من كتابه فقد قيل عنه: ليس في أصحابنا أحفظ من أحمد بن حنبل، وبلغني أنه لا يحدث إلا من كتاب، ولنا فيه أسوة^(٥).

إن هذا المنهج النقدي الحديثي كان سائداً بين المحدثين المتقدمين - يحدد تاريخ نقاد الحديث المتقدمين إلى نهاية القرن الثالث الهجري - في توثيق الرواة والأخذ

(١) القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج ٢ ص ٩٢؛ ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد ابن حنبل، ص ٤٩٧؛ ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٤٠.

(٢) الصنعاني، توضيح الأفكار، ج ١، ص ٧٣؛ الملياري، حمزة، الموازنة بين المتقدمين والمتأخرين في تصحيح الأحاديث وتعليقها، ط ١، دار ابن حزم، (بيروت، ١٩٩٥م)، ص ٩٧.

(٣) ابن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، ج ١، ص ٢٤٢؛ المزي، تهذيب الكمال، ج ١٦، ص ٢١٠.

(٤) حنبل، العلل ومعرفة الرجال، ج ١، ص ٢٤٢؛ المزي، تهذيب الكمال، ج ١٦، ص ٢١٠.

(٥) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ١، ص ٢٨٦.

عنهم، وإن كان يهتم بحال الراوي في أثناء التحمل والأداء للحديث دون النظر إلى متن الحديث في مطابقته للواقع الإسلامي كما أراده الحق تعالى مجده، وذلك بسبب تأخر تدوين الحديث زمناً طويلاً، وكثرة الوضع في الحديث، حتى ألفت الناس ذلك، فصار يصعب تصحيح ذلك المسار لما فيه من مخاوف نقمة السلطة السياسية فضلاً عن نقمة العامة لجهلهم ببواطن الأمور^(١). ومع ذلك فإن منهج المتقدمين كان اقرب إلى الإنصاف من منهج المتأخرين الذين يحكمون على الرواية بالراوي، فيحكمون على صحة الحديث كون رجاله ثقات، ويضعفون حديثاً آخر لأن إسناده فيه ضعيف وهذا التوثيق أو التضعيف مبني على أساس التعصب المذهبي، بينما عند الأوائل قد يصح حديث الضعيف لأنه وافق الثقات، وقد يضعف حديث الثقة لأنه من خطأه. بالإضافة إلى أن المتقدمين من أهل الحديث كانوا أقل تعصبا دينيا ومذهبيا من المتأخرين، لذلك لم يتخرجوا في الأخذ بمن خالفهم في العقيدة والمذهب سوى من كان داعية أو لم يكن بثقة، ومن هنا جاء الخلاف حول شرط أحمد بن حنبل عمن يخرج له حديثاً في مسنده من شيوخه، وخصوصاً عند أهل الحديث من الحنابلة، فقد وجدوا إن أحمد اشترط أن يخرج لمن هو ثقة ممن ثبت عنده صدقه وديانته، دون من طعن في أمانته، وفي الوقت نفسه فهو يروي أحاديث عن الضعفاء والمتروكين والمجهولين، ولما كانت الهوة بين الفرق الإسلامية قد اتسعت بمرور الزمن، وأصبحت كل فرقة لا توثق رواية الأخرى وتطعن في عدالتهم، الأمر الذي اضطرهم إلى تطبيق ذلك المنهج على أحاديث المسند المروية عمن يخالفهم مذهباً ومنهجاً من أجل تضعيفها وعدم الاعتبار بها^(٢).

(١) عتر، نور الدين، منهج النقد في علوم الحديث، ط ٣، دار الفكر، (دمشق، ١٩٩٢م)، ص ٤٥

(٢) الملياري، الموازنة بين المتقدمين والمتأخرين، ص ٩٨، بتصرف.

ثانياً: المعايير التي اعتمدها ابن حنبل في مواده عن شيوخه^(١):

نظراً لكثرة شيوخ أحمد بن حنبل^(٢)، فسنكتفي ببيان مواده عن شيوخه بأخذ بعض منهم والترجمة لهم حسب المعايير الآتية التي اعتمدها ابن حنبل للأخذ عن شيوخه:

المعيار الأول: أقسام رواة الحديث من شيوخ أحمد، وهم على أربع درجات: (ثقات، ضعفاء، متروكين، ومجهولين).

المعيار الثاني: شيوخ أحمد بن حنبل من أهل الفرق.

المعيار الثالث: شيوخه الذين نقل عنهم الحديث، وقد جرحوا بشيء يخالف أصول أحمد بن حنبل في الرواية عنهم كالمدلسين، والمختلطين، او ممن يأخذ الأجر على التحديث، او ممن أجاب في محنة خلق القرآن، او ممن يتهم بالرأي.

المعيار الرابع: شيوخه ممن حدث عنهم وهم أحياء من أقرانه من طبقته من الرواة.

المعيار الأول: أقسام رواة الحديث من شيوخ أحمد:

أ/ شيوخ أحمد الثقة: يذكر بعض دارسي المسند^(٣) إلى أن أحمد بن حنبل لا يروي إلا عن ثقة، وإنيهم من أهل صدق وحفظ وإتقان، ويندر الخطأ والوهم في حديثهم، وأكثر شيوخ أحمد بن حنبل في المسند ممن كانوا يتحرون الرواية عن الثقة، لأنه كان قد اشترط قبول رواية الراوي في مسنده ممن يثبت عنده صدقه وأمانته.

(١) رتب الموارد عن شيوخ أحمد بن حنبل على حروف المعجم.

(٢) ينظر: صبري، معجم شيوخ الإمام أحمد في المسند، ص ١٠٧ - ٤٠٧.

(٣) المديني، خصائص المسند، ص ٢٢؛ ابن الجزري، المصعد الأحمدي، ص ١٠؛ ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٨٠؛ صبري، معجم شيوخ الإمام أحمد بن حنبل، ص ١٢.

ب/ الضعفاء من شيوخه: يصنف منهج أحمد بن حنبل في الجرح والتعديل (نقد الرواة) ضمن المعتدلين مع بعض التساهل، ولذلك فقد روى في مسنده عن بعض الرواة المحكوم عليهم بالضعف عند علماء الجرح والتعديل المتشددين، بيد أن عدد الرواة الضعفاء الذين أخرج لهم ابن حنبل في مسنده كان قليلاً، وأحاديثهم في المسند أيضاً قليلة^(١)، وهم:

عمرو بن مجمع بن يزيد بن أبي سليمان السكوني، أبو المنذر الكوفي، ضعفه ابن أبي حاتم وابن عدي^(٢)، روى عنه أحمد بن حنبل خمسة أحاديث^(٣).

كثير بن مروان بن محمد السلمي الفهري، أبو محمد الشامي، ضعفه، وابن أبي حاتم^(٤)، روى عنه ابن حنبل حديثاً واحداً^(٥).

محمد بن عثمان بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي المكي، ضعفه ابن أبي حاتم، وابن حبان^(٦)، وروى عنه أحمد بن حنبل حديثاً واحداً فقط^(٧).

نصر بن باب الخراساني، أبو سهل المروزي، نزيل بغداد، توفي سنة ١٩٣ هـ^(٨)،

(١) الذهبي، ذكر من يعتد قوله في الجرح والتعديل، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط ٤، مكتب المطبوعات الإسلامية، (حلب، ١٤١٩ هـ)، ص ١٥٨-١٥٩، صبري، معجم شيوخ، ص ١١.

(٢) الجرح والتعديل، ج ٦، ص ٢٦٥؛ ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ج ٧، ص ٢٦٩٤.

(٣) مسند، الحديث (٤٢٥٦)(٤٢٥٧)(٤٢٥٨)(٤٢٥٩)(٤٢٦٠)، ص ٣٥٨.

(٤) الجرح والتعديل، ج ٧، ص ١٥٧؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٤٨١.

(٥) مسند، الحديث (١٨٢١٣)، ص ١٣١٢.

(٦) الجرح والتعديل، ج ٨، ص ٢٤؛ ابن حبان، أبو حاتم محمد بن أحمد البستي (ت: ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م):

المجروحين من المحدثين والضعفاء والمنكرين، تحقيق: إبراهيم محمود زايد، دار الوعي، (حلب، د.ت)، ج ٧، ص ٤٢٤.

(٧) مسند، الحديث (١١٣١)، ص ١٢٩.

(٨) الجرح والتعديل، ج ٨، ص ٤٦٩؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٢٧٨.

ضعفه ابن أبي حاتم، وسأل عنه عبد الله بن أحمد بن حنبل أباه فلم ينكر حديثه^(١)،
روى عنه أحمد بن حنبل (٢١) حديثاً^(٢).

ج/ المتروكون: المتروك هو من يكثر غلطه وغفلته ومن يخطئ في الحديث،
ويقيم على غلطه^(٣). وقد روى أحمد بن حنبل في المسند عن أربعة ممن قيل عنهم
من المتروكين، وهم:

عامر بن صالح بن عبد الله بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي البغدادي،
أبو أحمد الزبيري، توفي سنة ١٨٢ هـ^(٤)، قال فيه العلماء انه متروك الحديث^(٥)،
روى عنه أحمد بن حنبل (٢٠) حديثاً^(٦).

عبد الله بن واقد، أبو قتادة الحراني، مات سنة ٢١٠ هـ^(٧)، قال عنه ابن أبي
حاتم، وابن حبان^(٨)، من المتروكين، وروى عنه أحمد بن حنبل حديثين^(٩).

عمر بن هارون بن يزيد الثقفي، مولا هم أبو حفص البلخي، توفي سنة ١٩٤ هـ^(١٠)،

(١) مسند، الحديث (١٤٣٨٣)، ص ١٠٠٢، وفيه سأل عبد الله بن أحمد أباه عن نصر بن باب.

(٢) مسند، ص ٢١٣، فيها له أحاديث، ص ٥٢٣، فيها أحاديث، ص ٥٢٤، فيها أحاديث، ص ١٠٠٢،
فيها له أحاديث.

(٣) السيوطي، تدريب الراوي، ص ١٥٢؛ السخاوي، فتح المغيث، ج ١، ص ٣٤٤.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٢٣٤؛ ابن حجر تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٧١.

(٥) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٦، ص ٣٢٤؛ ابن حبان، المجروحين، ج ٢، ص ١٨٨.

(٦) مسند، كل أحاديثه في مسند عائشة، ص ١٨٨٥، فيها حديثان، ص ١٩٤٧، فيها حديث واحد،
ص ١٩٤٨، حديثان، ص ١٩٦١، فيها أحاديث، ص ١٩٦٢، فيها أحاديث.

(٧) الشافعي، الإكمال، ص ٢٥١-٢٥٢، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٦٧.

(٨) الجرح والتعديل، ج ٥، ص ١٩١؛ المجروحين، ج ٢، ص ٢٩.

(٩) مسند، ص ٩٤٤، له حديث واحد، ص ١١٢٩، له حديث واحد.

(١٠) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١١، ص ١٨٧؛ الذهبي، سير، ج ٩، ص ٢٦٧.

متروك الحديث عند ابن أبي حاتم، وابن حبان^(١)، روى عنه ابن حنبل حديثين^(٢).
 محمد بن القاسم الأسدي، أبو إبراهيم الكوفي، توفي سنة ٢٠٧ هـ^(٣)، متروك
 عند ابن أبي حاتم^(٤)، روى عنه ابن حنبل حديثاً واحداً فقط^(٥).

د/ المجهولون: وهم على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مجهول العين من لم يشتهر بطلب الحديث، ومن لم يعرف حديثه
 إلا من جهة راوٍ واحد^(٦).

القسم الثاني: مجهول الحال في العدالة ظاهراً وباطناً، وهو معروف العين
 وروى عن اثنين أو أكثر، ولكنه لم يوثق ولم يجرح^(٧).

القسم الثالث: مجهول الحال في العدالة باطناً لا ظاهراً، ويسمى المستور^(٨).
 على أن المحدثين في القرون الأولى الثلاث قد قبلوا رواية المجهولين بأقسامهم
 الثلاث^(٩)، وقد روى أحمد بن حنبل عن عدد من المجهولين في مسنده. وهم:
 إسماعيل بن يزيد، أبو يزيد الرقي، قيل عنه مجهول^(١٠)، روى عنه أحمد حديثاً واحداً^(١١).

(١) الجرح والتعديل، ج ٦، ص ١٤٠؛ المجروحين، ج ٢، ص ١٤٥.

(٢) مسند، ص ١٢٧٥، له حديث واحد، ص ١٣١١، له حديث واحد.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٤٠٧-٤٠٨.

(٤) الجرح والتعديل، ج ٨، ص ٦٥.

(٥) مسند، ص ١٦١٦.

(٦) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٩٢؛ ابن الصلاح، علوم الحديث، ص ١٥٤.

(٧) السخاوي، فتح المغيث، ج ١، ص ٣٣٠؛ الصنعاني، توضيح الأفكار، ج ٢، ص ٢٣٤.

(٨) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٩٢؛ ابن كثير، الباعث الحثيث، ص ١٠٥.

(٩) السخاوي، فتح المغيث، ج ١، ص ٣١٦؛ القاسمي، محمد جمال الدين، قواعد التحديث من فنون

مصطلح الحديث، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٤م)، ص ٢٠٤.

(١٠) الشافعي، الإكمال، ص ٣١.

(١١) مسند، ص ٢١٣، له فيها حديث واحد.

حفص بن عمر بن جابان، أبو طالب القاري^(١)، قال عنه ابن أبي حاتم مجهول^(٢)، وروى عنه ابن حنبل في مسنده حديثاً واحداً فقط^(٣).

عبد الله بن ميمون، أبو عبد الرحمن الرقي^(٤)، قيل عنه من مجهولي الحال^(٥). روى عنه أحمد بن حنبل ثلاثة أحاديث^(٦).

عبد المتعال بن عبد الوهاب الأنصاري^(٧)، وهو من مجهولي العين، روى عنه أحمد بن حنبل أربعة أحاديث^(٨).

فزارة بن عمر، أبو الفضل^(٩)، قال عنه أبو زرعة مجهول^(١٠)، روى عنه ابن حنبل سبعة أحاديث^(١١).

قريش بن إبراهيم الصيدلاني، أبو عبد الرحمن البغدادي^(١٢)، من مجهولي الحال^(١٣).

(١) الشافعي، الإكمال، ص ١٠٠.

(٢) الجرح والتعديل، ج ١، ص ٦٦.

(٣) مسند، ص ١٥٠٥.

(٤) الشافعي، الإكمال، ص ٢٥٠؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٤٩.

(٥) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٥، ص ١٧٢؛ ابن حجر العسقلاني، تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، اعتنى به أيمن صالح شعبان، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٦٦م)، ص ٢٣٩.

(٦) مسند، ص ٣٥٨، وص ١٥٢٩، وص ١٥٣٤.

(٧) ابن حجر، تعجيل المنفعة، ص ٢٦٤.

(٨) مسند، ص ١٦٧، له حديث واحد، ص ٨٣٢، له حديثان، ص ١٦١٥، له حديث واحد.

(٩) الشافعي، الإكمال، ص ٣٤٠؛ ابن حجر، تعجيل المنفعة، ص ٣٣٣.

(١٠) ذيل الكاشف، ص ٢٢٦.

(١١) مسند، ص ٦٢٥، له أربعة أحاديث، ص ٦٨٥، له حديث واحد، ص ٩٣٦، له حديث واحد، ص ١٧٢٩، له حديث واحد.

(١٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٤٧٠.

(١٣) الشافعي، الإكمال، ص ٣٥١؛ ابن حجر، تعجيل المنفعة، ص ٣٤٤.

روى عنه أحمد ثلاثة أحاديث^(١).

الذهيل بن ميمون الكوفي الجعفي^(٢)، قال عنه أبو حاتم، لا أعرفه^(٣)، روى عنه أحمد بن حنبل حديثاً واحداً قال فيه: كان يجلس في مسجد المدينة - يعني مدينة أبي جعفر المنصور - وهو شيخ قديم كوفي^(٤).

المعيار الثاني: شيوخ أحمد بن حنبل من أهل الفرق.

كان منهج أحمد بن حنبل قبول الرواية عن أهل المذاهب إذا عرف عنه الصدق والضبط والأمانة، ولم يكن من الدعاة، وشاركه في هذا الرأي أكثر نقاد الحديث المتقدمين^(٥)، ولذلك فقد كان بعض شيوخه الذين روى عنهم من الشيعة الثقة، وقد شكلت رواياتهم أغلب موارده في مناقب وفضائل الإمام علي عليه السلام في المسند. بيد أن ابن حنبل روى في المسند لشيوخه من الفرق الإسلامية الأخرى، وهم على النحو الآتي:

أ/ شيوخه من الشيعة:

إسحاق بن منصور السلولي، أبو عبد الرحمن الكوفي، توفي سنة ٢٠٥ هـ^(٦) قال عنه العجلي^(٧): (كوفي ثقة وكان فيه تشيع وقد كتبت عنه)، روى عنه أحمد

(١) مسند، ص ١١١٧، له حديث واحد، ص ١٣٣٤، له حديث واحد، ص ١٨٦٢، له حديث واحد.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٨٧.

(٣) الجرح والتعديل، ج ٩، ص ١١٣؛ الشافعي، الإكمال، ص ٤٤٧.

(٤) مسند، الحديث (٢٢٥٨٧)، ص ١٦٤٣.

(٥) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ١٨٤؛ ابن الصلاح، علوم الحديث، ص ١٠٤.

(٦) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٢، ص ٢٣٤؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٢٥٠؛

الطبرسي، محمد جعفر، رجال الشيعة في أسانيد السنة، ط ١، مؤسسة المعارف الإسلامية، (قم،

١٤٢٠ هـ)، ص ٤٤.

(٧) معرفة الثقات، ج ١، ص ٢٢٠.

ابن حنبل حديثين^(١).

إسماعيل بن إبان الأزدي، أبو إسحاق الكوفي الوراق، توفي سنة ٢١٦ هـ^(٢)، وثقه أحمد بن حنبل والبخاري^(٣)، روى عنه ابن حنبل أربعة أحاديث^(٤).

تليد بن سليمان المحاربي، أبو سليمان الكوفي، المتوفى سنة ١٩٠ هـ، عده الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام^(٥)، وثقه أحمد بقوله: «كان مذهبه التشيع ولم نر به بأساً، وقد كتبت عنه حديثاً كثيراً...»^(٦)، إلا أنه لم يورد له في المسند غير حديث واحد مروي عن أبي هريرة يقول فيه: (نظر النبي ﷺ إلى علي والحسن والحسين وفاطمة، فقال أنا حربٌ لمن حاربكم، وسلمٌ لمن سالمكم)^(٧).

الحسين بن الحسن الفزاري، أبو عبد الله الأشقر الكوفي، توفي ٢٠٨ هـ^(٨)، قال عنه ابن حجر^(٩): صدوق، يغلو في التشيع، روى عنه أحمد ستة أحاديث^(١٠).
سعيد بن خثيم بن رشد الهلالي، أبو معمر الكوفي، من أصحاب الإمام

(١) مسند، ص ٩٤٣، له حديث واحد، وص ٩٤٤، له حديث واحد.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٢٨٥؛ النجاشي، رجال النجاشي، ص ٣٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٣٤٧.

(٣) العلل ومعرفة الرجال، ج ١، ص ٣٢٧، (١٧٨٠)، التاريخ الكبير، ج ١، ص ٣٤٧.

(٤) مسند، ص ٧٨، ص ١٠١٤، ص ١٠٤٣، ص ١٤٦٢.

(٥) رجال الطوسي، ص ١٧٣؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٧، ص ١٣٦.

(٦) العلل ومعرفة الرجال، ج ١، ص ٤٥٢، (٢٠٨٨).

(٧) مسند، الحديث (٩٦٩٦)، ص ٧٠٠.

(٨) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٣، ص ٤٩؛ الذهبي، الكاشف، ج ١، ص ٣٣٢.

(٩) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٣٣٥.

(١٠) مسند، ص ١١٢، له حديث واحد، ص ٢١٥ له حديثان، ص ٢٦٨، له حديثان، ص ٣٧١.

الصادق، مات سنة ١٨٠ هـ^(١)، قيل عنه شيعي ثقة^(٢)، روى عنه أحمد حديثين^(٣).

عائذ بن حبيب بن الملاح، الهروي الكوفي، توفي سنة ١٩٠ هـ^(٤)، كان ثقة وشيخاً جليلاً عاقلاً^(٥) وروى عنه حديثاً واحداً فقط^(٦).

عباد بن العوام بن عمر بن عبد الله الكلابي، أبو سهل الواسطي، توفي سنة ١٨٥ هـ، كان من نبلاء الرجال وكان يتشيع^(٧)، وثقه ابن أبي حاتم وابن حبان وابن حجر^(٨)، روى عنه أحمد في المسند ثلاثة أحاديث^(٩).

عبد الرزاق بن همام الصنعاني، توفي سنة (٢١١ هـ)^(١٠).

عبد الوهاب بن همام بن نافع الصنعاني، أخو عبد الرزاق^(١١)، قيل عنه: ثقة وكان أعلى في التشيع من أخيه^(١٢)، روى عنه أحمد حديثاً واحداً فقط^(١٣).

-
- (١) النجاشي، رجال النجاشي، ص ١٨٠؛ الطوسي، رجال الطوسي، ص ٢١٣.
- (٢) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٤، ص ١٧؛ ابن حبان، الثقات في الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، ط ١، دار الفكر، (بيروت، ١٩٧٣ م)، ج ٦، ص ٣٥٩.
- (٣) مسند، ص ٣٧٧، ص ١٧٢٥.
- (٤) الطوسي، رجال الطوسي، ص ٢٦٢؛ الطبري، رجال الشيعة في أسانيد السنة، ص ٢٠٥.
- (٥) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٧، ص ١٧؛ ابن حبان، الثقات، ج ٧، ص ٢٩٧.
- (٦) مسند، ص ١١٠.
- (٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٣٣٠؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١١، ص ١٠٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص ٥١١.
- (٨) الجرح والتعديل، ج ٦، ص ٨٣؛ الثقات، ج ٧، ص ١٦٢؛ تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٩٩.
- (٩) مسند، ص ٧٨٥، ص ١٠٠٧، ص ١٠٣٨.
- (١٠) ترجم له في الفصل الأول، ص ٤٧.
- (١١) الشافعي، الإكمال، ص ٢٧٨؛ ابن حجر، تعجيل المنفعة، ص ٢٦٨.
- (١٢) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٦، ص ٧٠؛ ابن حبان، الثقات، ج ٨، ص ٤٠٩.
- (١٣) مسند، ص ١٢٧٢.

علي بن عاصم بن صهيب التيمي، أبو الحسن الواسطي^(١) (١٧)، قيل عنه: ثقة صدوق رمي بالتشيع^(٢)، روى عنه أحمد (٩١) حديثاً^(٣).

علي بن هاشم بن البريد، توفي سنة (١٨٠هـ)^(٤).

الفضل بن دكين الملائي، أبو نعيم الكوفي، توفي سنة ٢١٩هـ^(٥)، ثقة ثبت^(٦)، أثنى عليه أحمد قائلًا: الفضل ثقة يقظان عارف بالحديث^(٧)، وروى عنه ابن حنبل في مسنده (١٦١) حديثاً^(٨).

محمد بن عبد الرحمن الطفاوي، أبو المنذر البصري^(٩)، قيل عنه ثقة يغلو في التشيع^(١٠)، روى عنه أحمد (١٦) حديثاً^(١١).

محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدي، أبو أحمد الكوفي، توفي سنة ٢٠٣هـ^(١٢)

-
- (١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١١، ص ٤٤٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٢٤٩.
- (٢) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٦، ص ١٩٨؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٣٤٤.
- (٣) مسند، ص ٢١٢، له أحاديث، ص ٧٤٤، له أحاديث، ص ٩٤٤، له أحاديث، ص ٢٨٣-٢٨٤، له أحاديث، وغيرها من المتفرقات من الأحاديث.
- (٤) ترجم له في الفصل الأول، ص ٣٨.
- (٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٥٥٠؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٣٦٤؛ الطبري، رجال الشيعة في أسانيد السنة، ص ٣٣٣.
- (٦) البخاري، التاريخ الكبير، ج ١، ص ١١٨؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٧، ص ٦١، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٢٧٠.
- (٧) ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٤٨١.
- (٨) مسند، ص ١٣٨-١٣٩، له أحاديث، وتفرقت باقي أحاديثه على صفحات المسند.
- (٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٣٠٨؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٣١٠.
- (١٠) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٧، ص ٣٢٤؛ ابن حبان، الثقات، ج ٧، ص ٤٤٣.
- (١١) مسند، ص ٤٣٣، له أحاديث، ص ٤٧٧، له أحاديث، ص ٧٤٠، له أحاديث.
- (١٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٥، ص ٤٠٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٥٢٩.

كوفي ثقة يتشيع^(١)، روى عنه أحمد (٢٤٥) حديثاً^(٢).

محمد بن فضيل بن غزوان الضبي، أبو عبد الرحمن الكوفي، مات سنة ١٩٥ هـ^(٣)، وثقه ابن أبي حاتم وابن حجر^(٤)، وقال عنه الذهبي: شيعي محترق تحرقه على من نازع الأمر علياً^(٥)، روى عنه ابن حنبل (٣٨٠) حديثاً^(٦).

مصعب بن سلام التميمي الكوفي، نزيل بغداد، روى عن الإمام الصادق^(٧) قال: عنه ابن أبي حاتم: شيخ محله الصدق^(٨)، روى عنه أحمد بن حنبل أحاديث^(٩).

وقد أشار ابن قتيبة الدينوري إلى تشيع جماعة من كبار شيوخ أحمد بن حنبل^(١٠).

ب/ شيوخه من المرجئة:

وهم القائلون بأن مدار النجاة هو التصديق بالإسلام فقط ولا حاجة إلى العمل، لأنه لا يضر مع التوحيد ترك الفرائض^(١١). وعدددهم في المسند خمسة فقط:

- (١) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٧، ص ٢٩٧؛ ابن حبان، الثقات، ج ٩، ص ٥٨.
- (٢) مسند، ص ٥٧، له حديثان، ص ٩٥، له حديثان، ص ٢٣١، له أحاديث.
- (٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٣٨٩؛ الطوسي، رجال الطوسي، ص ٢٩٢.
- (٤) الجرح، التعديل، ج ٨، ص ٥٧؛ تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٤٠٥.
- (٥) سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ١٧٣.
- (٦) مسند، ص ٨٨، له أحاديث، وبقيّة رواياته متفرقة على صفحات المسند.
- (٧) النجاشي، رجال النجاشي، ص ٤٢٠؛ الطوسي، رجال الطوسي، ص ٣٠٩؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ١٠٨؛ الذهبي، الكاشف، ج ٢، ص ٢٦٧.
- (٨) الجرح والتعديل، ج ٨، ص ٣٠٧.
- (٩) مسند، ص ٤٣٣، له حديث واحد، ص ٤٥١، له حديثان، ص ١٠٠٢، له حديثان.
- (١٠) المعارف، ص ٣٢٥؛ الكثيري، السلفية بين أهل السنة والإمامية، ١٢٣.
- (١١) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٢٧٧ وما بعدها.

إبراهيم بن إسحاق بن عيسى البناي، أبو إسحاق الطالقاني، نزيل مرو، مات سنة ٢١٥ هـ كان يقول بالإرجاء^(١)، قال عنه ابن حبان: يخطئ ويخالف^(٢)، روى عنه أحمد بن حنبل (٥٢) حديثاً^(٣).

شبابة بن سوار الفزاري، مولا هم أبو عمرو المديني، توفي سنة ٢٠٤ هـ^(٤)، لم يوثق لأنه كان داعية للإرجاء^(٥)، روى عنه أحمد خمسة أحاديث^(٦).

عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني، أبو يحيى الكوفي، توفي سنة ٢٠٢ هـ رمي بالإرجاء^(٧)، ضعفه العجلي^(٨)، أخرج له ابن حنبل حديثاً واحداً^(٩).

محمد بن خازم الكوفي، أبو معاوية الضرير، مات سنة ١٩٥ هـ^(١٠) قيل عنه: كوفي ثقة ولكنه مرجئ^(١١)، روى عنه ابن حنبل (٤٧٠) حديثاً^(١٢).

محمد بن ميسر الجعفي، أبو سعد الصاغاني البلخي الضرير^(١٣)، كان مرجئاً

(١) الشافعي، الإكمال، ص ٦؛ الذهبي، الكاشف، ج ١، ص ٣٢.

(٢) الثقات، ج ٢، ص ٦٨.

(٣) مسند، ص ٦٥٠، له أحاديث، وبقية أحاديثه موزعة على مسانيد الصحابة في المسند.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٢٩٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٥١٣.

(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٣١٢؛ السخاوي، فتح المغيب، ج ١، ص ٣٣٠.

(٦) مسند، ص ٥٣٣، له حديث واحد، ص ٦٥٣، له حديث واحد، ص ١٥٠٥، له حديث واحد،

ص ١٨٨٥.

(٧) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٦، ص ١٦؛ ابن حجر تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ١٢٠.

(٨) معرفة الثقات، ج ٧، ص ١٢١.

(٩) مسند، ص ١٣٦٦.

(١٠) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٧٣؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ١٧٣.

(١١) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٧، ص ٢٤٦؛ ابن حبان، الثقات، ج ٧، ص ٤٤١.

(١٢) مسند، ص ٩٠-٩١، له أحاديث. وبقية رواياته متفرقة في المسند.

(١٣) الذهبي، الكاشف، ج ٢، ص ٢٢٦؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٤٨٤.

والضعف على رواياته بيّن^(١)، روى عنه أحمد ستة أحاديث^(٢).

ج/ شيوخه من القدرية:

وهم الذين قالوا بأن الله تعالى قدر الأمور أزلاً ولم يتقدم علمه بها، إنما يأتونها علماً حال وقوعها^(٣)، وروى أحمد عن:

أزهر بن القاسم الراسبي، أبو بكر البصري، نزيل مكة^(٤)، قيل عنه: يقول بالقدر، يخطئ ولا يحتاج به^(٥)، روى له أحمد في مسنده (٢٠) حديثاً^(٦).

عبد الأعلى بن عبد الأعلى القرشي البصري، قدرى غير داعية إليه، توفي سنة ١٩٨ هـ^(٧)، كان متقناً في الحديث^(٨)، روى عنه أحمد (٧٢) حديثاً^(٩).

عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر التيمي، أبو عبد الرحمن البصري، المعروف بابن عائشة، مات سنة ٢٢٨ هـ^(١٠)، قيل عنه: ثقة صدوق رمي بالقدر^(١١)، روى له ابن حنبل أحاديث^(١٢).

(١) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٨، ص ١٠٥.

(٢) مسند، ص ٤٠، ص ٦٣، ص ٦٥١، ص ١٠٦٢، له حديثان، ص ١٥٦٠، له حديث واحد.

(٣) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٩٩ وما بعدها.

(٤) الذهبي، الكاشف، ج ١، ص ٢٣١؛ صبري، معجم شيوخ الإمام أحمد بن حنبل في المسند، ص ١١٨.

(٥) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٢، ص ٣١٤؛ ابن حبان، الثقات، ج ٨، ص ١٣١.

(٦) مسند، ص ٧٦٩، له حديثان، ص ٨٨٢، له حديثان، ص ٩٣٢، له حديثان.

(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٢٤٢؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٩٦.

(٨) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٦، ص ٢٨؛ ابن حبان، الثقات، ج ٧، ص ١٣٠.

(٩) مسند، ص ٥٦٦-٥٦٧، له أحاديث.

(١٠) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٦٤؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٤٥.

(١١) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٥، ص ٣٣٥؛ ابن حبان، الثقات، ج ٨، ص ٤٠٥.

(١٢) مسند، ص ٧٨، ص ٤٧٣، ص ٩٧٧ له ثلاثة أحاديث.

عمرو بن الهيثم بن قطن الزبيري، أبو قطن البصري، كان قد روى، توفي سنة ٢٠٠ هـ^(١) وثقه ابن أبي حاتم وابن حبان^(٢)، روى له أحمد (٧٥) حديثاً^(٣).

محبوب بن الحسن بن هلال بن أبي زينب، أبو الحسن البصري، ومحبوب لقب له، واسمه محمد، توفي سنة ٢٢٣ هـ^(٤)، قال عنه ابن حجر: فيه لين ورمي بالقدر^(٥)، روى له أحمد أحاديث^(٦).

محمد بن الحسن أتش اليماني، أبو عبد الله الصنعاني، كان من كبار القدرية^(٧)، وثقه ابن أبي حاتم^(٨)، روى عنه أحمد بن حنبل ثلاثة أحاديث^(٩).

محمد بن سواء بن عنبر السدوسي، أبو الخطاب البصري، مات سنة ١٨٩ هـ^(١٠)، وثقه ابن أبي حاتم، وابن حبان^(١١)، روى له أحمد حديثاً واحداً^(١٢).

المعيار الثالث: شيوخه ممن خالفوا أصوله في نقل الحديث:

أ/ شيوخه الذين أجابوا بخلق القرآن: كان أحمد بن حنبل لا يقبل رواية من

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ١٩٩؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ١١٤.

(٢) الجرح والتعديل، ج ٦، ص ٢٦٨؛ الثقات، ج ٨، ص ٤٨٤.

(٣) مسند، ص ٣٠٧، له حديثان.

(٤) الذهبي، الكاشف، ج ٢، ص ١٦٤؛ صبري، معجم شيوخ الإمام أحمد، ص ٢٩٧.

(٥) تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ١١٩.

(٦) مسند، ص ٢٦٦، له حديث واحد، وبقية أحاديثه متفرقة في المسند.

(٧) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ١١٣؛ صبري، معجم شيوخ الإمام أحمد، ص ٣٠٧.

(٨) الجرح والتعديل، ج ٨، ص ٢٢٦.

(٩) مسند، ص ٤٣٤، له حديثان، ص ١٦٣٨، له حديث واحد.

(١٠) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٢٠٨؛ صبري، معجم شيوخ الإمام أحمد، ص ٣١٥.

(١١) الجرح والتعديل، ج ٧، ص ٢٨٢؛ الثقات، ج ٩، ص ٤٢.

(١٢) مسند، ص ٥٢٤.

أجاب بخلق القرآن بعد المحنة، ولكنه روى عن شيوخه قبل انفراجها^(١)، وهم:

سعيد بن سليمان الضبي، أبو عثمان الواسطي البزاز، المعروف بسعدويه، ممن أجاب بخلق القرآن قي زمن المأمون، توفي سنة ٢٢٥ هـ^(٢)، وثقه العجلي وابن أبي حاتم^(٣)، روى له أحمد ثلاثة أحاديث وهي مما وجده عبد الله بخط أبيه في كتابه^(٤).

علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي، أبو الحسن البصري، المعروف بعلي بن المديني، كان من المقربين إلى أحمد بن حنبل، ثم هجره لإجابته بالخلق، مات سنة ٢٣٤ هـ^(٥)، قال عنه ابن أبي حاتم: كان علي علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل^(٦)، روى له (٦٢) حديثاً، وكان عبد الله بن أحمد يشير إلى ذلك بقوله: (حدثنا علي بن عبد الله قبل أن يمتحن، ولم يحدث أبي عنه بعد المحنة)^(٧).

يحيى بن معين، توفي سنة ٢٣٣ هـ^(٨).

ب/ شيوخه ممن كان يأخذ الأجر على التحديث:

حفص بن عمر بن الحارث بن سخرة الأزدي، أبو عمر البصري، مات سنة ٢٢٥ هـ، عيب عليه بأخذ الأجرة على الحديث^(٩)، وثقه ابن أبي حاتم^(١٠) روى له

(١) ابن الجوزي، مناقب، ص ٤٧٣؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢، ص ٨٢.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٨٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٤٨١.

(٣) معرفة الثقات، ج ١، ص ٤٠٠؛ الجرح والتعديل، ج ٤، ص ٢٦.

(٤) مسند، ص ١٠٦٩، ص ٢٠٠٠، ص ٢٠٠٥.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٤٥٨-٤٧٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٤١.

(٦) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٦، ص ١٩٤؛ تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٣٤٩-٣٥٧.

(٧) مسند، ص ٦٥٨، له أحاديث.

(٨) ترجم له في الفصل الأول، ص ٣٥.

(٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٣٥٤؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٤٠٥.

(١٠) الجرح والتعديل، ج ٣، ص ١٨٢.

أحمد حديثاً واحداً فقط^(١).

الفضل بن دكين، مات سنة ٢١٩ هـ^(٢).

عفان بن مسلم، توفي سنة ٢١٩ هـ^(٣).

ج/ شيوخه من أهل الرأي (الأحناف والمعتزلة):

زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعي، أبو عبد الله الدمشقي، كان صاحب رأي على مذهب الأوزاعي، توفي سنة ٢٠٧ هـ^(٤)، وثقه علماء الجرح والتعديل^(٥)، روى عنه أحمد أحاديث^(٦).

محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصاري، أبو عبد الله البصري، مات سنة ٢١٥ هـ^(٧)، وثقه ابن أبي حاتم وابن حبان^(٨)، روى له ابن حنبل (٣٦) حديثاً^(٩).

د/ شيوخه المدلسون: التدليس: هو رواية الراوي عن من عاصره ولم يلقه فيتوهم أنه سمع منه، أو عن من لقيه ما لم يسمع منه^(١٠). وابرز شيوخ ابن حنبل من المدلسين:

(١) مسند، ص ٢٥٧.

(٢) ترجم له، ص ١٣١.

(٣) ترجم له في الفصل الأول، ص ٤٩.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٤٤٤؛ صبري، معجم شيوخ الإمام أحمد، ص ٣٢٠.

(٥) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٣، ص ٥٧٥؛ ابن حبان، الثقات، ج ٨، ص ٢٥٠؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٤٢٨.

(٦) مسند، ص ٤٧١، له حديثان، وبقية رواياته متفرقة على مساند الصحابة في المسند.

(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٥، ص ٤٠٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٥٣٢.

(٨) الجرح والتعديل، ج ٧، ص ٣٠٥؛ الثقات، ج ٧، ص ٤٤٣.

(٩) مسند، ص ٩١١، له أحاديث.

(١٠) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٣٨؛ السيوطي، تدريب الراوي، ج ١، ص ٢٢٣.

مروان بن معاوية بن الحارث الفزاري، أبو عبد الله الكوفي، توفي سنة ١٩٣ هـ^(١)، قيل انه كان يدلس في أساء الشيوخ^(٢)، روى عنه ابن حنبل (٢٥) حديثاً^(٣).

الوليد بن مسلم القرشي، أبو العباس الدمشقي، مات سنة ١٩٥ هـ^(٤)، كثير التدليس^(٥)، روى له أحمد في المسند (٤٥) حديثاً^(٦).

هـ/ شيوخه من المختلطين: الاختلاط: وهو فساد العقل، وعدم انتظام الأقوال والأفعال^(٧)، وأهم شيوخ أحمد بن حنبل المختلطين:

حجاج بن محمد المصيصي، أبو محمد الأعور اختلط في آخر عمره، مات سنة ٢٠٦ هـ^(٨)، وثقه علماء الحديث^(٩) روى عنه ابن حنبل (٥٧٥) حديثاً^(١٠).

المعيار الرابع: شيوخه الذين حدث عنهم وهم أحياء:

من المعروف عن أحمد بن حنبل إنه لا يروي عن شيخه وهو حي، بل يوجه طلبته إلى شيخه، فقد كره المحدثون الرواية عن الأحياء، ولكنه روى في المسند عن شيوخه من أقرانه المتقاربين معه في السن والإسناد وهم أحياء^(١١)، نذكر منهم:

- (١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٤٠٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٥٢.
- (٢) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٨، ص ٢٧٢؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٩٧.
- (٣) مسند، ص ١١١، له حديثان.
- (٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٢١١؛ صبري، معجم شيوخ الإمام أحمد، ص ٣٧٣.
- (٥) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٩، ص ١٦؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١١، ص ١٥١.
- (٦) مسند، ص ٥٤٨، له حديثان.
- (٧) ابن الصلاح، علوم الحديث، ص ٩٤؛ السخاوي، فتح المغيث، ج ٣، ص ٢٣١.
- (٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٢٣٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٤٤٧.
- (٩) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٣، ص ١٦٦؛ ابن حبان، الثقات، ج ٨، ص ٢٠١.
- (١٠) مسند، ص ٦٩، له فيها أحاديث.
- (١١) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ١٣٩؛ ابن الصلاح، علوم الحديث، ص ٤٦٣؛ السخاوي، فتح المغيث، ج ٢، ص ٨٤.

الربيع بن نافع، أبو توبة الحلبي، نزيل طرسوس، مات سنة ٢٤١ هـ^(١)، وثقه ابن أبي حاتم وابن حبان^(٢)، روى له أحمد أربعة أحاديث^(٣).

عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، مولا هم أبو بكر الكوفي، قال عنه الذهبي: أحد الأئمة الأعلام، من أقران أحمد في السن والمولد والحفظ، توفي سنة ٢٣٥ هـ^(٤)، وثقه علماء الجرح والتعديل^(٥)، روى عنه أحمد بن حنبل في مسنده (٧٣) حديثاً^(٦).

قتيبة بن سعد بن جميل الثقفي، مولا هم أبو رجاء البغلاني، مات سنة ٢٤٠ هـ^(٧)، وثقه ابن أبي حاتم، وابن حبان^(٨)، روى له أحمد (١٨٣) حديثاً^(٩).
علي بن المديني، توفي سنة ٢٣٤ هـ^(١٠).

يحيى بن معين، توفي سنة ٢٣٣ هـ^(١١).

(١) الذهبي، الكاشف، ج ١، ص ٣٩٢؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٢٥١؛ صبري، معجم شيوخ الإمام أحمد، ص ١٧٨.

(٢) الجرح والتعديل، ج ٣، ص ٤٧٠؛ الثقات، ج ٨، ص ٢٣٩.

(٣) مسند، ص ١٢١٧، ص ١٢١٨، ص ١٢٨٨، ص ١٣٣٨.

(٤) سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ١٢٢؛ صبري، معجم شيوخ الإمام أحمد، ص ٢٤٠.

(٥) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٥، ص ١٦٠؛ ابن حبان، الثقات، ج ٨، ص ٣٥٨؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٤٠٣.

(٦) مسند، ٢١٩، له فيها أحاديث.

(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٤٦٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٢٢.

(٨) الجرح والتعديل، ج ٧، ص ١٤٠؛ الثقات، ج ٩، ص ٢٠.

(٩) مسند، ص ٤٥٣، له فيها أحاديث.

(١٠) سبق التعريف به.

(١١) سبق التعريف به.



الفصل الثالث

الإمام علي عليه السلام
في مرويات ابن حنبل
(العهد النبوي)

المبحث الأول

الإمام علي عليه السلام في مرويات ابن حنبل (العهد المكي)

الجدير بالذكر هو أن أحمد بن حنبل لم يتطرق في مسنده إلى التفاصيل الشخصية للإمام علي عليه السلام من اسمه ونسبه وكناه وألقابه وزوجاته وأولاده، غير أن ذلك لا يمنع من الإشارة إلى شخصيته عليه السلام: هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة القرشي الهاشمي^(١)، أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف^(٢).

ولد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في يوم الجمعة الثالث عشر من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل، أي قبل البعثة لعشر سنوات^(٣)، وهو أول معصوم

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى ج ٣، ص ١٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ١٥٢؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ٩١.

(٢) هي السيدة فاطمة بنت أسد بن هاشم الزوجة الوحيدة لأبي طالب، أنجبت له أولاده الأربعة عقلاً وجعفرًا وعلياً وأم هانئ، وهي أول هاشمية تلد لهاشمي، أسلمت بعد عشرة من المسلمين فكانت الحادية عشرة، وهي أول امرأة بايعت الرسول ﷺ من النساء، وكان ﷺ يكرمها ويعظمها ويدعوها (أمي) لأنها هي التي احتضنته صغيراً منذ كان في السادسة من عمره حين أوصى عبد المطلب برعايته لأبي طالب، وقد هاجرت فاطمة إلى المدينة، ولما حضرتها الوفاة أوصت إلى النبي ﷺ وصلى عليها، ونزل في لحدها، واضطجع معها ليهون عليها ضغطة القبر. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٢٢٢؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٥، ص ٥١٧.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٦٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٤٠٩؛ الشريف الرضي، خصائص الأئمة، مجمع البحوث الإسلامية، (النجف الأشرف، ١٣٦٩ هـ)، ص ٣٩؛ المفيد،

يولد من أبوين هاشميين^(١)، وقد شاءت الإرادة الإلهية أن يكون مولده في جوف الكعبة^(٢) بيت الله الحرام، وأقدم من أشار إلى ولادة الإمام علي (عليه السلام) في الكعبة الشاعر المعروف بالسيد الحميري^(٣) في قصيدة له إذ قال:

ولدته في حرم الإله وأمنه والبيت حيث فناؤه والمسجد^(٤)

وذكر الفاكهي^(٥) أن علياً أول من ولد من بني هاشم في جوف الكعبة، وكان المسعودي^(٦) ممن ذكر ولادته (عليه السلام) بالبيت الحرام، وأما الحاكم النيسابوري^(٧)

-
- الإرشاد، ص ٩؛ الطبرسي، تاج المواليد في مواليد الأئمة ووفياتهم، مكتبة آية الله المرعشي، (قم، ١٩٨٦م)، ص ٨٨؛ ابن عنبه، جمال الدين بن علي الحسيني (٨٢٨هـ/١٤٣٦م)، عمده الطالب في انساب أبي طالب، ط ٢، منشورات المطبعة الجديدة، (دم، ١٣٨٠هـ)، ص ٥٨-٥٩؛ العاملي، السيد محسن عبد الكريم (ت ١٣٧٢هـ/٣١٩٤م)، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت، ١٤٠٧هـ)، ج ١، ص ٣٢٣.
- (١) ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ١٩؛ الأصفهاني، حلية الأولياء، ج ٣، ص ١٢١؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ٩١٧؛ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، تاريخ ابن الوردي، ط ٢، (النجف، ١٩٦٩م)، ج ١، ص ١٥٥؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٠٠؛ العاملي، أعيان الشيعة، ج ١، ص ٣٢٥.
- (٢) الكعبة: البيت المربع، وسمي البيت الحرام بالكعبة لتكعبه أي تريعه، والعرب تسمي المكان المرتفع كعبة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٢١٣.
- (٣) هو إسماعيل بن محمد بن يزيد، شاعر ظريف، له ديوان مطبوع، توفي سنة ١٧٣هـ. ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٧، ص ٢٤٨.
- (٤) السيد الحميري، إسماعيل بن محمد (ت: ١٧٣هـ /): ديوان السيد الحميري، جمع وتحقيق: شاعر هادي شكر، مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت)، ص ١٥٥.
- (٥) أبو محمد، محمد بن إسحاق بن العباس (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م): أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: الدكتور عبد الملك عبد الله دهيش، ط ٢، دار خضر، (بيروت، ١٩٩٣م)، ج ٣، ص ٢٢٩.
- (٦) مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٥٨.
- (٧) المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ٢، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٢) ج ٣، ص ٤٨٣.

فقال: (إن الأخبار تواترت أن فاطمة بنت اسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة). وقد روى عدد كبير من المؤرخين تلك الفضيلة التي تفرد بها الإمام علي حتى اقترنت به فصار يسمى (وليد الكعبة)^(١).

سمته أمه حيدرة، وحيدر من أسماء الأسد، وقد أكد الإمام علي (عليه السلام) هذا الاسم أثناء لقاءه بطل المشركين في معركة الخندق عام (٥هـ / ٦٢٦م)، بقوله:

(أنا الذي سمتني أمي حيدرة...)^(٢).

أما كنيته فقد كناه رسول الله (ﷺ)، بأبي تراب^(٣) وكذلك يكنى بـ (أبا الريحانتين)، فيروى أن رسول الله (ﷺ) قال لعلي: (سلام عليك أبا الريحانتين أو صيك بريحانتي فعن قليل يذهب ركنك والله خليفتي عليك، فلما قبض النبي (ﷺ) قال علي (عليه السلام): هذا أحد الركنين، فلما ماتت فاطمة قال هذا الركن الآخر)^(٤)، ويكنى أيضاً بأبي الحسن^(٥)، ولالإمام علي (عليه السلام) ألقاب كثيرة أضفاها عليه القرآن العظيم والنبي الكريم منها: (أمير المؤمنين، الوصي، الهادي، الولي، المرتضى، الإذن والواعية، الصديق الأكبر، الفاروق، سيد العرب)، وقد نسبت بعض هذه

(١) ينظر: في تفاصيل ولادة الإمام علي (عليه السلام) في الكعبة: النصر الله، فضائل الإمام علي المنسوبة لغيره، مركز الأبحاث العقائدية، (النجف الأشرف، ١٤٢٩هـ)، ص ٢٤٤-٢٦٦.

(٢) بن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١١٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١٣.

(٣) ذكر ابن حنبل حادثة هذه الكنية في حديث، وناقشنا الحديث في ص ١٩٩، ينظر ابن حنبل، مسند، الحديث (١٨٥١١)، ص ١٣٣٥.

(٤) لم يورد أحمد بن حنبل هذا الحديث في مسند إنما أورده في كتابه الفضائل، ينظر: ابن حنبل، فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ص ٥٤.

(٥) هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٥٠؛ ابن عنبه، عمدة الطالب، ص ٥٩، ص ١٦٢؛ العاملي، أعيان الشيعة، ج ١، ص ٣٢٥.

الألقاب لغيره^(١)، فيما وصف ب (الأنزع البطين)^(٢)، فهو (عليه السلام) أنزع من الشرك بطينٌ من العلم.

تزوج الإمام علي (عليه السلام) بعد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام^(٣) بزوجات عدة، وهن: خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن ثعلبة بن بني يربوع، ويلي بنت مسعود بن خالد بن ثابت بن ربعي من بني تميم، وأم البنين فاطمة بنت حزام بن خالد بن جعفر بن يحيى بن ربيعة بن عامر بن كعب بن كلاب، وأسماء بنت عميس الخثعمية، والصهباء وأم حبيب بن ربيعة من بني تغلبو أمانة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، وأم سعيد بنت عروة بن مسعود بن متعب الثقفي^(٤)، وتزوج (عليه السلام) من زوجات أخريات^(٥).

أما أولاد الإمام علي (عليه السلام) من الذكور فقد أفرد ابن حنبل^(٦) مسنداً جمع فيه أحاديث الإمام الحسن (عليه السلام)، والإمام الحسين (عليه السلام)، وذكر المحسن في حديث^(٧) (عليه السلام)، أما أولاده (عليه السلام) من غير السيدة الزهراء عليها السلام، فهم: محمد المعروف بابن الحنفية وأمّه خولة بنت جعفر، وعمر بن علي وأمّه الصهباء، أبو الفضل العباس، وعثمان، وجعفر، وعبد الله وأمهم أم البنين، وعبيد الله، وأبو

(١) ينظر: النصر الله، فضائل الإمام علي المنسوبة لغيره، مقدمة المركز، ص ٢-٥٠.

(٢) ينظر: الطائي، نجاح، البطين معاوية وليس علياً (عليه السلام)، ط ١، دار الهدى لإحياء التراث، (قم، ٢٠٠٩)، ص ١٢ وما بعدها.

(٣) ذكر أحمد بن حنبل زواج الإمام علي (عليه السلام) بالسيدة الزهراء (عليها السلام) وسترّد تفاصيل الزواج المبارك في الصفحات القادمة. ينظر: ابن حنبل، مسند، الحديث (٦٠٣)، ص ٩٠.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٢٠. ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٣٨.

(٥) ابن حزم، المصدر نفسه، ص ٣٨.

(٦) ينظر: ابن حنبل، مسند، ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٧) المصدر نفسه، الحديث (٩٥٣)، ص ١١٧.

بكر، وأمهم ليلي بنت مسعود، ويحيى، وعون، وأمهم أسماء بنت عميس، ومحمد الأوسط وأمهم أمانة، محمد الأصغر وأمهم أم ولد^(١).

وأما بنات الإمام علي (عليه السلام)، فهن: زينب الكبرى وأمها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، أم كلثوم الكبرى، ورملة الكبرى، وأم هاني، وميمونة، وزينب الصغرى، ورملة الصغرى، وأم كلثوم الصغرى، وفاطمة، وأمانة، وخديجة^(٢).

أولاً: أسبقية الإمام علي (عليه السلام) في التصديق بالنبي (صلى الله عليه وآله):

بغض النظر عن ولادة الإمام علي (عليه السلام) على الفطرة^(٣) وكانت ولادته في أقدس بقعة من بقاع الأرض - بيت الله الحرام - إذ لم يذكر أحمد بن حنبل في مسنده ولادة الإمام علي (عليه السلام) في الكعبة، وكذلك الاصطفاء الأول، الذي أشار إليه النبي محمد (صلى الله عليه وآله) بقوله: (كنت أنا وعلي نوراً يسبح لله عز وجل، قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام)^(٤)، فقد أورد ابن حنبل مجموعة من الأحاديث الموثقة في مسنده منها ما يدل على أسبقية الإمام علي (عليه السلام) إلى الإسلام، ومنها ما يشير إلى أنه (عليه السلام)

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٢٠؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٧.

(٢) ابن سعد، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٠. ابن حزم، المصدر نفسه، ص ٣٧. المكي، عبد الملك بن الحسين بن عبد الملك (ت: ١١١١هـ / ١٧١٤م)، سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية، (القاهرة، ١٣٨٠ هـ)، ج ٢، ص ٢١١.

(٣) الفطرة: هي التوحيد الخالص، أو الدين القيم، وهي النور الإلهي المركز في النفس القدسية، قال تعالى: ﴿فَأَوَّمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سورة الروم، الآية ٣٠، ويعبر عنها بالطينة في روايات أهل البيت - عليهم السلام - وكذلك يعبر عنها بالعقل المطبوع. ينظر: الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٣١٠.

(٤) ابن حنبل، فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)، الحديث (٢٥٤)، ص ٣٣٧؛ ابن المغازلي، أبو الحسن علي بن محمد الشافعي (ت: ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م)، مناقب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ط ٣، دار الأضواء، (بيروت، ٢٠٠٣م)، ص ٨٨.

أول من صلى مع النبي ﷺ بعد أم المؤمنين خديجة - عليها السلام - وقد أوردناها على النحو الآتي:

عن حبة العرني قال: سمعت علياً (عليه السلام) يقول: (أنا أول رجل صلى مع رسول الله ﷺ) (١).

وعن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندي عن أبيه عن جده قال: (كنت امرأً تاجراً فقدمت الحج فأتيت العباس بن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة وكان امرأً تاجراً، فو الله إني لعنده بمنى إذ خرج رجل من خباء قريب منه فنظر إلى الشمس فلما رآها مالت، قام يصلي قال ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذي خرج منه ذلك الرجل فقامت خلفه تصلي ثم خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخباء فقام معه يصلي، قال فقلت للعباس: من هذا يا عباس؟ قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي، قال فقلت: من هذه المرأة؟ قال: هذه امرأته خديجة ابنة خويلد، قال قلت: من هذا الفتى؟ قال: هذا علي ابن أبي طالب ابن عمه، فقلت فما هذا الذي يصنع؟ قال يصلي وهو يزعم أنه نبي ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتى وهو يزعم أنه سيفتح عليه كنوز كسرى وقيصر، قال: فكان عفيف يقول: لو كان الله رزقني الإسلام يومئذ فأكون ثالثاً مع علي بن أبي طالب) (٢).

عن ابن عباس قال: (...وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة، علي...) (٣)

وعن ابن عباس قال: (أول من صلى مع النبي ﷺ بعد خديجة علي، وقال مرة

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١١٩١)، ص ١٣٣.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (١٧٨٧)، ص ١٨٤.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (٣٠٦٢)، ص ٢٧٢.

أول من أسلم^(١).

حدثنا وكيع حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة مولى الأنصار عن زيد بن أرقم قال: (أول من أسلم مع رسول الله ﷺ علي (عليه السلام)).^(٢)

والجدير بالذكر أن أحمد بن حنبل بعد أن ذكر حديث زيد بن أرقم حول أسبقية الإمام علي (عليه السلام) يورد الحديث نفسه مكرراً مع بعض الإضافات التي أضافها الرواة والتي تنكر أسبقية الإمام علي (عليه السلام)، وهي كالآتي:

حدثنا يزيد بن هارون حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت أبا حمزة يحدث عن زيد بن أرقم قال: (أول من أسلم مع رسول الله ﷺ علي). قال عمرو ابن مرة فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي فأنكر ذلك، وقال أبو بكر^(٣).

حدثنا حسين بن محمد حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة، قال: سمعت أبا حمزة رجلاً من الأنصار، قال: سمعت زيد بن أرقم يقول: (أول من صلى مع رسول الله ﷺ علي). قال عمرو فذكرت ذلك لإبراهيم فأنكره، وقال أبو بكر^(٤).

حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال: (أول من أسلم مع رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب). فذكرت ذلك للنخعي فأنكره وقال أبو بكر أول من أسلم مع رسول الله ﷺ علي^(٥).

وهناك الكثير من التعارض في أحاديث المسند التي جمعها ابن حنبل خلال رحلاته إلى الأقطار والأمصار، وهذا التعارض ناتج عن جملة من الأسباب، أهمها:

(١) المصدر نفسه، الحديث (٣٥٤٢)، ص ٣٠٤.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (١٩٤٩٦)، ص ١٤١١.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (١٩٤٩٩)، ص ١٤١١.

(٤) المصدر نفسه، الحديث (١٩٥١٨)، ص ١٤١٢.

(٥) المصدر نفسه، الحديث (١٩٥٢١)، ص ١٤١٢.

منهج أحمد بن حنبل القائم على مبدأ الموازنة الذي سار عليه، فهو يقدم في مسنده مجموعة من الروايات الصحيحة والثابتة تاريخياً، ثم يضع إلى جانبها روايات تجانب الحقيقة لأنها روايات موجودة ومتداولة في أوساط أهل الحديث، ولم يلزم ابن حنبل نفسه في أن يصدر أحكاماً نقدية على أحاديث المسند سواء كانت -لسندها، أو متنها- وبذلك وفر للقارئ الاعتيادي عدداً من الروايات المتناقضة في كثير من الأحيان، وترك له حق اختيار ما يعتقد بأنه الصواب والواقع، وأما المختصون في علم الحديث فقد أوجدوا له العذر في ذلك بإلقاء اللائمة على الرواة من حيث التوثيق أو التضعيف وبما يناسب أذواقهم ومعتقداتهم، وبذلك المبدأ -مبدأ الموازنة- نجا ابن حنبل من حكم الإطراف المتخاصمة.

فضلاً عن أن اختلاف عقائد شيوخ أحمد بن حنبل الذين روى عنهم الحديث في مسنده، كان من الأسباب المهمة في ورود تلك الأحاديث المتناقضة في المسند، حيث أن كل راوٍ يحاول أن يبرز من يعتقد به من خلال إيراد الأحاديث التي ترفع شأنه. ولما كان ابن حنبل جامعاً لتلك الأحاديث من شيوخه، وتعمد إغفال نقد الأحاديث، فقد عصب صحة الحديث المروي في مسنده أوضعفه برأس راوي الحديث من شيوخه.

ولا نغفل سياسة الأمويين واتباعهم العباسيون التي أفضت إلى وضع الآف الأحاديث المتعارضة من أجل تغييب الحقائق، لإضفاء الشرعية على حكمهم، الأمر الذي دعا الكثير من المحدثين إلى الإقرار بما تروج له السلطات السياسية وذلك محابة لها لكسب رضاها كما حصل في محنة خلق القرآن، أو خوفاً من بطشها كما في الإضافة التي أوردها أحمد بن حنبل على حديث زيد بن أرقم

في مسألة السبق إلى الإسلام، التي تظهر أن إبراهيم النخعي^(١) أنكر سبق الإمام علي (عليه السلام) إلى الإسلام، وجعل الأسبقية إلى أبي بكر، وعند دراستنا لسيرة إبراهيم النخعي، وجدنا أنه مات متخفياً من بطش الحجاج الثقفي، لأنه كان من المواليين لأهل البيت -عليهم السلام- فمن البديهي أنه يجب بالإنكار حين يسأله بعض المحدثين حول حديث الأسبقية المروي عن زيد بن أرقم، لأنه يعرف أن أصل الحديث صحيح، أما إنكاره فكان تقية، ولعل سؤال راوي الحديث للنخعي عن السبق إلى الإسلام أضيف فيما بعد للتشكيك بصحة الحديث، وجعل الأسبقية لأبي بكر.

ومن الأمور التي ساعدت على وجود التناقض بين الأحاديث هو منهج المحدثين المتقدمين القائم على محاكمة الحديث إلى سند رجاله دون النظر والتدقيق لما في متن الحديث من تعارض^(٢).

وقد اعتمد المحدثون والمؤرخون في مسألة السبق إلى الإسلام على حديث عمرو بن عبسة^(٣) - بعد أن أيقنوا بأن حديث زيد بن أرقم قد أدخلت عليه إضافة - وقد روى له ابن حنبل أربعة أحاديث في مسألة الأسبقية إلى الإسلام:

(١) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، أبو عمران الكوفي، من قبيلة مذحج، عدّه الطوسي من أصحاب الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، وممن روى عنه إبان بن تغلب، مات سنة ٩٦ هـ متخفياً من الحجاج الثقفي والي الكوفة من الأمويين. ينظر: ابن سعد الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٨٨؛ الطوسي، رجال الطوسي، ص ١١٠.

(٢) محمد، المستشرقون والحديث النبوي، ص ١١٠.

(٣) مختلف في نسبه، فيقال إنه عمرو بن عبسة بن عامر بن خالد بن غاضرة بن عتاب بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم، وقيل أنه: عمرو بن عبسة بن خالد بن حذيفة بن عمرو بن خالد بن مازن بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمي، يكنى أبا نجيع، وقيل: أبا شعيب، يسكن حمص، أسلم قديماً، ثم رجع إلى دياره فأقام بها إلى أن هاجر بعد خيبر، فشهد فتح مكة، توفي أواخر خلافة عثمان. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٢٣٩.

عن عمرو بن عبسة قال: (أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله من أسلم؟ -يعني معك-، فقال: حر وعبد - يعني أبا بكر وبلالا -) (١).

حدثنا شداد بن عبد الله الدمشقي وكان قد أدرك نفرا من أصحاب النبي ﷺ قال: قال أبو إمامة: يا عمرو بن عبسة صاحب العقل عقل الصدقة رجل من بني سليم بأي شيء تدعي أنك ربع الإسلام قال: (إني كنت في الجاهلية أرى الناس على ضلالة ولا أرى الأوثان شيئا ثم سمعت عن رجل يخبر أخبار مكة ويحدث أحاديث، فركبت راحلتي حتى قدمت مكة، فإذا أنا برسول الله ﷺ مستخف وإذا قومه عليه جراء، فتلطفت له فدخلت عليه، فقلت ما أنت؟ قال: أنا نبي الله، فقلت وما نبي الله؟ قال: رسول الله، فقلت آله أرسلك؟ قال: نعم؟ قلت بأي شيء أرسلك؟ قال: بأن يوحد الله ولا يشرك به شيء، وكسر الأوثان وصلة الرحم، فقلت: له من معك على هذا؟ قال: حر وعبد أو عبد وحر، وإذا معه أبو بكر بن أبي قحافة وبلال مولى أبي بكر، قلت: إني متبعك قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فالحق بي، قال: فرجعت إلى أهلي وقد أسلمت فخرج ﷺ مهاجرا إلى المدينة فجعلت أتخبر الأخبار حتى جاءت راكبة من يثرب، فقلت: ما هذا المكي الذي أتاكم؟ قالوا: أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك وحيل بينهم وبينه وتركنا الناس سراعا، قال: عمرو بن عبسة فركبت راحلتي حتى قدمت عليه المدينة فدخلت عليه فقلت: يا رسول الله أتعرفني؟ قال: نعم أأنت أنت الذي أتيتني بمكة؟ فقلت: بلى، فقلت يا رسول الله علمني مما علمك الله وأجهل...) (٢).

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٧١٤٣)، ص ١٢٢٣.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (١٧١٤٤)، ص ١٢٢٤.

عن عمرو بن عبسة قال: (أتيت رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله من أسلم؟ قال: حر وعبد)^(١).

عن عمرو بن عبسة قال: (قلت: يا رسول الله من معك على هذا الأمر؟ قال: حر وعبد، ومعه أبو بكر وبلال، ثم قال لي: ارجع إلى قومك حتى يمكن الله عز وجل لرسوله قال: وكان عمرو بن عبسة يقول لقد رأيتني وأني لربيع الإسلام)^(٢). وتجدر الإشارة إلى جملة من الأمور بصدد الأحاديث الأربعة المروية في مسند أحمد بن حنبل عن عمرو بن عبسة:

الأمر الأول: تصف روايات أحمد بن حنبل، أن عمرو بن عبسة السلمي كان مجرد سائل عن أمر النبي ﷺ بعد أن سمع خبره من أحد الكهان، وأن النبي ﷺ أمره بالرجوع إلى أهله حتى يمكنه الله تعالى من نشر دينه؛ لأنه لا يستطيع على الإسلام وزعمه هذا باطل؛ لأن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بالجهر بالدعوة بقوله: ﴿فَاذْعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣)، ثم إنه جاء النبي ﷺ بعد هجرته إلى يثرب، فأين كان هذا الذي يدعي انه رابع من دخل الإسلام طوال ثلاث عشرة سنة قضاها النبي ﷺ وصحبه يعانون الاضطهاد والحصار في مكة؟ يبدو من سياق الأحاديث أن عمرو بن عبسة ادعى تلك الأحاديث ليثبت أسبقية أبي بكر، وكذلك ليجعل نفسه من أوائل الذين دخلوا الإسلام بعد أن أنكر عليه البعض ادعاءه في قدم إسلامه.

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٧١٥١)، ص ١٢٢٥.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (١٧١٥٣)، ص ١٢٢٥.

(٣) سورة الحجر، الآية (٩٤).

الأمر الثاني: إن سلمنا بصحة رواية عمرو بن عبسة وعدم تعرضها للتحريف فإن عمرو بن عبسة لم يسأل النبي ﷺ عن أول من أسلم معه، إنما سألته عن من معه، وإلا فإن الرواية الصحيحة كما يذكرها ابن حنبل خالية من التصريح باسم الحر والعبد في بعض الأحاديث، كما رواها أيضاً أبو جعفر الاسكافي^(١) على النحو الآتي: (عن عمرو بن عبسة قال: أتيت النبي ﷺ، فقلت: من بايعك على هذا الأمر؟ قال: بايعني حر وعبد، فلقد رأيتني يومئذ وأنا رابع الإسلام). ثم يعلق الاسكافي قائلاً: (لقد أبان الله علي بن أبي طالب عنه وعن جميع المؤمنين في عقله، فجعله أول الناس بلوغاً بعد النبي ﷺ، وأقدمهم إسلاماً، وكان في سن الأطفال وعقول البالغين، فبان عقله وتقدم في إسلامه وتكليفه).

وأما اليعقوبي^(٢) فيذكر الرواية بشيء من الاختلاف، مع تحديد أسماء من بايع النبي ﷺ على الإسلام، (عن عمرو بن عبسة قال: أتيت رسول الله ﷺ أول ما بعث وبلغني أمره، فوصف لي أمره وما بعثه الله به، فقلت هل اتبعك على هذا احد؟ قال: نعم امرأة وصبي وعبد، يريد خديجة بنت خويلد، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة).

الأمر الثالث: إن أرجحية التواتر في الرواية اعتمدها المحدثون في الأخذ بالرواية المتواترة، وترك الرواية المفردة المتعارضة مع المتواتر من الروايات^(٣)، ومسألة أسبقية الإمام علي (عليه السلام) من الروايات الراجحة التواتر، حيث ذكرها من المحدثين

(١) محمد بن عبد الله المعتزلي (ت: ٢٢٠هـ / ٨٣٥م): المعيار والموازنة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، تحقيق محمد باقر المحمودي، ط ١، مكتبة الإسكندرية، (مصر، ١٩٨١م)، ص ٧٠ - ٧١.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧.

(٣) ابن الصلاح، علوم الحديث، ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

ابن أبي شيبه^(١)، والحاكم النيسابوري^(٢)، وأبو نعيم الاصبهاني^(٣)، والبيهقي^(٤)، الهيثمي^(٥)، وأما المؤرخون فقد ذكرها، ابن أبي عاصم^(٦)، والطبري^(٧).

على هذا فإن الروايات المعارضة التي وردت في مسند أحمد بن حنبل، لا تنهض أمام الروايات الوافرة التي صرحت بتقدم الإمام علي (عليه السلام) على كل من اعتنق دين الإسلام، سواء التي وردت في المسند أو في غيره من المصنفات الحديثية والتاريخية، فقد نقل الأميني^(٨) أكثر من مائة شاهد وناقل من الصحابة والتابعين القائلين بأسبقية الإمام (عليه السلام) من كتب المحدثين والمؤرخين من الطرفين، فضلاً عن الإجماع التام على أن الإمام علياً (عليه السلام) لم يسجد لصنم قط، لذلك شاع إضافة لفظة (كرم الله وجهه) إليه للإشارة إلى تلك الفضيلة التي امتاز بها.

إلا أن جوهر الخلاف في أسبقية الإمام علي (عليه السلام) إلى الإسلام قد أخذت اتجاهين كلاهما سلبي:

الاتجاه الأول: إن السبق إلى الإسلام فضيلة عظمت مدحها القرآن الكريم بآيات

(١) عبد الله بن محمد (ت: ٢٣٥هـ / ٨٤٩م): المصنف في الحديث والآثار، تحقيق: عبد الخالق الأفغاني، الدار السلفية، (بومباي، ١٩٧٩م)، ج ٢، ص ٧٤.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١٣٤.

(٣) ذكر أخبار اصبهان، مطبعة بريل، (ليدن، ١٩٣٤م)، ج ٢، ص ١٥٠.

(٤) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م): سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٩م)، ج ٦، ص ٢٠٦.

(٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٩، ص ١٠٣.

(٦) أبو بكر أحمد بن عمرو الضحاك الشيباني (ت: ٢٨٧هـ / ٩٠٠م): الأوائل، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار الخلفاء للكتاب، (الكويت، د.ت)، ص ٧٠.

(٧) تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٣١٠.

(٨) عبد الحسين أحمد النجفي (ت ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م)، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ط ١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (بيروت، ١٩٩٤م)، ج ٣، ص ٢٢٤-٣٣٥.

عدة منها قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٢). لذلك فقد رام بعض مناوئي الإمام سلب تلك الفضيلة، ونسبتها إلى غيره^(٣) على أن أصحاب هذا الاتجاه اعتمدوا على رواية واحدة فقط وردت عن الشعبي^(٤)، لم يوردها ابن حنبل في مسنده:

ورواية الشعبي يرويها ابن الأثير^(٥) بنحو من التضعيف، بقوله: (وقيل أول من أسلم أبو بكر). ثم يذكر الرواية: قال الشعبي: (سألت ابن عباس عن أول من أسلم؟ فقال: أما سمعت قول حسان بن ثابت^(٦)).

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقةً فاذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها بعد النبي وأوفاهما بما حملا
والثاني التالي المحمودُ مشهدهُ وأول الناسِ قدما صدقَ الرسلا

(١) سورة التوبة، الآية (١٠٠).

(٢) سورة الواقعة، الآية (١٠، ١١).

(٣) ينظر: النصر الله، فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) المنسوبة لغيره، ص ٥٧.

(٤) هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الحميري الشعبي، يكنى أبا عمرو الكوفي، راوية للحديث، يعد من التابعين، كان من بطانة بني أمية، إذ اتخذه عبد الملك بن مروان نديماً وسميراً مقرباً له، وكثيراً ما كان يبعثه كسفير له إلى الروم، وولاه عمر بن عبد العزيز القضاء، توفي الشعبي على أشهر الروايات سنة ١٠٣هـ. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٢٢٧.

(٥) الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٢.

(٦) وهو حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري الخزرجي، شاعر الإسلام، وله بعض المواقف السلبية، منها انه كان ممن تكلم في حادثة الإفك متهماً زوج الرسول (ﷺ) بالفعل القبيح، وقد جلدته رسول الله (ﷺ) ثمانين جلدة، لم يشارك قط في أية غزوة من غزوات الرسول (ﷺ)، فقد عرف بأنه اجبن الناس، وقد جعله النبي (ﷺ) مع النساء يوم الخندق، وكان حسان بن ثابت من المتخلفين عن بيعة الإمام علي (عليه السلام)، توفي سنة ٥٤هـ وله من العمر مئة وعشرون سنة. ينظر: المفيد، الإرشاد، ص ٢٤٧؛ ابن الأثير: اسد الغابة، ج ٢، ص ٧-٩.

وهذه الرواية الواردة عن الشعبي، فيها تهافت إذ أن الشعبي نفسه يروي قول رسول الله ﷺ لعلي (عليه السلام): (هذا أول من آمن بي وصدقني وصلى معي) (١).

وأما ابن عباس فإن ابن حنبل وجمع من المحدثين (٢) قد رووا عنه قوله (أول من صلى مع النبي ﷺ بعد خديجة، علي بن أبي طالب)، وقد نقلت الروايات حديثاً آخر عن النبي ﷺ يشير إلى أن الإمام علياً (عليه السلام) كان أسبق الناس إلى الإيمان والصلاة بسبع سنين، إذ قال ﷺ: (صليت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين؛ لأننا كنا نصلي وليس احد غيرنا يصلي) (٣). وكذلك قول الإمام علي (عليه السلام): (أنا عبد الله، وأنا أخو رسول الله، وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب، ولقد صليت قبل الناس بسبع سنين) (٤)، وقوله ﷺ: (اللهم إني أول من أناب، وسمع وأجاب، لم يسبقني إلا رسول الله ﷺ بالصلاة) (٥).

وحددت بعض الروايات يوم إسلام الإمام علي (عليه السلام) بأنه كان يوم الثلاثاء، بعد مضي ليلة واحدة على نبوة الرسول ﷺ (٦)، إذ يذكر الترمذي (٧) عن أنس بن

(١) ابن أبي الحديد، أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين المدائني (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار إحياء الكتب العربية، (بيروت، ١٩٦٥م)، ج ٣ ص ٢٥٦.

(٢) مسند، الحديث (٣٠٦٢)، ص ٢٧٢؛ وينظر: الصنعاني، عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، (ت: ٢١١هـ / ٨٢٦م): المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الاعظمي، ط ٢، المكتب الإسلامي، (بيروت، ١٤٠٣هـ)، ج ١١، ص ٢٢٦؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج ١، ص ٩٥؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ١٣٤؛ البيهقي، سنن، ج ٦، ص ٢٠٦.

(٣) الحسكاني، شواهد التنزيل، ج ٢، ص ١٢٥، الكنجي، كفاية الطالب، ص ٣٩٨.

(٤) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار (ت ٣٠٣هـ / ٩١٥م)، خصائص أمير المؤمنين، تحقيق: أحمد البلوشي، ط ١، (الكويت، ١٤٠٦هـ)، ج ٣، ص ١٨.

(٥) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة (١٣١)، ص ١٩٥.

(٦) ابن قتيبة، المعارف، ص ١٦٨؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ج ٣، ص ١٢١.

(٧) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت: ٢٧٩هـ / ٨٩٢م): سنن الترمذي، تحقيق مصطفى محمد

مالك قال (نبى النبي يوم الاثنين، واسلم علي يوم الثلاثاء)، وعلى الرغم من فشل أصحاب الاتجاه الأول في محاولتهم نسب فضيلة السبق إلى الإسلام إلى غير الإمام علي (عليه السلام) أمام تواتر الروايات، إلا أنهم ظلوا متمسكين برأيهم، فلجئوا إلى اتجاه آخر.

الاتجاه الثاني: اعترف أصحاب هذا الاتجاه بأسبعية الإمام علي (عليه السلام)، ولكنهم قللوا من أهمية سبقه إلى الإسلام، من خلال طرح بعض الأمور، منها:

وصفوا إسلام الإمام علي (عليه السلام) بأنه مصادفة، وأنه (عليه السلام) فوجئ حين شاهد النبي ﷺ وزوجه خديجة يصليان، فتردد حين دعاه النبي إلى الإسلام، وطلب الإمهال حتى يحدث أباه أبا طالب، لأنه لم يسمع بأمر كهذا من قبل، وقد طلب منه النبي ﷺ أن يكتنم أمره ولا يفشي سره إن لم يسلم، ولكن الإمام مكث ليلة ثم إن الله تعالى هداه إلى الإسلام، فأصبح غاديا إلى رسول الله، فأسلم على يديه^(١) ولندع الإمام (عليه السلام) يرد بنفسه على من ادعى عليه التردد في قبول دعوة النبي ﷺ له إلى الإسلام، إذ يقول: (وقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ بالقراية القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد، يضمّني إلى صدره، وكان يمسحُ الشيء ثمَّ يلقمني، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل، ولقد كنت أتبعه إتباع الفصيل أثر أمّه، يرفع لي في كلِّ يومٍ من أخلاقه علماً، ويأمرني بالافتداء به، ولقد كان يجاور في كلِّ سنة بحراء فأراه، ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشمُّ ريح النبوة. ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ﷺ فقلت: يا

حسين الذهبي، ط ١، دار الحديث، (القاهرة، ١٩٩٩م)، ج ٥ ص ٦٤٠.

(١) ابن دحلان، أحمد بن زيني (ت: ٧٠٣هـ / ١٣٠٤م): السيرة النبوية، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٤٠٨هـ)، ص ١٠٤.

رسول الله ما هذه الرّثة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيسّ من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنّك لست بنبيّ، ولكنك لوزير وإنك لعلّ خير...^(١). ونستشف من هذه الخطبة أمران:

الأول: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) احتضن الإمام علياً (عليه السلام) منذ لحظة ولادته طوال السنوات الأولى من عمره الشريف، لا كما تروي المصادر^(٢) أنه (صلى الله عليه وآله) أخذه من عمه أبي طالب حين أصابت قريش سنون مجده، فعمد النبي (صلى الله عليه وآله) إلى التخفيف عن عمه بأخذ علي إلى بيته لكثرة عيال أبي طالب، فيذكر الأربلي^(٣) رواية مفادها أن النبي (صلى الله عليه وآله) طلب من أم الإمام علي (عليه السلام) أن يرعاه بنفسه قائلاً: (إيه فاطمة، اجعلي مهده بقرب فراشي)، والإمام علي (عليه السلام) يؤكد على أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يضمه إلى صدره وهو طفل وليد كي ينام، ويمضغ له الطعام ويلقمه إياه حيث لم تكن بعد قد تكونت أسنانه، ثم تحول للعيش مع النبي (صلى الله عليه وآله) في داره بعد زواجه بخديجة عليها السلام. الثاني: إن إسلام الإمام علي (عليه السلام) كان لحظة نزول الوحي على الرسول (صلى الله عليه وآله)، في الوقت نفسه الذي آمنت به خديجة^(٤).

لما أحس ابن عبد البر^(٥) بتناقض الروايتين الواردتين عن ابن عباس حين ترجم لأبي بكر فأورد آيات حسان بن ثابت، ثم روى عن ابن عباس في ترجمته

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة (١٩٢)، القاصعة، ص ٣١١.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٦٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٣١٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٤٢٨.

(٣) كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج ١، ص ٦٢.

(٤) ينظر: الشرهاني، حسين علي، أضواء على السنة النبوية، دراسة حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) مع السيدة خديجة ع، ط ١، تموز للطباعة والنشر، (دمشق ٢٠١٣ م)، ص ٨٦.

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، صححه وخرج أحاديثه: عادل مرشد، ط ١، دار الأعلام، (الأردن، ٢٠٠٢ م)، ص ٥٢٤.

للإمام علي (عليه السلام) ما يدل على أنه أول القوم إسلاماً، فبرر ذلك بأن يكون المقصود إن أبا بكر لم يكن أسبق إلى الإسلام في الحقيقة والواقع، بل أسبق من حيث أنه أول من أظهر إسلامه، في حين أخفى الإمام (عليه السلام) إسلامه، ولا يستقيم تبرير ابن عبد البر مع ما أورد ابن حنبل^(١)، فضلاً عن روايات المحدثين^(٢) والمؤرخين^(٣) التي نصت على أن الإمام علياً (عليه السلام) كان يصلي مع النبي (صلى الله عليه وآله) قبل الجهر بالدعوة، وكان عمره يومئذٍ عشر سنوات.

قالوا إن الإمام علياً أسلم وهو صغير السن، ولا يقاس إسلامه بإسلام غيره ممن أسلم وهو كبير السن كامل التجارب، من حيث أن إسلام شيخ محنك ومجرب ذي عقل وبصيرة أفضل من إسلام طفل لم يبلغ الحلم! وقد تجادل الجاحظ والإسكافي حول إسلام علي (عليه السلام) وأبي بكر. فقال الجاحظ^(٤): (إن أبا بكر أفضل من علي على هذه الناحية، لأن أبا بكر أسلم وهو رجل ناضج العقل، أما علي فأسلم وهو صبي لم يبلغ الحلم، وإسلام المتقدم في السن أفضل لأنه يعاني مؤنة الرؤية واضطراب النفس ومشقة الانتقال قد طال الفهم له) فرد عليه الإسكافي^(٥): (إن إسلام علي في صباه أفضل، فالغالب على أمثاله اللعب واللهو، ولكنه آمن بما ظهر له من دلائل الدعوة، فقهر شهوته، وغالب خواطره، وخرج

(١) مسند، الحديث (١٧٨٧)، ص ١٨٤.

(٢) الصنعاني، المصنف، ج ١١، ص ٢٢٦؛ النسائي،، خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ج ٣، ص ١٨؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج ١، ص ٩٥؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ١٣٤؛ البيهقي، سنن البيهقي، ج ٦، ص ٢٠٦؛ الكنجي، كفاية الطالب، ص ٣٩٨.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٦٣؛ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت: ٢٧٩هـ / ٨٩٢م): انساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، ورياض زركلي، ط ١، دار الفكر، (بيروت، ١٩٩٦م)، ج ١، ص ١٢٢؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٣١٣.

(٤) العثمانية، تحقيق: عبد السلام هارون، ط ١، دار الجبل، (بيروت، د.ت) ص ١٩.

(٥) المعيار والموازنة، ص ٤٣.

من عادته وحمى نفسه عنه، وكسر شره حدائته بالتقوى).

وكان الأخرى بالاسكافي أن يحتج على الجاحظ بما ورد في القرآن الكريم من آيات بينات تؤكد أن الله سبحانه وتعالى قد حمل بعض الأنبياء الرسالة والتبليغ ولم يكونوا قد تجاوزوا العشر سنوات من أعمارهم، قال تعالى في شأن يحيى (عليه السلام): ﴿وَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(١)، وقوله تعالى في عيسى ابن مريم (عليه السلام): ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا^(٢)، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول في الإمام علي (عليه السلام): (يا علي مثلك في أمتي مثل المسيح عيسى ابن مريم...) (٣).

ولنا أن نترك الجواب على إشكالية عدم الأهمية سبق الإمام (عليه السلام) إلى الإسلام لصغر سنه، إلى عقلاء المسلمين من المتكلمين، فنورد احتجاج المأمون مع فقهاء المسلمين وقضاتهم ومتكلميهم:

جمع المأمون أربعين عالماً ممن يفقه ما يقال إليه ويحسن الجواب، من أجل مناظرتهم في مذهبه الذي هو عليه، والذي يدين الله به، فأجابوه إلى ذلك، وكان من جملة ما ذهب إليه المأمون إعلانه أفضيلة الإمام علي (عليه السلام)، وأنه خير خلفاء الله بعد رسوله (صلى الله عليه وسلم)، وأولى الناس بالخلافة^(٤).

فقال أحد العلماء: يا أمير المؤمنين إن فينا من لا يعرف ما ذكر أمير

(١) سورة مريم، الآية (١٢).

(٢) سورة مريم، الآية (٢٩-٣٠).

(٣) الخوارزمي، أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي اخطب خوارزم (ت: ٥٦٨هـ / ١١٧٢م): المناقب، تحقيق: مالك المحمودي، ط ٢، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٤١١هـ)، ص ٢٣٧.

(٤) ابن عبد ربه، أبو عمر بن محمد (ت: ٣٢٨هـ / ٩٣٩م): العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، دار الفكر، (بيروت، د. ت)، ج ٣، ص ٢٨٥.

المؤمنين؟ فقال المأمون: يا إسحاق أي الأعمال كانت أفضل يوم بعث الله رسوله؟ فقال إسحاق: الإخلاص بالشهادة. قال المأمون: أليس السبق إلى الإسلام؟ قال: نعم، فقال المأمون: اقرأ ذلك في كتاب الله تعالى يقول: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(١)، إنما عنى من سبق إلى الإسلام، فهل علمت أحدا سبق عليا إلى الإسلام؟

قال إسحاق: يا أمير المؤمنين إن عليا أسلم وهو حديث السن، لا يجوز عليه الحكم، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم.

قال المأمون: أخبرني أيهما أسلم قبل؟ ثم أناظرُك من بعده في الحادثة والكمال. قال إسحاق: علي أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة. قال المأمون: نعم، فأخبرني عن إسلام علي حين أسلم، لا يخلو من أن يكون رسول الله (صلى الله عليه وآله) دعاه إلى الإسلام، أو يكون إلهاما من الله. فأطرق إسحاق رأسه.

فقال المأمون: يا إسحاق لا تقل إلهاما فتقدمه على رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبريل عن الله. قال إسحاق: أجل دعاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الإسلام. قال المأمون: يا إسحاق فهو لا يخلو رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله، أو تكلف ذلك من نفسه؟ فأطرق إسحاق. فقال المأمون: يا إسحاق لا تنسب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) التكلف، فإن الله يقول: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾^(٢).

قال إسحاق: أجل يا أمير المؤمنين، بل دعاه بأمر الله، قال المأمون: فهل من صفة الجبار جل جلاله أن يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم؟ قال

(١) سورة الواقعة، الآية (١٠ - ١١)

(٢) سورة ص، الآية (٨٦).

إسحاق: أعوذ بالله. قال المأمون: أفتراه في قياس قولك يا إسحاق إن عليا اسلم صبيلا لا يجوز عليه الحكم؟ قد كلف رسول الله ﷺ من دعاء الصبيان ما لا يطيقون؟ فهل يدعوهم الساعة ويرتدون بعد ساعة فلا يجب عليهم في ارتدادهم شيء؟ ولا يجوز عليهم حكم رسول الله ﷺ، أجازت عندك أن تنسبه إلى رسول الله؟ قال إسحاق: أعوذ بالله. قال المأمون: يا إسحاق فأراك إنما قصدت لفضيلة فضل بها رسول الله ﷺ عليا على هذا الخلق، أبانه بها منهم ليعرفوا فضله، ولو كان الله أمره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا عليا. قال إسحاق: بلى.

قال المأمون: فهل بلغك إن الرسول ﷺ دعا أحدا من الصبيان من أهله وقرابته لئلا تقول إن عليا ابن عمه؟ قال إسحاق: لا اعلم ولا ادري فعل او لم يفعل، قال المأمون: يا إسحاق رأيت ما لم تدري ولم تعلمه هل تسأل عنه؟ قال إسحاق: لا. فقال المأمون: فدع ما قد وضعه الله عنا وعنك^(١).

إن أسبقية الإمام علي (عليه السلام) تعني التصديق بالنبي ﷺ والصلاة معه، ولم تكن سابقة إلى الإسلام؛ لأن القول بأن الإمام عليا (عليه السلام) أول من اسلم يعني انه (عليه السلام) كافر ثم اسلم وهذا ما لم يقل به احد، فمن الثوابت التاريخية أن الإمام عليا (عليه السلام) لم يسجد لصنم، ولم يشرك بالله طرفة عين، لذا كان (عليه السلام) يقول: أنا أول من صدق^(٢) برسول الله ﷺ ولم يقل: أول من اسلم.

ثانياً: الإعلان الأول (آية الإنذار):

إذا كان الصراع بين الخير والشر مستمرا باستمرار وجود الشيطان إلى يوم الوقت المعلوم، فإن خطر الانحراف يبقى مؤكداً، لذا فإن البشرية ستكون بحاجة

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٣، ص ٢٨٦.

(٢) النسائي، خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام)، ج ٣، ص ١٨.

إلى من يقوم بمهمة التربية والتزكية، وتعميق الفضائل الإنسانية والأخلاقية في نفوسهم بعد الأنبياء - عليهم السلام - بالإضافة إلى الاستمرار في تأويل الآيات بما يتناسب وتطور العقل البشري والكمال النفسي^(١).

ومن هنا تبرز الحاجة إلى الوصي، والخليفة للنبي (صلى الله عليه وآله)، فجاء تنصيب علي (عليه السلام) من قبل الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) للحفاظ على مستقبل الدعوة، ولضمان استمرار المسيرة البشرية نحو كمالها المنشود. وما يوم الدار، وما جرى فيه من تنصيب علي (عليه السلام) خليفة ووزيرا ووصيا لرسول رب العالمين (صلى الله عليه وآله) إلا واحداً من تلك المناسبات الكثيرة التي جرى فيها التأكيد على هذا الأمر الذي عالج فيه النبي (صلى الله عليه وآله) منذ بداية الدعوة وحتى آخر يومٍ في حياته الشريفة مسألة الخلافة، وما الأحاديث التي رواها أحمد بن حنبل في مسنده التي تتناول بعض التصريحات التي أطلقها النبي (صلى الله عليه وآله) بكون الإمام علي (عليه السلام) هو الشخص المؤهل الذي أعده ليكون خليفته من بعده، إلا دليل قاطع لتفنيذ الفكرة التي تقول: إن النبي (صلى الله عليه وآله) ترك للأمة حق اختيار من يحكمها من بعده لأنه لم يشخص من يكون خليفة له!

فقد روى أحمد بن حنبل في مسنده ستة أحاديث عن يوم الدار أو (حادثة الإنذار) بيد أن ابن حنبل قد سار على منهجه الذي اعتمده في المسند في إيراد الروايات المتناقضة، من دون التمهيص في ما تحتوي متونها من تعارض، فهو يلقي بمسؤولية إيرادها على سند رجالها، وبذلك يتنصل عن دوره كمحدث وناقد يعد من أعلام نقاد الحديث، وعلماء الجرح والتعديل، بتركه بديهيات أصول الحديث التي توجب الحكم بصحة إحدى الروايات المتعارضة، ولم يكتفِ ابن حنبل بعدم

(١) العاملي، جعفر المرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، ط ٤، دار الهادي (بيروت، ١٩٩٥م)، ج ٣، ص ٥٨.

تميز الأحاديث الواردة في مسنده، فقد عمد إلى انتقاء الأحاديث التي نصت على تنصيب الإمام علي (عليه السلام) وصياً وخليفة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في يوم الدار فجاء بها مبتورة النصوص، غير مكتملة التفاصيل، ولم يعمم استخلافه على الجميع إنما اقتصره على بني عبد المطلب فقط، فدل بذلك الاختصار على ذكر الأحاديث التي تلائم توجهه، فضلاً عن تجنبه لإثارة حساسية السلطة القائمة آنذاك، لذلك نراه يروي حديثين يذكر بهما باقتضاب خصوصية يوم الدار بالنسبة إلى الإمام علي (عليه السلام) في حين أنه يروي أربعة روايات صرفت حادثة الإنذار عن موضوعها الأساسي، تعتمد روايتها غير المعاصرين للحادثة خلط حادثة الإنذار بقضية الجهر بالدعوة العامة. ولتبيان ذلك نورد الأحاديث التي رواها ابن حنبل في مسنده، وكالآتي:

حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن الأعمش عن المنهال عن عباد ابن عبد الله الأسدي عن علي (عليه السلام) قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١) قال جمع النبي (صلى الله عليه وآله) من أهل بيته فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا، فقال لهم: من يضمن عني ديني ومواعيدي؟ ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي، فقال رجل (لم يسمه شريك) يا رسول الله: أنت كنت بحراً من يقوم بهذا، ثم قال الآخر، قال فعرض ذلك على أهل بيته فقال علي أنا^(٢).

حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن عثمان بن المغيرة عن أبي صادق عن ربيعة بن ناجذ عن علي (عليه السلام) قال: جمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بني عبد المطلب فيهم رهط كلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق، قال فصنع لهم مداً من طعام فأكلوا حتى شبعوا قال وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس، ثم دعا بغمر فشرّبوا حتى روي

(١) سورة الشعراء، الآية (٢١٤)

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (٨٨٣)، ص ١١١.

وبقي الشراب كأنه لم يمس أو لم يشرب، فقال يا بني عبد المطلب إني بعثت لكم خاصة وإلى الناس بعامة وقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم فأياكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي قال فلم يقم إليه أحد، قال فقامت إليه وكنت أصغر القوم، قال: فقال: اجلس قال: ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه فيقول لي اجلس حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي^(١).

حدثنا عبد الله بن نمير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أنزل الله عز وجل ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قال: أتى النبي ﷺ الصفا فصعد عليه ثم نادى يا صباحاه فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله ﷺ يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني لؤي رأيتم لو أخبرتكم إن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟ قالوا نعم، قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب تبأ لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا^(٢) فأنزل الله عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ﴾^(٣).

حدثنا محمد بن بشر حدثنا مسعر حدثنا عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، جعل يدعو بطون قريش بطنا بطنا يا بني فلان أنقذوا أنفسكم من النار حتى انتهى إلى فاطمة فقال يا فاطمة ابنة محمد أنقذي نفسك من النار لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها^(٤).

(١) المصدر نفسه، الحديث (١٣٧١)، ص ١٤٧.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٢٨٠٢)، ص ٢٥٥.

(٣) سورة المسد، الآية (١).

(٤) ابن حنبل، مسند، الحديث (٨٣٨٣)، ص ٦٢١.

حدثنا معاوية بن عمرو قال حدثنا زائدة ثنا عبد الملك بن عمير عن موسى ابن طلحة عن أبي هريرة قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشا فعم وخص فقال: يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار، فإني والله ما أملك لكم من الله شيئا إلا أن لكم رحما سأبلها ببلها^(١).

حدثنا معاوية بن عمرو قال حدثنا زائدة قال حدثنا عبد الله بن ذكوان عن عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة قال: (قال النبي ﷺ: يا بني عبد المطلب يا بني هاشم اشتروا أنفسكم من الله عز وجل لا أملك لكم من الله شيئا يا أم الزبير عمة النبي صلى الله عليه وسلم يا فاطمة بنت محمد اشتروا أنفسكم من الله لا أملك لكم من الله شيئا سلاني من مالي ما شئتم)^(٢).

وعلى الرغم مما ذكرناه من ملاحظات حول منهج أحمد بن حنبل في إيراد الأحاديث المتعلقة بحادثة الإنذار، إلا أنه كان منصفاً بالقياس مع باقي المحدثين^(٣) الذين أغفلوا الأحاديث التي نصت على بلاغ النبي ﷺ يوم الدار بان الإمام علياً (عليه السلام) هو الوصي والخليفة من بعده، أوردوا الأحاديث المروية عن ابن عباس وأبي هريرة التي ذكرت جهر النبي ﷺ بالدعوة وإنذاره قريش وبطونها على أنه التبليغ الذي خصته آية الإنذار، بهدف تغييب جوهر الموضوع المتعلق بالإمام علي

(١) المصدر نفسه، الحديث (٨٧١١)، ص ٦٤١.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٩١٦٦)، ص ٦٨٦.

(٣) ينظر: البخاري، صحيح البخاري، ط ١، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ٢٠٠١م)، ج ٦، ص ١٦؛ مسلم، صحيح مسلم، ج ٥، ص ٣٤٨؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج ٦، ص ٢٨٠.

عليه السلام، وإعطاء قريش أهمية مساوية لأهمية بني عبد المطلب من حيث القرب من النبي ﷺ، ومن أجل إبراز دورهم في حمل لواء الإسلام، وذلك لاعتبارات سياسية، فإن رفع شأن قريش سيكون مدعاة لوراثته النبي ﷺ في الحكم، بل عمدوا إلى الإغفال التام لشأن بني عبد المطلب، ونسب الشرك إلى حماة الرسول والرسالة، لتقليل من أدوارهم وقرابتهم من النبي ﷺ^(١).

فلو تتبعنا الآيات القرآنية نجد أن الله جل وعلا، أمر نبيه ﷺ بقوله: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾^(٢)، ولكن ينذر من، يجب الحق سبحانه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٣)، ثم بعد ذلك يأتي الأمر الإلهي إلى النبي ﷺ بالدعوة العامة، في قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٤)، وهي دعوة قريش وغيرها من القبائل، وهذا النسق القرآني يتفق والعرف السائد في الجزيرة العربية والقائم على الحماية لذوي القربى وتوفير الحماية لهم والمنعة، فيما لو تعرض أحدهم لتهديد أو خطر ما، وإن اختلف معهم في وجهات النظر كالخروج عن المعتقد السائد وهذا ما حصل في حصار بني عبد المطلب في شعب أبي طالب، فلم يستهدف ذلك الحصار شخص النبي ﷺ، بل شمل جميع أفراد البيت الهاشمي؛ لأن قريش يؤسست من تراجع النبي ﷺ عن دعوته، وإن بنو هاشم لن يفرطوا بمحمد ﷺ، سوى قلائل اتفقت مصالحهم مع مصالح زعماء قريش^(٥).

(١) ينظر: النصر الله، جواد كاظم، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، رؤية اعتزالية عن الإمام علي عليه السلام، ط ١، منشورات ذوي القربى، (قم، ١٣٨٤ هـ)، ص ٦٨ وما بعدها.

(٢) سورة المدثر، الآية (٢).

(٣) سورة الشعراء: الآية (٢١٤)

(٤) سورة الحجر، الآية (٩٤).

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٠٢ - ٢٠٦؛ الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، (جامعة الموصل، ١٩٩١ م)، ص ١٣٣.

ولنا أن نؤشر بعض المؤشرات على الأحاديث التي تغافلت حديث الإنذار وما شخص به النبي ﷺ للإمام علي (عليه السلام) من مكانة:

فالحديث الذي أورده ابن حنبل عن طريق ابن عباس لا ينسجم مع نص الآية القرآنية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ فقد جاء في تفسير البغوي^(١) عن ابن مسعود قال: (لما دعا رسول الله ﷺ أقرباءه إلى الله عز وجل، قال أبو لهب: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فإني افتدي نفسي ومالي وولدي، وذات يوم صعد النبي ﷺ على جبل الصفا ونادى فاجتمعت إليه قريش فقال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب تباً لك، فأنزل الله عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ. مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ فلم يعد ماله وكسبه (ولده) اللذان قال إنه سيفديهما للدعوة تغنيه عن دخول النار لتكذيبه النبي ﷺ)، وهذا يدل بوضوح على أن نزول سورة المسد بعد نزول آية الجهر بالدعوة العامة ﴿فَأُصْدِغْ بِمَا تُوَمِّرُ﴾ وليس بعد نزول آية الإنذار ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، التي على ما يبدو أنها أضيفت على حديث ابن عباس فيما بعد.

أما الأحاديث المروية عن أبي هريرة الذي لم يشهد حادثة الإنذار، نجد أنه يقول: إن النبي ﷺ دعا قريشاً فعمَّ وخصَّ، لكنه لم يفرق بين الدعوتين فقد أورد أبو هريرة الدعوة العامة لبطون قريش بما فيها بنو عبد المطلب، وجعل دعوة النبي ﷺ الخاصة تتعلق بابنته فاطمة -عليها السلام- التي لم تكن مولودة وقتئذٍ؛ لأنها ولدت في السنة الخامسة من البعثة^(٢).

(١) أبو محمد الحسين بن مسعود (ت: ٥١٦هـ / ١١٢٢م): معالم التنزيل،، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، (الرياض، ١٤٠٩هـ)، ج ٨، ص ٥٨٢.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٨٩؛ الأربلي، كشف الغمة، ج ٢، ص ٧٥؛ العاملي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ، ج ٢، ص ١٧٧.

وأما موقف المؤرخين من حادثة الإنذار، فاليعقوبي^(١) على الرغم من ذكره قول النبي ﷺ لبني هاشم في تفضيل الله إياهم واختصاصه لهم إذ بعثه بينهم وأمره أن ينذرهم، ولكنه لم يشر إلى دور الإمام علي (عليه السلام) عندما ذكر حادثة النذرة كما يسميها في تاريخه، واكتفى بذكر إسلام جعفر بن أبي طالب وعبيد بن الحارث وخلق عظيم، والظاهر أنه أيضاً قد جمع بين الدعوة الخاصة والدعوة العامة في آن واحد متفقاً مع ابن عباس في ذكر تفاصيل الحادثة إلا أنه قال إن دعوة النبي ﷺ كانت من على جبل المروة وليس من جبل الصفا كما روى ابن حنبل عن ابن عباس.

بينما كانت الأمور واضحة عند الطبري^(٢) في حادثة الإنذار التي نقلها عن ابن إسحاق، فقد روى بسنده عن الإمام علي (عليه السلام) لما نزلت هذه الآية: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾، دعاني رسول الله ﷺ فقال: يا علي، إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أي متى أبادؤهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمتُ حتى جاءني جبرائيل فقال: يا محمد، إنك إن لا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك. فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عساً من لبن، واجمع لي بني عبد المطلب حتى أعلمهم وأبلغهم ما أمرت به. ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً - يزيدون أو ينقصون - فيهم أعمامه: أبو طالب، وحزمة، والعباس، وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعا بالطعام الذي صنعت لهم، فجئنا به، فلما وضعته تناول رسول الله ﷺ جذرة لحم فشقها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصحيفة، ثم قال: خذوا بسم الله. فأكل القوم حتى ما لهم بشيء من حاجة، ولا أرى إلا مواضع أيديهم، وأيم الذي نفس علي بيده إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل مثل ما قدمت لجميعهم، ثم

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٩٩ - ٢٠٠.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٣٢٠ - ٣٢٢.

قال: اسق القوم، فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم يشرب مثله. فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم، بدرهم أبو لهب إلى الكلام فقال: لقد سحركم صاحبكم! فتفرق القوم ولم يكلمهم النبي ﷺ فقال الغد: يا علي، إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فأعد لنا من الطعام مثل ما صنعت، ثم اجمعهم لي. ففعلت، ثم جمعتهم له، ثم دعا بالطعام فقربته لهم، ففعل كما فعل بالأمس. وأكلوا حتى ما لهم بشيء من حاجة، ثم قال: اسقهم، فأتيهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً، ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتم به، إني قد جئكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تبارك وتعالى أن أدعوكم، فأياكم يؤازرنى على أمري، على أن يكون أخي، ووصيي، وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنها جميعاً. قال: قلت - وإني لأحدثهم سناً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً - أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي ثم قال: هذا أخي، ووصيي، وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع^(١).

وقد أورد الطبري^(٢) دليل الإمام علي عليه السلام لوراثة النبي ﷺ فعن ربيعة بن ناجذ: أن رجلاً قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام يا أمير المؤمنين، بم ورثت ابن عمك دون أعمامك؟ فقال عليه السلام: جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب فصنع لهم مداً من الطعام، فأكلوا حتى شبعوا، وبقي الطعام كما هو، كأنه لم يمس، ثم دعا بغمر فشربوا حتى رووا، وبقي الشراب كأنه لم يمس أولم يشرب. فقال: يا بني عبد

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٣٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٢٣.

المطلب، إني بعثت إليكم خاصة، وإلى الناس عامة، وقد رأيت من هذه الآية ما قد رأيتم، فأياكم ييايعني على أن يكون أخي، وصاحبي ووارثي؟ فلم يقم إليه أحد، فقمتم إليه - وكنت أصغر القوم - فقال: اجلس، ثم قال ذلك ثلاث مرات، كل ذلك أقوم إليه فيقول: اجلس، حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي، قال: فبذلك ورثت ابن عمي دون عمي. وقد تابع ابن الأثير^(١) الطبري في ذكر هذه الحادثة التاريخية بالتفاصيل نفسها.

أمّا ابن كثير^(٢) فقد ذكر القصة بتفاصيلها عن طريق آخر - بقصد تكذيبها - من خلال الطعن بعدالة رواة الحديث لأنهم متهمون بالتشيع متغافلاً عن رواية أحمد بن حنبل صحيحة السند، ومتجاهلاً ذكر إعلان الرسول ﷺ لبني هاشم استنزاره واستخلافه ووارثته لعلي عليه السلام فاكتمى بإيراد كلمة كذا وكذا، إذ جاءت روايته على النحو الآتي: (فقال ﷺ: أيكم يؤازرنى على هذا الأمر، على أن يكون أخي، وكذا وكذا؟ قال علي: فأحجم القوم جميعاً، وقلت - وإني لأحدثهم سنأ وأرمصهم عيناً، أعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي، فقال: إن هذا أخي - وكذا وكذا - فاسمعوا له وأطيعوا).

ويذكر أن أحد الذين رووا نصّ النبي ﷺ على علي عليه السلام بالخلافة عن الطبري من الكتاب المحدثين في الطبعة الأولى من كتابه، قد اقتطع كلمة: (خليفتي من بعدي)، من الحديث في الطبعات اللاحقة نتيجة ضغوط ومساومات رخيصة^(٣).

(١) الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٥٨٦.

(٢) البداية والنهاية، ج ٣، ص ٤٠.

(٣) بعد أن ذكر محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد، في الطبعة الأولى ص ١٠٤ نص الطبري، عاد فحذف من الطبعة الثانية ص ١٣٩، سنة ١٣٥٤ هـ قوله: (وخليفتي فيكم) واقتصر على قوله: (ويكون أخي ووصيي) وذلك لقاء خمسمائة جنيه، أو لقاء شراء ألف نسخة من كتابه. نقل هذا النص حرفياً من: العاملي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ج ٣، ص ٦٢.

على أن الطبري قد ذكر الحادثة بالتفصيل في تاريخه، ولكنه اختزلها في تفسيره^(١)، فعلى ما يبدو أن الضغوط على دارسي التاريخ بخصوص حادثة الإنذار يوم الدار لها جذور قديمة.

وأدلى بعض المستشرقين بدلوهم فيما يتعلق بحادثة الإنذار، فقد وصف المستشرق الأمريكي ارفنج^(٢) موقف الإمام علي عليه السلام وصفاً أدبياً، بعد أن أورد دعوة النبي ﷺ لبني هاشم وحديثه لهم، يقول ارفنج: (ظل بعضهم صامتاً... وأخيراً قطع علي هذا الصمت، وصاح مدفوعاً بحماسة الشباب متناسياً صغر سنه وقلة خبرته، حيث قال: أنا يا رسول الله وزيرك، حينئذٍ احتضن النبي محمد علياً وضمه إلى صدره وقال: هاهو ذا وصيي ووزير، هاهو ذا أخي).

إن النبي ﷺ بما أنه رسول الله فهو الوحيد القادر على ترجمة الأمر الإلهي وتفصيله على النحو الذي يريده الله تعالى، لذلك يمكن عد آية الإنذار بمثابة الإعلان الأول لوزارة السماء للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من حيث إن ولاية الأمير عليه السلام جزءٌ متممٌ للتوحيد الذي يعد المرتكز لاذي تقوم عليه هيكلية الإسلام -أصولاً وفروعاً-، وكذلك لاقتران النبوة بالإمامة -المنذر والهادي- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٣).

ويمكن أن نلاحظ ذلك من خلال استقراء سيرة رسول الله ﷺ التي كانت عبارة عن بيانات متتالية لترسيخ ولاية الإمام علي عليه السلام في قلوب المؤمنين، ابتداءً من حديث الدار وانتهاءً ببيعة يوم الغدير، جنباً إلى جنب آيات القرآن الكريم التي تحض على التوحيد وملازمة أولياء الله.

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج ١٩، ص ٧٥.

(٢) واشنطن، محمد وخلفاؤه، ترجمة: هاني يحيى، المركز الثقافي العربي، (بيروت، ١٩٩٩م)، ص ٦٥.

(٣) سورة الرعد، الآية (٧).

ثالثاً: تحطيم الأصنام بيد الإمام علي (عليه السلام):

كان من المفترض أن يكون هذا الموضوع جزءاً من الأعمال التي قام بها الإمام علي (عليه السلام) مع النبي (صلى الله عليه وآله) عند فتح مكة، ولكن أحمد بن حنبل قد روى في مسنده حديثاً واحداً فقط في شأن صعود الإمام علي (عليه السلام) على منكب النبي (صلى الله عليه وآله) لتحطيم أحد الأصنام الموجودة في الكعبة، وكان ذلك قبل الهجرة كما يشير مضمون الحديث، حيث يقول أحمد بن حنبل:

حدثنا أسباط بن محمد حدثنا نعيم بن حكيم المدائني عن أبي مريم عن علي (عليه السلام) قال: انطلقت أنا والنبي (صلى الله عليه وآله) حتى أتينا الكعبة فقال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) اجلس وصعد على منكبي فذهبت لأنفض به فرأى مني ضعفا فنزل وجلس لي نبي الله (صلى الله عليه وآله) وقال اصعد على منكبي، قال: فصعدت على منكبيه، قال: فنهض بي قال: فإنه يخيل إلي أني لو شئت لنتل أفق السماء حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفر أو نحاس فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه حتى إذا استمكنت منه قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) اقذف به فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله (صلى الله عليه وآله) نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس^(١).

والجدير بالذكر أن عبد الله بن أحمد بن حنبل قد روى الحديث عن شيوخه في زوائده التي أضافها على مسند أبيه، ولم يحدد عبد الله زمان الحادثة لا لفظاً ولا مضموناً، ولكن بعد دراستنا لزوائد عبد الله وجدنا أن رواية عبد الله في تحطيم أصنام قريش في الكعبة هي مختصر لرواية أبيه لأنها تنتهي بطريق الرواة نفسه، إذ رواها على النحو الآتي:

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٦٤٤)، ص ٩٣.

قال عبد الله حدثني نصر بن علي حدثنا عبد الله بن داود عن نعيم بن حكيم عن أبي مريم عن علي (عليه السلام) قال: كان على الكعبة أصنام فذهبت لأحمل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إليها فلم أستطع فحملني فجعلت أقطعها ولو شئت لنتل السماء^(١).

إن الأخبار المنقولة حول هذه الحادثة بالغة الكثرة^(٢)، فقد نقلها أئمة الحديث، دون أن يطعنوا في أصاندها^(٣)، ولكن علينا أن نجيب على بعض التساؤلات:

التساؤل الأول: متى حصل تحطيم الأصنام في الكعبة؟

على الرغم من أن الرواية التي ذكرها ابن حنبل اتفقت مع روايات الخاصة من أتباع أهل البيت - عليهم السلام - لكنها لم تصرح بزمان وقوعها إلا أنها تشير ضمناً إلى أنها وقعت قبل الهجرة المباركة بدليل انه جاء في آخر الرواية على لسان الإمام علي (عليه السلام): (فانطلقت أنا ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس)، فالتسابق بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام (عليه السلام) للتواري عن أعين المشركين لا يمكن أن يكون عند فتح مكة.

وقد صرحت روايات الخاصة في تحديد وقت تحطيم الأصنام في مكة على يد الإمام علي: فابن شاذان^(٤)، والمجلسي^(٥) يرجحان خروج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع الإمام

(١) المصدر نفسه، الحديث (١٣٠٢)، ص ١٤١.

(٢) ابن أبي شيبعة، المصنف في الحديث والآثار، ج ١٤، ص ٤٨٨-٤٨٩؛ النسائي، خصائص أمير المؤمنين، ص ٢٢٥؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ج ٢، ص ٣٩٨؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٣٠٢؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٦، ص ٢٣.

(٣) الأميني، الغدير، ج ٧، ص ١٠؛ الريشهري، محمد، آخرون، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، ط ٢، دار الحديث، (قم، ١٤٢٥ هـ)، ج ١، ص ١٥٣.

(٤) أبو الحسن محمد بن أحمد (ت: ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م): مئة منقبة من مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة من ولده، تحقيق: نبيل رضا علوان، ط ٢، (د.م، ١٤١٣ هـ)، ص ٨٣.

(٥) بحار الأنوار، ج ٤، ص ٨٤.

عليه السلام من بيت خديجة، ثم عادا إلى البيت بعد كسر الأصنام، أي في السنوات الأولى من الدعوة حينما كانت السيدة خديجة - عليها السلام - موجودة في الحياة الدنيا. وهناك أخبار تشير إلى أن عملية تحطيم الصنم الكبير كانت في ليلة خروج النبي ﷺ من مكة، فعن الإمام علي عليه السلام قال: (لما كان الليلة التي أمرني رسول الله أن أبيت على فراشه وخرج من مكة مهاجراً، انطلق بي رسول الله ﷺ إلى الأصنام فقال: اجلس، فجلست إلى جنب الكعبة، ثم صعد رسول الله ﷺ على منكبي ثم قال: انهض، فنهضت به فلما رأى ضعفي تحته قال: اجلس، فجلست فأنزله عني وجلس لي رسول الله، ثم قال لي: يا علي، اصعد على منكبي فصعدت على منكبيه، ثم نهض بي رسول الله ﷺ وخيل إلي أني لو شئت نلت السماء، وصعدت إلى الكعبة وتنحى رسول الله ﷺ فألقيت صنمهم الأكبر، وكان من نحاس موتداً بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال لي رسول الله ﷺ: عاجله فعاجلت فما زلت أعاجله ويقول رسول الله ﷺ إيه إيه، فلم أزل أعاجله حتى استمكنت منه فقال: دقه، فدققته فكسرتة ونزلت)^(١).

ولم يذكر أحمد بن حنبل أن الروايات نصت على أن حادثة تحطيم الأصنام تزامنت مع فتح مكة، التي ذكرها ابن هشام^(٢)، وابن سعد^(٣)، والبخاري^(٤)، إن النبي ﷺ قد حطم جميع الأصنام الموجودة في الكعبة يوم الفتح، حيث طاف

(١) الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، ج ٣، ص ٧؛ ابن البطريق، يحيى بن الحسن الاسدي الحلي (ت: ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م): عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي والشيخ إبراهيم البهادري، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٤٠٧هـ)، ص ٣٦٤.

(٢) السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٦١.

(٣) الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٣٦.

(٤) صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٠٨.

رسول الله ﷺ بالبيت على راحلته وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً مرصصة بالرصاص، وكان رسول الله ﷺ كلما مر بصنم منها يطعنه بمخصرة في يده ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾^(١)، فكان يقع الصنم على وجهه أو قفاه^(٢).

وتدل الروايات الأولى من هذه الأخبار على أن الحادثة كانت قبل الهجرة وفي ذروة الإرهاب الذي مارسه المشركون ضد المسلمين، فقد قام رسول الله ﷺ بهذه الحركة المضادة للشرك ومعه الإمام علي في ذلك الجو الخانق المظلم قبل الهجرة، وإن التحطيم كان لصنم واحد كبير، وقد جرى الأمر بسرية تامة.

فيما تشير الروايات الثانية إلى أن المشركين الذين كانوا في مكة، والكعبة تحت تصرفهم وكانت مليئة بالأصنام، فلما كان فتح مكة، عمد النبي ﷺ لتكرار تلك الحركة التطهيرية العظيمة علناً، ليرتفع علي مرة أخرى على منكبي رسول الله ﷺ، مطهراً بيت التوحيد من الدنس، امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٣)، وهي فضيلة لا نظير لها، وموهبة لا يشاركه فيها أحد، تفرد بها علي (عليه السلام) دون غيره على امتداد التاريخ، وكان الغرض الأساس من ذلك التكرار العلني، إزالة دولة الصنمية، وتأسيس دولة الإله الواحد الحق مكانها بجهود النبي ﷺ ووصيه (عليه السلام) ليرسخ في أذهان الجميع، فقد كان رسول الله ﷺ يعرف بما تؤول إليه الأمور من بعده، لذلك عندما احتج الإمام (عليه السلام) على بعضهم بتلك الفضيلة، لم يستطيعوا إنكارها، فقد قال الإمام علي (عليه السلام) لأبي بكر: (أشددك بالله، أنت الذي حملك رسول الله ﷺ على كتفيه في طرح صنم الكعبة

(١) سورة الإسراء، الآية (٨١).

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٦١.

(٣) سورة الحج، الآية (٢٦).

وكسره حتى لو شاء أن ينال أفق السماء لنالها أم أنا؟ قال: بل أنت^(١).

ولا يستبعد تكرار وقوع هذه الحادثة مرتين كما يقول المجلسي^(٢) الذي تحدث في كتابه عن كسر الإمام (عليه السلام) لأضخم صنمين في الكعبة مرتين: (بل صريح بعض الأخبار وظاهر بعضها كون ذلك قبل الهجرة فيمكن الجمع بينهما بالقول بتعدد وقوع ذلك).

التساؤل الثاني: ما الغاية من حمل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي (عليه السلام)؟

يروى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال للإمام علي (عليه السلام) في تلك الأثناء: (أما ترى هذا الصنم يا علي؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: فأحملك فتناوله، فقال الإمام: بل أنا أحملك يا رسول الله، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): والله لو أن ربيعة ومضر جهدوا أن يحملوا مني بضعة وأنا حي ما قدروا، ولكن قف يا علي، فضرب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيده إلى ساق علي (عليه السلام)، ثم اقتلعه من الأرض بيده فرفعه حتى تبين بياض إبطيه، ثم قال له: ما ترى يا علي؟ قال (عليه السلام): أرى إن الله عز وجل قد شرفني بك حتى أني لو أردت أن أمس السماء لمستها، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) له: تناول الصنم يا علي، فتناوله الإمام (عليه السلام) ثم رمى به إلى الأرض...^(٣)، ويضيف الديار بكري^(٤) على ذلك قائلاً: (إن علياً أراد أن ينزل فألقى نفسه في صوب الميزاب تأدبا وشفقة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولما وقع على الأرض تبسم فسأله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن تبسمه؟ فقال: لأنني ألقيت نفسي في

(١) الطبرسي، أحمد بن علي بن طالب (ت: ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م)، الاحتجاج، تعليق: محمد باقر الخراسان، ط ٤، منشورات ذوي القربى، (قم، ١٤٣٠ هـ)، ج ١ ص ٣١١؛ الريشهري، موسوعة الإمام علي (عليه السلام)، ج ١، ص ١٥٢ - ١٥٤.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٩، ص ١٣٨.

(٣) ابن المغازي، مناقب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

(٤) الحسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٦٦ هـ / ١٥٥٨ م): تاريخ الخميس في أحوال أنفوس نفيس، مؤسسة شعبان، (بيروت، د. ت)، ج ٢، ص ٩٥.

هذا المكان الرفيع وما أصابني ألم. قال كيف يصيبك ألم وقد رفعك محمد وأنزلك جبريل).

وقد سأل أحد الناس الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، قائلاً: يا بن رسول الله: لم لم يطق علي (عليه السلام) حمل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عند حطه الأصنام من سطح الكعبة مع قوته وشدته وما ظهر منه في قلع باب خيبر، وكان لا يطيق حمله أربعون رجلاً، وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يركب الناقة والفرس والبغلة والحمار، وركب البراق ليلة المعراج، وكل ذلك دون علي (عليه السلام) في القوة والشدة؟

فقال الصادق (عليه السلام): إن علياً (عليه السلام) برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شرف، وبه ارتفع، وبه وصل إلى إطفاء نار الشرك وإبطال كل معبود دون الله عز وجل، ولو علا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حط الأصنام لكان بعلي (عليه السلام) مرتفعاً وشريفاً واصلاً إلى حط الأصنام ولو كان ذلك كذلك لكان أفضل منه، ألا ترى أن علياً (عليه السلام) قال: لما علوت ظهر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه وآله شرفت وارتفعت حتى لو شئت أن أنال السماء لنلتها، أما علمت أن المصباح هو الذي يهتدى به في الظلمة وانبعاث فرعه من أصله، وقد قال علي (عليه السلام): أنا من أحمد كالضوء من الضوء^(١). فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رسول بني آدم، وعلي (عليه السلام) إمام ليس بنبي ولا رسول، فهو غير مطيق لحمل أثقال النبوة. قال السائل: زدني. فقال (عليه السلام): إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حمل علياً على ظهره يريد بذلك أنه أبو ولده، وأن الأئمة من صلبه. فقال السائل: زدني يا بن رسول الله.

فقال (عليه السلام): احتمل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً يريد بذلك أن يعلم قومه أنه هو الذي يخفف عن ظهر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما عليه من الدين والعداء والأداء عنه من بعده^(٢).

(١) ابن المغازي، مناقب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ص ٨٩.

(٢) الصدوق، معاني الإخبار، تحقيق: علي أكبر غفاري، (قم، ١٣٦١هـ)، ص ٣٥٠.

رابعاً: وفاة أبي طالب:

ركزت الأحاديث التي أوردها أحمد بن حنبل في مسنده حول أبي طالب على عدم إيمانه بدين الإسلام بالرغم من دعوات النبي ﷺ الكثيرة له التي استمرت إلى آخر لحظات حياته، وكذلك إخبار النبي ﷺ عن مصير أبي طالب بعد وفاته، ويدل تركيز ابن حنبل على هذه الأحاديث: على مدى انسياقه مع الخطاب السياسي الذي انتهجته الدولة العباسية لإخفاء الدور الذي أدّاه أبو طالب في حماية النبي ﷺ والوقوف إلى جانبه التابع من إيمانه العميق برسول الله ﷺ ودعوته، فلم يورد ابن حنبل أي حديث يشير إلى ذلك الدور، ومن ناحية أخرى فإن ابن حنبل من القائلين بجواز التقية في دار الشرك إذا اقتضت الضرورة التي تتعلق بدين الله أو مصلحة الفرد إذا كانت لا تتعارض مع ثوابت الإيمان، وهذا ما أقره للمحدثين في محتته في خلق القرآن، ولكنه أغفله في قضية إيمان أبي طالب، وأثبت ما نسب إليه من الشرك، ويمكننا تقسيم الأحاديث الواردة في المسند في هذا الشأن إلى ثلاثة أصناف حسب مراحلها التاريخية، وكالاتي:

الصنف الأول: أحاديث في لحظات احتضار أبي طالب:

حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال: أي عم قل (لا إله إلا الله) كلمة أحاج بها لك عند الله عز وجل، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ قال: فلم يزلوا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فتزلت: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من

بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴿١﴾ قال: فنزلت فيه ﴿٢﴾: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مِنْ أَحْبَبْتَ﴾ ﴿٣﴾. إن هذه الزيارة التي قام بها رهط من زعماء قريش حدثت قبل وفاة أبي طالب بزمان قليل، ولأن عيادة المريض من النظم الاجتماعية التي ألفها العرب قديماً وحديثاً، وبخاصة إذا كان المريض شيخ الأبطح أبرز وجهاء قريش التي سادت، ولها كلمتها المسموعة وثقلها الاجتماعي، وأن قريش وعلى رأسها أبو جهل تسعى لمنع أبي طالب من الإقرار للنبي ﷺ بالإسلام والنطق بالشهادتين ﴿٤﴾، وهو أمر مستبعد؛ وذلك لأن إيمان أبي طالب لا يعني لقريش شيئاً في نهاية حياته، وإلا لم لم يسأله قبل ذلك، والشئ الآخر، ما هي صلة أبي جهل حتى يستنطق أبا طالب في تلك اللحظات الحرجة؟ وبنو هاشم كلهم محيطون بشيخهم، وهم أولى منه بذلك، وبخاصة أنه لم يكن على وفاق مع بني هاشم بعد المقاطعة وكتابة الصحيفة، التي أدّى فيها أبو جهل دوراً بارزاً ﴿٥﴾، نعم ربما استفهم أبو جهل عن معتقد أبي طالب في الأيام الأولى للدعوة، فأجاب أبو طالب: بأنه على دين عبد المطلب، لتمويه قريش، إذ كان وقتها يخفي إسلامه من أجل حماية رسول الله ﷺ ﴿٦﴾،

(١) سورة التوبة، الآية (١١٤).

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٤٠٧٤)، ص ١٧٦٠.

(٣) سورة القصص، الآية (٥٦).

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٢٢.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٢٢؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٠٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٣٣٦؛ النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣هـ/ ١٣٢٩م): نهاية الأرب في فنون الأدب، مطابع كوستاتوماس وشركاه، (القاهرة، د. ت)، ج ١٦، ص ٢١٧-٢١٨.

(٦) ابن معد، شمس الدين أبو علي فخر (ت: ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م): الحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب، تحقيق: السيد محمد بحر العلوم، ط ٢، مكتبة النهضة، (بغداد، ١٩٦٥م)، ص ٣٦٠؛ العسكري، نجم الدين، أبو طالب حامي الرسول ﷺ وناصره، مطبعة الآداب، (النجف الأشرف، ١٣٨٠هـ)، ص ١٣٤.

ولأن عبد المطلب كان معروفاً بأنه موحدٌ من الأحناف، فقد جاء على لسان النبي الأكرم ﷺ:

أنا النبي لا كذبُ أنا ابن عبد المطلب^(١)

وقد يحتاج البعض بنزول آيات قرآنية في ذلك الموقف، بحسب ما ورد في الأحاديث قوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾، وهي من سورة براءة التي بلغها عنه الإمام علي (عليه السلام) بعد وفاة أبي طالب باثنتي عشرة سنة فلا تناسب الحدث المروي لتأخرها عن سبب نزولها، ولأنها نزلت في غير أبي طالب، أما الآية الأخرى التي يحتج بها البعض، على موت أبي طالب مشركاً ولمحبة النبي ﷺ له أرادته على التوحيد والهداية، قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، فهي تناسب أبا جهل، إن صح ما تذكره كتب الحديث على أن النبي ﷺ قال: (اللهم اعز الإسلام بأحد العمريين: عمر بن هشام (أبو جهل)، وعمر بن الخطاب)^(٢)، وتتناسب مع الحدث حيث مجيء أبي جهل لزيارة أبي طالب، وإن الشطر الثاني يؤكد ذلك: ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين - أي من كانت لديه النية الخالصة للهداية، والاستعداد الكامل لتطبيق الشريعة، ولا ريب أن أبا جهل لا يمتلك هذه المقومات في تلك الفترة.

(١) الواقدي: محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م): كتاب المغازي، تحقيق: د. مارسدن جونس، ط ٣، عالم الكتب، (بيروت، ١٩٨٤م)، ج ١، ص ٢٨٠؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٩-١٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٧٦.
(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (٥٦٩٦)، ص ٤٤٣.

الصنف الثاني: الأحاديث الواردة في وفاة أبي طالب:

حدثنا عبد الوهاب الخفاف حدثنا سعيد عن قتادة عن مسلم بن يسار عن حمران بن أبان أن عثمان بن عفان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه إلا حُرِّمَ على النار، فقال له عمر بن الخطاب: أنا أحدثك ما هي، هي كلمة الإخلاص التي أعز الله تبارك وتعالى بها محمداً ﷺ وأصحابه وهي كلمة التقوى التي أخلص^(١) عليها نبي الله ﷺ عمه أبا طالب عند الموت شهادة أن لا إله إلا الله)^(٢).

حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت ناجية بن كعب يحدث، عن علي (عليه السلام) أنه أتى النبي ﷺ فقال: (إن أبا طالب مات فقال له النبي ﷺ اذهب فواره، فقال: إنه مات مشركاً فقال اذهب فواره، قال فلما واريته رجعت إلى النبي ﷺ فقال لي اغتسل)^(٣).

حدثنا إبراهيم بن أبي العباس حدثنا الحسن بن يزيد الأصم قال سمعت السدي إسماعيل يذكره عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي (عليه السلام) قال: (لما توفي أبو طالب أتيت النبي ﷺ فقلت إن عمك الشيخ قد مات، قال: اذهب فواره ثم لا تحدث شيئاً حتى تأتيني، قال: فواريته ثم أتيت قال: اذهب فاغتسل ثم لا تحدث شيئاً حتى تأتيني، قال: فاغتسلت ثم أتيت، قال: فدعالي بدعوات ما يسرني إن لي بها حمر النعم وسودها قال وكان علي (عليه السلام) إذا غسل الميت اغتسل)^(٤).

حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب، عن علي قال:

(١) الأصل: اقترَب منه وراوده فيها. ينظر: لسان العرب لابن منظور: ج ٤٤، ص ٤٠٣٢.

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (٤٤٧)، ص ٧٧.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (٧٥٩)، ص ١٠٢.

(٤) المصدر نفسه، الحديث (٨٠٧)، ص ١٠٦.

(لما مات أبو طالب أتيت النبي ﷺ فقلت إن عمك الشيخ الضال قد مات فقال انطلق فواره ولا تحدث شيئاً حتى تأتيني قال فانطلقت فواريته فأمرني فاغتسلت ثم دعا لي بدعوات ما أحب إن لي بهن ما عرض من شيء)^(١).

حدثنا أسباط حدثنا مطرف عن عامر عن يحيى بن طلحة عن أبيه قال: رأى عمر طلحة بن عبيد الله ثقيلاً فقال: (ما لك يا أبا فلان لعلك ساءتكم إمرة ابن عمك يا أبا فلان قال: لا، إلا أني سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً ما منعني أن أسأله عنه إلا القدرة عليه حتى مات، سمعته يقول: إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا أشرق لها لونه ونفس الله عنه كربته، قال: فقال: عمر أي لأعلم ما هي، قال وما هي؟ قال: تعلم كلمة أعظم من كلمة أمر بها عمه عند الموت لا إله إلا الله^(٢)).

ونلاحظ أن من مجموع هذه الأحاديث الخمسة إن ناجية بن كعب^(٣) روى حديثين عن الإمام علي (عليه السلام) يصف أباه أبا طالب، مرة بالمشرك، وأخرى بالضال، بينما يورد أبو عبد الرحمن السلمي^(٤) الحديث بالتفاصيل نفسها ولكن بدون هذه الأوصاف على أن ناجية بن كعب الذي ادخل تلك الأوصاف عمداً، كان مجهولاً لم يوثقه أحدٌ من علماء الجرح والتعديل، ويستدل على أن روايته موضوعة بل ومكذوبة أنها ينسبها إلى الإمام علي (عليه السلام) بقوله (سمعت علياً يقول...)، وروايته

(١) المصدر نفسه، الحديث (١٠٩٣)، ص ١٢٦.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (١٣٨٤)، ص ١٤٩.

(٣) ناجية بن كعب الاسدي، تابعي كوفي، كان مجروحاً ومجهولاً لم يوثقه علماء الجرح والتعديل، قال عنه علي بن المديني: لا أعلم أحداً روي عنه غير أبي إسحاق وهو مجهول، وذكره ابن حبان في المجروحين. انظر: البخاري، التاريخ الكبير: ج ٤ ص ١٠٧؛ ابن حبان، المجروحين، ج ٣، ص ٥٧.

(٤) أبو عبد الرحمن السلمي الصنابجي، عبد الله بن حبيب، مقرئ الكوفة، ثقة، مات سنة ٧٣ هـ. ينظر: الذهبي، الكاشف، ج ١، ص ٥٤٤؛ الشافعي، الإكمال، ص ٧٦.

في تفاصيلها لا تنطبق مع أخلاقيات تلميذ النبي ﷺ وبخاصة أن المتوفى أبوه فلا يستساغ ذلك لا عرفاً ولا تشريعاً^(١)، على أن الحديثين ينتقضان بحديث طلحة بن عبيد، وحديث عثمان بن عفان، اللذين يؤكدان أن النبي ﷺ كان حاضراً لحظة وفاة عمه أبي طالب وأنه ﷺ لقنه كلمة الإخلاص وأمره بها، وامثل أبو طالب له، لثقتة التامة بنبوة الرسول ﷺ، وأن النبي ﷺ شيع جنازته، وحزن عليه، وسمي العام الذي توفي به أبو طالب عام الحزن^(٢).

الصنف الثالث: أحاديث تذكر إخبار النبي ﷺ بمصير أبي طالب بعد وفاته:

حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن الحرث عن العباس بن عبد المطلب انه قال: (يا رسول الله عمك أبو طالب كان يحوطك ويفعل، قال: انه في ضحضاح^(٣) من النار ولولا أنا كان في الدرك الأسفل من النار)^(٤).

حدثنا عفان حدثنا حماد قال حدثني ثابت عن أبي عثمان النهدي عن ابن عباس إن رسول الله ﷺ قال: (أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو متعل نعلين من نار يغلي منهما دماغه)^(٥).

حدثنا قتيبة بن سعيد، عن ابن الهاد، عن عبد الله بن خباب، عن أبي سعيد الخدري: (إن رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه)^(٦).

(١) ينظر: النصر الله، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ص ٩١.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٦؛ العسكري، أبو طالب حامي الرسول، ص ٧٩.

(٣) الضحضاح: الماء القريب القعر. ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص ٣٧٧.

(٤) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٧٦٣)، ص ١٨٢.

(٥) المصدر نفسه، الحديث (٢٦٣٦)، ص ٢٤٣.

(٦) المصدر نفسه، الحديث (١١٤٩١)، ص ٨١١.

الرواية الأولى تعارض الرواية الواردة عن العباس بن عبد المطلب الذي قال للنبي ﷺ لحظة وفاة أبي طالب: (يا ابن أخي لقد قالها عمك، ولكن ضعف عن أن يبلغك صوته)^(١)، والإمام ﷺ يؤكد ذلك بقوله: (ما مات أبو طالب حتى أعطى الرسول ﷺ من نفسه الرضا)^(٢)، وهذا التعارض بين الأحاديث يؤدي إلى أن يكون الحديث معلولاً^(٣)، إذ أوضح علماء الجرح والتعديل المتقدمون أهم القرائن المتينة التي اعتمدها في منهج علل الحديث التي تخص المتن، بالآتي:

١ - مخالفة الخبر للأصول الثلاثة: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع.

٢ - كون الكلام لا يشبه كلام من نسب إليه.

٣ - تضعيف حديث الراوي إذا روى ما يخالف رأيه أو حديثه.

٤ - ثبوت ما يخالف ما روى عنه^(٤).

وهذه الرواية التي أوردها ابن حنبل في مسنده، تنم عن غلظة شديدة صادرة من النبي ﷺ يرافقها عجب، وهذا منافٍ لوصف القرآن أخلاق النبي ﷺ، بقوله عز وجل مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٦)، فإذا كان هذا الخلق مع الآخرين، فما

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٥٤؛ النويري، نهاية الإرب، ج ١٦، ص ٢٧٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢، ص ١٢٤.

(٢) ابن معد، الحجة، ص ١٨٩.

(٣) الحديث المعلول: حديث ظاهره الصحة، ولكن بعد التفطيش عن رواته تبين فيهم مقدوحاً به. ينظر: ابن الصلاح، علوم الحديث، ص ٨١.

(٤) كافي، أبو بكر بن الطيب، منهج الإمام أحمد في التعليل وأثره في الجرح والتعديل، من خلال كتابه العلل ومعرفة الرجال، ط ١، دار ابن حزم، (بيروت، ٢٠٠٥)، ص ٥٠٦.

(٥) سورة القلم، الآية (٤).

(٦) سورة آل عمران، الآية (١٥٩).

بالك بمن أحاطه بالرعاية وكفله وهو يتيم، وهو عليه السلام يقول: (أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وأشار بالسبابة والوسطى، ثم فرق بينهما قليلاً) (١).

ويصور في حديثه درجة جرم وكفر أبي طالب، حتى أن شفيح المذنبين محمداً عليه السلام بكل ما أتاه الله تعالى من الشفاعة، لم يستطع بشفاعته لأبي طالب إلا أن يدفعه من الدرك الأسفل من النار، إلى ضحضاح من النار يغلي، وإن كان هناك رأي يطرحه الباحث نجم الدين العسكري (٢) يفسر قوله عليه السلام: لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار، بأن معناه لولا أن الله تعالى هداه بي للإيمان لمات كافراً، وكان في الدرك الأسفل من النار. ولا نتفق مع العسكري في رأيه هذا لأنه يفترض أن أبا طالب كان كافراً ثم أسلم! وهذا يتعارض مع دين التوحيد الذي يعتنقه أبو طالب.

ويمكن أن نفسر تلك الجدلية التاريخية حول قضية إيمان أبي طالب التي تجاذبت فيها الأطراف سرد الأدلة لإثبات إيمانه أو لنفيه (٣)، حسب المرتكزات التي بنى عليها الطرفان حججهم وجاءوا بأدلتهم سواء للإثبات أو للنفي إنما هي: أولاً: الأحاديث النبوية المدعومة بالآيات القرآنية - حصراً في أسباب النزول - وحتى نتعرف على حقيقة الأمر في ذلك التعارض في الأحاديث المنسوبة للنبي عليه السلام، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، لندع وريثه علي بن أبي طالب عليه السلام يعلمنا بذلك:

فعن سليم بن قيس الهلالي قال: قلت لأمير المؤمنين عليه السلام: (إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر، شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله عليه السلام غير ما في

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٣٢٠٨)، ص ١٦٩٣.

(٢) أبو طالب حامي الرسول عليه السلام، ص ١٧٩.

(٣) ينظر: النصر الله، شرح نهج البلاغة رؤية اعتزالية عن الإمام علي عليه السلام، ص ٦٠-١١٦.

أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبي الله ﷺ متعمدين ويفسرون القرآن بآرائهم؟

قال فأقبل عليّ فقال: قد سألت فافهم الجواب، إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كذب على رسول الله ﷺ على عهده حتى قام خطيباً فقال: (أيها الناس، قد كثرت عليّ الكذابة، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)^(١)، ثم كذب عليه من بعده، وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس: رجل منافق يظهر الإيمان، متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله ﷺ متعمداً، فلو علم الناس أنه منافق كذاب لم يقبلوا منه، ولم يصدقوه، ولكنهم قالوا: هذا صحب رسول الله ﷺ ورآه وسمع منه وأخذوا عنه وهم لا يعرفون حاله، وقد أخبر الله عن المنافقين بما أخبر، ووصفهم بما وصفهم فقال عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾^(٢) ثم بقوا من بعده ﷺ فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان، فولوهم الأعمال وحملوهم على رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا، إنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله، فهذا أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله ﷺ شيئاً لم يحمله على وجهه، ووهم فيه، ولم يتعمد كذباً فهو في يده يقول به ويعمل به ويرويه، فيقول أنا سمعته من رسول الله ﷺ، فلو علم المسلمون أنه وهم لم يقبلوه، ولو علم هو أنه وهم لرفضه^(٣).

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٢٧٣٢)، ص ٨٩٦.

(٢) سورة (المنافقون)، الآية (٤).

(٣) الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٨٣ - ٨٤.

ورجل ثالث سمع من رسول الله ﷺ شيئاً أمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ، ولو علم أنه منسوخ لرفضه.

وآخر رابع لم يكذب على رسول الله ﷺ، مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسول الله ﷺ، لم ينسه بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه، وعلم الناسخ والمنسوخ فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ، فإن أمر النبي ﷺ مثل القرآن ناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، قد كان يكون من رسول الله ﷺ الكلام وجهين: كلام عام، وكلام خاص، مثل القرآن وقال الله عز وجل في كتابه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١) فيشتبه على من لم يعرف ولم يدر ما عنى الله به ورسوله ﷺ وليس كل أصحاب رسول الله ﷺ كان يسأله عن الشيء فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه حتى كانوا يحبون أن يجيء الإعرابي والطارئ حتى يسمعوا...^(٢).

وكلام الإمام علي (عليه السلام) هذا متفق عليه المسلمون بكافة مللهم ونحلهم المتقدمون والمتأخرون، وعلى أساس ذلك ابتدعوا علم الجرح والتعديل^(٣)، الذي ربما في بعض الأحيان يوثق المنافق، ويكذب الصدوق، لاعتبارات سياسية أو مذهبية أو لأن المنهج لا يرقى إلى الكشف عن ما تخفيه السرائر.

ثانياً: السيرة النبوية الشريفة، التي تناولت نشاطات النبي ﷺ من جميع أبعادها، بوصفه المثل الأعلى للمسلمين. وعلى ما يبدو أن المسلمين قد أغمضوا بعض الحقائق التاريخية فيها، ويؤكد ذلك النص الذي أورده الزبير بن بكار في

(١) سورة الحشر، الآية (٧).

(٢) الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٨٣ - ٨٤.

(٣) الخطيب، السنة قبل التدوين، ص ١٨٩ - ٢٩٣؛ عبد الحميد، تاريخ السنة النبوية، ص ١٠.

كتابه الذي اقتبسنا منه: (قدم علينا سليمان بن عبد الملك حاجاً سنة اثنتين وثمانين، وهو ولي عهد، فمر بالمدينة... ثم أمر أبان بن عثمان بن عفان أن يكتب له سير النبي ﷺ ومغازيه، فقال أبان: هي عندي، قد أخذتها مصححة ممن أثق به.

فأمر بنسخها وألقي بها إلى عشرة من الكتاب فكتبوها في رق، فلما صارت إليه، نظر فيها فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبين، وذكر الأنصار في بدر، فقال: ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل؟ إما أن يكون أهل بيتي غمضوا عليهم، وإما أن يكونوا ليس هكذا.

فقال أبان بن عثمان: أيها الأمير لا يمنعنا ما صنعوا بالشهيد المظلوم من خذلانه - يقصد أباه عثمان - أن نقول بالحق: هم على ما وصفنا لك في كتابنا هذا، قال سليمان: وما حاجتي أن أنسخ ذاك حتى أذكره لأمر المؤمنين - يعني عبد الملك بن مروان - لعله يخالفه، فأمر بذلك الكتاب فحرق،... فرجع سليمان بن عبد الملك فأخبر أباه بالذي كان من قول أبان، فقال عبد الملك: وما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل، تعرف أهل الشام أموراً لا نريد أن يعرفوها...).

ثم يتساءل سليمان عن أول من أحدث ذلك الإغماض والتحريف في سيرة النبي ﷺ، فيقال له: أول من أحدث ذلك معاوية بن أبي سفيان، ثم أحدثه بعده مروان بن الحكم، ثم أحدث أبوك عبد الملك بن مروان^(١).

فإذا كان الأمويون قد كتموا دور الأنصار في احتضان الرسول ﷺ والرسالة، والدفاع عنهما لأنهم قتلوا بعضاً منهم، وخذلوا عثمان في خلافته، فما ظنك بعلي بن أبي طالب (عليه السلام) خاصة وأن الظروف بعد انتقال الرسول الأعظم ﷺ إلى الرفيق الأعلى، كانت قد حكمت على كل ما يتعلق بالتدوين عنه ﷺ بالمنع والحرق، ثم

(١) الأخبار الموفقيات، ص ٢٧٥-٢٧٧.

أتم العباسيون آخر الأدوار برفع شأن العباس على حساب باقي أعمام النبي ﷺ وأبناء عمه، فدارت عجلة التاريخ تدون متناقضات الأقلام المأجورة، وتتناقل روايات المحدثين الواهمين، حتى ضنَّ أهل الحق بحقهم، وتمسك أهل الباطل بباطلهم، سوى من تداركتهم العناية الإلهية، ولم يتخلوا عن أعمال العقل أمام جمود النص، فإن مشروع تحطيم العقل المسلم، لم يقتصر على أهل الشام، بل امتد ليشمل جميع أرجاء المملكة الإسلامية، حتى يتحقق فيهم السلوك اللاإنساني فكانوا مصداق الآية الكريمة: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(١).

ولذلك لما استشعر المعصوم عليه السلام بتدبير قضية الشرك المنسوبة إلى أبي طالب من قبل المنصور العباسي الذي كان أول من قال بكفر أبي طالب: فيرد عليه قائلاً: (لو وضع إيمان أبي طالب في كفة الميزان، وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى، لرجح إيمانه)^(٢).

وعندما يبلغ الشك إلى صدور أصحاب المعصومين نتيجة الحملة الدعائية التي قادها العباسيون للحط من شأن العلويين، وجندوا لها الكثير من الرجال والأموال، يقلع المعصوم عليه السلام منابت الشك من صدور المؤمنين، بإصدار هذه الفتوى: (من لم يقر بإيمان أبي طالب كان مصيره النار)^(٣).

خامساً: المبيت على فراش النبي ﷺ:

جاء في مسند أحمد بن حنبل وعن طريق ابن عباس حديثان ذكر فيهما ليلة الفداء وهجرة النبي ﷺ:

(١) سورة الفرقان، الآية (٤٤).

(٢) ابن معد، الحجة، ص ٨٤ - ٨٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٦ - ٧٧.

حدثنا يحيى بن حماد، حدثنا أبو عوانة، حدثنا أبو بلج، حدثنا عمرو بن ميمون قال: إني لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: إما أن تقوم معنا وإما أن تخلونا هؤلاء، قال فقال ابن عباس: بل أقوم معكم، قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى قال فابتدأوا فتحدثوا فلا ندري ما قالوا، قال: فجاء ينفذ ثوبه ويقول: أفٍ وتَفٍ وقعوا في رجل له عشر: (... قال وشرى علي (عليه السلام) نفسه، لبس ثوب النبي (صلى الله عليه وآله) ثم نام مكانه قال وكان المشركون يرمون رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجاء أبو بكر وعلي نائم قال وأبو بكر يحسب أنه نبي الله، قال: فقال يا نبي الله، قال فقال له علي إن نبي الله (صلى الله عليه وآله) قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه، قال فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار قال وجعل علي يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله وهو يتضور قد لف رأسه في الثوب لا يخرج منه حتى أصبح ثم كشف عن رأسه فقالوا إنك للثيم كان صاحبك نراميه فلا يتضور وأنت تتضور وقد استنكرنا ذلك^(١).

حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، قال: وأخبرني عثمان الجزري: أن مقسماً مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس: في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾^(٢)، قال: (تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبي (صلى الله عليه وآله) وقال بعضهم بل اقتلوه وقال بعضهم بل أخرجوه فأطلع الله عز وجل نبيه (صلى الله عليه وآله) على ذلك فبات علي (عليه السلام) على فراش النبي (صلى الله عليه وآله) تلك الليلة وخرج النبي (صلى الله عليه وآله) حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي (صلى الله عليه وآله)، فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا علياً رد الله مكرهم، فقالوا أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري، فاقترضوا أثره فلما بلغوا الجبل خلط عليهم فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخل ها هنا لم

(١) ابن حنبل، الحديث (٣٠٦٢)، ص ٢٧٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية (٣٠).

يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاث ليال)^(١).

الحديثان اللذان أوردهما ابن حنبل عن هجرة النبي (صلى الله عليه وآله) وذكر فيهما الإمام علياً (عليه السلام) ومبيته في فراش النبي (صلى الله عليه وآله) مقتضبان لدرجة كبيرة، فالحديث الأول هو مقطع واحد اجتزأناه من حديث مطول ذكر فيه ابن عباس عشر فضائل للإمام علي (عليه السلام) لرهط وقعوا في الإمام، وأما الحديث الثاني ورد بصيغة بيان سبب نزول الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٢)، لذلك سنحاول تسليط الضوء على هذه الحادثة التي تعد من المهمات الجسام التي كلف بها النبي (صلى الله عليه وآله) الإمام علياً (عليه السلام) وقد قام بها دون تردد أو خوف على أكمل وجه.

أوردت بعض التفاسير^(٣) سبب نزول الآية الكريمة: (أتى جبرائيل النبي (صلى الله عليه وآله) وأخبره بمكيدة قريش وأحلافها، كما تشير إلى ذلك الآية، ومكر الله في الآية يعني: أنه سبحانه قد فوت عليهم مكرهم وتخطيطهم بما أخبر به نبيّه، وبما أمره به من الخروج في تلك الليلة، وميت علي (عليه السلام) على فراشه ليفوت عليهم تدبيرهم الذي أجمعوا عليه).

لما رأت قريش نشاط النبي (صلى الله عليه وآله) المتزايد وهمته العالية للدعوة خافت من انتشار أمر الإسلام، وبخاصة بعد وفاة ناصره أبي طالب، فاجتمعوا قبيل شهر ربيع الأول عام الهجرة / ٦٣٣ م، وبعد أن أعطى كل واحد منهم رأيه، قال أبو جهل: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى نسبياً ونعطي كل فتى منهم سيفاً، ثم ي ضربونه ضربة

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٣٢٥١)، ص ٢٨٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية (٣٠).

(٣) الحسكاني، شواهد التنزيل، ج ١، ص ٢١١؛ الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م): مجمع البيان في تفسير القرآن، دار الفكر، (بيروت، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م).

رجل واحد فيقتلونه، كي لا يتحمّل قتله فرد ولا قبيلة وحدها، بل يتفرّق دمه في القبائل كلّها، فلم يقدر آلّه وعشيرته على حرب قومهم جميعاً، فيصعب الثأر له.. فتفرّقوا على ذلك بعد أن اتّفقوا على الليلة التي يهاجمونه فيها وهو في فراشه، وقيل إن هذه الفكرة الشيطانية قد أيدها الشيطان بعد أن تجلّى لقريش بهيئة شخص يدعى النجدي - من أهل نجد -^(١) ولما علم عليّ (عليه السلام) بتخطيط قريش لاغتيال رسول الله (صلى الله عليه وآله) بكى، ورحب بالمبيت في فراش النبي (صلى الله عليه وآله) فداءً له وللإسلام وقال له: أو تسلم أنت يا رسول الله إن فديتك بنفسي؟ قال له (صلى الله عليه وآله): نعم، بذلك وعدني ربّي، فانشرح صدره لسلامة أخيه رسول الله (صلى الله عليه وآله)^(٢). فلمّا كانت العتمة اجتمع على باب دار النبي (صلى الله عليه وآله) فتيان قريش الأشداء، وجعلوا يرصدونه ليتأكّدوا من وجوده، فرأوا رجلاً قد نام في فراشه التحف ببرد له أخضر فاطمأنوا لوجود الرسول (صلى الله عليه وآله) في بيته، بينما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد خرج في الثلث الأخير من الليل من الدار، بعد أن ودع الإمام عليّاً (عليه السلام)، وأمره أن يؤدّي ما عنده من وديعة وأمانة إلى أهلها ويلحق به، ثم أنّه (صلى الله عليه وآله) خرج فأخذ حفنةً من تراب، فجعله على رؤوسهم^(٣)، وهو يتلو: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٤) ثمّ انصرف فلم يروه، وقد أتاهاهم شخص لم تذكر اسمه الروايات، فأخبرهم بخروج النبي (صلى الله عليه وآله)، ولم يصدقوه، لأنهم كانوا يرون عليّاً (عليه السلام) مستجياً ببرد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولم يزالوا يراقبونه حتى أصبحوا ولما حان الوقت الذي عيّنه لهجومهم على الدار، قام الإمام علي (عليه السلام) عن الفراش، فقالوا: والله لقد صدقنا

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٢٧؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٨٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٣٧١-٣٧٢.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤.

(٤) سورة يس، الآية (٩).

الذي حدثنا^(١).

وفي بعض الروايات أنهم قبل هجومهم عليه جعلوا يقذفونه بالحجارة وهو ساكن لا يتحرك ولا يبالي بما يصيبه من الأذى، ثم هجموا عليه بسيوفهم وخالد بن الوليد في مقدمتهم، فوثب علي (عليه السلام) من فراشه وهمزه بيده، ففر خالد واستطاع الإمام (عليه السلام) أن يأخذ السيف منه، فشدّ عليهم وانهمزوا أمامه إلى الخارج^(٢)، وسأل الرهط علياً: أين ابن عمك؟ فقال: أمرتموه بالخروج فخرج عنكم، وقيل: إنه قال: لا علم لي به^(٣)، ويورد الطبري^(٤) رواية مفادها: (أنهم قالوا لعل علي (عليه السلام) أين صاحبك؟ فقال لهم: لا أدري أو كنت رقيقاً عليه، أمرتموه بالخروج فخرج، فانتهروه وضربوه وأخرجوه إلى المسجد فحبسوه ساعة ثم تركوه). ويستبعد أحد الباحثين^(٥) أن يكونوا تمكنوا من الإمام لأنهم لو استطاعوا من ذلك فعلاً لاستخدموه كرهينة للضغط على النبي (صلى الله عليه وآله). ويرى الباحث إن ذهول قريش بسبب خروج النبي (صلى الله عليه وآله) دون علمهم، وانشغالهم بملاحقته (عليه السلام) أعطى الوقت الكافي للإمام علي (عليه السلام) بأن ينفذ وصية النبي (صلى الله عليه وآله) دون أن يلتفتوا إليه فلما يسّسوا منه اللحوق به حاولوا أن يمسكوا بالإمام حينما هاجر بالفواطم.

وقد ذكر بعض المفسرين^(٦) بأن الله سبحانه وتعالى أنزل في تلك التضحية آية

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٨٨.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٩، ص ٦٠ وما بعدها.

(٣) اليعقوبي تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٠٣.

(٤) تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ١٠١.

(٥) القزويني، محمد باقر، علي بن أبي طالب رجل المعارضة والدولة، ط ١، دار العلوم، (بيروت، ٢٠٠٤م)، ص ٤٧.

(٦) الحسكاني، شواهد التنزيل، ج ١، ص ١٠٠؛ الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: محمود الطحان، ط ١، (الرياض، ١٤٠٥هـ)، ج ٢، ص ٣١٩.

في حق الإمام علي (عليه السلام) تكريماً له، وهي: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(١).

فيما أورد بعض المؤرخين مباهاة الله تعالى لملائكته المقربين بموقف أمير المؤمنين (عليه السلام) في فداء النبي (صلى الله عليه وآله) بنفسه، فيذكرون: (أنَّ الله عزَّ وجلَّ أوحى في تلك الليلة إلى جبرائيل وميكائيل أنَّي قضيت على أحكما بالموت، فأَيُّكما يواسي صاحبه؟ فاختر الحياة كلاهما، فأوحى الله إليهما: هلا كنتما كعلي بن أبي طالب... آخيت بينه وبين محمّد، وجعلت عمر أحدهما أكثر من الآخر، فاختر عليُّ الموت وأثر محمّداً بالبقاء وقام في مضجعه، اهبطا فاحفظاه من عدوّه، فهبط جبرائيل وميكائيل فقعدا أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجله يجرسانه من عدوّه، ويصر فان عنه الحجارة، وجبرائيل يقول: بخ بخ لك يا بن أبي طالب مَن مثلك يباهي الله بك ملائكة سبع سموات)^(٢).

ويشير الاسكافي^(٣) إلى دقة اختيار الرسول (صلى الله عليه وآله) للإمام علي (عليه السلام) لتلك المهمة دون غيره، قائلاً: (... ولو لا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) علم أنه أهل لذلك، لما أهله، ولو كان عنده نقص في صبره، أو في شجاعته، أو في مناصحته لابن عمه، واختير لذلك لكان من اختياره (صلى الله عليه وآله) منقوصاً في رأيه، مضراً في اختياره ولا يجوز أن يقول هذا أحد من أهل الإسلام، وكلهم مجمعون على الرسول (صلى الله عليه وآله) عمل الصواب وأحسن الاختيار).

(١) سورة البقرة، الآية (٢٠٧).

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ج ٣٩؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ١١٣.

(٣) نقض العثمانية، منشور مع كتاب الجاحظ (العثمانية)، جمع وتحقيق: عبد السلام هارون، دار، ص ٣٢٢.

وفي هذا الصدد يقول المستشرق كونسلمان^(١): (فكان علي قد رقد في سرير النبي، وكلّه ثقة بكلام الرسول، ولقد نام ليلة آمنة بعد أن وعد محمد ﷺ له بأنه لم يمسه سوء) ويستشف من ذلك الموقف البطولي والمنقبة العظيمة، احد الباحثين المحدثين^(٢) أمرا يتعلق بسبب اختيار النبي ﷺ للإمام علي (عليه السلام) للمبيت في فراشه وهو: (أنّه إذا غاب شخص الرسول ﷺ كان علي (عليه السلام) هو الشخصية المهيأة لأن تخلفه وتمثل شخصه وتقوم مقامه فيكون خليفة رسول الله).

في المرويات السابقة التي أوردها ابن حنبل في مسنده، وكان واضحاً في بعضها التعارض والتناقض، ويرجع ذلك إلى منهج أحمد بن حنبل المقتصر على إيراد الأحاديث الواردة عن الصحابة والتابعين من دون النقد والتمحيص أو ترجيح واحدة على أخرى، كما أنها تشير إلى توجهات ابن حنبل في التركيز على مواضيع وإغفال أخرى، وانسياقه مع توجهات السلطة السياسية، وهي العوامل المؤثرة في منهج ابن حنبل، وبشكل عام فإن مرويات المسند قد جمعت الغث والسمين، كما أنها لم تحط بتفاصيل الحدث التاريخي، فعلى الرغم من أن أحمد بن حنبل ذكر في مسنده مبيت الإمام علي (عليه السلام) في فراش النبي ﷺ إلا أنه اغفل ذكر ما قام به الإمام (عليه السلام) في أثناء مكوثه في مكة بعد هجرة النبي ﷺ عنها، وقد أوصاه النبي ﷺ أن يؤدي عنه أمانته، فقد كانت العرب تستودع النبي ﷺ وتستحفظه أموالها وأمتعتها لما عرف عنه ﷺ من الأمانة والصدق، فكلف النبي ﷺ الإمام علياً (عليه السلام) بإرجاع الودائع لأهلها، فكان علي (عليه السلام) يقيم صارخاً يهتف بمكة غدوة وعشياً

(١) جرهارد، سطوع نجم الشيعة، ترجمة: محمد أبو رحمة، ط ٣، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ٢٠٠٤م)، ص ٦.

(٢) الخطيب، عبد الكريم، علي بن أبي طالب (بقية النبوة وخاتم الخلافة)، ط ١، دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٩٦٦م)، ص ١٠٥.

ثلاثة أيام: (ألا من كان له قبل محمد أمانة أو وديعة فليأت فلتؤد إليه أمانته)^(١)، ثم استخلفه على الفواطم من الهاشميات وهن: (فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وفاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب)، وكان بإمكان النبي ﷺ أن يعهد بهنّ إلى غيره من بني هاشم وكلهم من ذوي الشجاعة والمروءة ما يجعل النبي ﷺ مطمئناً عليهن، لكنه تعمد على ما يبدو أن يوحي علياً بهنّ، وبعد ذلك أمر رسول الله ﷺ علياً أن يهاجر بهن فقال له (وإذا أبرمت ما أمرتك فكن على أهبة الهجرة إلى الله ورسوله، وسر إلي لقدوم كتابي إليك، ولا تلبث بعد...) ^(٢).

فلما وصل النبي ﷺ إلى قباء ^(٣) أقام فيها بانتظار علي (عليه السلام) وأبى دخول المدينة إلا معه وقال ﷺ: (ما أنا بداخلها حتى يقدم ابن عمي وابنتي ثم كتب ﷺ إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) كتاباً يأمره فيه بالمسير إليه) ^(٤).

فخرج ﷺ بالركب الفاطمي، فكان يسير ليلاً، ويكمن نهاراً ماشياً غير راكب حتّى تفطّرت قدماه، ولقد ظلّ في رحلته تلك أربع عشرة ليلة وقد أدركه ثمانية فرسان ملثمين، معهم مولى لحرب بن أمّية يدعى جناح، فقال عليّ (عليه السلام) لأئمن وأبي واقد حيث كانا معه: (أنيخا الإبل واعقلاها)، وتقدّم ﷺ فأنزل النسوة واستقبل القوم بسيفه، فقالوا: أظننت يا عُذر أنّك ناج بالنسوة؟ ارجع

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٩٤؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٣٢؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٦٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٣٧٨؛ النويري، نهاية الإرب، ج ١٦، ص ٣٤٠.

(٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ١، ١٨٢؛ الأربلي، كشف الغمة، ج ٢، ص ٣٠.

(٣) قباء: قرية صغيرة تقع إلى الجنوب من يثرب، على بعد ميلين منها. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٣٨.

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٦٩؛ الريشهري، موسوعة الإمام علي (عليه السلام)، ج ١، ص ١٦٨.

بهن لا أباك!! فقال: فإن لم أفعل؟ فقالوا: لترجعن راعماً! ودنوا من رواحل النساء، فحال عليّ (عليه السلام) بينهم، ثم شدد عليهم، وأنشد:

خلوا سبيل المجاهد المجاهد
آليت لا أعبد إلا الواحد^(١)

فتفرق القوم عنه، فسار بالركب حتى قدموا قباء حيث كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) بانتظاره فيها، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): ادعوا لي علياً، قيل: لا يقدر أن يمشي، فأتاه النبي (صلى الله عليه وآله)، واعتنقه وبكى رحمة لما بقدميه من الورم، وتفل في يديه ومسح بها على قدميه، فلم يشتكهما بعد حتى استشهد^(٢).

وينقل اليعقوبي^(٣) طعن بعض المهاجرين في ثقة النبي (صلى الله عليه وآله) بعلي (عليه السلام) في اصطحاب أهله وحرمة في هجرته، إذ يقول: (وقدم علي بن أبي طالب بفاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وذلك قبل نكاحه إياها، وكان يسير الليل ويكمن النهار حتى قدم فنزل مع رسول الله. ثم زوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله) من علي بعد قدومه بشهرين، وقد كان جماعة من المهاجرين خطبوها إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلما زوجها علياً قالوا في ذلك! فقال رسول الله: «ما أنا زوجته ولكن الله زوجة»). وطعنهم هذا في علي (عليه السلام) إنما هو طعن برسول الله (صلى الله عليه وآله)، ويدل على أنهم لم يتخلصوا بعد من برائن الشرك وموروثات الجاهلية من الحسد، والتنافس، وسوء الظن، علماً أن الإمام علياً (عليه السلام) بدوره قام بواجبه أحسن القيام فكان يحوط حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويكلوهم من الأعداء، ويرفق بهن في المسير، حتى أوردهن عليه (عليه السلام) على أتم صيانة وحراسه

(١) المفيد، الإرشاد، ص ٤٦؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٦٩؛ ابن الأثير، اسد الغابة، ج ٤، ص ٩٦.

(٢) الأربلي، كشف الغمة، ج ٢، ص ٣١-٣٢؛ الرিশهري، موسوعة، ج ١، ص ١٧٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤٨.

ورفق ورأفة وحسن تدبير^(١)، ويرد الله عز وجل على هذا الافتراء فأنزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٢)، ويذكر أن الآية الكريمة تخص الراكب الفاطمي بقيادة علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(٣)، وحذرت آية أخرى من إيذاء المؤمنين والمؤمنات^(٤) قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾^(٥).

(١) المفيد، الإرشاد، ص ٤٦؛ العاملي، أعيان الشيعة، ج ١، ص ٢٣٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٩١).

(٣) محب الدين الطبري، أحمد بن عبد الله (ت: ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م): ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، دار الكتب المصرية، (القاهرة، ١٣٥٦هـ) ص ١٧؛ الأمين، عبد الودود، الأئمة الإثنا عشر سيرة وجهاد (الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين (عليه السلام))، مراجعة وتقديم: عفيف النابلسي، دار التوجيه الإسلامي، (بيروت، ١٩٨٠م)، ص ٣٥.

(٤) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ / ١٠٧٦م)، أسباب النزول، مؤسسة الحلبي وشركاؤه، (القاهرة، ١٩٦٨م) ص ٢٧٣؛ الفيروز آبادي، فضائل الخمسة في الصحاح الستة،

ج ١، ص ٢٩٠-٢٩١.

(٥) سورة الأحزاب، الآية (٥٨).

المبحث الثاني

الإمام علي عليه السلام في مرويات ابن حنبل (العهد المدني)

أولاً: حياة الإمام علي عليه السلام الأسرية:

تضمنت المرويات الواردة في مسند أحمد بن حنبل جانباً من الحياة الأسرية للإمام علي عليه السلام، وينبغي الإشارة إلى أننا تعمداً تقديم الجانب الأسري في سيرة الإمام علي عليه السلام للتركيز على ما حظيت به تلك الأسرة من أهمية من لدن الله تعالى ورسوله ﷺ بوصفها جسدت الروابط الإيمانية بالله جل وعلا، ومحاور التقاء تلك الروابط بحقيقة رسول الله ﷺ فاستحقوا أن يكونوا أهل بيته المطهرين، وورثته الحقيقيين. وقد بدا على منهج ابن حنبل الاضطراب والتناقض عندما نقل الأحاديث التي تشير إلى مكانة تلك الأسرة لدى النبي ﷺ، إذ حاول ابن حنبل التمليح بأن محبة النبي ﷺ لها نابعة عن عاطفة إنسانية طبيعية إزاء ذوي رحمه، متجاوزاً الاعتبارات المعنوية التي نسجت العلائق الواقعية بين النبي ﷺ وأهل بيته - عليهم السلام - ونلاحظ ذلك حينما يورد أحمد بن حنبل جملة من الأحاديث التي تطعن ببعض الأفعال التي صدرت من أفراد أسرة الإمام علي عليه السلام التي تشير إلى ضعف الأثر التربوي للنبي ﷺ في نفوس أفرادها. ونستنتج من ذلك أن منهج أحمد بن حنبل الواقع تحت تأثير الجوانب السياسي السائد، والجوانب العقدية التي يؤمن بها الكثير من محدثي ذلك العصر، والذي استكثر نقل الروايات من دون تمحيص لسندها ومتنها، بهدف خلق التوازن بين شخصيات الصحابة،

وجعلهم بمستوى واحد من الإيمان والتطبيق. فعندما تتبعنا الأحاديث الواردة في مسند ابن حنبل والمتعلقة بزواج الإمام علي (عليه السلام) بفاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحياته (عليه السلام) معها وجدنا انه يركز على الجانب المادي وعلى المصاعب التي واجهت الإمام (عليه السلام) في تلبية مستلزمات الزواج ومتطلبات الحياة الزوجية، وذلك لفقره. وإن كنا نوافق على إثبات بساطة الحياة الزوجية التي عاشها الإمام مع السيدة فاطمة -عليهما السلام- ولكننا لا نتفق مع ما ورد في المسند من أحاديث تنص على قيام أفراد أسرة الإمام علي (عليه السلام)، ببعض الأفعال التي تخالف الشريعة المحمدية، وبخاصة ان النبي (صلى الله عليه وآله) أشرف بنفسه على تربية جميع أفرادها من لحظة ولادتهم، فضلاً عن أن إيراد ابن حنبل بعض الأحاديث التي تشير إلى ارتباك العلاقة بين الإمام علي (عليه السلام) والسيدة فاطمة الزهراء -عليهما السلام- الأمر الذي انعكس سلباً على علاقة الإمام (عليه السلام) بالنبي (صلى الله عليه وآله)، يجعلنا نصدر حكم الاضطراب والتناقض على منهج ابن حنبل، وبخاصة أنه يورد الكثير من الأقوال على لسان النبي (صلى الله عليه وآله) والتي يصرح فيها عن مكانة أهل بيته عند الله ومحبتة الخاصة لهم. وسنعرض ما ورد في المسند من أحاديث بحسب مواضيعها:

أ/ تزويج النبي (صلى الله عليه وآله) ابنته من الإمام علي (عليه السلام):

وردت في مسند أحمد بن حنبل أحاديث تناولت موضوع زواج الإمام علي (عليه السلام) من فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، من حيث الخطبة، وتحضيرات الزواج:

أبنا سفيان عن بن أبي نجيح عن أبيه عن رجل سمع علياً (عليه السلام) يقول: (أردت أن أخطب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ابنته فقلت مالي من شيء فكيف؟ ثم ذكرت صلته وعائده فخطبتها إليه، فقال: هل لك من شيء؟، قلت: لا، قال: فأين درعك التي أعطيتك يوم كذا وكذا قلت: هي عندي، قال: فأعطها إياه)^(١).

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٦٠٣)، ص ٩٠.

حدثنا عفان حدثنا حماد أنبأنا عطاء بن السائب عن أبيه عن علي عليه السلام: (أن رسول الله ﷺ لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة^(١)، ووسادة حشوها من ليف، ورحيين^(٢)، وسقاء^(٣) وجرتين...) (٤).

حدثنا عبد الرزاق أنبأنا ابن جريج حدثني ابن شهاب عن علي بن حسين بن علي عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي عن عليهما السلام قال: (أصبت شارفا^(٥) مع رسول الله ﷺ في المغنم يوم بدر وأعطاني رسول الله ﷺ شارفا أخرى فأنختهما يوما عند باب رجل من الأنصار وأنا أريد أن أحمل عليهما أذخرا لأبيعه ومعني صائغ من بني قينقاع لأستعين به علي وليمة فاطمة) (٦).

حدثنا وكيع عن هشام بن سعد عن عمر بن أسيد عن ابن عمر قال: (كنا نقول في زمن النبي ﷺ رسول الله خير الناس، ثم أبو بكر، ثم عمر، ولقد أوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لئن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم زوجه رسول الله ﷺ ابنته وولدت له...) (٧).

حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي حدثنا أبي عن عبد الكريم بن سليط عن ابن بريدة عن أبيه قال: (لما خطب علي فاطمة عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: إنه لا بد للعرس من وليمة، قال: فقال: سعد على كبش وقال فلان على كذا وكذا من ذرة) (٨).

(١) الخميلة: الثياب القطيفة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥، ص ١٢٦٨.

(٢) ورحيين، مفردا رحي، وهي التي يطحن بها، ينظر: ابن منظور، المصدر نفسه، ج ١٨، ص ١٦١٤.

(٣) السقاء: جلد لا يكون إلا للباء. ينظر: ابن منظور، المصدر نفسه، ج ٢٢، ص ٢٠٤٣.

(٤) ابن حنبل، مسند، الحديث (٨٣٨)، ص ١٠٨.

(٥) الشارف: الناقة المسنة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٢٦، ص ٢٢٤٣.

(٦) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٢٠٢)، ص ١٣٤.

(٧) المصدر نفسه، الحديث (٤٧٩٧)، ص ٣٩٢.

(٨) المصدر نفسه، الحديث (٢٣٤٢٤)، ص ١٧١٠.

لقد تجاهل ابن حنبل في مسنده خطوبة بعض الصحابة لابنة رسول الله ﷺ وأنه ﷺ قد ردهم ردّاً جميلاً ورفضهم بصورة وديعة، قائلاً لهم: (انتظر فيها القضاء)^(١)، على أن أمر السماء لم يتأخر طويلاً، بل جاء سريعاً، حين أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يزوج النور من النور^(٢) ثم أن رسول الله ﷺ قد توج ذلك الأمر الإلهي بإعلان جديد أوضح فيه تكافؤ النورين، بقوله: (لوم يخلق الله علياً لما كان هناك كفؤ لفاطمة على وجه الأرض)^(٣)، كان ذلك التكافؤ في الرتبة والمقام عند الله، وفي المحبة لهما في قلب الرسول الكريم، فقد ورد عنه ﷺ: (أما إني لم ألك، أنكحتك أحب أهلي إلي)^(٤) وقد كانت للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) رغبة في التقدم بين يدي رسول الله ﷺ لخطبة ابنته (عليه السلام)، إلا إنه هو الآخر كان منتظراً لأمر السماء، فلم يكن ليسبق الله ورسوله في أمر، ولأن الحياء من النبي ﷺ كان يمنعه من المبادرة في طلب الزواج، وربما كان لا يملك سوى درعه وسيفه، فلما جاء أمر الله بالتزويج، دخل الإمام (عليه السلام) على رسول الله ﷺ وكان الحياء قد عقل لسانه، فسأله رسول الله ﷺ: عن حاجته، فسكت، فأعاد عليه النبي ﷺ السؤال، فقال (عليه السلام): (يا رسول الله ذكرت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فقال (عليه السلام): مرحباً وأهلاً)^(٥)، ثم أن الرسول ﷺ مشرع حرية اختيار الزوج، ذهب ليسأل ابنته فاطمة (عليه السلام) رأيها، فسكتت ولاذت بالصمت، فكبر (عليه السلام) بعد أن خرج منها، وقال: سكوتها إقرارها، وبعد أن

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ١٦؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٥، ص ٥٢٠.

(٢) ابن المغازلي، مناقب الإمام علي بن أبي طالب، ص ٣٤٤-٣٤٥؛ الخوارزمي، مناقب، ص ٢٤٥.

(٣) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ط ١، انتشارات الشريف الرضي، (قم، ١٩٥٨م)، ج ١، ص ٢٢٥.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٢٣. ابن أبي شيبة، المصنف في الحديث والآثار، ج ٦، ص ٣٧٤؛ ابن حنبل، فضائل، ص ٣٦٧.

(٥) ابن المغازلي، مناقب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ص ٣٤٦.

وجد الرسول الإيجاب والقبول من الطرفين، سأل علياً: أعندك شيء؟^(١) فقال لا، قال: فأين درعك التي أعطيتك يوم كذا وكذا؟ قلت: هي عندي، قال: فأعطها إياه مهراً لها، فباعه الإمام عليه السلام وقد قدر ثمنه ب (٤٨٠) مثقالاً من الفضة، فلما جاء الإمام عليه السلام بالدرهم، أمره رسول الله عليه السلام أن يجعل ثلثي الدراهم في الطيب، والثلث الآخر في المتاع، ففعل أمير المؤمنين ذلك^(٢)، وقد دعا لهما النبي عليه السلام قائلاً: (جمع الله شملكما، وأسعد جدكما، وبارك عليكما، وأخرج منكما كثيراً طيباً)^(٣).

ثم خرج رسول الله عليه السلام للمهاجرين والأنصار معلناً زواج علي من فاطمة - عليهم السلام - فقال عليه السلام: (الحمد لله المحمود بنعمته، المعهود بقدرته، المطاع لسلطانه، المهروب إليه من عذابه، النافذ أمره في أرضه وسوائه، الذي خلق الخلق بقدرته، وتبرهم بأحكامه، وأعزهم بدينه، وأكرمهم بنبيه محمد عليه السلام، إن الله جعل المصاهرة نسباً لاحقاً وأمراً مفترضاً وحكماً عادلاً وخيراً جامعاً، أوشج به الأرحام وألزمها الأنام، قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾^(٤)، فأمر الله يجري إلى قضائه، وقضاؤه يجري إلى قدره، ولكل أجل كتاب: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٥)، ثم إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي، وأشهدكم أني زوجت فاطمة من علي على أربعمائة مثقال فضة، إن رضي لهما وأطاب نسلهما، وجعل نسلهم مفتاح الرحمة ومعادن الحكمة وأمن الأمة، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم)^(٦).

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ١٦، الديار بكرى، تاريخ الخميس، ج ١، ص ٤٠٥.

(٢) النسائي، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام، ص ٣٢.

(٣) محب الدين الطبري، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، ص ٦٧.

(٤) سورة الفرقان، الآية (٥٤).

(٥) سورة الرعد، الآية (٣٩).

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٢٣؛ الطبري، ذخائر العقبى، ص ٣١.

ويجعل ابن شهر آشوب^(١) سبب نزول الآية الكريمة: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾، كان من اجل محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين - عليهم السلام - على أن البشر: رسول الله ﷺ، والنسب: فاطمة، والصهر: علي (عليه السلام)، ويؤول قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾، بأنه القائم من آل محمد - ع - في آخر الزمان، لأنه لم يجتمع نسب وسبب في الصحابة والقراة إلا له.

يبدو من الأحاديث الواردة في مسند أحمد بن حنبل أن الأنصار قد اسهموا في إعداد وليمة العرس المبارك، وقدموا له بعض الهدايا، لأن المهاجرين ضيوف على الأنصار في المدينة، ولا يملكون شيئاً إذ تركوا ديارهم وأموالهم في مكة بعد الهجرة، فضلاً عن أن الأنصار كانوا أكثر تأثراً وانصياعاً لأوامر الرسول ﷺ، وأشد قرباً للإمام علي (عليه السلام) من المهاجرين، باستثناء خلص أصحاب الإمام (عليه السلام)^(٢).

وقد حددت الروايات الواردة في مسند ابن حنبل تاريخ الزواج المبارك، بأنه كان بعد معركة بدر الكبرى^(٣).

فيما يوقت اليعقوبي^(٤) زواج الإمام (عليه السلام) بعد شهرين من قدومه إلى المدينة مهاجراً إذ يقول: (وقدم علي بن أبي طالب (عليه السلام) بفاطمة بنت رسول الله ﷺ وذلك قبل نكاحه إياها، وكان يسير الليل ويكمن النهار حتى قدم فنزل مع رسول الله، ثم زوجها رسول الله ﷺ من علي (عليه السلام) بعد قدومه بشهرين، وقد كان جماعة من المهاجرين خطبوها إلى رسول الله، فلما زوجها علياً قالوا في ذلك، فقال ﷺ: ما أنا

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤١؛ مناقب آل أبي طالب، ج ٢، ص ٤٥١.

(٢) العاملي، أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٢٥٥.

(٣) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٢٠٢)، ص ١٣٤.

(٤) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١١٩.

زوجته ولكن الله زوجه) ويحدد الطبري^(١) الذي لم يتطرق إلى تفاصيل الزواج، تاريخين مختلفين له: الأول: في بداية السنة الثانية للهجرة ليلال بقين من صفر، والثاني: إن علي بن أبي طالب عليه السلام بنى بفاطمة عليها السلام في ذي الحجة، على رأس اثنين وعشرين شهراً^(٢)، فيما اعرض البلاذري^(٣) عن ذكر تاريخ ذلك الزواج، ويرجح سبط بن الجوزي^(٤) أن يكون الزواج في رمضان من السنة الثانية للهجرة، ولم يتطرق ابن هشام في سيرته إلى الموضوع لا من قريب ولا بعيد.

ولعل الزواج حدث بعد المؤاخاة، بدليل ورود الحديث المروي عن أسماء بنت عميس قالت: (إن النبي ﷺ جاء إلى بيت علي عليه السلام في الصباح ونادى: يا أم أيمن: ادعي لي أخي، فقالت: يا نبي الله: أخوك وزوجته ابتك؟ وكان النبي ﷺ أخى بين أصحابه، وأخى بين علي عليه السلام ونفسه ﷺ)^(٥).

وقد ذكر المحدثون^(٦) السابقون واللاحقون لابن حنبل زواج الإمام علي عليه السلام بفاطمة - عليها السلام - بمثل ما أورد أحمد بن حنبل.

ب/ حياة الإمام علي عليه السلام مع السيدة فاطمة الزهراء - عليها السلام -:

يروي ابن حنبل حديثين عن معاناة علي وفاطمة -عليهما السلام- لمصاعب الحياة، وطلبهم من النبي ﷺ بأن يجعل لهما خادماً يساعدهما في العمل، فعوضهما

(١) تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٤١٠.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٨٥ - ٤٨٦.

(٣) ، انساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٦٢ وما بعدها.

(٤) شمس الدين أبو المظفر يوسف بن فرغلي (ت: ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م): تذكرة الخواص، مؤسسة أهل البيت - ع -، (بيروت، ١٩٨١م)، ص ٢٧٥.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٢٣؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ١٥٩.

(٦) الصنعاني، المصنف، ج ٦، ص ١٧٤؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج ١١، ص ٢٤٨؛ البيهقي، سنن البيهقي، ج ٧، ص ٢٣٤؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٢، ص ٩٠٢.

النبي ﷺ بدلاً عن الخادم بتعليمهما التسييح الخاص المعروف بتسييح الزهراء: حدثنا أسود بن عامر وحسين وأبو أحمد الزبيري قالوا حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن هبيرة بن يريم عن علي (عليه السلام) قال: (قلت لفاطمة لو أتيت النبي ﷺ فسألتيه خادما فقد أجهدك الطحن والعمل قال أبو أحمد الزبيري، قالت: فانطلق معي قال فانطلقت معها فسألناه فقال النبي ﷺ ألا أدلكما على ما هو خير لكما من ذلك إذا أوتيتا إلى فراشكما فسبحا الله ثلاثا وثلاثين واحمدها ثلاثا وثلاثين وكبراه أربعاً وثلاثين فتلك مائة على اللسان وألف في الميزان، فقال علي (عليه السلام) ما تركتها بعد ما سمعتها من النبي ﷺ فقال رجل: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين^(١).

حدثني العباس بن الوليد النرسي ثنا عبد الواحد بن زياد ثنا سعيد الجريري عن أبي الورد عن ابن أعبد قال: قال لي علي بن أبي طالب (عليه السلام): (يا بن أعبد هل تدري ما حق الطعام؟ قال: قلت وما حقه يا بن أبي طالب؟ قال: تقول بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقنا، قال: وتدري ما شكره إذا فرغت؟ قال: قلت وما شكره؟ قال: تقول الحمد لله الذي أطعنا وسقانا ثم قال: ألا أخبرك عني وعن فاطمة كانت ابنة رسول الله ﷺ وكانت من أكرم أهله عليه وكانت زوجتي فجرت بالرحى حتى أثار الرحى بيدها وأسقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها وقمت البيت^(٢) حتى اغبرت ثيابها وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها فأصابها من ذلك ضرر، فقدم على رسول الله ﷺ بسبي أو خدم قال فقلت لها: انطلقني إلى رسول الله ﷺ فاسأليه خادما يقيقك حر ما أنت فيه فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فوجدت عنده خدما أو خداما فرجعت ولم تسأله فذكر الحديث فقال ألا أدلك

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٢٥٠)، ص ١٣٨

(٢) قمت البيت: جمع أشياء البيت. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٤١، ص ٣٧٣٣.

على ما هو خير لك من خادم إذا أويت إلى فراشك سبحي ثلاثاً وثلاثين واحمدي ثلاثاً وثلاثين وكبري أربعاً وثلاثين. قال: فأخرجت رأسها فقالت رضيت عن الله ورسوله مرتين^(١).

ونلمس في الحديثين اللذين أوردهما ابن حنبل مدى الحب الذي حظيت به السيدة فاطمة الزهراء -عليها السلام- من أبيها عليه السلام وزوجها عليه السلام من خلال قول الإمام علي عليه السلام في الحديث الثاني: (... ألا أخبرك عني وعن فاطمة كانت ابنة رسول الله ﷺ وكانت من أكرم أهله عليه وكانت زوجتي...)، ونلاحظ أيضاً اهتمام رسول الله ﷺ في بناء أسرة الإمام علي عليه السلام بناءً معنوياً في قوله عليه السلام لابنته (... ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم إذا أويت إلى فراشك سبحي ثلاثاً وثلاثين واحمدي ثلاثاً وثلاثين وكبري أربعاً وثلاثين...).

وقد جادت أقلام الباحثين والكتاب المعاصرين، فقد كتبوا عن زواج الإمام علي عليه السلام، كلُّ بذوقه الأدبي أو التاريخي للتوثيق واصفين السعادة والوئام التي عاشها الزوجان الكريمان، على الرغم من معاناتهم شظف العيش، وجهد العمل، مستشهدين بما ورد في الأخبار والأحاديث^(٢).

ولعل التنشئة الاجتماعية لبعض المستشرقين هي التي قادتهم إلى وصف الحياة الزوجية لفاطمة عليه السلام مع الإمام علي عليه السلام بأنها: حياة بؤس وفقر، جعلت فاطمة عليه السلام دائمة الشكوى لأبيها من التعب، وتطالبه بخادم يساعدها، وحولت علياً عليه السلام إلى شخص يأتي من العمل عابس الوجه، ويقول لزوجته: كلي وأطعمي

(١) المصدر نفسه، الحديث (١٣١٢)، ص ١٤٢.

(٢) ينظر: الهلالي: ميشم عزيز ثجيل، الإمام علي عليه السلام في أبرز كتابات الباحثين والمفكرين العرب في القرن العشرين (عصر الرسالة النموذجي)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ذي قار، كلية الآداب، ٢٠١٠م، ص ١٩٩-٢٠٥.

الأولاد^(١). فيما نجد البعض الآخر من المستشرقين أكثر توازناً في إصدار أحكامهم بشأن طبيعة العلاقة الزوجية بين علي وفاطمة - عليهم السلام - حيث يصف ارفنج^(٢)، الزهراء (عليها السلام) بالجمال والرقّة، وأنها إحدى أربع نساء باركهن الله تعالى، وأن زوجها باركته السماء، وأن بساطة حياتها الزوجية تتناسب وبساطة البيت العربي آنذاك ويرى الفريد جيوم^(٣)، أن السلالة المحمدية دامت من خلال زواج فاطمة من علي - عليهما السلام - وأن أحفاد الرسول من هذا الفرع يجلسون بصفة خاصة من جميع المسلمين، وأنهم الورثة الحقيقيون للخلافة عند الشيعة.

ولا يلقي اللوم على ما توصل إليه استقراء المستشرقين السلبي، إنما يتحمل كتاب السلطة من المحدثين والمؤرخين الجزء الأكبر من المسؤولية بوصفهم حالة الفقر التي يعيشها الإمام علي (عليه السلام) وأسرته، علماً إن الحالة الاقتصادية لعموم المهاجرين كانت تتسم بالعوز والفقر، ولكنهم ركزوا على الفقر الذي طال أسرة الإمام، متجاهلين إن علياً (عليه السلام) أنموذج للإنسان الكادح والزاهد الذي يغمر أسرته حباً وحناناً، والدليل على ذلك أنه كان وأسرته ممن ينفقون سراً وعلانية، ويتصدقون على الفقراء والمساكين، وهم في غاية الرضا النفسي مادام الأمر فيه رضا الله تعالى، ويشهد لهم بذلك كتاب الله، قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾^(٤).

(١) درمنغم، أميل، حياة محمد، ترجمة: عادل زعيتر، مطبعة إحياء الكتب العربية، (القاهرة، ١٩٤٩م)، ص ٢٢٩.

(٢) محمد وخلفاؤه، ص ١٣٣ - ١٣٤.

(٣) الإسلام، ترجمة: محمد مصطفى، (القاهرة، ١٩٥٨م)، ص ٢٨.

(٤) سورة الإنسان، الآيات (٨، ٩، ١٠، ١١).

ج / خصوصية أهل البيت - عليهم السلام - لدى الله ورسوله ﷺ:

مما يحسب لأحمد بن حنبل إirاده عدداً من الأحاديث النبوية والبلاغات السماوية في مسنده والامتيازات والفضائل التي حظيت بها أسرة الإمام علي عليه السلام، التي هي أسرة النبي ﷺ وأهل بيته تكريماً لمستواها الإيماني العالي، وتخصيصاً لمكانتها عند الله ورسوله ﷺ وتعميم فرض محبتها وطاعتها على المسلمين، منها:

١ - محبة النبي ﷺ لأهل البيت - عليهم السلام - : جاءت أحاديث محبة النبي ﷺ لهم مفرقة في مسند أحمد بن حنبل، وعلى نمطين: نمط خاص بكل واحد من أهل بيته، ونمط آخر جمعي لهم - عليهم السلام - في المحبة:

حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر بن حبيش عن علي قال: (عهد إلي النبي ﷺ انه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق)^(١).

أخبرنا حجاج بن دينار عن جعفر بن إياس عن عبد الرحمن بن مسعود عن أبي هريرة قال: (خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين -عليهما السلام، هذا على عاتقه، وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرة، ويلثم هذا مرة، حتى انتهى إلينا، فقال له رجل: يا رسول الله انك تحبهما؟ فقال ﷺ: من أحبهما فقد أحبني، ومن ابغضهما فقد ابغضني)^(٢).

حدثنا محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح عن الفضل بن معقل عن عبد الله بن نيار الأسلمي عن عمرو بن شاس الأسلمي قال، قال لي رسول الله ﷺ: (يا عمرو والله لقد آذيتني، قلت: أعوذ بالله أن أؤذيك يا رسول الله، قال بلى من آذى علياً فقد آذاني)^(٣).

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٠٦٢)، ص ١٢٤.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٩٦٧١)، ص ٦٩٨.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (١٦٠٥٦)، ص ١١٢٨.

حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال حدثنا أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير إن النبي ﷺ قال: (إن فاطمة بضعة مني يؤذيني ما أذاها وينصبني ما أنصبها)^(١).

وعن ابن نمير، حدثني اجلح الكندي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: (... لا تقع في علي، فإنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي)^(٢).

وعن نصر الأزدي قال: حدثني اخو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن آبائه قال: (إن رسول الله ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين فقال: من أحبني وأحب هذين، وأباهما وأمهما، كان معي في درجتي يوم القيامة)^(٣).

حدثنا ابن نمير عن شريك عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله عز وجل يحب أربعة من أصحابي، أخبرني انه يحبهم، وأمرني أن أحبهم، قالوا من هم يا رسول الله؟ فقال ﷺ: إن علياً منهم، وأبو ذر، وسلمان، والمقداد)^(٤).

٢- نزول آية التطهير بحق أهل بيت النبوة -عليهم السلام-: بعد أن تم الزواج المبارك وسم القرآن الكريم بيت الإمام علي (عليه السلام) بالطهارة المطلقة: فقد جاء في مسند أحمد بن حنبل عن اسود بن عامر، عن حماد بن سلمة، عن علي ابن زيد عن انس بن مالك قال: (إن النبي ﷺ كان يمر ببيت فاطمة (عليها السلام) ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الصبح وهو يقول: الصلاة يا أهل البيت وهو يتلو:

(١) المصدر نفسه، الحديث (١٩١١٩)، ص ١٣٨٠.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٢٣٤٠٠)، ص ١٧٠٨.

(٣) ابن حنبل، مسند، الحديث (٥٧٦)، ص ٨٨.

(٤) المصدر نفسه، الحديث (٢٣٣٥٦)، ص ١٧٠٥.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١)^(٢). وهذا الحديث دل دلالة صريحة على المقصود الإلهي من أهل بيت النبوة المطهرين عن الرجس هم الأفراد الذين حوهم بيت فاطمة عليها السلام، ولا نظن إن استمرار النبي ﷺ هذه المدة الطويلة (سنة أشهر) كان بقصد تذكير من كان في البيت، لأن التطهير الإلهي يستلزم عدم الغفلة والنسيان، وإنما كان بقصد تركيز هذا الأمر في أذهان المسلمين.

٣- دلالات آية المباهلة: ورد في مسند أحمد بن حنبل رواية حدثه بها قتيبة ابن سعيد عن حاتم بن إسماعيل عن بكير بن مسمار عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: (... لما نزلت هذه الآية: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٣) دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: اللهم هؤلاء أهلي^(٤)). ويمكننا أن نستشف بعض الدلالات التي دلت عليها هذه الرواية:

لم يكن تعريف النبي ﷺ بمكانة أهل بيته - عليهم السلام - مقتصرًا على المسلمين، بل شمل علماء اليهود والنصارى، وكان ذلك بأمرٍ من الله تعالى كما نصت آية المباهلة.

(١) سورة الأحزاب، الآية (٣٣).

(٢) المصدر نفسه، الحديث (١٣٧٦٤)، ص ٩٦٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية (٦١). ينظر: الرازي، محمد بن عمر التميمي، (ت: ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م): مفاتيح الغيب المعروف ب(التفسير الكبير)، ط ٤، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ٢٠٠١م)، ج ٢، ص ٤٧١؛ الشامي، محمد بن يوسف الصالحي (ت: ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م): سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٣)، ج ٦، ص ٤١٦.

(٤) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٦٠٨)، ص ١٦٦.

أبانت آية المباهلة مقام الإمام علي (عليه السلام) بأن جعلته كنفس النبي (صلى الله عليه وآله)، وهذه الآية كفيلة بالاستدلال على استحقاق الإمام (عليه السلام) الوراثة المادية والمعنوية للنبي (صلى الله عليه وآله) لمن كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد.

إن انسحاب علماء النصارى من المباهلة فيه دلالة على قناعتهم بصدق نبوة محمد (صلى الله عليه وآله) وجليل خطورة مقامه وأهل بيته عند الله تعالى، الأمر الذي أدى إلى اعترافهم بذلك، بالرغم من أن التاريخ لم يحدثنا عن اثر ذلك الإقرار على العالم المسيحي آنذاك!

نرى إن النبي (صلى الله عليه وآله) في كثير من الأحاديث يكرر قوله (صلى الله عليه وآله) «اللهم هؤلاء أهل بيتي» ودلالة ذلك التكرار هو التوكيد على أن لفظة أهل البيت مختصة بهم.

٤- حديث الكساء: يعدّ حديث الكساء المروي عن أم المؤمنين السيدة أم سلمة من الحالات الخاصة التي يصعب تأويلها وإدراك معانيها والأسباب التي دعت النبي (صلى الله عليه وآله) للقيام بهذا الفعل، إلا أننا نستطيع القول بأن حادثة الكساء جسدت أسرار العلاقة المعنوية بين النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته وبين الله تعالى. وقد أوردها ابن حنبل عن طريقين من سلسلة الرواة، كلاهما ينتهي إلى زوج النبي (صلى الله عليه وآله) أم سلمة:

الطريق الأول: حدثنا محمد بن جعفر، قال حدثنا عوف عن أبي المعدل عطية الطفاوي عن أبيه إن أم سلمة حدثته: قالت: (بينما رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بيتي يوما إذ قالت الخادمة إن عليا وفاطمة بالسدة، قالت فقال لي: قومي فتنحي لي عن أهل بيتي قالت فقممت فتنحيت في البيت قريبا فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين وهما صبيان صغيران فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما قال واعتنق عليا بإحدى يديه وفاطمة باليد الأخرى فقبل فاطمة وقبل عليا فأغدق

عليهم خيصة سوداء، فقال: اللهم إليك، لا إلى النار، أنا وأهل بيتي...^(١).

الطريق الثاني: حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا حماد بن سلمة حدثنا زيد بن علي عن شهر بن حوشب عن أم سلمة قالت: (إن رسول الله ﷺ قال لفاطمة اتئني بزوجك وابنيك، فجاءت بهم، فألقى عليهم كساء، قال ثم وضع يده عليهم ثم قال: اللهم إن هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد إنك حميد مجيد، قالت أم سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي، وقال: انك على خير)^(٢).

٥- آل محمد - عليهم السلام - لا تحل لهم الصدقة: نستفيد من الحديث الذي يرويه ابن حنبل عن أبي رافع مولى رسول الله في تفنيد الرواية التي يذكرها بعض المؤرخين^(٣) ومفادها (إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب عليه السلام إلى أهل نجران، ليجمع صدقاتهم، ويقدم عليه بجزيته)، حيث يذكر أحمد بن حنبل في مسند: حدثنا يحيى، حدثنا شعبة قال حدثني الحكم عن ابن أبي رافع، عن أبيه قال: (إن النبي ﷺ بعث رجلاً من بني مخزوم على الصدقة، فقال لي: ألا تصحبني كيما تصيب منها؟ قال: قلت حتى اذكر ذلك لرسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة، وإن مولى القوم من أنفسهم)^(٤).

فإذا كان النبي ﷺ يرفض أن يرسل أبي رافع لجمع الصدقات، ويؤكد أن أهل بيت محمد ومواليهم لا تحل لهم الصدقة، فكيف يرسل علياً عليه السلام لجمع صدقات

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٧٠٧٥)، ص ١٩٧٣.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٢٧٢٨٢)، ص ١٩٨٨.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٧٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١٤٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٧٥.

(٤) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٧٧٢٤)، ص ٢٠٢٥.

نجران؟ ونحن نعلم إن عامل الصدقات يأخذ راتبه مما يجمعه بنص القرآن، قال تعالى: (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل) ^(١) أي الزكاة هؤلاء المعدودين دون غيرهم، فريضة من الله فرضها لهم.

٦- الخلفاء بعدد المعصومين الإثنا عشر - عليهم السلام -: وذكر ابن حنبل تصريح النبي ﷺ بأن الدين الإسلامي محفوظ لدى اثني عشر خليفة، بقوله حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الملك بن عمير قال: سمعت جابر بن سمرة يقول: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن هذا الدين لا يزال عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، قال ثم تكلم بكلمة لم أفهمها وضج الناس، فقلت لأبي: ما قال: قال كلهم من قريش) ^(٢).

٧- الأضاحي: روى ابن حنبل حديثاً حول ذبح النبي ﷺ أضحية عنه وعن أهل بيته، وتمثل هذه الأضاحي تولي النبي ﷺ لأهل بيته في حياته، وتوليهم له ﷺ بعد وفاته، فعن عبد الله بن محمد، عن علي بن الحسين عن أبي رافع قال: (ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين موحبين خصبين فقال: أحدهما عمن شهد بالتوحيد وله بالبلاغ، والآخر عنه وعن أهل بيته) ^(٣).

وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل حديثاً ذكر فيه إن الإمام علياً (عليه السلام) ضحى عن رسول الله ﷺ بعد وفاته بوصية منه ﷺ، قال عبد الله: حدثني عثمان بن أبي شيبة حدثنا شريك عن أبي الحسناء عن الحكم عن حنش قال: (رأيت علياً

(١) سورة التوبة، الآية (٦٠).

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢١٢٣١)، ص ١٥٣٥.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (٢٤٣٦١)، ص ١٧٨٧.

عليه السلام يضحى بكبشين فقلت له ما هذا؟ فقال أوصاني رسول الله ﷺ أن أضحي عنه^(١).

٨- حديث الثقلين: قدم أحمد بن حنبل حديث الثقلين بروايتين تدلان بصراحة على أن النبي ﷺ قد خلف لامته دستوراً يربطها بالله تعالى عن طريق الثقل الثاني الشارح والمفصل للدستور الإلهي والمتمثل بأهل بيته -عليهم السلام-، وعلى الرغم من أن ابن حنبل لم يذكر المناسبة التي جعلت النبي ﷺ يسن فيها حديث الثقلين، إلا أن سياق الحديث يدل على أنه في أواخر حياة النبي ﷺ، فقد جاء في الحديث حدثنا اسود بن عامر، أخبرنا إسماعيل بن أبي إسحاق الملائي عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)^(٢).

وقد أورد ابن حنبل الرواية الثانية لحديث الثقلين بإضافات جلية، فقال: حدثنا أبو النضر حدثنا محمد يعني ابن طلحة عن الأعمش عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: (إني أوشك أن أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله عز وجل وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروني بم تحلفوني فيهما)^(٣).

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٢٨٦)، ص ١٤٠

(٢) المصدر نفسه، الحديث (١١٢٠)، ص ٧٨٥.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (١١٤٨)، ص ٧٨٧.

د/ خصوصية الإمام علي (عليه السلام) لدى الله ورسوله:

نورد الأحاديث الدالة على خصوصية الإمام التي ذكرها أحمد بن حنبل، مما لا يسعنا أن نتناولها كموضوعات لأحداث تاريخية تقع ضمن سيرة الإمام علي (عليه السلام).

١ - خصوصية الإمام علي (عليه السلام) في الدخول على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ورد عن الإمام علي (عليه السلام) قوله: (كانت لي ساعة من السحر ادخل فيها على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإن كان قائماً يصلي، سبح بي فكان ذاك إذنه لي، وإن لم يكن يصلي أذن لي)^(١).

٢ - سد الأبواب إلا باب علي (عليه السلام): عن زيد بن أرقم قال: (كان لنفر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أبواب شارعة في المسجد، قال فقال يوماً: سدوا هذه الأبواب إلا باب علي (عليه السلام)، قال: فتكلم في ذلك الناس، قال فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإني أمرت بسد هذه الأبواب إلا باب علي (عليه السلام) وقال فيه قائلكم وإني والله ما سددت شيئاً ولا فتحتهُ ولكنني أمرت بشيء فاتبعته)^(٢).

٣ - حديث علي (عليه السلام) يقاتل على التأويل: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن منكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله، قال: فقام أبو بكر وعمر، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لا، ولكن خاصف النعل، وكان علي (عليه السلام) يخصف نعله)^(٣).

٤ - المنذر والهادي: عن علي (عليه السلام): في قوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٤)، (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المنذر أنا، والهادي رجل من بني هاشم)^(٥)، عمم

(١) المصدر نفسه، الحديث (٥٧٠)، ص ٨٧.

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٩٥٠٢)، ص ١٤١١.

(٣) ابن حنبل، مسند، الحديث (١١٣٠٩)، ص ٧٩٩.

(٤) سورة الرعد، الآية (٧).

(٥) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٠٤١)، ص ١٢٣.

ابن حنبل وظيفته الهداية على بني هاشم مع أنها مختصة بالإمام علي عليه السلام والظاهر أن مصلحة السلطة العباسية اقتضت هذا التعميم.

٥- علي عليه السلام لا تأخذه في الله لومة لائم: عن أبي سعيد الخدري قال: (اشتكى الناس علياً عليه السلام، قال: فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً، فسمعتة يقول: أيها الناس: لا تشكوا علياً، فوالله انه لأخشن في ذات الله، أو في سبيل الله)^(١).

٦- النهي عن سب الإمام علي عليه السلام: عن أم سلمة قالت: (سمعت رسول الله ﷺ يقول من سب علياً فقد سبني)^(٢)، ولعل سب الإمام علي عليه السلام كان من إحدى زوجات النبي ﷺ، فمنعها النبي بقوله هذا، ولما قام معاوية بسبه علناً، ذكرت أم سلمة الحديث لتحذر من ينساق وراء أفعال معاوية.

على أن أحمد بن حنبل لم يذكر في مسنده المؤاخاة بين النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام، إلا انه ذكرها في ثلاث روايات في كتابه الفضائل:

الأولى: عن عمر بن عبد الله عن أبيه عن جده: إن النبي ﷺ آخى بين الناس وترك علياً حتى بقي آخرهم لا يرى له أخاً، فقال: يا رسول الله آخيت بين الناس وتركتني؟ قال: ولم تراني تركتك، إنما تركتك لنفسني أنت أخي وأنا أخوك فإن ذاكرك أحد فقل: أنا عبد الله وأخ رسوله لا يدعيها بعدي إلا كذاب)^(٣).

الثانية: عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: (مكتوب على باب الجنة: محمد رسول الله، علي أخو رسول الله قبل أن تخلق السماوات بألفي سنة)^(٤).

(١) المصدر نفسه، الحديث (١١٨٣٩)، ص ٨٣٧.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٢٧٢٨٤)، ص ١٩٨٨.

(٣) ابن حنبل، فضائل أمير المؤمنين، الحديث (١٧٩)، ص ٢٤٤.

(٤) المصدر نفسه، الحديث (٢٦٤)، ص ٣٥٠.

الثالثة: عن سعيد بن المسيب قال: (إن رسول الله ﷺ آخى بين أصحابه فبقي رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعلي (عليه السلام)، فأخى بين أبي بكر وعمر، وقال ﷺ لعلي (عليه السلام): أنت أخي وأنا أخوك^(١)).

ومن المؤرخين الذين ذكروا خبر المؤاخاة ابن هشام في سيرته^(٢)، وابن سعد^(٣) والبلاذري^(٤)، وابن عبد البر^(٥)، وابن الأثير^(٦)؛ ومن المحدثين: الصنعاني في المصنف^(٧)، والترمذي^(٨)، والنسائي^(٩)، والطبراني^(١٠)، والحاكم النيسابوري^(١١)، ولم يساند ابن تيمية^(١٢) في رأيه إلا تلميذه ابن القيم، اللذان لم يقتنعا بكل هذه المصادر بما فيها روايات أحمد بن حنبل، فنسبوا تلك الأحاديث إلى ابنه عبد الله بن أحمد ابن حنبل وجعلوها من مدسوساته في كتاب أبيه الفضائل!

وقد رد ابن حجر^(١٣) على ابن تيمية، فقال: انه عدّ المؤاخاة شرعت للترافق وتآلف القلوب، وهذا رد للنص بالقياس، وإغفال حكمة المؤاخاة، ولكنه جاء بتفسير آخر لمؤاخاة النبي ﷺ للإمام علي، يقصد به إضعاف جانب الإمام علي

(١) المصدر نفسه، الحديث (٢١٢)، ص ٢٨٦.

(٢) السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٠١.

(٣) الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٣٨-٢٣٩.

(٤) انساب الأشراف، ج ١، ص ١٧٧.

(٥) الاستيعاب، ج ٣، ص ٣٥.

(٦) اسد الغابة، ج ٤، ص ١٠١.

(٧) المصنف، ج ٤، ص ٤٨٥.

(٨) سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٣٦.

(٩) خصائص، ج ٣، ص ١٨.

(١٠) المعجم الكبير، ج ١١، ص ٧٥.

(١١) المستدرک، ج ٣، ص ١٤.

(١٢) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج ٧، ص ٣٩٩.

(١٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٧، ص ٢٧١.

عليه السلام حيث قال: آخى بين الأعلى والأدنى، ليرتفع الأدنى بالأعلى ويستعين الأعلى بالأدنى، وبهذا تظهر مؤاخاته لعلي، لأنه هو الذي كان يقوم به من عهد الصبا من قبل البعثة واستمر.

أما ابن كثير^(١) فقد ذكر رأي ابن تيمية المنفرد بقوله: إن بعض العلماء ينكر مؤاخاة النبي ﷺ لعلي، ومستنده في ذلك: إن هذه المؤاخاة إنما شرعت لأجل ارتفاع بعضهم من بعض، ولتألف قلوب بعضهم من بعض، فلا معنى لمؤاخاة النبي ﷺ لأحد منهم، ولا مهاجري لمهاجري آخر، ثم يعقب ابن كثير على هذا الرأي ليشير إلى خطأه ولكن بصيغة الاحتمال، فيقول: إلا أنه قد يكون النبي ﷺ أراد أن لا يجعل مصلحة علي إلى غيره، وبخاصة أنه كان ينفق عليه من صغره في حياة أبيه.

فيما يبطل ابن الجوزي^(٢) الروايات التي استند إليها ابن تيمية، والتي يوردها ابن سعد، القائلة أن النبي آخى بين نفسه وعثمان بن عفان، وآخى بين علي وسهل بن حنيف، ويضيف ابن الجوزي مؤاخاة جديدة لم يذكرها أحدٌ سواه بين علي والزبير ابن العوام، فيذكر إن تلك ليست بمؤاخاة إنما جاءت بصيغة التمرّض، لأن النبي ﷺ كلف بعض المهاجرين والأنصار برعاية وتمريض بعض المهاجرين لما أصابهم وباء الحمى في بداية قدومهم المدينة، مما جعل ابن سعد يورد ذلك التكليف على أنه مؤاخاة بينهم. بذلك يتبين إن رأي ابن تيمية المشكك بصحة الحديث وضعف سنده لا يثبت عند عرضه على المصادر التاريخية والحديثية المتقدمة التي قالت بصحة الحديث وأصالته.

(١) البداية والنهاية، ج ٧، ص ٣٤٨.

(٢) المنتظم، ج ٣، ص ٧٤.

وقد أكد الباحثون المحدثون^(١) صحة حديث المؤاخاة وعدّوا المؤاخاة بين النبي ﷺ والإمام علي إعداداً وتمهيداً لخلافة الإمام علي للرسول ﷺ.

كما لم يرد في مسند ابن حنبل حديث: (أنا مدينة العلم، وعلي بابها)، على الرغم من أن أحمد بن حنبل امتاز بتتبع أحاديث النبي ﷺ الواردة عن الصحابة والتابعين وجمعها وتضمنها في مسنده حتى غدا أوسع المصنفات الحديثية، فيما ذكر الحديث غيره من العلماء، عن عدد كبير من الصحابة وبطرق متعددة، وقد ورد بصيغتين، الأولى: (أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأتها من بابها). الثانية: (أنا دار الحكمة، وعلي بابها، فمن أراد الحكمة، فليأتها من بابها)^(٢).

هـ/ الأحاديث الواردة في المسند التي تطعن بشخص الإمام علي (عليه السلام) وأسرته:

أسرة الإمام علي (عليه السلام)، هم أهل بيت رسول الله ﷺ، أوتيت من المقومات الذاتية والموضوعية، ما جعلهم موضع تكريم لدى الله تعالى ورسوله ﷺ، حري بها أن تكون الأنموذج الأكمل لجميع سكان السموات والأرض، ولا غرابة في ذلك، ولكن الغريب بأن تصرف مناقبهم إلى غيرهم وتنسب لهم المثالب!!! وستعرض إلى جزء مما نسب إليهم، بما ورد في مسند أحمد بن حنبل على كثرة ما أورد هذا الرجل من أحاديث في حق أهل البيت - عليهم السلام - غير أنه وجدت بعض المتناقضات في المسند فيما يتعلق بأسرة علي بن أبي طالب (عليه السلام) وطبيعة العلاقة فيما بينها، وهي على النحو الآتي:

١ - سبب تكنية الإمام (عليه السلام) بأبي تراب: كانت كنية أبي تراب أحب الكنى إلى

(١) ينظر: الهلالي، الإمام علي (عليه السلام) في كتابات الباحثين، ص ١٩٦ - ١٩٩.

(٢) الترمذي، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٣٧؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج ٧، ص ١٧٣؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ١٢٧؛ المفيد، الإرشاد، ص ٢٥٢؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٤، ص ١٧٤؛ ابن المغازلي، المناقب، ص ٨١.

الإمام علي^(١) عليه السلام، فقد ورد عن الإمام الحسن، قولاً يوضح السبب الذي من أجله كنى رسول الله ﷺ علياً عليه السلام بأبي تراب، جاء فيه: (كان عليه السلام يعفر جبينه ويطلب الغريب من البقاع لتشهد له يوم القيامة، فكان إذا رآه النبي ﷺ يقول: يا أبا تراب...)^(٢).

إلا أن ابن حنبل أورد حديثاً ذكر فيه سبباً آخر دفع النبي ﷺ لتكنية علي عليه السلام بأبي تراب، إذ يقول: حدثني علي بن بحر حدثنا عيسى بن يونس حدثنا محمد ابن إسحاق حدثني يزيد بن محمد بن محمد بن خثيم المحاربي عن محمد بن كعب القرظي عن محمد بن خثيم أبي يزيد عن عمار بن ياسر قال: (كنت أنا وعلي رفيقين في غزوة ذات العشيرة^(٣)) فلما نزلها رسول الله ﷺ وأقام بها رأينا ناساً من بني مدلج يعملون في عين لهم في نخل، فقال لي علي: يا أبا اليقظان هل لك أن تأتي هؤلاء فننظر كيف يعملون فجئناهم فنظرنا إلى عملهم ساعة ثم غشنا النوم، فانطلقت أنا وعلي فاضطجعنا في صور من النخل في دقعاء^(٤) من التراب فمنا فو الله ما أهبنا إلا رسول الله ﷺ يجرنا برجله وقد تربنا من تلك الدقعاء فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعلي: يا أبا تراب لما يرى عليه من التراب، قال ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين، قلنا: بلى يا رسول الله قال أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه يعني قرنه حتى تبل منه هذه يعني لحيته)^(٥).

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٤٠٩.

(٢) ابن شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي المازندراني (ت: ٥٨٨ هـ / ١١٢٩ م): مناقب آل أبي طالب، المكتبة الحيدرية، (النجف الأشرف، د.ت)، ج ٣، ص ١٠٥.

(٣) ذات العشيرة، تلفظ بتصغير العشرة، وهي منطقة تقع بين مكة والمدينة في بطن ينبع، يسكنها بنو مدلج، غزاها النبي ﷺ في السنة الثانية للهجرة، لكنه لم يلق كيداً، فسألهم ثم رجع إلى المدينة.

ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ١١٢٧.

(٤) الدقعاء، الالتصاق بها لان من التراب. ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص ٨٧.

(٥) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٨٥١١)، ١٣٣٥.

يرتبط سند الحديث الذي رواه ابن حنبل وغيره من المحدثين^(١)، بابن إسحاق صاحب السيرة، الذي استغل خصوصية كنية أبي تراب^(٢) فصورها على أنها منقصة إرضاءً للسلطة السياسية، بتقديمه الأسباب المتباينة لتكنية الإمام بأبي تراب، فقد نقل ابن هشام^(٣) عنه رواية أخرى تختلف عما جاء في المسند، يقول فيها، قال ابن إسحاق: «حدثني بعض أهل العلم: إن رسول الله ﷺ إنما سمي علياً ﷺ أبا تراب، انه إذا عتب على فاطمة -عليها السلام- في شيء لم يكلمها، ولم يقل لها شيئاً تكرهه، إلا انه يأخذ تراباً فيضعه على رأسه، فكان رسول الله ﷺ إذا رأى التراب عرف انه عاتب على فاطمة، فيقول: ما لك يا أبا تراب». ونلمس في هذه الرواية محاولتهم القدح بالإمام علي ﷺ ووصفه بأنه إنسان لا يستطيع إدارة أسرته بصورة صحيحة، فكيف يستطيع إدارة دولة، وشخص ضعيف الشخصية حتى ان زوجته التي تحت ولايته لا يقدر على تكليمها بشيء تكرهه إذا ما جاءت بفعل لا يرضاه زوجها، فإذا ما أثاره شيء يقوم بوضع التراب على رأسه، إلا أننا لا نجد في سيرة أمير المؤمنين ما يؤيد هذه التخرصات، كما لم نجد إن الزهراء ﷺ تأتي بفعل تعاتب عليه، فمن أين جاء أهل العلم -كما يصفهم ابن إسحاق- بهذه الرواية؟

ونلاحظ في متن الحديث الذي أورده ابن حنبل في مسنده جملة من المآخذ على الإمام علي ﷺ والتي لا تستقيم مع ما عرف من سيرة أمير المؤمنين ﷺ كما وأنها لا تنسجم مع خلق النبي ﷺ العظيم، منها:

- (١) البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ١٠ (باب المغازي)؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ١٥١؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٣٦.
- (٢) أورد النسائي الحديث على انه إخبار من النبي ﷺ بشهادة الإمام علي ﷺ على يد أشقى الناس. ينظر: النسائي، خصائص أمير المؤمنين، ص ٤٩. مطر، آل بيت النبوة - ع - في كتاب الطبري، ص ١٥٥.
- (٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٥٤.

يقضي وقته في غير طاعة الله تعالى ورسوله، فيذهب مع عمار بن ياسر، ليتفرجوا على أناس من بني مدلج، وهما في مهمة جهادية، وغزوة عسكرية. إنه عليه السلام شخص غير مبالٍ، كثير النعاس، ينام ولا يخشى سوى رسول الله ﷺ أن يراه نائماً من غير اكتراث لمسؤولياته، وأهمها ملازمة النبي ﷺ وحمايته.

إن النبي ﷺ لا يقيم للإمام علي عليه السلام ولا لعمار وزناً واعتباراً، فيوقظهما برجله. يوحى الحديث وكأن الإمام قد دفن نفسه بالتراب، وليس نائماً فوق التراب، والغريب أن النبي ﷺ كنى الإمام علياً عليه السلام بابي تراب ولم يكن عماراً بها، على الرغم من أنهما يشتركان بالفعل الوارد نفسه بالرواية وهو النوم في التراب. ولعل هناك معانٍ أخرى لأبي تراب تغافل عنها الرواة^(١).

٢- خطوبة الإمام علي عليه السلام لابنة أبي جهل: ورد في مسند أحمد بن حنبل رواية عن المسور بن مخرمة^(٢)، هذا نصها: (إن علي بن أبي طالب خطب ابنة أبي جهل وعنده فاطمة ابنة النبي ﷺ فلما سمعت فاطمة بذلك أتت النبي ﷺ فقالت له إن قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح ابنة أبي جهل، قال المسور: فقام النبي ﷺ فسمعتة حين تشهد ثم قال: أما بعد فإني أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني فصدقني، وإن فاطمة بنت محمد بضعة مني وأنا أكره أن يفتنوها وإنها والله لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل واحد أبداً

(١) مطر، آل بيت النبوة - ع - في كتاب الطبري، ص ١٥٥.

(٢) المسور بن مخرمة بن نوفل القرشي الزهري، ابن أخت عبد الرحمن بن عوف، صاحب الشورى، اشترك مع ابن الزبير في الثورة ضد الأمويين، لطلب الملك، فأصابه حجر من حجارة المنجنيق في حصار مكة عام ٦٤ هـ مات على أثره، ولد بعد الهجرة بستين، وقضى النبي ﷺ، والمسور له ثمان سنين، روى عن الصحابة والخلفاء الثلاث. ينظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتاب العربي، (بيروت، د.ت)، ج ٣، ص ٣١٩.

قال فترك علي الخطبة^(١). تسور ابن مخرمة على قدسية مقام الزهراء (عليها السلام)، وخرم الحرم الآمن لعلي (عليه السلام)، بروايته المكذوبة التي نقلها ابن حنبل على علاقتها، بحسب الأدلة الآتية:

يروى المسور عن النبي ﷺ خطبة على المنبر بين المهاجرين والأنصار، يقدح فيها بعلي بن أبي طالب (عليه السلام) لخطبته جويرية بنت أبي جهل، ولا يرويه غيره، علماً إن المسور بن مخرمة لم يبلغ الحلم وقتئذٍ، فهل يعقل ذلك؟

ولأن الراوي أراد أن يوظف روايته للطعن بعلاقة الإمام علي (عليه السلام) بزوجه فاطمة الزهراء -عليها السلام- فقد اختار جويرية بنت أبي جهل أشد أعداء الله ورسوله والذي وصفه يوم قتل في بدر بقوله ﷺ: هذا كان فرعون هذه الأمة^(٢) كي يخطبها الإمام علي (عليه السلام) لنفسه دون غيرها؟ وأنه (عليه السلام) لم يستشر النبي ﷺ في ذلك بالرغم من أن الإمام (عليه السلام) كان ملازماً للنبي ﷺ، فيزعم إن أعمام جويرية بنت أبي جهل هم الذين ابلغوا النبي ﷺ أن الإمام علياً (عليه السلام) خطب منهم ابنتهم، وهذا افتراء من قبل الراوي على النبي ﷺ إذ يمنع زواجاً لم يحرمه الله تعالى؟ وإن روايته مخالفة لما ورد عن الإمام علي (عليه السلام) في بيان علاقته بالسيدة فاطمة (عليها السلام): حيث يقول: (فو الله ما أغضبته ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله تعالى، ولا أغضبته، ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت انظر إليها فتكشف عني الهموم والأحزان)^(٣). فضلاً عن أن السيدة فاطمة الزهراء كانت تفتخر على النساء، (لأن أول من خطب عليها جبرائيل)^(٤).

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٩١١٩)، ص ١٣٨٠.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٤٢٤٦)، ص ٣٥٧.

(٣) الكنجي، كفاية الطالب، ص ٢٩٨.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ١٣٤.

ويعلل الساعاتي^(١) سبب غضب النبي ﷺ وتحريمه ذلك الزواج المزعوم قائلاً:
 (إن النبي ﷺ لما خطب على المنبر فإنه لحلمه لا يغضب لنفسه، إنما يغضب إذا انتهكت
 حرمة الله عز وجل، ولعله شرط على علي عليه السلام أن لا يتزوج على فاطمة الزهراء
 فَنسي علي عليه السلام ذلك الشرط فلذلك أقدم على الخطبة، وإن النبي ﷺ قلَّ أن يواجه
 أحداً بما يعاب، ولعله جهر بمعاقبة علي عليه السلام مبالغة في إرضاء فاطمة عليه السلام وخوفاً من
 أن تفتتن في دينها، وتدخل الغيرة في نفسها مما يزيد حزنها، ولعله حرم أن يجمع علي
 عليه السلام بين ابنته وابنة أبي جهل لأن ذلك يؤذيه، وأذيته حرام بالإجماع)!

يفترض هذا المعلن فرضيات فوق تشريع الله ورسوله، قال تعالى:
 ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾^(٢)، ويزعم إن الرسول
 ﷺ اشترط على الإمام علي عليه السلام بأن لا يتزوج، وهذا ما لم تذكره المصادر، ويقول إن
 علياً عليه السلام انتهك حرمة الله عز وجل لذلك غضب الرسول ﷺ وهو القائل: (لا
 تشكوا علياً، فوالله أنه لأخشن في ذات الله)^(٣)، ويخاف على السيدة الزهراء من أن
 تفتتن في دينها، وهي التي زكاها الله تعالى، ولقبها الرسول بسيدة نساء العالمين، ثم
 ينهي بالقول بأن علي عليه السلام ارتكب المحرم بأن آذى النبي ﷺ في ابنته، والحقيقة أنه
 بتعليله المشين هذا قد آذى النبي ﷺ.

٣- علي وفاطمة -عليهم السلام- يأمرهم النبي ﷺ بالصلاة، ولا يصلون: عندما
 يورد أحمد بن حنبل^(٤) حديثاً عن الزهري بسند متصل بالمعصومين -عليهم السلام-
 فإننا نفهم إن الراوي والناقل يحاولان أن يلقياً بمسؤولية الحديث الذي يصعب

(١) الفتح الرباني، ص ٤١٩٢.

(٢) سورة النساء، الآية (٣).

(٣) ابن حنبل، مسند، الحديث (١١٨٣٩)، ص ٨٣٧.

(٤) المصدر نفسه، الحديث (٥٧٥)، ص ٨٨.

تصديقه على عاتق المعصومين لجعل الرواية مستساغة، ودليلنا في ذلك الحديث الآتي:
 عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري عن علي بن حسين عن أبيه عن
 جده علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: (دخل عليّ رسول الله ﷺ وعلى فاطمة من الليل
 فأيقظنا للصلاة قال ثم رجع إلى بيته فصلّى هويّا من الليل قال فلم يسمع لنا حسّاً
 قال فرجع إلينا فأيقظنا وقال: قوما فصلّيا، قال: فجلست وأنا أعرك عيني وأقول:
 إنا والله ما نصلي إلا ما كتب لنا إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، قال:
 فولى رسول الله ﷺ وهو يقول ويضرب بيده على فخذه ما نصلي إلا ما كتب لنا ما
 نصلي إلا ما كتب لنا): ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾^(١). إن هذا الحديث يصعب
 تصديقه لأنه ينافي ما عُرف عن الإمام وزجه من الالتزام الكامل بسنة النبي ﷺ.

٤- الإمام علي (عليه السلام) يسمي أبناءه باسم (حرب)، والنبي ﷺ يرفض: من الشائع
 إن الإمام علياً (عليه السلام)، مع ولادة كل مولود له كان يقول: لم أكن اسبق رسول الله في
 تسميته^(٢). ولكن من المستغرب أن ابن حنبل قد روى في مسنده عن هانئ بن هانئ،
 عن علي (عليه السلام) قوله: (لما ولد الحسن سمّيته حرباً فجاء رسول الله ﷺ فقال أروني ابني
 ما سمّيته؟ قال: قلت حرباً قال بل هو حسن، فلما ولد الحسين سمّيته حرباً فجاء
 رسول الله ﷺ فقال أروني ابني ما سمّيته؟ قال: قلت: حرباً قال بل هو حسين،
 فلما ولد الثالث سمّيته حرباً فجاء النبي ﷺ فقال أروني ابني ما سمّيته؟ قلت حرباً
 قال بل هو محسن قال سمّيتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير ومشبر)^(٣).

ما هذا الإعجاب الشديد من قبل الإمام علي (عليه السلام) باسم (حرب)؟ لدرجة انه

(١) سورة الكهف، الآية (٥٤)

(٢) الصدوق، علل الشرائع، قدم له: محمد صادق بحر العلوم، ط ١، منشورات دار الزهراء، (قم، ١٣٨٤ هـ)، ج ١، ص ٢٠٠.

(٣) ابن حنبل، مسند، الحديث (٩٥٣)، ص ١١٧.

يسمي ثلاثة من أبنائه باسمه، ألم يدرك رفض النبي ﷺ لهذا الاسم من المرة الأولى! أليس هو الذي يفتخر على معاوية بأن جده عبد المطلب، ومعاوية جده حرب^(١)؟ ثم إن راوي الحديث ليس بثقة، لذلك لم يرو عنه احد في كتب الحديث^(٢).

٥- جبرائيل لا يدخل بيت علي عليه السلام: صرح القرآن الكريم بأن أهل بيت النبوة طاهرون مطهرون عن الرجس بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٣). ولكن ابن حنبل روى عن عبد الله بن لحي عن علي عليه السلام قوله: (كنت آتي رسول الله ﷺ كل غداة فإذا تنحنح دخلت وإذا سكت لم أدخل، قال فخرج إلي فقال حدث البارحة أمر سمعت خشخشة في الدار فإذا أنا بجبريل عليه السلام فقلت: ما منعك من دخول البيت، فقال: في البيت كلب، قال فدخلت فإذا جرو للحسن عليه السلام تحت كرسي لنا، قال: فقال: إن الملائكة لا يدخلون البيت إذا كان فيه ثلاث كلب أو صورة أو جنب)^(٤). إن البيت الذي تسكنه أسرة الإمام علي عليه السلام هو ليس بيت علي عليه السلام إنما هو بيت النبي ﷺ كما نصت الآية المتقدمة، فكيف يقدم احد أفراد هذا البيت الطاهر على فعل ينافي إرادة الحق في تطهير أهل بيت النبي؟

ثانياً: دور الإمام علي عليه السلام العسكري:

يتباين المجاهدون في سبيل الله من حيث قوة الإيمان واليقين، ومراتب الجهاد وأهدافه^(٥)، وقد بدأ علي بن أبي طالب عليه السلام في جهاده في سبيل الله بقلب ملؤه

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، كتاب رقم (١٧)، ص ٣٩٢.

(٢) ينظر: تعليق شعيب الأرناؤوط على راوي الحديث، ابن حنبل، المسند، ج ٢، ص ٢٦٤.

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٣٣).

(٤) ابن حنبل، مسند، الحديث (٨٤٥)، ص ١٠٩.

(٥) محمدان، حياة أمير المؤمنين من لسانه، ج ١، ص ٢٢٠.

الإيمان واليقين، فهو القائل: ما شككتُ في الحق مذ رأيتُه^(١)، فقد شاهد الإمام علي (عليه السلام) نزول الوحي على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وسمع كلام الله يلقي على قلبه الشريف، وكذلك سمع رنة الشيطان وقد يئس من أن يعبد^(٢)، وقوله (عليه السلام): لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً^(٣)، فالإمام شهد بالوحدانية لله، وللرسول بالنبوة، وقرّيش تطلب من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يدعو شجرة تنقلع من جذورها بالكامل، ثم يدعو نصفها ويبقي الآخر^(٤)، فعلى مثل هذا الإيمان سار الإمام علي (عليه السلام) يؤيد كلمة الله، وينصر رسوله، بكل ما أوتي من قوة، لذلك كان له قصب السبق في الجهاد كماً وكيفاً، فالمجاهدون من المسلمين يختلفون في أنواع الجهاد وأهدافه، فمنهم من يجاهد بلسانه ولا يقوى على النزال، ومنهم من يجاهد بسنانه ولا يقوى على البيان، ومنهم من يجاهد للكسب والغنائم كي يخلد إلى الراحة بعد ذلك، أما تاريخ جهاد علي بن أبي طالب فمستمر في الحرب والسلم لا ينظر فيه إلا المصلحة الإسلامية حتى آخر أيام حياته الشريفة، وقد قال (عليه السلام) في خطبة له: «وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مَرَأْسًا وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مِنِّي، لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ وَهَذَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَفْتُ عَلَى السَّيِّئِينَ»^(٥).

لقد ارتبط الإيمان الصادق لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) بالشجاعة فأنسى بذلك ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده من الشجعان^(٦)، ذلك لأن الارتباط الوثيق بين الإيمان والشجاعة عند الإمام (عليه السلام) قد ميّزته بجملة من الأخلاقيات

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة، ص ٢٩.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة (١٩٢)، ص ٣١١.

(٣) المصدر نفسه، الحكمة (١٨٤)، ص ٥٣٣.

(٤) المصدر نفسه، الخطبة (١٩٢)، ص ٣١٢.

(٥) المصدر نفسه، الخطبة (٢٧)، ص ٥٢.

(٦) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٠.

العسكرية والصفات النفسية التي لا يمتلكها سواه، منها، أنه عليه السلام لا يقاتل أحداً حتى يدعو إلى التوبة والإسلام والسلام^(١)، كما انه لا يدعو للمبارزة، إلا إذا دعي فإنه يستجيب إليها، لأنه عليه السلام يرى إن الداعي إليها باغ، والباغي مصروع، اللهم إلا دعوته لمعاوية للبراز معه في صفين حقناً لدماء المسلمين^(٢)، ومن آدابه العسكرية عليه السلام انه يكره الغدر في حروبه، ولا يطلب النصر بالجور، فهو القائل: والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت أدهى الناس...^(٣)، وما سلب أحداً قتله ولو كان أنفـس سلب، فهو القائل يوم قتله عمرو بن ود: كرهت أن أبز السبي ثيابه^(٤)، ثم انه عليه السلام الشجاع الذي ما حدثته نفسه بالهزيمة والخوف لذلك كان يقول: ما لقيت أحداً إلا وأعانني على قتله، وذلك لعلو همته^(٥)، بالإضافة إلى قوته الجسدية التي يضرب بها المثل، لذلك فإن العرب لا تفتخر بالمهزوم والمقتول إلا الهارب من سيف علي عليه السلام أو المقتول بسيفه، لما عرف عنه انه ما صارع أحداً إلا صرعه^(٦)، ويكفيه فخراً شهادة للرسول صلى الله عليه وآله له بأنه أفرس الناس، وشهد له الحق سبحانه وتعالى بقوله: وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ^(٧)، وشهد له جبرائيل يوم أحد إذ نادى ما بين الخافقين:

(١) كما فعل مع عمرو بن ود العامري يوم الخندق، ومع أصحاب الجمل وصفين والنهروان. ينظر:

الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٤٧١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢ ص ٥٧٤.

(٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة (٢٣٣)، ص ٥٤٠.

(٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة (٢٠٠)، ص ٣٣٠.

(٤) الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ٣٥، المفيد، الإرشاد، ص ٤١.

(٥) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة (٣١٨)، ص ٥٦٠.

(٦) ابن قتيبة، المعارف، ص ٢١٠.

(٧) سورة الأحزاب، الآية (٢٥). ينظر: ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ١٢٦.

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي^(١)

لذلك كان عليه السلام يعتمد عليه في الحرب والسلم، فكان الإمام علي عليه السلام حاملاً لواء رسول الله عليه وآله في المشاهد والمواقف كلها، سوى غزوة تبوك، لعلم النبي عليه وآله أنها استعراض عسكري لا قتال فيه^(٢)، ولم يعمل الإمام علي عليه السلام بنظام الكر والفر، معللاً ذلك، بقوله: أما أنا فلا افر، ومن فر مني لا اطلبه، لذلك أطلق عليه لقب الكرار^(٣)، وكان عليه السلام يفتخر بشجاعته عند مبارزة الخصوم باسمه حيدرة، قائلاً:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات شديد قسورة^(٤)

وقد تحلى الإمام علي بالحلم والصفح عن أعدائه وهذا يدل على خلقه العظيم المستمد من خلق رسول الله عليه وآله، فيروى أنه كان لا يقتل من يكشف عورته أمامه^(٥) ولا يقتل من يستعطفه^(٦)، ولا يقتل أحدا يغضبه خوفاً منه عليه السلام من أن يكون قتله

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ٢١٩.

(٢) ابن حنبل، فضائل أمير المؤمنين - ع -، ص ١٩٢.

(٣) الهاللي، الإمام علي عليه السلام، ص ٧٧.

(٤) المفيد، الإرشاد، ص ٥٠.

(٥) لقد تكررت حالة صفح الإمام علي عليه السلام عن خصومه حين يكشفون عوراتهم أمامه خشية القتل لعلمهم بخلق الإمام، ثلاث مرات، في غزوة احد حين كشف طلحة بن عثان عورته، وفي صفين مرتين، مرة مع بسر بن أرطاة، وأخرى مع عمرو بن العاص، ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٥٠٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٤، ص ٢١.

(٦) يروى انه عليه السلام أراد أن يجهز على احد المشركين فاستعطفه قائلاً: «اتقتلني يا علي؟ من لصيبي الصغار، فقام عنه وقال: أنت لصيبتك... لقد وهبتك لهم». ينظر: ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٣٥٨.

إياه غضباً لنفسه، لا لله تعالى^(١)، أما المنظار الروحي عند الإمام علي عليه السلام المتعلق في قتله المشركين، فإنه لا يقتل مشركاً إلا أن يرى أن صلبه لا يخرج مؤمناً أبداً^(٢)، لذلك كان عليه السلام إمام حراب، كما أنه إمام محراب، قال الشاعر:

أسد الله ما رأت مقلته نار حرب تشب إلا اصطلاها
كيف يخشى الذي له ملكوت الأمن والنصر كله عقباه
والي الحشر رنة السيف منهملا الخافقين رجع صداها^(٣)

فقد انعم الله تعالى على الأمة بعلي بن أبي طالب عليه السلام في حياة النبي صلى الله عليه وآله من أن يصطلهم المشركون، يقول ابن أبي الحديد: (وإن من أنصف علم أنه لولا سيف علي عليه السلام لا صطلم المشركون... وقد علمت آثاره في بدر وأحد والخنديق وخيبر وحنين، وإن الشرك فيها فغرفاه، فولا سده بسيفه لالتهم المسلمون كافة)^(٤)، حتى ثبت الإسلام بسيفه، فلم يقتصر جهاده عليه السلام على عهد الرسول صلى الله عليه وآله بل أنه أول من سن قتال أهل البغي، وكان المسلمون قبله يتحاشون ذلك، حتى أن الشافعي قال: ما عرفنا قتال أهل البغي إلا من علي^(٥)، وقد روى ابن حنبل عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: إن منكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله، قال: فقام أبو بكر

(١) أخلى الإمام عليه السلام سبيل أحد العتاة حينما أراد أن يقتله فبصق في وجه الإمام علي عليه السلام فلما سئل عن السبب قال عليه السلام: خشيت إذا أنا قتلته يكون ذلك غضباً لنفسي، لا لله، ويبدو أن هذا غير عمرو بن ود العامري الذي فعل الفعل نفسه في معركة الخندق ولكن الإمام عليه السلام قتله حين هدأت غضبته، ينظر، الحسكاني، شواهد التنزيل، ج ٢، ص ١٤.

(٢) الصدوق، علل الشرائع، ج ١ ص ٢١٤.

(٣) محمد بن أبي حمزة، حياة أمير المؤمنين من لسانه، ص ٢٣٠.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٤١.

(٥) المصدر نفسه، ج ٩، ص ٣٣١.

وعمر، فقال عليه السلام لا، ولكن خاصف النعل، وكان علي عليه السلام يخصف نعله^(١).

لقد أورد ابن حنبل في مسنده عدداً من الأحاديث التي تشير إلى دور الإمام علي عليه السلام في معارك الإسلام الأولى - مغازي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسراياه - وإن كان لم يحط بالتفاصيل كافة لدوره الفاعل عليه السلام، ولكنه اكتفى بذكر بعض الإشارات في ضمن الأحاديث، وسنوردها كما جاءت مع بعض التقديم والتأخير، لغرض التسلسل التاريخي للحدث.

معركة بدر الكبرى (٢هـ / ٦٢٣م):

أ/ تاريخ المعركة وعديد المسلمين: أخرج أحمد بن حنبل في مسنده حديثاً واحداً يذكر فيه عديد المقاتلين في معركة بدر وتاريخ المعركة، فقال: حدثنا نصر بن باب عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس انه قال: (إن أهل بدر كانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، وكان المهاجرون ستة وسبعين، وكان هزيمة أهل بدر لسبع عشرة مضي يوم الجمعة في شهر رمضان)^(٢).

كان عديد الجيش الإسلامي قليلاً جداً مقارنة بعديد جيش المشركين، وقد اختلفت المصادر في تحديد قوة الجيش الإسلامي إلا أن هذا الاختلاف ليس بالاختلاف الكبير حيث حصروا عديد قوات المسلمين بين ثلاثمائة إلى ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً وهذا يدل على تقارب نقل الحقيقة في معلومات هذه المعركة وتعداد قوات المسلمين والمشركين.. فقد أورد أهل الحديث عديد المسلمين يوم بدر، فالبخاري اخرج الحديث المتعلق بعديد المسلمين بالصيغة الآتية: (إن عدة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يوم بدر على عدة أصحاب طالوت يوم جالوت

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١١٣٠٩)، ص ٧٩٩.

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٢٣٢)، ص ٢١٣.

ثلاث مائة وبضعة عشر...^(١)، وفي صحيح مسلم، عن ابن عباس قال: (لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر...)^(٢)، فيما روى البيهقي بسنده عن عبد الله بن عمرو: (إن رسول الله ﷺ خرج يوم بدر بثلاثمائة وخمسة عشر من المقاتلة...)^(٣)، وقد ذكر المؤرخون عديد المقاتلة أيضاً كالواقدي الذي ذكر (إن عدد المقاتلة ثلاثمائة وخمسة)^(٤)، وابن سعد الذي نقل روايات عدة، وفيها أنهم بين ثلاثمائة رجل وخمسة نفر إلى ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً من المقاتلة^(٥)، واليعقوبي الذي قال إن عديدهم ثلاثمائة^(٦)، وأورد الطبري: ... خرج في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً من أصحابه فاختلف في مبلغ الزيادة على العشرة فقال بعضهم: كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً^(٧).

أما وقت حدوث المعركة فقد اتفقت المصادر على أنها حدثت في شهر رمضان، لكنها اختلفت في تحديد يومها فالواقدي، ذكر إن النبي ﷺ خرج يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من رمضان^(٨)، ونقل ابن هشام قول ابن إسحاق وفيه: خرج الرسول ﷺ في ليال مضت من شهر رمضان، ثم قال ابن هشام: خرج يوم الاثنين لثمان ليال خلون من شهر رمضان^(٩)، وذكر ابن سعد، أنها

(١) صحيح البخاري، ج ٥، ص ٧٥.

(٢) صحيح مسلم، ج ٢، ص ٤٨.

(٣) السنن، ج ٩، ص ٩٧.

(٤) المغازي، ج ١، ص ٢٣-٢٦.

(٥) الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٢-٢٠.

(٦) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢١.

(٧) تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٤٣١-٤٣٢.

(٨) المغازي، ج ١، ص ٢١.

(٩) السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٢٤.

وقعت صبيحة يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من شهر رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ^(١)، بينما ذكر اليعقوبي، اليوم والشهر والسنة حيث قال: وقعت يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان بعد مقدمة بثمانية عشر شهراً^(٢)، وذكرها الطبري ضمن حوادث سنة الثانية للهجرة، وقال: وفيها كانت وقعة بدر الكبرى... وذلك في شهر رمضان منها، ثم ذكر الاختلاف في اليوم الذي وقعت فيه ومن ذهب إلى ذلك حيث قال: ثم اختلفوا في اليوم الذي كانت فيه الحرب بينه وبينهم فقال: بعضهم كانت وقعة بدر يوم تسعة عشر من شهر رمضان...^(٣)، وقال آخرون: كانت يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان^(٤).

ب/ دور الإمام علي (عليه السلام) في معركة بدر: على الرغم من أن ابن حنبل لم يأت بشيء مفصل عن مآثر الإمام علي (عليه السلام) في معركة بدر، ولكن من خلال ما ورد في مسند أحمد بن حنبل من روايات تتعلق بمعركة بدر الكبرى، وجدنا أن هناك عدداً من المهام التي قام بها الإمام علي (عليه السلام) في المعركة، منها:

١ - رصد العدو: لا شك أن النبي ﷺ، قائد عسكري محنك، يخطط للمعركة، ولا يترك شيئاً للصدف، يتقصى الدقة في المعلومة عن العدو، فيرسل علي بن أبي طالب (عليه السلام) يتحسس الأخبار، فيأسر غلامين، ويستنتج منهما عديد مقاتلي قريش من خلال عدد ما يذبحون كل يوم^(٥)، كما ذكر ابن حنبل ذلك بقوله: حدثنا

(١) الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٢٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ١٢٢.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٤١٨.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٢٠.

(٥) القمني، سيد محمود، حروب دولة الرسول ﷺ، (مصر، ١٩٩٦م)، ص ١٦٥-١٦٧.

حجاج، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي عليه السلام قال: لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاجتويناها وأصابنا بها وعك وكان النبي صلى الله عليه وآله يتخبر عن بدر فلما بلغنا أن المشركين قد اقبلوا سار رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بدر وبدر بئر فسبقنا المشركون إليها فوجدنا فيها رجلين منهم رجل من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط، فأما القرشي فانفلت وأما مولى عقبة فأخذناه فجعلنا نقول له كم القوم فيقول هم والله كثير عددهم شديد بأسهم فجعل المسلمون إذ قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال له كم القوم قال هم والله كثير عددهم شديد بأسهم فجهد النبي صلى الله عليه وآله أن يخبره كم هم، فأبى ثم أن النبي صلى الله عليه وآله سأله كم ينحرون من الجزر فقال عشرة كل يوم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله القوم ألف كل جزور لمائه وتبعها... (١).

٢- ملازمة الإمام علي عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله: أورد ابن حنبل أربعة أحاديث مكررة بالسند والمتن نفسيهما عن ترادف النبي صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب عليه السلام على بعير واحد في غزوة بدر (٢)، فقال: حدثنا عثمان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال: كنا في غزوة بدر كل ثلاثة منا على بعير كان علي وأبو لبابة (٣) زميلي رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا كان عقبة النبي صلى الله عليه وآله قالوا اركب يا رسول الله حتى نمشي عنك فيقول ما أنتم بأقوى على المشي مني وما أنا بأغنى عن الأجر منكم.

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٩٤٨)، ص ١١٦.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٣٩٠١)، ص ٣٣٢. والحديث (٣٩٦٥)، ص ٣٣٧، والحديث (٤٠٠٩)،

ص ٣٤٠، والحديث (٤٠٢٩)، ص ٣٤٢.

(٣) أبو لبابة الأنصاري المدني، اسمه بشير، وقيل رفاعة بن عبد المنذر، شهد العقبة وكان أحد النقباء، وشهد فتح مكة، مات بعد مقتل عثمان. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٣٤٨.

يروى ابن حنبل في هذا الحديث إن النبي ﷺ كان مردفاً على بعيره الإمام علياً ﷺ وثالثهما أبو لبابة، إلا أن ابن هشام يذكر^(١)، أن النبي ﷺ وعلياً ﷺ ومرثد بن أبي مرثد^(٢) يتعقبون بعيراً، فماذا يعني إرداف النبي ﷺ للإمام علي ﷺ؟ ومن هو الرديف الثالث، أبو لبابة أم مرثد؟

إن إرداف النبي ﷺ لعلي ﷺ يعني إبقاء الإمام ﷺ بالقرب منه ﷺ لحمايته أولاً، ولاستشارته الخاصة ثانياً، وتكليفه بإنجاز المهمات السرية والسريعة التي يراها النبي ﷺ.

وأما الاختلاف في الرديف الثالث للنبي ﷺ والإمام ﷺ فمحمول على أن أبا لبابة كان الرديف الثالث، ولكن النبي ﷺ رأى من المصلحة أن يرده إلى المدينة ليستخلفه، بعد أن علمه النبي ﷺ بكيفية المحافظة على هدوء المدينة وتقويت الفرصة على المنافقين من تأجيج الأوضاع فيها، حيث كان النبي ﷺ قد استخلف على المدينة ابن مکتوم لإقامة الصلاة، فلما عاد أبو لبابة، لم يردف النبي ﷺ أحداً غير الإمام علي ﷺ.

ذلك لأن الواقدي^(٣) وابن حبيب^(٤) ذكرا إن مرثد ابن أبي مرثد كان يوم بدر على فرس يقال لها السبل، ونحن نميل إلى ما ذكره الواقدي لأنه اسبق زمنياً من ابن هشام ومختص في المغازي، على الرغم من عدم اتفاقه مع ابن حنبل الذي

(١) السيرة النبوية، ج ٢ ص ٣٦٢.

(٢) مرثد ابن أبي مرثد كنان بن الحصين بن يربوع الغنوي، صحابي ابن صحابي من أمراء السرايا، شهد بدرًا وأحدًا، استشهد يوم الرجيع، سنة ٣ هـ. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ١، ص ٣٠٧.

(٣) المغازي، ج ١، ص ٢٦.

(٤) أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي (ت: ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م): المحبر، باعتناء ايلزة ليحتن شتير، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد الدكن، ١٩٤٢ م)، ص ١٦٢.

أورد حديثاً ينفي وجود فارس في صفوف المسلمين سوى المقداد بن الأسود، حيث يقول: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن أبي إسحاق عن حارثة ابن مضرب عن علي عليه السلام قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد...^(١)

ولابد من الإشارة إلى مشاركة النبي ﷺ لأصحابه في المعركة، حيث روى ابن حنبل^(٢) عن وكيع عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي عليه السلام قال: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً. فالإمام علي عليه السلام يصف شجاعة النبي ﷺ التي فاقت شجاعة الجميع بما فيها شجاعته عليه السلام، وهو أمر معلوم إنما استمد الإمام عليه السلام شجاعته من رسول الله ﷺ، ولكن الإمام أراد أن يقول بأن النبي ﷺ قاتل بضراوة شديدة يوم بدر، بل إن المسلمين كانوا يلوذون برسول الله ﷺ إذا اشتد الوطيس في المعركة، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن حنبل^(٣) في رواية أخرى عن ابن عباس قال: (إن رسول الله ﷺ قال وهو في قبة يوم بدر اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك وهو يثب في درعه، فخرج وهو يقول: ﴿سَيَهْزُمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾^(٤) (٥).

٣- علي عليه السلام حامل راية رسول الله ﷺ: روى ابن حنبل بسنده عن ابن عباس قال: إن راية النبي ﷺ مع علي بن أبي طالب عليه السلام وراية الأنصار مع سعد بن عباد

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٣٠٤٣)، ص ٢٧١.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٦٥٤)، ص ٩٤.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (٣٠٤٣)، ص ٢٧١.

(٤) سورة القمر، الآية (٤٥).

(٥) مسند، الحديث (٣٤٨٦)، ص ٣٠١.

وكان إذا استحر القتل كان رسول الله ﷺ ممن يكون تحت راية الأنصار.

يتفق أحمد بن حنبل في هذه الرواية مع ما ذكره الطبري^(١) في أن راية الأنصار كانت بيد سعد بن عباد، فيما اكتفى بعض المؤرخين بالقول وكانت الراية الأخرى مع بعض الأنصار^(٢).

وقد يثار تساؤل مضمونه: لماذا أعطى النبي ﷺ الراية إلى الإمام علي (عليه السلام)، مع وجود حمزة بن عبد المطلب في الجيش، وما عرف عن حمزة من الشجاعة والحنكة والفارق العمري بينه وبين الإمام علي (عليه السلام)، فضلا عن انه عم النبي ﷺ؟ إن قيادة المعركة قد تركزت بيد النبي ﷺ وحمزة (عليه السلام) والإمام علي (عليه السلام)، وهذا ما تؤكد الروايات التي أشارت إلى اشتراك حمزة وعلي - ع - في قتل رؤوس الشرك، وكان حمزة قد احتل مكانة كبيرة من الحب في قلب النبي الأكرم ﷺ، بدليل حزنه الشديد عند مقتله في أحد، وإطلاقه عليه لقب أسد الله وأسد رسوله في حياته، ولقب سيد الشهداء بعد استشهاده^(٣)، ولكن النبي ﷺ وكما يقول القرآن: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٤)، فعندما يقول النبي ﷺ للإمام علي (عليه السلام): أنت صاحب لوائي في الدنيا والآخرة^(٥)، لا بد من أن يجسد النبي ذلك واقعا، لذلك كان الإمام علي حاملا لواء رسول الله ﷺ في كل المعارك، وحمزة يتفهم ذلك.

(١) تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، نص ٤٣١.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٦١؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج ١، ص ٢٤٦.

(٣) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ١٤٧-١٥٠؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٤١٤-٤١٩؛

البلاذري، انساب الأشراف، ج ١، ص ٢٩٦-٣٠١؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج ١، ص ٢٨٥.

(٤) سورة النجم، الآية (٣-٤).

(٥) ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ١، ص ١٤٦؛ الكنجي، كفاية الطالب، ص ٣٣٦.

على أن بعض المصادر صرحت بحمل الإمام علي عليه السلام راية رسول الله صلى الله عليه وآله، التي كان لونها اسود وتسمى بالعقاب^(١)، فيما ذكرت بعض المصادر أن اللواء كان بيد مصعب بن عمير، فقد ذكر الواقدي^(٢) وابن هشام^(٣) إن النبي صلى الله عليه وآله دفع اللواء إلى مصعب بن عمير، وكان ابيض، بينما يجمع ابن سعد^(٤) والبلاذري^(٥) والحاكم النيسابوري^(٦) على أن الإمام علياً عليه السلام كان يحمل راية الرسول صلى الله عليه وآله في معركة بدر الكبرى.

على ان أحمد بن حنبل^(٧) روى في كتابه فضائل الإمام علي عليه السلام، إنه عليه السلام كان حاملاً راية رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع معاركه ومواقفه.

٤- الدور القتالي للإمام علي عليه السلام في معركة بدر: كان للإمام علي عليه السلام الدور الفاعل في حسم المعركة لصالح المسلمين، وقد اختزل أحمد بن حنبل^(٨) ذلك الدور بحديث قال فيه: حدثنا حجاج، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي عليه السلام قال: ... فلما دنا القوم منا وصاففناهم إذا رجل منهم على جمل له أحمر يسير في القوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي ناد لي حمزة وكان أقربهم من المشركين من صاحب الجمل الأحمر وماذا يقول لهم، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن يكن في القوم أحد يأمر بخير فعسى أن يكون صاحب الجمل

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢ ص ٤٣١؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج ١، ص ٢٤٦.

(٢) المغازي، ج ١، ص ٥٥.

(٣) السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٦١.

(٤) الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ١٥.

(٥) انساب الأشراف، ج ٢، ص ٩١-٩٢.

(٦) المستدرک، ج ٣، ص ١١١.

(٧) فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ص ١٢٩؛ المحب الطبري، ذخائر العقبى، ج ١، ص ٣٧١.

(٨) مسند، الحديث (٩٨٤)، ص ١١٦.

الأحمر، فجاء حمزة فقال هو عتبة بن ربيعة وهو ينهى عن القتال ويقول لهم يا قوم إني أرى قوما مستميتين لا تصلون إليهم وفيكم خيرا قوم أعصوها اليوم برأسي وقولوا جبن عتبة بن ربيعة وقد علمتم أني لست بأجبنكم فسمع ذلك أبو جهل فقال أنت تقول هذا والله لو غيرك يقول هذا لأعضضته، قد ملأت رثك جوفك رعبا، فقال عتبة: إياي تعير يا مصفر إسته ستعلم اليوم أينما الجبان قال فبرز عتبة وأخوه شيبه وابنه الوليد حمية فقال من يبارز؟ فخرج فتية من الأنصار ستة، فقال عتبة لا نريد هؤلاء ولكن يبارزنا من بني عمنا من بني عبد المطلب، فقال رسول الله ﷺ قم يا علي وقم يا حمزة وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب، فقتل الله تعالى عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة وجرح عبيدة فقتلنا منهم سبعين وأسرنا سبعين فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيرا، فقال العباس يا رسول الله إن هذا والله ما أسرنى لقد أسرنى رجل أجلى من أحسن الناس وجها على فرس أبلق ما أراه في القوم فقال الأنصاري أنا أسرته يا رسول الله فقال اسكت فقد أيدك الله تعالى بملك كريم، فقال علي (عليه السلام) فأسرنا وأسرنا من بني عبد المطلب العباس وعقيلاً ونوفلاً بن الحرث.

اتبع ابن حنبل مبدأ الموازنة بين الأطراف في الشجاعة متجاهلاً بذلك شجاعة الإمام علي (عليه السلام) في معركة بدر، وإن كفة المسلمين إنما رجحت بفضل مشاركة الملائكة معهم في القتال، فقد أورد في ذلك حديثاً عن أبي عون، عن أبي صالح الحنفي عن علي (عليه السلام) قال: قيل لعلي ولأبي بكر يوم بدر مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل، وإسرائيل ملك عظيم يشهد القتال أو قال يشهد الصف^(١).

وقد تناقلت كتب الحديث والسير والمغازي خبر مشاركة ملائكة السماء في

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٢٥٧)، ص ١٣٨.

معركة بدر^(١)، منطلقين في ذلك في ضوء ما جاء في كتاب الله عز وجل من آيات دالة على المدد الإلهي للمسلمين لعلمه تعالى بضعفهم وقتلهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ، بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ، وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾^(٣).

إن مشاركة الملائكة في معركة بدر كانت للقتال جنباً إلى جنب مع المسلمين أم كانت للعون والحماية والدعم المعنوي، فقد ورد عن ابن عباس قوله: لم تقاتل الملائكة في يوم سوى بدر من الأيام، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومداً لا يضربون^(٤). كما أشارت بعض الروايات الواردة في مسند أحمد بن حنبل إلى أن الملائكة كانت تحف النبي ﷺ والمسلمين لحمايتهم ومساعدتهم كما جاء في قصة أسر العباس بن عبد المطلب من قبل شخص ضعيف البنية، وكان العباس جسيماً فقال له النبي ﷺ لقد أعانك عليه ملك كريم^(٥)، فيما أكدت روايات

(١) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٧٥-٨١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٧٣-٣٧٦؛ البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ٨٠-٨١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٤٥٣-٤٥٦؛ البيهقي، سنن البيهقي، ج ٩، ص ٤٦-٥٧.

(٢) سورة آل عمران، الآيات (١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦).

(٣) سورة الأنفال، الآية (٩).

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٧٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٤٥٤؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج ١، ص ٢٦٠.

(٥) ابن حنبل، مسند، الحديث (٩٨٤)، ص ١١٦.

أخرى على أن هناك من وجد مقتولاً أو مأسوراً ولا يعلم قاتله ولا من أسره، مما أثار دهشة المسلمين إلى أن أنباهم النبي ﷺ بأنهم قتل وأسرى الملائكة، فعن محمد بن إسحاق عن أبي داود المازني وكان شهد بدرًا قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قد قتله غيري^(١).

وينفرد القمني^(٢) في رأيه قائلًا: (وقد كان الوعد بنزول الملائكة من وراء الكون المنظور إلى بقعة بدر لنصرة المسلمين أحد العوامل التي ساعدت على إعطاء الخيال الإنساني مساحة واسعة للمزايدات، تلك المزايدات التي ربما كانت إسهاماً أسهم به الرواة في زمن الحدث، كل حسب إمكاناته، وربما كانت إسهامات إضافية أضيفت زمن تدوين كتب السير والأخبار، وربما كانت مزايدات من أقوام كالمؤلفة قلوبهم والطلقاء، لتبرير هزيمتهم المخجلة أمام المسلمين، ولإثبات خلوص الإيمان، وللتقليل من شأن المسلمين، ثم يضيف القمني إن تلك المزايدات كانت مدعاة إلى تهكم رجل ملحد مثل ابن الراوندي الذي يتساءل عن دور الملائكة في معركتي بدر وأحد: من هؤلاء الملائكة الذين أنزلهم الله يوم بدر لنصر نبيه؟ فيجيب: أنهم كانوا مفلولي الشوكة، قليلي البطش، فإنهم على كثرتهم، واجتماع أيديهم وأيدي المسلمين لم يقتلوا أكثر من سبعين رجلاً؟! وأين كانت الملائكة يوم أحد حين توارى النبي بين القتلى ولم ينصره أحد؟ ويتساءل القمني عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي ﷺ ببدر مع أن جبرائيل كان قادراً على أن يقضي على المشركين بريشة من جناحه كما أهلك الأقوام الغابرة، ويستطرد القمني في حديثه فيسوق إلينا دليلاً يثبت فيه إنه لا يوجد من قتل يوم بدر على يد الملائكة، ذلك لأن ابن هشام في سيرته أورد أسماء الذين قتلوا من قبل المسلمين - كل قتيل،

(١) المصدر نفسه، الحديث (٢٤١٨٦)، ص ١٧٧١.

(٢) حروب دولة الرسول ﷺ ج ٢، ص ١٩٣.

وقاتله - دون إسقاط لا اسم مقتول أو لاسم قاتل من الطرفين، وينتهي إلى القول: أما الأهم برأينا في خبر الملائكة فهو إن إعلام النبي ﷺ للمسلمين قبل القتال بالمدد السماوي كان كفيلا بتقوية روحهم المعنوية، وإنزال السكينة على قلوبهم، وهو ما أدى إلى نومهم ليلة القتال نوما اخذوا به راحتهم استعدادا لاستقبال قريش في الصباح، كما كان وجود الملائكة - في حالة أخرى - حلا مثاليا لمشكلة توزيع الأنفال، عندما اختلف المسلمون حول أنصبتهم في أنفال بدر، فنزعت من أيديهم ووضعت بيد رسول الله ﷺ ليقرر ما يراه لشأنها، باعتبار الله وملائكته هم أصحاب ذلك النصر... وإن الحاسم في أمر تلك الروايات جميعا، والذي يضع أمر الملائكة في موضعه الصحيح، ولا يسمح بسلب الرواة للعقلانية المعهودة عن دين الإسلام، هو ما جاء بين الروايات هادئا ورضينا يقول: لولا إن الله حال بيننا وبين الملائكة التي نزلت يوم بدر، لمات أهل الأرض خوفا من شدة صعقاتهم وارتفاع أصواتهم»^(١).

كان يجدر بالقمني الاستشهاد بدور الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في معركة بدر بإزاء ما قام به الملائكة والمسلمون، فقد أحصت المصادر التاريخية من قتلهم علي عليه السلام فالواقدي^(٢) يذكر أسماء (٢٢) مشركاً قتلهم الإمام علي عليه السلام، بينما يذكر ابن هشام^(٣) (١٩) رجلاً، وأما المفيد^(٤) فقد أحصى (٣٥) رجلاً، غير من اشترك في قتله وأسرّه. وهذا يعني إن ثقل المعركة قد وقع على عاتق الإمام علي عليه السلام، ولكنه تعمد تغييب دور الإمام علي عليه السلام ولم يعطه حقه في معركة بدر، كما لم يكن

(١) القمني، حروب دولة الرسول ﷺ، ج ٢، ص ١٩٥ - ٢١٣.

(٢) المغازي، ج ١، ص ١٤٧ - ١٥٢.

(٣) السيرة النبوية، ج ٢، ص ٤١٤ - ٤١٩.

(٤) الإرشاد، ص ٣٨ - ٣٩.

منصفاً معه في معركة أحد إذ لم يورد اسمه مع الثابتين مع النبي ﷺ.

٥- تكريم النبي ﷺ للإمام علي (عليه السلام): أورد ابن حنبل رواية واحدة حول سيف ذي الفقار الذي تنفله النبي ﷺ في معركة بدر، فقال حدثني سريج، حدثنا ابن أبي الزناد عن أبيه، عن الأعمى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس قال: (تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر...) (١). ولم يذكر ابن حنبل إن رسول الله ﷺ قد أهدها إلى علي (عليه السلام) بعدما تنفله، لما قدم الإمام (عليه السلام) من بطولته في المعركة فقاتل به يوم أحد (٢)، ويذكر البعض (٣) إن ذا الفقار كان لمنبه ابن الحجاج (٤).

ج/ مشاوره النبي ﷺ بشأن أسرى بدر: روى ابن حنبل بسنده عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال: (... فلما كان يومئذ والتقوا فهزم الله عز وجل المشركين فقتل منهم سبعون رجلاً وأسر منهم سبعون رجلاً فاستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعلياً وعمر، فقال أبو بكر، يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى الله أن يهديهم فيكونون لنا عضداً فقال رسول الله ﷺ ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنني من فلان قريباً لعمر فأضرب عنقه وتمكن علياً رضي الله عنه من عقيل فيضرب عنقه

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٤٤٥)، ص ٢٢٩.

(٢) الزبيري، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن الزبير، (ت: ٢٣٦هـ / ٨٥٠م)، نسب قريش، تحقيق: لبقي بروفنسال، ط ٤، دار المعارف، (القاهرة، د.ت)، ص ٢١٩-٢٢٠.

(٣) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٢٠٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢ ص ٢٩٦.

(٤) منبه بن الحجاج بن عامر السهمي من أشرف قريش وزنادقتها في الجاهلية، تعلم الزندقة من نصارى الحيرة، وكان منبه نديماً لطعمية بن عدي وقد حضر معه وقعة بدر، ونحر من الإبل عشرًا. ينظر: ابن حبيب، المحبر: ص ١٦٢.

وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هودة للمشركين هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم فهو رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت فأخذ منهم الفداء فلما أن كان من الغد قال عمر، غدوت إلى النبي ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر وإذا هما يكيان فقلت يا رسول الله أخبرني ماذا يبيكيك أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما قال فقال النبي ﷺ الذي عرض على أصحابك من الفداء لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة وأنزل الله عز وجل: ﴿كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ إِلَى قَوْلِهِ: لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١)، من الفداء ثم أحل لهم الغنائم فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفر أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه وأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَيْهَا﴾^(٢)، بأخذكم الفداء^(٣).

أراد الراوي التركيز على رأي عمر بن الخطاب بقصد إظهار شدته في الحق من خلال قوله بأن يضرب عليّ عنق أخيه عقیل، ويضرب حمزة عنق فلان - يقصد أخاه العباس بن عبد المطلب - ويضرب عمر عنق فلان، ولم يسمه، يبدو أنه قريب لعمر من جهة النساء لأن بني عدي لم يشهد أحد منهم بدرًا^(٤) وهناك رأي آخر لعمر بن الخطاب في الأسرى لم يذكره ابن

(١) سورة الأنفال، الآيات (٦٧-٦٨).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٦٥).

(٣) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٠٨)، ص ٥٥-٥٦.

(٤) ينظر: الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٤٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٤٣٨.

حنبل مضمونه: أن يجعلهم رسول الله ﷺ في وادٍ ويضرم النار بهم^(١)، على أن رأي عمر كان مخالفاً لرأي النبي ﷺ فضلاً عن رأي القرآن الذي يقول: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢)، وأنه ﷺ استوصى بالأسارى خيراً حين فرقهم على أصحابه^(٣)، فضلاً عن نفيه أفراد جيش المسلمين بأن يقتل أحد من بني هاشم لأن فيهم رجالاً أخرجوا كرها^(٤)، وقد نقل رأي أبي بكر وانسجامة مع رأي النبي ﷺ بهدف إظهار حكمة ابن الخطاب في تقدير الأمور حيث يوحى سؤال عمر للنبي ﷺ الوارد في الحديث: أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائك^(٥) بأن عمر ناظر إلى الموضوع بواقعية أكثر من النبي ﷺ، ولا يوجد سبب منطقي للبكاء إنما يتظاهر عمر بالبكاء لبكاء النبي ﷺ فقط، وهذا فعل مستهجن ولا يتوقع صدوره من صحابي إزاء نبيه ﷺ، ألم يكن النبي خيراً من قبل جبرائيل بشأن الأسرى^(٦)؟ فلو رأى ﷺ إن خيار الفداء له نتائج سلبية في المستقبل، يجب عليه العدول إلى الخيار الآخر، لا إلى البكاء! ويدل قول عمر: فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفرّ أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه

(١) البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل، (ت: ٣٢٢هـ / ٩٣٣م): البدء والتاريخ، تحقيق: خليل المنصور،

دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت) ج ٢، ص ٧٦.

(٢) سورة الأنفال، الآية (٦٧).

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٨٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٤٦٠.

(٤) ابن حنبل، مسند، الحديث (٦٧٦)، ص ٩٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٤٤٩.

(٥) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٠٨)، ص ٥٦.

(٦) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ١٠٧.

وأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا﴾^(١)، بأخذكم الفداء^(٢) على خطأ رأي الرسول ﷺ وأصحابه في فداء الأسرى فعوقبوا من قبل الله في أحد فقتل سبعون من المسلمين، وكذلك عوقب حتى النبي ﷺ فكسرت رباعيته، وكأنه يظهر أن سبب تلك الهزيمة هو عدم أخذهم برأيه بقتل أسرى بدر.

وقد تغافل الراوي عن ذكر رأي الإمام علي بشأن الأسرى بعد أن عدّه ضمن المستشارين في الأمر؟ وسكوت الراوي عن رأي الإمام علي عليه السلام يعني أمراً من ثلاثة أمور: إما انه ليس له رأي وهذا لا ينطبق على سيد الحكماء، فالمعروف عنه رجاحة الرأي بشهادة أبي بكر وعمر، أو أن النبي ﷺ اخذ رأيه مسبقاً فقال له الرأي رأيك يا رسول الله وهو ما معروف من أدب الإمام مع الرسول ﷺ، أو إن الإمام علي كان يعلم بأن جبرائيل قد أتى إلى النبي ﷺ فخيره في الأسرى بين القتل أو الفداء، وإن هذه الاستشارة ما هي إلا اختبار الرسول ﷺ لأصحابه، ويؤيد الرأي الثالث قول الواقدي^(٣): وكان علي عليه السلام يحدث يقول: أتى جبرائيل إلى النبي ﷺ يوم بدر فخيره في الأسرى....

معركة أحد (٣هـ/ ٦٢٤م):

كانت غزوة أحد يوم السبت، في الثامن من شهر شوال في السنة الثالثة للهجرة، وكان الباعث لها أن قريشاً أجمعت لحرب رسول الله ﷺ ثأراً لما أصابها يوم بدر^(٤)، وقد خلا مسند أحمد بن حنبل من الروايات التي تخص الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في هذه المعركة سوى رواية واحدة حدثه بها سفيان عن أبي

(١) سورة آل عمران، الآية (٦٥).

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٠٨)، ص ٥٦.

(٣) المغازي، ج ١، ص ١٠٧.

(٤) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ١٩٨.

حازم عن سهل بن سعد الساعدي لما سئل: بأي شيء دووي جرح رسول الله ﷺ يوم أحد؟ قال: كان علي (عليه السلام) يجيء بالماء في ترسه وفاطمة -عليها السلام- تغسل الدم عن وجهه وأخذ حصيراً فأحرقه فحشا به جرحه^(١). لما كان يوم أحد انكشف المسلمون، فأصاب العدو الرسول الأكرم ﷺ فكسرت رباعيته^(٢)، وشج في وجهه الكريم، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص^(٣)، فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب تولى علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفاطمة الزهراء -عليها السلام- معالجته كما أشار الحديث الوارد في المسند، وقد ذكر ذلك بعض المحدثين^(٤) والمؤرخين^(٥).

وذكر أحمد بن حنبل روايتين أشارتا إلى عدد الثابتين مع النبي ﷺ في المعركة من دون ذكر أسمائهم، وردت الرواية الأولى عن طريق عفان بن مسلم قال حدثنا حماد، حدثنا عطاء بن السائب، عن الشعبي عن ابن مسعود: أن النساء كن يوم أحد خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبر أنه ليس أحد منا يريد الدنيا حتى أنزل الله عز وجل: ﴿مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾^(٦)، فلما خالف أصحاب

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٣١٨٥)، ص ١٦٩٢.

(٢) الرباعية: إحدى الأسنان الأربعة التي تلي الثنايا، بين الثنية والنااب. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ١٥٦٧.

(٣) عتبة بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري اخو سعد بن أبي وقاص، وكان احد الأربعة الذين تعاهدوا على قتل رسول الله ﷺ، وهو الذي رمى الرسول فكسر رباعيته، فدعا عليه الرسول ﷺ قائلاً: اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافراً، ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ٤٦٩.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ١٠١؛ مسلم، صحيح مسلم، ج ١٢، ص ٣٥٩.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣٥؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٦٥.

(٦) سورة آل عمران، الآية (١٥٢).

النبي ﷺ وعصوا ما أمروا به أفرد رسول الله ﷺ في تسعة، سبعة من الأنصار، ورجلين من قريش، وهو عاشرهم، فلما رهقوه قال رحم الله رجلا ردهم عنا قال فقام رجل من الأنصار فقاتل ساعة حتى قتل، فلما رهقوه أيضا قال: يرحم الله رجلا ردهم عنا فلم يزل يقول ذا حتى قتل السبعة، فقال النبي ﷺ لصاحبه: ما أنصفنا أصحابنا، فجاء أبو سفيان فقال: أعل هبل، فقال رسول الله ﷺ: قولوا الله أعلى وأجل فقالوا الله أعلى وأجل، فقال أبو سفيان: لنا عزي ولا عزي لكم، فقال رسول الله ﷺ: قولوا الله مولانا والكافرون لا مولى لهم، ثم قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، يوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر حنظلة بحنظلة^(١) وفلان بفلان وفلان بفلان فقال رسول الله ﷺ: لا سواء أما قتلنا فأحياء يرزقون وقتلاكم في النار يعذبون، قال أبو سفيان: قد كانت في القوم مثله وإن كانت لعن غير ملاء منا ما أمرت ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت ولا ساءني ولا سرنني، قال فنظروا فإذا حمزة قد بقر بطنه وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها فقال رسول الله ﷺ: أأكلت منه شيئا قالوا لا قال ما كان الله ليدخل شيئا من حمزة النار، فوضع رسول الله ﷺ حمزة فصلى عليه وجيء برجل من الأنصار فوضع إلى جنبه فصلى عليه فرفع الأنصاري وترك حمزة ثم جيء بآخر فوضعه إلى جنب حمزة فصلى عليه ثم رفع وترك حمزة حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة^(٢).

تفرد أحمد بن حنبل بإيراد هذه الرواية عن باقي المحدثين، ولكنه ذكر في الرواية الثانية ما يناقض ما ورد في الرواية الأولى من عدد الثابتين مع النبي ﷺ يوم أحد.

(١) ويقصد أبو سفيان بقوله: حنظلة بحنظلة، أن قتله يوم أحد لحنظلة بن عامر -غسيل الملائكة- مقابل قتل ابنه حنظلة بن أبي سفيان يوم بدر، علما أن قتله علي بن أبي طالب عليه السلام ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ٦٨.

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (٤٤١٤)، ص ٣٧٠.

فعن حسن بن موسى، قال حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق أن البراء بن عازب قال: ... فأقبلوا منهزمين فذلك الذي يدعوهم الرسول في أخرهم فلم يبق مع رسول الله ﷺ غير إثني عشر رجلاً فأصابوا منا سبعين رجلاً وكان رسول الله ﷺ وأصحابه أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة؛ سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد؟ أفي القوم محمد؟ أفي القوم محمد؟ ثلاثاً فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيئوه ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن الخطاب؟ أفي القوم ابن الخطاب؟ ثم أقبل على أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم فما ملك عمر نفسه أن قال كذبت والله يا عدو الله إن الذين عددت لأحياء كلهم وقد بقى لك ما يسوؤك فقال يوم بيوم بدر والحرب سجال إنكم ستجدون في القوم مثله لم آمر بها ولم تسؤني ثم أخذ يرتجز أعل هبل أعل هبل فقال رسول الله ﷺ ألا تحيونه قالوا يا رسول الله وما نقول؟ قال قولوا: الله أعلى وأجل، قال: إن العزى لنا ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: ألا تحيونه قالوا يا رسول الله وما نقول؟ قال: قولوا الله مولانا ولا مولى لكم^(١). ونلاحظ أن الرواية الأولى اقرب إلى الواقع من الرواية الثانية التي رويت بهذا التسلسل لهدف سياسي.

تغافل أحمد بن حنبل عن دور الإمام علي (عليه السلام) البطولي في معركتي أحد والخندق على الرغم من أن ابن حنبل^(٢) قد ذكر في كتابه فضائل الإمام علي (عليه السلام) الدور البارز للإمام (عليه السلام) يوم لما قتل أصحاب الألوية، وقول جبرائيل (عليه السلام) للنبي ﷺ: يا رسول الله إن هذه لهي المواساة، فقال له النبي ﷺ: إنه مني وأنا منه، فقال جبرائيل: وأنا منكما يا رسول الله، إلا أن ابن حنبل أعرض عن ذكر الخبر في مسنده مكتفياً

(١) المصدر نفسه، الحديث (١٨٧٩٤)، ص ١٣٥٦.

(٢) فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)، ص ١٦٦.

بذكر رواية ابن عباس التي يقول فيها: ... وقد كان لرسول الله ﷺ وأصحابه أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة...^(١). ويبدو إن كتب الصحاح قد أهملت الخبر أيضاً على الرغم من أنه من الأخبار المشهورة^(٢)، فقد روى البخاري^(٣) عن السائب بن يزيد قوله: صحبت طلحة بن عبيد الله وسعد ابن أبي وقاص والمقداد بن الأسود وعبد الرحمن بن عوف، فما سمعت أحداً منهم يحدث عن رسول الله ﷺ عن يوم أحد، إذ يقول ابن المغازلي^(٤) عن ذلك: سألت شيخي رحمه الله، عن قول النبي ﷺ في علي عليه السلام: إنه مني وأنا منه، فقال: خبر صحيح، فقلت: ما بال الصحاح لم تشتمل عليه؟ قال: أو كل ما كان صحيحاً تشتمل عليه كتب الصحاح؟ كم أهمل جامعو الصحاح من الأخبار الصحيحة! وقد يكون السبب في ذلك الإهمال ما أفرزته معركة أحد من المواقف غير المتوقعة التي صدرت من بعض المسلمين وقد ذمها الله تعالى في كتابه العزيز، حيث كشف يومئذ عن معادن الرجال^(٥) كما يشير الحديث الذي رواه ابن حنبل^(٦): فلو حلفت يومئذ (يقصد يوم أحد) رجوت أن أبر إنه ليس أحد منا يريد الدنيا حتى أنزل الله عز وجل: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾^(٧)، الأمر الذي دعا إلى أن يمتنع الصحابة عن الحديث عما جرى في يوم أحد، فلما انفرجت أزمة منع كتابة الحديث والتاريخ، أدت الأهواء والعواطف دوراً كبيراً في ترتيب الأحداث وفق

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٦٠٩)، ص ٢٤١.

(٢) ينظر: الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٢٧٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٥١٤.

(٣) صحيح البخاري، ج ٥، ص ٩٧.

(٤) مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ص ١٩٠ - ١٩١.

(٥) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٤ - ٦١؛ القمني، حروب دولة الرسول ﷺ، ص ٢٧٠.

(٦) ابن حنبل، مسند، الحديث (٤٤١٤)، ص ٣٧٠.

(٧) سورة آل عمران، الآية (١٥٢).

المشتبهات^(١). ويمكننا أن نلاحظ ذلك حين نستعرض بعض الروايات التي تناولت معركة أحد وبخاصة فيما يتعلق بدور الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في المعركة!

أولاً: قتل أصحاب الألوية: اتفقت كتب المغازي على مقتل أصحاب الألوية قريش يوم أحد، لكنها اختلفت في اسم صاحب لواء المشركين، فالواقدي^(٢) يذكر بأن صاحب لواء المشركين الذي قتله الإمام علي (عليه السلام) هو طلحة بن أبي طلحة، بينما جعل ابن هشام^(٣): أبا سعد بن أبي طلحة هو صاحب لواء المشركين الذي بارزه الإمام علي (عليه السلام)، وتبعه في هذا القول ابن كثير^(٤)، في حين أن الواقدي^(٥) يقول إن الذي قتل أبا سعد هو سعد بن أبي وقاص، ويروي الطبري^(٦) إن الذي طلب البراز أول مرة هو طلحة بن عثمان وكان صاحب لواء المشركين يوم أحد، وروى الشيخ المفيد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) عن آبائه -عليهم السلام- قوله: كان أصحاب اللواء يوم أحد تسعة قتلهم علي عن آخرهم وانهزم القوم، وعزز الشيخ المفيد روايته بذكر أسماء أصحاب الألوية^(٧).

ثانياً: حمل اللواء: حصرت روايات المؤرخين حامل لواء المسلمين يوم أحد في صحابين هما، علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ومصعب بن عمير، فمنهم من قال أن اللواء كان بيد مصعب بن عمير أولاً، ثم تحول إلى علي بعد استشهاد مصعب،

(١) عبد الحميد، تاريخ السنة النبوية، ص ٤١.

(٢) المغازي، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٣) السيرة النبوية، ج ٢، ص ٤٨.

(٤) البداية والنهاية، ج ٤، ص ٢١.

(٥) المغازي، ج ٢، ص ٢٢٦.

(٦) تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٥٠٩.

(٧) الإرشاد، ص ٦٩.

وإلى هذا الرأي ذهب الطبري^(١) وأبو سهل البلخي^(٢)، ومنهم من قال: إن الراية كانت بيد الإمام علي عليه السلام منذ بدء المعركة، وإلى هذا ذهب الواقدي^(٣) حيث قال: ودفع لواء المهاجرين إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، ويقال إلى مصعب بن عمير، وتابعه على ذلك ابن هشام^(٤) والبلاذري^(٥). والجدير بالذكر أن مصعب ابن عمير استشهد في نهاية المعركة بعد انكسار المسلمين على إثر نزول الرماة من أعلى الجبل والتفاف خالد بن الوليد على جيش المسلمين، وإن الذي قتله ظن أنه رسول الله صلى الله عليه وآله لذلك صاح قتلت محمداً، ولو كان اللواء عند مصعب بن عمير لما توهم قاتله بأنه النبي صلى الله عليه وآله^(٦)، ثم أن النبي صلى الله عليه وآله في تلك اللحظات كان مشغولاً بالدفاع عن نفسه الشريفة بعدما خذله أكثر المسلمين وولوا هاربين، وكان الإمام علي عليه السلام هو الآخر مشغولاً بالذب عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا معنى لأمر النبي صلى الله عليه وآله بإعطاء اللواء إلى علي عليه السلام حسب ما يذكر المؤرخون، بقدر ما كانت المحافظة على حياة النبي صلى الله عليه وآله هي التي تعني الإمام علي عليه السلام، ويعزز ما جاء في رواية أحمد ابن حنبل^(٧) في الفضائل والتي تقول: كان حاملها علي، ما ذكره المحب الطبري^(٨) بقوله: كسرت يد علي عليه السلام يوم أحد فسقط اللواء من يده، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ضعوه في يده اليسرى، فإنه صاحب لوائي في الدنيا والآخرة.

(١) تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٥١٦.

(٢) البدء والتاريخ، ج ٢، ص ٨٠-٨١.

(٣) المغازي، ج ١، ص ٢١٥.

(٤) السيرة النبوية، ج ٢، ص ٤٧.

(٥) انساب الأشراف، ج ١، ص ٣١٧.

(٦) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٢٣٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٥١٦.

(٧) فضائل أمير المؤمنين، ص ١٩٢.

(٨) ذخائر العقبى، ج ١، ص ٣٧١.

ثالثاً: الثبات مع النبي ﷺ: انقسمت الروايات على ثلاثة أقسام لتبين من ثبت مع النبي ﷺ يوم أحد:

القسم الأول: الروايات التي أكدت فرار جميع المسلمين من المعركة وبقاء الإمام علي (عليه السلام) وحده مع النبي ﷺ، وجاءت هذه الروايات عن طريق الشيخ المفيد^(١) وأبن شهر آشوب^(٢)، حيث يرويان بالسند نفسه عن عبد الله بن مسعود حين سئل: إنهم الناس عن رسول الله ﷺ حتى لم يبق معه إلا علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأبو دجاجة^(٣) وسهل بن حنيف^(٤)؟ فأجاب قائلاً: انهزم الناس إلا علي بن أبي طالب وحده، ثم ثاب إلى رسول الله ﷺ نفر....

القسم الثاني: روايات تذكر أسماء من بايع رسول الله ﷺ على الموت يومئذ، وهم ثمانية نفر، ثلاثة من المهاجرين، وخمسة من الأنصار. وهو ما نصت عليه رواية الواقدي^(٥)، إذ يذكر إن الإمام علياً (عليه السلام) كان ضمن المبايعين على الموت، إلا أن ابن حنبل^(٦) يذكر أن الذين ثبتوا مع النبي ﷺ في هذا الموقف تسعة نفر، اثنان من المهاجرين، وسبعة من الأنصار، ولم يسم أحداً منهم.

القسم الثالث: روايات تبين من ثبت في ميدان المعركة للدفاع عن رسول الله ﷺ بعد ما علموا بأنه حي لم يقتل، وهم مابين خمسة عشر إلى أربعة عشر

(١) الإرشاد، ص ٦٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ١١٦-١١٧.

(٣) أبو دجاجة، سالك بن اوس بن خرشة بن لوزان بن ثعلبة الأنصاري الساعدي، شهد بدرًا وأحدًا، وكان من الشجعان، استشهد يوم اليمامة، ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ٥٩.

(٤) سهل بن حنيف بن واهب الأنصاري الأوسي، يكنى أبا سعد، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان من الثابتين معه يوم أحد والمبايعين له على الموت، صحب الإمام علياً (عليه السلام) فشهد معه صفين، ولاه البصرة، مات سهل سنة ٣٨ هـ بالكوفة. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ٢٧٣.

(٥) المغازي، ج ١، ص ٢٣٩.

(٦) مسند، الحديث (٤٤١٤)، ص ٣٧٠.

موزعون مناصفة بين المهاجرين والأنصار، وعُدَّ الإمام علي عليه السلام من بينهم^(١)، بيد إن أحمد بن حنبل^(٢) يذكر عدد الباقيين مع الرسول عليه السلام: ... فأقبلوا منهزمين فذلك الذي يدعوهم الرسول في آخرهم^(٣)، فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وآله غير إثني عشر رجلاً...، وكذلك لم يسم ابن حنبل أولئك الثابتين الإثني عشر، ويتفق البخاري^(٤)، والبيهقي^(٥)، مع ما ذكره ابن حنبل من عدد الباقيين في المعركة.

رابعاً: ما بعد المعركة: وعلى الرغم من أن ابن سعد^(٦)، وابن هشام^(٧) يذكرون قيام الإمام علي عليه السلام بغسل الدم عن وجه النبي صلى الله عليه وآله، إلا أن ابن سعد^(٨) يروي في موضع آخر، أن الذي يغسل عنه صلى الله عليه وآله الدم هو سالم مولى أبي حذيفة^(٩)، بينما يقول ابن هشام^(١٠): إن أبا عبيدة بن الجراح^(١١) هو الذي نزع إحدى الحلقتين من وجه النبي صلى الله عليه وآله.

(١) ينظر: الواقدي المغازي، ج ١، ص ٢٣٩؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ١، ص ٣١٨.

(٢) مسند، الحديث (١٨٧٩٤)، ص ١٣٥٦.

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلُؤُنَ عَلَى أَحَدٍ وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَمَّا بَغِمَ لَكِيلاً تَخْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. سورة آل عمران، الآية، (١٥٣).

(٤) صحيح البخاري، ج ٥، ص ٩٩.

(٥) سنن البيهقي، ج ٦، ص ٣٦٨.

(٦) الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣٥.

(٧) السيرة النبوية، ج ٢، ص ٦٥.

(٨) الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣٧.

(٩) هو سالم بن عبيد مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي، من أهل اصطخر، شهد بدرًا وأُحُدًا، وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله، كان عمر يكثر الثناء عليه، قتل يوم اليمامة. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ٣٨٣.

(١٠) السيرة النبوية، ج ٢، ص ٥٣.

(١١) أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي، شهد بدرًا وأُحُدًا وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله، توفي في طاعون عمواس في الشام سنة ١٨ هـ. ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٤٧.

وتغافل أحمد بن حنبل عن الدور البطولي للإمام علي (عليه السلام) في غزوة الخندق عندما استطاع عمرو بن ود العامري^(١) اقتحام الخندق، وإلى هذه اللحظة كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقدم الدعم الروحي والمعنوي لأصحابه، حيث كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لهم: (إنها سحابة صيف وستنشق وفي قول آخر له (صلى الله عليه وآله وسلم): سنغزوهم بعد اليوم ولا يغزوننا)^(٢)، ولكن عندما عبر ابن ود العامري الخندق، كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أتم ما عليه من تكليف، ولم يبقَ عليه إلا أن يذكر بثواب الله لمن يقوم لمواجهة فارس قريش الذي بدأ يقترب من المسلمين طالباً البراز، وأعاد عمرو النداء والمسلمون سكوت كأن على رؤوسهم الطير، لخوفهم منه ومن معه، فقال عمرو: (أيها الناس، إنكم تزعمون: أن قتلاكُم في الجنة، وقتلانا في النار؟ أفما يحب أحدكم أن يقدم على الجنة، أو يقدم عدوا له إلى النار؟ فلم يقم إليه أحد)^(٣)، ويصف القرآن الكريم حال المؤمنين في تلك اللحظة بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زُلْزَالًا شَدِيدًا﴾، أما المنافقون فيقول فيهم: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم

(١) عمرو بن عبد بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل، كان يقال له: ذي الشدي، كان من مشاهير الأبطال، وشجعان العرب عُددًا بألف فارس ويسمى فارس يليل لأنه أقبل في ركب من قريش حتى إذ هو بيليل، وهو واد قريب من بدر عرضت لهم بنو بكر في عدد وقوة فقال لأصحابه: امضوا، فقام في وجوه بني بكر حتى منعهم من أن يصلوا إليه فعرف بذلك. قال الإمام علي (عليه السلام) عنه: وفارسها -أي قريش- وفارس العرب يومئذ عمرو بن عبد ود يهدر كالبعير المغتلم... والعرب لا تعد لها فارسا غيره. وكان عمرو يلقب بعاد العرب، وقد بلغ تسعين سنة من العمر لما جاء مع الأحزاب يوم الخندق، طلباً بثأره وذلك أنه في يوم بدر قد أصابه المسلمون، أقعدته فلم يشهد أحداً.. ينظر: الزبيري، نسب قريش، ص ٤٢٥؛؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، ج ١، ص ٤٨٦.

(٢) المفيد، الإرشاد، ص ٥٢.

(٣) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٤٦٧؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ٢، ص ٤٧١؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ١٩٨.

مَرَضَ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١﴾، وهمت طائفة منهم بالفرار قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (١)، فيما كانت مجموعة تفكر بجدية بالانضمام إلى الأحزاب وترك النبي ﷺ يواجه المصير وحده، قال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا، أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَنِ حَدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (٢). وعمره يجول بفرسه مقبلا مدبرا، ومعه بعض الفرسان، ووقف الباقون من الأحزاب وراء الخندق ينظرون، فلما رأى عمرو: أن أحدا لا يجيبه قال:

ولقد مجحتُ من النداء بجمعهم هل من مبارز
إني كذلك لم أزل متسرعا نحو الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز (٣)

وقد تكرر نداء عمرو بالمسلمين، وتتابع قيام الإمام علي عليه السلام مستأذنا رسول الله ﷺ وفي كل مرة يرفض النبي ﷺ طلبه، حتى يؤس عليه السلام من أصحابه فقال لعلي: أدن مني، فدنا منه، فقلده سيفه ذا الفقار، وألبسه درعه ذات الفضول، وعممه بعمامته السحاب على رأسه تسعة أكوار، ثم قال: له تقدم، ودعا الله تعالى

(١) سورة الأحزاب، الآيات (١٠-١١-١٢-١٣).

(٢) سورة الأحزاب، الآيات (١٨-١٩).

(٣) المفيد، الإرشاد، ص ٧٨؛ الطبرسي، إعلام الوري، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار العلم، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ١٩٥؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ١٣٤.

يحفظه من بين يديه، ومن خلفه وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوق رأسه، ومن تحت قدميه، وقال (عليه السلام): (برز الإسلام كله، إلى الشرك كله)^(١)، وخرج الإمام علي (عليه السلام) إلى مبارزة عمرو بن ود، وهو يرتجز ويقول:

| | |
|---------------------|----------------------------------|
| لا تعجلنَّ فقد أتاك | مجيب صوتك غير عاجز |
| ذو نيّة وبصيرة والـ | صدق منجى كلّ فائز |
| إنّي لأرجو أن أقيم | عليك نائحة الجنائز |
| من ضربة نجلاء يبقى | صيتها بعد الهزاهز ^(٢) |

فلما اقترب الفارسان قال الإمام علي (عليه السلام) لعمرو: (يا عمرو إنك في الجاهلية تقول: لا يدعوني أحدٌ إلى ثلاث خصال إلا قبلتها، أو واحدة منها؟ قال: أجل. قال: فإنّي أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، وأنّ تُسلم لربّ العالمين. قال: يا بن أخ، آخر هذه عني. فقال له علي (عليه السلام): أمّا إنّه خيرٌ لك لو أخذتها. ثمّ قال: فيها هنا أخرى قال: ما هي؟ قال: ترجع من حيث جئت، قال: لا تُحدّث نساء قريش بهذا أبداً. قال: فيها هنا أخرى، قال: ما هي؟ قال: تنزل تقاتلني فضحك عمرو وقال: إنّ هذه الخصلة ما كنت أظنّ أنّ أحداً من العرب يرومني مثلها، إنّي لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، وقد كان أبوك لي نديماً، قال علي (عليه السلام): ولكنّي أحبُّ أن أقتلك، فانزل إن شئت^(٣)، فغضب عمرو ونزل فضرب وجه فرسه حتى رجع، وحمل على علي (عليه السلام) وضربه على رأسه فشجّه، وبقي محتفظاً بثباته، وتوالت عليه الضربات وهو يحيد عنها، ثمّ كرّ عليه علي (عليه السلام)

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٩، ص ٦٠؛ المفيد، الإرشاد، ص ٨٨.

(٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ١٣٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢٠٣.

(٣) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٩، ص ٦١.

فضربه فسقط عمرو صريعاً، وثار العجاج، فسمع رسول الله ﷺ تكبير علي عليه السلام، فاستبشر لأنه علم أن علياً عليه السلام قد قتله، وأقبل إليه علي برأس عمرو بن ود العامري وهو يقول:

أعليّ تقتحم الفوارس هكذا عني وعنهم أخروا أصحابي

إلى آخر قوله عليه السلام:

لا تحسبن الله خاذل دينه ونبيه يا معشر الأحزاب^(١)

وخرجت خيولهم التي اقتحمت الخندق منهزمة بعد مقتل العامري، ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾^(٢)، فلما رجع الإمام علي عليه السلام سألته الصحابة عن سبب تأخره في قتل عمرو، وعدم سلبه درعه الثمين؟ فأجاب قائلاً: لأنه بصق في وجهي، فخشيت أن أضربه لحظ نفسي، فتركته حتى سكن ما بي، ثم قتلته في الله، ثم أن عمرو طلب مني أن لا أسلبه حلته، فقلت له: هي علي أهون من ذلك، لذلك أطلق رسول الله ﷺ مقولته في حق الإمام علي عليه السلام: (ضربة علي يوم الخندق خير من عبادة الثقلين إلى يوم القيامة)^(٣).

ونكتفي بالقول إن راوي الحديث هو حذيفة بن اليمان^(٤).

(١) المفيد، الإرشاد، ص ٨٣؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ٢٠٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٢٥).

(٣) الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ٣٤؛ الحسكاني، شواهد التنزيل، ج ٢، ص ١٤؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٩، ص ٦٠.

(٤) حذيفة بن اليمان: هو حذيفة بن حسيل بن جابر بن عمرو، واليمان لقب والده حسيل، لقب به لأنه حالف الأنصار وهم من اليمن، هاجر إلى النبي ﷺ، فاختر النصره، وحذيفة صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين، لقبه النبي ﷺ بذي الشهادتين، مات سنة ٣٦ هـ. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ١، ص ٧٠٦.

غزوة بني المصطلق: (٦هـ/ ٦٢٧م)

من حيث تفاصيل المعركة لم يروِ أحمد بن حنبل في مسنده لغزوة بني المصطلق^(١)، إنما ذكر بعض الأحداث التي حصلت بعد المعركة، وكان لها أثرٌ كبيرٌ في نفس النبي ﷺ^(٢)، والذي يهمننا من تلك الأحداث هي حادثة الإفك^(٣)، لما لها من الآثار في سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، سواء في لحظة حصول الحادثة، أو ما ترتب عليها لاحقاً، فقد أورد ابن حنبل حديثاً مطولاً عن عائشة في تلك الحادثة، وهذا نصه: عن ابن شهاب الزهري قال حدثني عروة بن الزبير وسعيد ابن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة زوج النبي ﷺ: حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله، وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصاً وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضها وإن كان بعضهم أوعى له من بعض قالوا: إن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه قالت عائشة فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ وذلك بعد ما أنزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه مسيرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه

(١) المصطلق: وهم بنو جذيمة بن كعب من خزاعة، وجذيمة هو الذي لقب بالمصطلق لحسن صوته فهو

أول من غنى من خزاعة. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٧٩.

(٢) ينظر في حوادث غزوة بني المصطلق: الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٤٠٤ وما بعدها؛ ابن هشام،

السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٧٩-١٩١؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٦٣-٦٥؛ الطبري،

تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٦٠٤-٦١٠.

(٣) الإفك لغة: هو الكذب، اصطلاحاً: كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه. ينظر:

الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٧٩.

وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقممت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمت عقدتي فاحتبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذي كانوا يرحلون بي فحملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أنني فيه قالت وكانت النساء إذ ذاك خفافا لم يبهلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدتي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعوا إلي فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني^(١) قد عرس وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رأي وقد كان يراني قبل أن يضرب علي الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي فوالله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبره^(٢)، عبد الله بن أبي بن سلول فقدمت المدينة فاشتكت حين قدمنا شهرا والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولم أشعر بشيء من ذلك وهو يريني في

(١) هو صفوان ابن المعطل ابن ريضة بن خزاعي السلمي الذكواني، شهد الخندق والمشاهد بعدها، وكان يكون على ساقة جيش رسول الله ﷺ يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين، لذلك كان يتأخر عن الجيش فيأتي بعدهم، وقد روي سببا آخر في تخلفه، وهو أنه كان ثقیل النوم، توفي صفوان في خلافة معاوية سنة ٥٨ هـ. ينظر: ابن الأثير: أسد الغابة، ج ٣، ص ٣١-٣٢.

(٢) إشارة إلى من أوقع حديث الإفك، وتحمل معظمه، فذنبه أكبر. ينظر: الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٦٩٧.

وجعي إني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين اشتكى إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول كيف تيكم؟ فذاك يريني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه وكنا نأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا وانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب وأقبلت أنا وبنت أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس، مسطح فقلت لها بئسا قلت تسبين رجلا قد شهد بدرا، قالت أي هتاه أو لم تسمعي ما قال قلت وماذا قال فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضا إلى مرضي فلما رجعت إلى بيتي فدخل علي رسول الله ﷺ فسلم ثم قال كيف تيكم؟ قلت أتأذن لي أن آتي أبوي، قالت وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلها، فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أبوي فقلت لأمي يا أمتاه ما يتحدث الناس؟ فقالت أي بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها قالت قلت سبحان الله أو قد تحدث الناس بهذا؟ قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي ليستشيرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة بن زيد فأشار علي رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود فقال يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيرا وأما علي بن أبي طالب فقال لم يضيق الله عز وجل عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك، قالت فدعا رسول الله ﷺ بريرة قال أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة قالت له بريرة والذي بعثك بالحق

إن رأيت عليها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله، فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول فقالت قال رسول الله ﷺ وهو على المنبر يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي، فقام سعد بن معاذ الأنصاري، فقال لقد أعذرك منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام سعد بن عباد وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن اجتهدته الحمية فقال لسعد بن معاذ لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن خضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عباد كذبت لعمر الله لنقتله فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت، قالت: وبكيت يومي ذاك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبواي يظنان إن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني شيء، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله عز وجل وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله ثم توبى إليه فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب، تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال، فقال ما أدري والله ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي

أجيبني عني رسول الله ﷺ فقالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، قالت: فقلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن إني والله قد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم إني بريئة والله عز وجل يعلم إني بريئة لا تصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله عز وجل يعلم إني بريئة تصدقوني وإني والله ما أجدي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾^(١)، قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، قالت: وأنا والله حينئذ أعلم إني بريئة وإن الله عز وجل مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله عز وجل فيّ بأمر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله عز وجل بها، قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ من مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحدٌ حتى أنزل الله عز وجل على نبيه وأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى أنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه قالت فلما سرى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال أبشري يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك، فقالت لي أُمي قومي إليه فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل هو الذي أنزل براءتي فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾^(٢)، عشر آيات فأنزل الله عز وجل هذه الآيات براءتي قالت فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقربته منه وفقره والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾، إلى قوله: ﴿أَلَا يُحِيطُونَ أَنَّ يَعْفَرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(٣)، فقال أبو بكر والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى

(١) سورة يوسف، الآية (١٨).

(٢) سورة النور، الآية (١١).

(٣) سورة النور، الآية (٢٢).

مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: لا أنزعها منه أبدا، قالت: عائشة وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمري وما علمت أو ما رأيت أو ما بلغك، قالت يا رسول الله أحمى سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيرا، قالت عائشة وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله عز وجل بالورع وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك قال ابن شهاب: فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط^(١).

راوي حديث الإفك هو ابن شهاب الزهري^(٢) رواه في سلسلة أسانيد جمعية عن أستاذه عروة بن الزبير^(٣)، وسعيد بن المسيب^(٤)، وعلقمة بن وقاص^(٥)، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة^(٦)، وكلهم يروون عن عائشة، فكانت هي مصدر هذه الرواية الوحيد، على أن ابن شهاب لم يوضح ممن أخذها تحديداً، إذ يقول في بداية روايته للحادثة: وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة. وعلى الرغم من أن هؤلاء الأربعة كلهم من فقهاء المدينة ومحدثيها

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٦١٤١)، ص ١٩٠٨.

(٢) محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري القرشي، أحد أئمة الحديث في المدينة، ومن اخص تلاميذ عروة بن الزبير، توفي سنة ١٢٤ هـ. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٤٥١.

(٣) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، ألف في المغازي مصنفاً، من أئمة الحديث الموالين لبني أمية في المدينة، توفي سنة ٩٣ هـ. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣١٦.

(٤) سعيد بن المسيب بن حزن بن وهب المخزومي القرشي، أحد الفقهاء السبعة في المدينة، سمي راوية عمر بن الخطاب، توفي سنة ٩٤ هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٨٨.

(٥) علقمة بن وقاص الليثي ولد على عهد النبي، وتوفي أيام عبد الملك بن مروان بالمدينة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٥٧٥.

(٦) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، مفتي المدينة، وأحد الفقهاء السبعة فيها، مات سنة ٩٩ هـ. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١، ص ٢٧١.

الذين حافظوا على ولائهم للدولة الأموية، إلا أن ابن شهاب أراد بهذا الجمع بين الرواة أن يقوي سندها فتصدق، ومن أجل أن يخفي مصدرها الحقيقي وهو عروة ابن الزبير، والمعروف بأن أكثر رواياته عن عائشة كونها خالته، وكذلك يعد ابن شهاب من اخص تلاميذ عروة بن الزبير، ولم يعرف أنه تتلمذ على يد أحد غيره، ثم أن عروة هذا كان يميل في أحاديثه ورواياته لإرضاء الأمويين، حتى لو شذ عن المؤلف، كما في روايته عن أن المتحدث من المهاجرين إلى الحبشة، أمام النجاشي هو عثمان بن عفان وليس جعفر بن أبي طالب^(١)، فضلاً عن أنه يشترك مع الأمويين في التحامل على بني هاشم عموماً، وبخاصة الإمام علي (عليه السلام)، وقد كشف عن ذلك التحامل ابن شهاب الزهري نفسه حين سأل عروة عن سبب احتفاظه بحديثين عن عائشة في علي (عليه السلام) فقال له: إني لا اهتمهما في بني هاشم^(٢)، لذلك فقد جاءت أكثر الأحاديث المروية عنه إساءات إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وأزواجه وأهل بيته، فأقحم اسم عائشة ومكانتها لتعزيز تلك الأحاديث، وللطعن برسول الله (صلى الله عليه وآله) من خلالها، فجاء بأحاديث لا تنطبق وخلق الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله)، فضلاً عن أنها لا تنسجم مع التشريع الإسلامي، كأحاديث عن صلاة النبي وهو غير مغتسل من الجماع، وأنه (صلى الله عليه وآله) كان يجامع وهو صائم، ويجامع نساءه وهن على غير طهر، ويغتسل ببقايا ماء غسلهن من الحيض، إلى غير ذلك، وأنه غير عادل مع باقي أزواجه فأرسلن ابنته فاطمة (عليها السلام) كي يعدل بينهن وبين عائشة^(٣).

فعلى الرغم من اشتهاار حديث الإفك عند المحدثين والمؤرخين إلا أن الحديث فيه جملة من المتناقضات، التي لا تستقيم الرواية بوجودها، لذا عمد البعض إلى

(١) مطر، آل بيت النبوة، ص ٩٤.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٢٨٣.

(٣) ينظر: ابن حنبل، مسند، حديث عائشة، ص ١٨٧٧ وما بعدها.

تغيير تلك المتناقضات، ولجأ آخرون إلى تبريرات لا تستند إلى مسوغ سوى وهم الراوي، وسنبين تلك التناقضات على شكل نقاط نتبّعها في الرواية حسب تسلسل فقراتها:

إن المتتبع لأحاديث أم المؤمنين في المسند التي بلغت (٢٤٣٤) حديثاً، يجد أن حديث الإفك هو الأطول بين تلك الأحاديث، فضلاً عن أن صياغته تختلف عما ورد عن عائشة من الأحاديث^(١)، وذلك مما يثير الشك بأنه قد يكون من الموضوعات على عائشة.

إن تاريخ غزوة بني المصطلق عند أغلب المؤرخين كان في سنة (٦هـ)^(٢)، وحديث الإفك يذكر الجدال الذي حصل بين زعيمي الأوس والخزرج - سعد بن معاذ، وسعد بن عباد -، والجدير بالذكر أن سعد بن معاذ توفي في سنة (٥هـ)^(٣)، وقد تنبه بعض المؤرخين إلى ذلك التناقض، فذهب البخاري^(٤) إلى القول بأن الغزوة حصلت سنة (٤هـ)، إلا أن ابن حجر^(٥) عدّ قول البخاري هذا: سبق قلم^(٦)، فيما برر آخرون أن ورود اسم سعد بن معاذ من وهم الراوي، وإن المتكلم هو أسيد بن خضير، ذلك لأن حادثة الإفك حصلت بعدما فرض الحجاب - بحسب ما ذكرت عائشة - على نساء النبي ﷺ في سنة (٥هـ)^(٧).

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٠٢ - ١٩٦٣.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٧٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٦٠٩.

(٣) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٤٩٦؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٤٦؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٧٤.

(٤) صحيح البخاري، ج ٥، ص ١١٥.

(٥) ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ط، دار المعرفة، (بيروت، د.ت)، ج ٧، ص ٣٩٣.

(٦) أي مر سريعاً في النقل، ويعني بذلك أخطأ قلمه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٢١، ص ١٩٢٩.

(٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٤، ص ١٥٦؛ ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٨٦م)، ج ٣، ص ٢٦٦.

لم تبين الرواية الوقت الذي غادر فيه جيش الرسول ﷺ مكان المعركة مع ما لديهم من سبي كثير، كما قال ابن هشام^(١)، الذي يذكر أن النبي ﷺ ارتحل في ساعة منكرة، ولا نعلم عند العرب قبل الإسلام ولا في التشريع الإسلامي أن هناك ساعة تدعى بالمنكرة؟ وربما يقصد ابن هشام هي ساعة مبكرة من الصباح وان خطأ حصل في النقل، أو يقصد بمنكرة غير معروفة.

كما لم تكشف الرواية عن أسماء الرهط المكلفين بهودج عائشة، ولم نسمع أنهم تعرضوا إلى تأنيب أحد بسبب إهمالهم زوج النبي ﷺ وتركها، ولم يقدموا أي اعتذار إلى النبي ﷺ عما بدر منهم، كما هو شأن الصحابة حين كانوا يأتون النبي ﷺ معتردين لأي تقصير.

إن الوقت المستغرق في بحث عائشة عن عقدها لحين عثورها عليه، ورجوعها إلى العسكر، الذي كان قد رحل سريعا كما تذكر كتب السير والمغازي، والمدة التي نامتها عائشة، لم تكن لتبلغ مقدارا كبيرا في ابتعاد النبي ﷺ وأصحابه عن المكان، مهما كانت سرعة حركة الرجوع، وعدد ساعات النوم التي قضتها عائشة، ثم كيف استطاعت النوم وهي قريبة على مساكن بني المصطلق الذين غزاهم النبي قبل ساعات قليلة؟ وكيف مضت هذه الفترة ولم ينتبه المسلمون لعدم وجود عائشة فيرجعوا في طلبها كما كانت تتوقع، فإذا بقيت ليلة كما تقول الروايات تسير من أجل اللحوق بجيش النبي ﷺ فلماذا لم يفتقدوا أحد عند النوم؟ فهل تنام النساء في محاملها على الإبل أم في الخيام؟

تصور حادثة الإفك موقف الرسول الأكرم ﷺ على أنه وقع فريسة بأيدي الشائعات الكاذبة، وشك في عفاف عائشة، وبدا مضطرباً لدرجة أنه ﷺ راح

(١) السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٨١.

يستشير الصحابة في أمرها، وهذا يتنافى مع مقام عصمة النبي ﷺ^(١)، إذ لا دليل على التهمة الموجهة لعائشة سوى الشائعات، والجدير بالذكر أن النبي ﷺ في غزوة بني المصطلق قد اخبر عن المغيبات في حادثتين، الأولى: حين فقدت ناقته^(٢)، والثانية: إخباره زعيم بني المصطلق عن البعيرين اللذين غيبهما في أحد الشعب^(٣)، فكيف لم يستطع النبي ﷺ اكتشاف حقيقة أمر الإفك؟

تباينت الآراء في موقف الإمام علي عليه السلام من عائشة في حادثة الإفك، حين استشاره النبي ﷺ وأسماءة بن زيد، فالرواية تصرح بأن الإمام علياً عليه السلام أشار على النبي ﷺ بقوله: لم يضيق الله عز وجل عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك، ورأي الإمام علي عليه السلام هذا يتنافى مع ما ورد عنه من حديث أخرجه أحمد بن حنبل في المسند حيث يقول: إن النبي ﷺ خير نساء الدنيا والآخرة ولم يخيرهن الطلاق^(٤). وهناك رواية أخرى إن علياً عليه السلام قال للنبي ﷺ: إن نعلك منزّه عن النجاسة، فكيف بزوجتك...^(٥) ثم إن الطبري^(٦) يذكر أن الإمام علياً عليه السلام لما أشار على النبي ﷺ بقوله: وسل الجارية تصدقك، دعا رسول الله ﷺ بريرة يسألها، فقام إليها علي فضربها ضرباً شديداً، وهذا الفعل لا يتناسب وشخص الإمام علي عليه السلام المعروف بالعدالة والإنسانية، وأنه

(١) السيوطي، الدر المنثور، ج ٥، ص ٢٤

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٦٠٤.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٨٣-١٨٤.

(٤) ابن حنبل، مسند، الحديث (٥٨٨)، ص ٨٩.

(٥) الديار بكري، تاريخ الخميس، ج ١، ص ٤٧٧؛ عبد الحسن، شكري ناصر، الإشاعة في عصر

الرسالة الفترة المدينة، بحث في ضوء القرآن الكريم، مجلة آداب البصرة، العدد ٥٣، لسنة ٢٠١٠

م، جامعة البصرة، كلية التربية، ص ٢٠٨.

(٦) تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٦١١-٦١٥.

أقضى أمة محمد (ﷺ)^(١)، وبخاصة أن يقدم على فعل كهذا بحضور النبي (ﷺ)! لقد حاول الكثير أن ينسج على هذه الاستشارة قصة عداة عائشة للإمام علي (عليه السلام)، وأن هذه المشورة قد أزعجت عائشة ولم تمح من ذاكرتها، فكانت لا تطيق ذكر اسمه، بل إن مواقفها اللاحقة بنيت على أساسها فكانت السبب الحقيقي وراء خروج عائشة لحرب الإمام في يوم الجمل^(٢).

وقد بدأ راوي هذه الرواية يلمح إلى أن الإمام علياً (عليه السلام) يريد أن يوقع بأمر المؤمنين لأمر ما أضمره في نفسه، وإن عائشة فهمت مراده من مشورته هذه، فتبادل الاثنان الحقد والكراهية، وهذا التوتر الذي حاول الأمويون العزف عليه، وتثيته في أذهان الناس، وإلا فالحقيقة لم يكن الإمام علي (عليه السلام) ليحقد على زوج رسول الله (ﷺ)، بل كان صائناً لها كما سنين ذلك في ذكر ما جرى في أحداث معركة الجمل وما تلاها، كما أنها ندمت وتأسفت لخروجها مع من غرروا بها في حرب الجمل^(٣)، ومن جهة أخرى لم تكن عائشة تبغض علياً (عليه السلام) بسبب مشورته في حادثة الإفك، لأن حادثة الإفك إنما نسبت إلى عائشة، نعم ربما كانت أم المؤمنين تتضايق من الإمام علي (عليه السلام) وذلك لحب النبي (ﷺ) الكبير له ولفاطمة (عليها السلام) وأمها السيدة خديجة الكبرى، وهذا ما يثير غيرتها، وكذلك كانت تضطغن الإمام علي (عليه السلام) بسبب تفضيل النبي (ﷺ) له على من سواه من الصحابة، فقد ورد في مسند أحمد ابن

(١) البلاذري، انساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٥٠؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ١٤٥
 (٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١٨٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٣٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٤، ص ١٦١ - ١٦٤؛ روجرسون، برنابي، ورثة محمد (ﷺ) جذور الخلاف السني الشيعي، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، تعليق: عبد المعطي محمد بيومي، ط ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ٢٠١٠م)، ص ٢١.
 (٣) الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ١٢٨؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ٨١.

حنبل^(١) ما يؤكد ذلك، فعن النعمان بن بشير قال: استأذن أبو بكر على رسول الله ﷺ فسمع صوت عائشة عاليا وهي تقول: والله لقد عرفت إن عليا أحب إليك من أبي ومني مرتين أو ثلاثا، فاستأذن أبو بكر فدخل فأهوى إليها فقال: يا بنت فلانة، لا أسمعك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ.

كان الأولى بعائشة أن تكن الكراهية لمن شيع عليها الشائعات الكاذبة، ومن حاول تشويه سمعتها، وهم عبد الله بن أبي بن سلول، وحسان بن ثابت، ومسطح ابن أثالة، وحمنة بنت جحش، لا على غيرهم، إلا أننا نجد العكس بحسب الرواية، فعبد الله بن أبي، لم يقم عليه الحد، وحسان بن ثابت لم تكن عائشة ترضى أن يتكلم عليه أحد أمامها، كما جاء في الحديث الوارد في المسند: وكانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول إنه الذي قال: فإن أبي ووالده وعرضي... لعرض محمد منكم وقاء^(٢)، وأما مسطح فقد استمر أبو بكر بالإنفاق عليه، ولم ينقطع عنه بعد ما كان أحد أهل الإفك؟

يرى البعض أن قصة الإفك، ونزول آيات التبرئة ترتبط بالسيدة مارية القبطية أم إبراهيم ابن النبي ﷺ، وليس بعائشة، وإنما نسبها إلى عائشة فيما بعد كتاب الدولة الأموية بهدف الإساءة إلى النبي وأزواجه، ولبذر الفرقة والتناحر بين المسلمين، وقد أتت هذه البذرة السيئة أكلها، وجنى المسلمون ثمارها المرة، فتشير الرواية الثانية إلى أن زوج النبي مارية القبطية اتهمت بعد وفاة ابنها إبراهيم، مع شخص يدعى جريح يكون ابن عم لها، ف قيل انه والد إبراهيم وليس النبي ﷺ، فأرسل النبي ﷺ الإمام عليا عليه السلام ليتحرى أمره ويشير الحديث الذي رواه أحمد بن حنبل^(٣) بسنده عن علي

(١) مسند، الحديث (١٨٦١١)، ص ١٣٤٣.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٢٦١٤٢)، ص ١٩٠٩.

(٣) مسند، الحديث (٦٢٨)، ص ٩٢.

بن أبي طالب إلى ذلك حيث يقول (عليه السلام): يا رسول الله إذا بعثتني أكون كالسكة المحماة أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ قال الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. لكن الإمام (عليه السلام) اكتشف أنه ليس له ما للرجال، فرجع إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فأخبره بما رأى، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): (الحمد لله الذي صرف عنا سوء أهل البيت)^(١)، ودليلهم في ذلك إن سورة النور التي تضمنت آيات البراءة نزلت دفعة واحدة في السنة التاسعة للهجرة، وليس في غزوة بني المصطلق أيًا كان تاريخ الغزوة، فإن قيل إن المعروف عن الإمام علي (عليه السلام) أنه لا ينظر إلى عورة؟ نقول: أن الرجل المتهم بزواج النبي (صلى الله عليه وآله) مارية القبطية لم يكن يمتلك ما للرجال، ولا له ما للنساء^(٢).

يوحى النص الذي أورده ابن حنبل^(٣) بأن نزول آيات البراءة في حادثة الإفك على تفضيل عائشة على سائر النساء، إذ يقول: (ولشأنني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله عز وجل فيّ بأمر يتلى).

فعلى فرض أن آيات الإفك نزلت بحقها وتنزيها لها، ولكنه بالحقيقة تنزيه لرسول الله (صلى الله عليه وآله) عن أن يكون عليه أي مهمز أو مغمز، فالمجتمع العربي آنذاك مجتمع أنساب، وإن أي تصرف شاذ يصدر من أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) يسيء إلى سمعته، ويعد منقصة، ستؤثر على أداء الرسالة السماوية، وعلى طاعة أصحابه له، فضلاً عن استغلال الأعداء لها من أجل محاربة النبي إعلامياً^(٤).

(١) الطبرسي، اعلام الوري، ج ١، ص ١٩٦؛ نقلاً عن السبحاني، السيرة المحمدية، دراسة تحليلية للسيرة المحمدية على ضوء الكتاب والسنة والتاريخ الصحيح، تعريب: جعفر الهادي، ط ٥، مؤسسة الإمام الصادق، (قم، ١٣٩١هـ)، ص ١٦٠

(٢) مسند، الحديث (٢٦١٤١)، ص ١٩٠٨.

(٣) ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ج ٧، ص ١٠٩ وما بعدها، (باب فضائل عائشة).

(٤) فضل الله، علي محمد حسين، سيرة الرسول وخلفاؤه، ط ٢، الدار الإسلامية، (بيروت، ١٩٩٣م)، ج ٣، ص ٢٨٥.

صلح الحديبية (٦هـ / ٦٢٧م):

في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة خرج رسول الله ﷺ بالمسلمين قاصداً بيت الله الحرام لأداء العمرة لا يريد حرباً^(١)، وذلك بعد أن رأى رؤيا في النوم أنه دخل البيت وحلق رأسه وأخذ مفتاح البيت ووقف على عرفة^(٢)، وأراد النبي ﷺ أن يوضح لقريش هدفه الحقيقي من مجيئه إلى مكة، بقوله ﷺ: لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها^(٣)، ولما رفضت قريش السماح للمسلمين بدخول مكة، الأمر الذي جعل الرسول ﷺ يعسكر في الحديبية^(٤)، من ثم يبعث مندوبين عنه إلى قريش، فبعث خراش بن أمية الخزاعي^(٥)، إلا أنه لم يلقَ تجاوباً من قريش، وكادوا أن يقتلوه، فمنعته الأحابيش، فخلوا سبيله ليعود إلى النبي ﷺ^(٦)، ثم اختار الرسول ﷺ عمر بن الخطاب ليعثته إلى مكة، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فاعتذر عمر عن تلك السفارة قائلاً: إني أخاف قريش على نفسي...، واقترح على الرسول ﷺ أن يبعث عثمان بن عفان ليلبغ قريشاً ما جاء لأجله النبي ﷺ، فشاع بين المسلمين أن عثمان قد قتل، فأحدث ذلك اضطراباً في نفوس المسلمين، فدعا النبي ﷺ المسلمين إلى أن يبايعوه

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٩١.

(٢) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٥٧١.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٩٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٦٢٤.

(٤) الحديبية: اسم بئر تقع على بعد اثنين وعشرين ميلاً إلى الشمال الغربي من مكة. ينظر: ياقوت

الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٢٩.

(٥) خراش بن أمية بن ربيعة بن الفضل بن منقذ بن عفيف الخزاعي، يكنى أبا نضله، شهد غزوة

بني المصطلق، والحديبية، وهو الذي حلق رأس النبي ﷺ في عمرة الحديبية. ينظر: ابن حجر،

الإصابة، ج ١، ص ٤٢١.

(٦) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٩٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ١٣١.

على الثبات معه^(١)، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة^(٢) المذكورة في القرآن قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(٣). وفي غضون ذلك اقتنعت قريش في التفاوض مع النبي ﷺ، وبدا لها أن الصلح أفضل الحلول، فأطلقت عثمان بن عفان، وأرسلت سهيل بن عمرو^(٤) إلى رسول الله ﷺ لعقد الصلح، فدعا النبي ﷺ علي بن أبي طالب (عليه السلام) ليكتب بنود الصلح الذي أطلق عليه تاريخيا ب(صلح الحديبية)، وقد أظهر كل من المندوب القرشي، وممثل رسول الله ﷺ لكتابة الصلح، موقفاً متصلباً، عند تنظيم ديباجة الصلح، وقد ساق لنا أحمد ابن حنبل ذلك الموقف عن طريق البراء بن عازب حيث قال: اعتمر رسول الله ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ قالوا لا نقر بهذا لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً ولكن أنت محمد بن عبد الله، قال أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله، قال لعلي: امح رسول الله، قال علي: والله لا أحوك أبداً، فأخذ النبي ﷺ الكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب مكان رسول الله ﷺ هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله أن لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القراب ولا

(١) ابن هشام، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٩٥؛ الطبري، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٣١.

(٢) وتدعى الشجرة التي تمت بيعة الرضوان تحتها ب(سمرة)، وكانت معروفة إلى زمن عمر بن الخطاب حيث قام بقطعها بزعم انه يخاف أن يتخذها الجهال مكاناً للعبادة أو التبرك. ينظر: السيوطي، الدر المنثور، ج ٦، ص ٧٣.

(٣) سورة الفتح، الآية (١٨).

(٤) سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري، صاحب المريد، وخطيب قريش، وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية، اسلم يوم الفتح، مات بالطاعون في الشام سنة ١٨ هـ. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ٥٨٥-٥٨٧.

يخرج من أهلها أحد إلا من أراد أن يتبعه ولا يمنع أحدا من أصحابه أن يقيم بها، فلما دخلها ومضى الأجل أتوا عليا فقالوا قل لصاحبك فليخرج عنا فقد مضى الأجل فخرج رسول الله ﷺ^(١) وعلى الرغم من إجماع المؤرخين^(٢)، والمحدثين^(٣) على أن كتاب الصلح كان بخط الإمام علي عليه السلام بأمر النبي ﷺ، إلا أن الواقدي^(٤) ينفرد برواية مفادها: فلما حضرت الدواة والصحيفة بعد طول الكلام والمراجعة فيما بين رسول الله ﷺ وسهيل بن عمرو، ولما التأم الأمر وتقارب دعا رسول الله ﷺ رجلا يكتب الكتاب بينهم ودعا أوس بن خولي^(٥)، يكتب فقال سهيل: لا يكتب إلا أحد الرجلين ابن عمك علي أو عثمان بن عفان فأمر النبي ﷺ علياً يكتب...، وإذ تجاوزنا محاولة الواقدي بروايته هذه إعطاء مكانة لعثمان بن عفان وأنه لا يختلف عن الإمام علي عليه السلام في قرابته للنبي ﷺ لأن العرب تعد ابن العم من العشيرة مهما ابتعدت البطون، ولكن الواقدي أراد التأكيد على إمعان قريش في فرض شروطها على النبي ﷺ في صلح الحديبية الذي سيصبح عما قريب فتحاً مبيناً للنبي ﷺ والدعوة الإسلامية، حيث انزل الله تعالى بعد الصلح سورة الفتح، والتي ابتدأها جل وعلا بقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٦).

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٨٨٣٨)، ص ١٣٦٠.

(٢) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣ ص ١٩٦؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ١، ص ٣٤٩-٣٥٠؛
اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ٣٥-٣٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٦٣٦؛ المفيد،
الإرشاد، ص ٩٢-٩٣؛ الطبرسي، إعلام الوري، ج ١، ص ١٩٧.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، ج ٧، ص ٢٦-٢٧؛ مسلم، صحيح مسلم، ج ١٢، ص ٣٤٩؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج ٥، ص ١١١.

(٤) المغازي، ج ٢، ص ٦١٠.

(٥) أوس بن خولي بن عبد الله بن الحارث الأنصاري، الخزرجي، السامي، شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، قيل انه نزل في قبر رسول الله ﷺ مع بني هاشم، توفي بالمدينة في خلافة عثمان بن عفان. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ١، ص ٣٢٠-٣٢١.

(٦) سورة الفتح، الآية (١).

فتح خيبر (٧هـ / ٦٢٨م):

تتطلب دراستنا لسيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في غزوة خيبر بعض الإيضاحات للمرويات التي أوردها أحمد بن حنبل في مسنده، وذلك بعد استعراض كل حديث:

في بداية السنة السابعة للهجرة سار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمسلمين^(١) إلى خيبر^(٢)، سالكاً طريقاً يدعى -مرحب- بعد أن خيّر بين ثلاثة طرق كلها توصل إلى خيبر إلا أن النبي رفض أن يتخذها جميعاً، وذلك لأن أسماءها كانت قبيحة - فالطريق الأول تسمى حزن، والطريق الثاني تسمى شاش، والطريق الثالث تسمى حاطب، فقد عرف رسول الله بحب الفأل الحسن والاسم الحسن^(٣)، وقد ذكر بعض مؤرخي السيرة أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إنما سلك ذلك الطريق لقطع الإمدادات القادمة من جهة الشمال على اليهود^(٤)، وقد عسكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأصحابه قرب حصن ناعم، وقد نهى أصحابه عن القتال، حتى يأذن لهم^(٥)، ويبدو أن النبي يريد أن يدعوهم إلى الإسلام قبل القتال إذ ورد في المسند أن الإمام علياً (عليه السلام) سأل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلاً: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣ ص ٢٠٢؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢ ص ١٠٦؛ البيهقي، تاريخ البيهقي، ج ٢ ص ٣٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣ ص ٩.

(٢) خيبر: مدينة ذات حصون واطام ونخيل وزروع تقع شمال المدينة على بعد ثمانية برد منها لمن يريد الشام. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٩٥.

(٣) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٦٣٩؛ العاملي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ج ١٧، ص ٨٩.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٠٤.

(٥) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٦٤٨.

النعم^(١)، ولما لم يستجيبوا أعطى الأمان لمن لا يشترك في الحرب منهم، فقال ﷺ: من دخل النخل فهو آمن^(٢)، ويكفي الباحثين هذا الحديث للرد على تحركات بعض المستشرقين حول حروب النبي ﷺ^(٣).

أورد أحمد بن حنبل ثلاث روايات بالسند نفسه تشير إلى أن النبي ﷺ قد كلف الإمام علياً عليه السلام بفتح خيبر بعد أن عجز المسلمون عن فتحها، الأولى: عن زيد ابن الحباب، قال حدثني حسين بن واقد، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه: حاصرنا خيبر فأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له ثم أخذه من الغد فخرج فرجع ولم يفتح له وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد، فقال رسول الله ﷺ: إني دافع اللواء غدا إلى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح له، فبتنا طيبة أنفسنا أن الفتح غدا، فلما أن أصبح رسول الله ﷺ صلى الغداة ثم قام قائماً فدعا باللواء والناس على مصافهم فدعا علياً وهو أرمم فتفل في عينيه ودفع إليه اللواء وفتح له، قال بريدة: وأنا فيمن تناول لها^(٤). وقد وافق حديث إعطاء الراية لعلي عليه السلام يوم خيبر الذي أورده ابن حنبل في مسنده ما جاء عند المؤرخين^(٥).

وفي حديث آخر يذكر ابن حنبل عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أنه قال: إن رسول الله ﷺ دفع الراية إلى علي بن أبي طالب يوم خيبر^(٦).

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٣٢٠٩)، ص ١٦٩٣.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٢٦.

(٣) ينظر: الجبري، عبد المتعال محمد، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، الناشر مكتبة وهبة، (القاهرة، د.ت)، ص ١٢٦-١٢٩.

(٤) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٣٣٨١)، ص ١٧٠٧.

(٥) الواقدي، المغازي، ج ٢ ص ٦٥٣-٦٥٤؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣ ص ٢٠٢، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ٣٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ ص ١٢-١٣.

(٦) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٣٣٩٧)، ص ١٧٠٨.

وفي حديث ثالث، ينقل ابن حنبل عن الراوي نفسه قال: لما نزل رسول الله ﷺ بحصن أهل خيبر أعطى رسول الله ﷺ اللواء عمر بن الخطاب ونهض معه من نهض من المسلمين فلقوا أهل خيبر فقال رسول الله ﷺ لأعطين اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فلما كان الغد دعا عليا وهو أرمذ فثقل في عينيه وأعطاه اللواء ونهض الناس معه فلقي أهل خيبر^(١).

فيكيف نوفق بين هذه الأحاديث، للاستدلال على من كان حامل اللواء؟
ولتوضيح ذلك نقول: كانت خيبر مدينة يقطنها اليهود ومؤلفة من ثلاث مناطق، كل منطقة فيها مجموعة من الحصون:
منطقة النطاة: وفيها ثلاثة حصون: حصن ناعم، وحصن الصعب، وحصن قلة أو حصن بقلة جبل.

منطقة الشق: وحصونها: حصن أبي، وحصن البرئ.
منطقة الكتيبة: وفي جبلها ثلاثة حصون هي: حصن القموص، وحصن الوطيح، وحصن السلام أو السلاليم^(٢).

كانت راية رسول الله ﷺ مع الإمام علي (عليه السلام) منذ بداية المعركة، واستطاع الإمام علي (عليه السلام) أن يفتح حصون منطقتي النطاة والشق بعد مدة من الزمن، حيث كان مقاتلو اليهود ينسحبون بعد سقوط أي حصن من حصونهم إلى الحصن الآخر، فلما استولى المسلمون على حصون النطاة والشق، انهزم من سلم من يهود تلك الحصون إلى حصون الكتيبة، التي كان أعظمها حصن القموص، وكان النبي

(١) المصدر نفسه، الحديث (٢٣٤١٩)، ص ١٧١٠.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٩٢؛ العلي، صالح احمد، الحجاز في صدر الإسلام (دراسات في أحواله العمرانية والإدارية)، ط ١، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٩٠م)، ص ٧٨.

عليه السلام قد أبقى الإمام علياً عليه السلام في المناطق التي فتحها - النطاة والشق - لقصد ما في نفس النبي عليه السلام، أو لإداء بعض المهمات^(١)، قد أصاب الإمام علياً عليه السلام الرمد بسبب دخان الحصون المفتوحة لأن اليهود كانوا قد استعملوا ذلك الدخان سلاحاً ليمنعوا المسلمين من التقدم، فقد ورد في مجمع الزوائد، وكنز العمال حديث يشير إلى ذلك: ... وكان علي بن أبي طالب أرمداً من دخان الحصن...^(٢)، الأمر الذي اضطر النبي عليه السلام لأن يعطي الراية إلى وجهاء الصحابة بالتناوب، فمرة يعطيها لأبي بكر، فيفشل في فتح حصن القموص، وأخرى يعطيها لعمر وهو الآخر لم يستطع أن يهزم اليهود، فرجع إلى رسول الله عليه السلام يئس منه أصحابه ويحزنهم^(٣)، فلبث المسلمون قرابة أربعة عشر يوماً يحاصرون ذلك الحصن المنيع، فخشي النبي عليه السلام على عزيمة أصحابه من أن تضعف فدعا علياً عليه السلام، ويذكر ابن حنبل إن النبي عليه السلام أرسل بطلب علي عليه السلام، في حديثين: الأول: إن رسول الله عليه السلام بعث إليّ وأنا أرمداً يوم خيبر...^(٤). والثاني: ... فقال عليه السلام: أين علي بن أبي طالب؟ فقل هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه فأتى به...^(٥)، وقد تواترت الروايات حول بصق النبي عليه السلام في عيني الإمام علي عليه السلام، ثم دعا له بأن يذهب الله عنه الحر

(١) الكوراني، علي، السيرة النبوية برواية أهل البيت - ع -، دار المرتضى، (بيروت، ٢٠٠٩م)، المجلد الثاني، ص ٤٧٦-٤٧٧.

(٢) الهيثمي مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٢٣؛ المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين (ت: ٩٧٥هـ / ١٥٦٧م) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ط ٥، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٨٥م)، ج ١٠ ص ٩٢.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١١-١٢.

(٤) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٣٢٠٩)، ص ١٦٩٣.

(٥) المصدر نفسه، الحديث (٧٧٨)، ص ١٠٣.

(٦) الواقدي، المغازي، ج ٢ ص ٦٥٣ - ٦٥٤؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٠٨؛ البخاري، صحيح البخاري، ج ٤، ص ٤٧؛ النسائي، السنن الكبرى، ج ٥، ص ١٧٣.

والبرد، وقد تضمن المسند حديثين بهذا الصدد، نكتفي بذكر حديث واحد عن وكيع، عن ابن أبي ليلى، عن المنهال، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان أبي يسمر مع علي وكان علي يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف ف قيل له لو سألتَه فسأله فقال: إن رسول الله ﷺ بعث إلي وأنا أرمد العين يوم خيبر، فقلت يا رسول الله إني أرمد العين قال فتفل في عيني، وقال اللهم اذهب عنه الحر والبرد فما وجدت حرا ولا بردا منذ يومئذ وقال: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ليس بفرار، فتشرف لها أصحاب النبي ﷺ فأعطانيها^(١). وقد ردد معظم المحدثين والمؤرخين عبارة -تفل في عينه- وتوحي هذه العبارة أمرين:

الأمر الأول: إن شفاء الإمام علي (عليه السلام) من الرمد، وانتصاره على اليهود وفتحه لخصونهم إنما كان عن طريق المعجزة، ذلك لأن دعاء النبي ﷺ حتمي التحقق، لذلك نلاحظ أن الأحاديث الواردة في وصف شفاء الإمام (عليه السلام)، ونبوءة الرسول ﷺ بأن الذي يعطيه الراية غداً، سيكون على يديه الفتح، تشير إلى أن علياً لم يشتك الحر والبرد منذ أن دعا له النبي ﷺ، وكذلك تدل الروايات على تمنّي كل واحد من أصحاب رسول الله ﷺ لنفسه بأن يكون هو الذي يختاره الرسول ﷺ غداً لحمل الراية، علماً أنهم حملوا الراية قبل ذلك، ولم يفلح كلٌ منهم بالفتح، فتدل تلك الأحاديث على أن الفتح كان هو الآخر إعجازياً، وقد أورد ابن حنبل عدداً من الأحاديث بهذا الصدد، منها:

١- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ يوم خيبر لأدفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله يفتح الله عليه، فقال عمر: فما أحببت الإمارة قبل يومئذ

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٧٧٨)، ص ١٠٣.

فتناولت لها واستشرفت رجاء أن يدفعها إلي فلما كان الغد دعا علياً عليه السلام فدفعها إليه... (١).

٢- عن سهل بن سعد: إن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر لأعطين هذه الراية غدا رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها... (٢).

٣- عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: حاصرنا خيبر فأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له ثم أخذه من الغد فخرج فرجع ولم يفتح له وأصاب الناس يومئذ شدة وجهه، فقال رسول الله ﷺ إني دافع اللواء غدا إلى رجل يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح له فبتنا طيبة أنفسنا إن الفتح غدا فلما أن أصبح رسول الله ﷺ صلى الغداة ثم قام قائماً فدعا باللواء والناس على مصافهم فدعا علياً وهو أرمد فتقل في عينيه ودفع إليه اللواء وفتح له، قال بريدة وأنا فيمن تناول لها (٣).

لا شك أن بركة دعاء النبي ﷺ لها أثرها في الدنيا والآخرة، وكان بالإمكان أن يكون دعاؤه لأحد الصحابة المشاركين في غزوة خيبر قبل أن يدعو علياً عليه السلام، فيكون الفتح على يديه، وينتهي الأمر ولا يحتاج إلى أن يعرض جيشه لاضطراب في صفوفه، كما يروي ابن حنبل عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: حاصرنا خيبر فأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له ثم أخذه من الغد فخرج فرجع ولم يفتح له وأصاب

(١) المصدر نفسه، الحديث (٨٩٧٨)، ص ٦٥٨.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٢٣٢٠٩)، ص ١٦٩٣.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (٢٣٣٨١)، ص ١٧٠٧.

الناس يومئذ شدة وجهه...^(١). ولكن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى وإنما هو وحي يوحى، والحكمة من فعله: أنه ﷺ أراد أن يعرف الصحابة أنهم من دون علي (عليه السلام) لا يستطيعون تحقيق النصر، ويؤكد ذلك الحديث الوارد في مسند أحمد بن حنبل عن أبي سعيد الخدري: إن رسول الله ﷺ أخذ الراية فهزها ثم قال من يأخذها بحقها، فجاء فلان فقال، أنا قال أمت، ثم جاء رجل فقال: أمت، ثم قال: النبي ﷺ: والذي كرم وجهه محمد لأعطينها رجلا لا يفر، هاك يا علي فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بعجوتها وقديدهما^(٢)، في إشارة منه ﷺ إلى شجاعة الإمام علي وثباته على الدين، وتعريفهم أن منبع تلك الشجاعة والثبات هو الحب المتبادل بينه وبين الله تعالى ورسوله ﷺ، وهذا ما يؤكد قوله ﷺ: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ليس بفرار....

الأمر الثاني: إن رسول الله ﷺ إنما بعث ليتمم مكارم الأخلاق، وخلقه العظيم الموصوف في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣)، ينأى به أن يستخدم مع أصحابه، البصق، وبخاصة الإمام علي (عليه السلام)، وإن كان المقصود الشفاء، ولنا أن نقول إن النبي ﷺ سقى عيني الإمام علي (عليه السلام) بريقه المبارك الشريف، فشفيتا، وهذا ما التفت إليه صاحب كتاب الإرشاد، فأبدل عبارة تفل في عينه، بعبارة - تفل النبي ﷺ في يده فمسحها على عينه^(٤).

وفي شأن تعارض الروايات الواردة في مسند أحمد بن حنبل في قاتل مرحب اليهودي، فمرة يذكر إن قاتله علي (عليه السلام)، وأخرى يقول إن الذي قتله محمد بن

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٣٣٨١)، ص ١٧٠٧.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (١١١٣٩)، ص ٧٨٦.

(٣) سورة القلم، الآية (٤).

(٤) مطر، آل بيت النبوة في كتاب الطبري، ص ١٩٥؛ وينظر: المفيد، الإرشاد، ص ٩٦.

مسلمة^(١)، فأَي الروايات اثبت؟ على أن المؤرخين والمحدثين يشتركون مع ابن حنبل في هذا الاختلاف، فابن هشام^(٢) يقول: فضربه محمد بن مسلمة حتى قتله، بينما يجعل الواقدي^(٣) قتل مرحب اليهودي مشتركاً بين محمد بن مسلمة والإمام علي، وهو رأي ينفرد به الواقدي حيث يقول: إن محمد بن مسلمة ضرب ساقي مرحب فقطعها، فقال مرحب أجهز علي يا محمد، فقال محمد: ذق الموت كما ذاقه أخي محمود وجاوزه فمر علي فضرب عنقه وأخذ سلبه فاخصم إلى رسول الله (ﷺ) في سلبه... فأعطى رسول الله (ﷺ) سلبه لمحمد بن مسلمة درعه ومغفرة وبيضته...، فيما يذكر ابن سعد^(٤): إن علي بن أبي طالب عليه السلام فلق رأس مرحب بالسيف وكان الفتح على يديه، وأكد اليعقوبي^(٥) مقتل مرحب على يد الإمام علي عليه السلام قائلاً: وكان القموص من أشدها وأمنعها، وهو الحصن الذي كان فيه مرحب بن الحارث اليهودي. فقال رسول الله: لأدفعن الراية غداً إن شاء الله إلى رجل كرار غير فرار يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، لا ينصرف حتى يفتح الله على يده، فدفعها إلى علي فقتل مرحبا اليهودي واقتلع باب الحصن، وكان حجارة طوله أربع أذرع في عرض ذراعين في سمك ذراع، فرمى به علي بن أبي

(١) هو محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مخدعه بن حارثة بن الحارث الأوسي الأنصاري شهد بدرًا وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وقيل انه هو الذي قتل مرحب اليهودي، وقيل إنه هو الذي استخلفه النبي ﷺ على المدينة في تبوك، وكان صاحب العمال أيام عمر بن الخطاب، وهو الذي أرسله عمر إلى عماله ليأخذ شطر أموالهم لثقتهم به، وقد اعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفان، واتخذ سيفاً من خشب، ولم يناصر الإمام علياً عليه السلام، ومات ابن مسلمة بالمدينة سنة ٤٦ هـ. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ١٠٦ - ١٠٨.

(٢) السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٠٧.

(٣) المغازي، ج ٢، ص ٦٥٤ - ٦٥٥.

(٤) الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١١٢.

(٥) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٥.

طالب خلفه ودخل الحصن ودخله المسلمون، وتبعه ابن الأثير^(١) إذ يقول: انطلق مهرولاً، فركز رايته بين حجرين أمام الحصن، فأشرف عليه رجل من يهود يخطر بسيفه، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا علي بن أبي طالب، فقال اليهودي، غلبتم يا معشر اليهود، فخرج مرحب وهو يقول... فاختلفا ضربتين فبدره علي فضربه فقدّ الجحفة والمغفرة ورأسه، وشقه نصفين حتى وصل السيف إلى أضراسه، فوقع على الأرض، وكان لضربه دوي كدوي الصاعقة، فلما رأت اليهود ما صنع بفارسهم ولّوا هاربين، وكان الفتح على يديه، ونقل كل من البخاري^(٢) والبيهقي^(٣) روايات تذكر مقتل مرحب على يد الإمام علي (عليه السلام)، وأخرى تقول أن مقتله كان بواسطة محمد بن مسلمة، دون أن يقولوا من قاتله الحقيقي، كما فعل ابن حنبل، ومن جملة الأحاديث الدالة على ذلك التضارب في المسند:

حدثنا حسين بن الحسن الأشقر، حدثني ابن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن جده، عن علي (عليه السلام) قال: لما قتلت مرحبا جئت برأسه إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٤).

حدثنا أبو النضر قال: حدثنا عكرمة قال: حدثني إياس بن سلمة قال أخبرني أبي قال: بارز عمي يوم خيبر مرحب اليهودي فقال مرحب:

قد علمت خيراني مرحب

شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

(١) الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٠١-١٠٢.

(٢) صحيح البخاري، ج ٤، ص ٤٧.

(٣) السنن الكبرى، ج ٩، ص ٢٢١-٢٢٢.

(٤) ابن حنبل، مسند، الحديث (٨٨٨)، ص ١١٢.

فقال عمي عامر :

قد علمت خير أني عامر شاكي السلاح بطل مغامر

فاختلفا ضربتين فوق سيف مرحب في ترس عامر وذهب يسفل له فرجع
السيف على ساقه قطع أكحله فكانت فيها نفسه، قال سلمة بن الأكوع لقيت
ناسا من صحابة النبي ﷺ فقالوا بطل عمل عامر قتل نفسه قال سلمة فجئت
إلى نبي الله ﷺ أبكي قلت يا رسول الله بطل عمل عامر؟ قال: من قال ذاك؟
قلت ناس من أصحابك، فقال رسول الله ﷺ: كذب من قال ذاك بل له أجره
مرتين انه حين خرج إلى خيبر جعل يرجز بأصحاب رسول الله ﷺ وفيهم النبي
ﷺ يسوق الركاب وهو يقول:

تالله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
إن الذين قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا
ونحن عن فضلك ما استغنيا فثبت الأقدام إن لاقينا
وانزلن سكينه علينا

فقال رسول الله ﷺ من هذا؟ قال عامر يا رسول الله، قال غفر لك ربك،
قال وما استغفر لإنسان قط يخصه إلا استشهد فلما سمع ذلك عمر بن الخطاب
قال يا رسول الله لو متعتنا بعامر، فقدم فاستشهد قال سلمة ثم إن نبي الله صلى
الله عليه وسلم أرسلني إلى علي فقال لأعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله
أو يحبه الله ورسوله قال فجئت به أقوده أرمد فبصق نبي الله ﷺ في عينه ثم
أعطاه الراية فخرج مرحب يخطر بسيفه فقال:

قد علمت خير أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي بن أبي طالب - (عليه السلام) :-

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كره المنظرة

أوفيهما بالصاع كيل السندرة

ففلق رأس مرحب بالسيف وكان الفتح على يديه^(١).

حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن ميمون، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه بريدة الأسلمي قال: لما نزل رسول الله ﷺ بحصن أهل خيبر أعطى رسول الله ﷺ اللواء عمر بن الخطاب ونهض معه من نهض من المسلمين فلقوا أهل خيبر فقال رسول الله ﷺ لأعطين اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما كان الغد دعا عليا وهو أرمد فتفل في عينيه وأعطاه اللواء ونهض الناس معه فلقي أهل خيبر وإذا مرحب يرتجز بين أيديهم وهو يقول:

قد علمت خير أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

أطعن أحيانا وأحيانا أضرب إذ الليوث أقبلت تلهب

قال فاختلف هو وعلي ضربتين فضربه على هامته حتى عض السيف منها بأضراسه وسمع أهل العسكر صوت ضربته، قال وما تمام آخر الناس مع علي

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٦٦٥٣)، ص ١١٧٩.

حتى فتح له ولهم^(١).

فيما يورد ابن حنبل حديثاً عن يعقوب عن أبيه عن ابن اسحاق قال:
فحدثني عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال:
خرج مرحب اليهودي من حصنهم قد جمع سلاحه يرتجز ويقول:

قد علمت خيراني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذا الليوث أقبلت تلهب

كانَ حمای الحمی لا یقرب

وهو يقول من مبارز؟ فقال رسول الله ﷺ من لهذا؟ فقال محمد بن مسلمة
أنا له يا رسول الله وأنا والله المأثور الثائر قتلوا أخي بالأمس، قال: فقم إليه اللهم
أعنه عليه فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عمرية من شجر
العشر فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه كلما لاذ بها منه اقتطع بسيفه ما دونه
حتى برز كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها فنن ثم
حمل مرحب على محمد فضربه فاتقى بالدرقة فوق سيفه فيها فعضت به فأمسكته
وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله^(٢).

هناك من الدلائل والقرائن ما يرد على من يقول إن قاتل مرحب اليهودي
هو محمد بن مسلمة، أهمها:

لو كان لمحمد بن مسلمة القدرة على قتل مرحب اليهودي، فما الداعي إلى
أن يصرح النبي ﷺ بأنه سيدفع الراية لرجل يحبه الله ورسوله فيكون الفتح على

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٣٤١٩)، ص ١٧١٠.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (١٥٢٠١)، ص ١٠٥٦-١٠٥٧.

يديه، فالمشكلة ليس بالحصن، إنما بالمقاتلين اليهود الذين تركزوا أمام الحصن وعلى رأسهم مرحب اليهودي.

من المؤكد أن محمد بن مسلمة لم يكن قاتل مرحب اليهودي إنما ادعى البعض ذلك بقرينة مطالبة بسلبه تعويضاً لمقتل أخيه، وإلا أين كان ابن مسلمة حين استعصى يهود خيبر على المسلمين طوال أربعة عشر يوماً، لماذا لم يقدم على مبارزة مرحب في تلك المدة، وهي فترة كافية لأن يختبر جميع الصحابة قدراتهم أمام الرسول ﷺ كي ينالوا وسام التشريف، كما ناله علي (عليه السلام).

تظهر الروايات وبصورة جلية أن الإمام علياً (عليه السلام) إنما أعطاه النبي ﷺ الراية لثلاثة أمور: حب الله ورسوله له، ولحبه لهم، ولأنه غير فرار، أما محمد بن مسلمة إذا سلمنا بإعطائه الإذن بمبارزة مرحب ثأراً لأخيه - محمود بن مسلمة - الذي قتل عند حصن ناعم على اثر سقوط رحي عليه من إحدى اليهوديات^(١)، وشتان بين من يقاتل ثأراً لأخيه، ومن يقاتل ثأراً لله ورسوله.

إن الاستدلال الذي قدمه البعض ليثبت إن قاتل مرحب هو محمد بن مسلمة، وهو تنازعه على سلب مرحب مع علي بن أبي طالب (عليه السلام)، في محضر الرسول ﷺ، وأن النبي ﷺ قد نفعه لمحمد بن مسلمة، لا ينطبق على شخصية الإمام علي (عليه السلام) فإنه ترك سلب عمرو بن ود يوم الخندق وهو أغلى وأنفس من سلب مرحب، ثم من يقاتل في سبيل الله ورسوله، لا يمد عينيه إلى ما هو أدنى، بيد أن الله ورسوله أكرما عليا وفاطمة بأن منحوهم فدكاً فكانت منحة تتلاءم ودور الإمام علي (عليه السلام) في خيبر، على أن أدب الإمام وخلقه لا يسمحان له أن يتجادل أمام رسول الله ﷺ على سلب.

(١) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٦٥٧.

بعد استعراض ما جاء في مسند أحمد بن حنبل من روايات تناولت أحداث غزوة خيبر نستطيع القول بأنه انساق مع أهواء الرواة الواقعة تحت تأثير السلطة السياسية، فنقل رواياتهم بدون تمحيص أو ترجيح بقصدية جمع الأحاديث ولو على حساب الحقيقة شأنه شأن الآخرين من المحدثين الذين تعمدوا تغيير الألفاظ، واختصار الحديث الصحيح، أو تقطيعه وتوزيعه في أماكن متفرقة، والدليل على ذلك الحديث الذي أورده ابن الأثير^(١) وبالسند نفسه الذي رواه ابن حنبل، إذ يقول: لما كان يوم خيبر أخذ أبو بكر اللواء فلما كان من الغد أخذه عمر، وقيل محمد بن مسلمة، فقال رسول الله ﷺ: لأدفعن لوائي إلى رجل لم يرجع حتى يفتح الله عليه، فصلى رسول الله صلاة الغداة، ثم دعا باللواء، فدعا علياً وهو يشتكي عينيه فمسحهما ثم دفع اللواء، ففتح، قال: سمعت عبد الله بن بريدة يقول: حدثني أبي أن علياً كان قاتل مرحب.

فتح مكة (٨٠هـ / ٦٢٩م):

ذكر ابن حنبل دورين جهاديين للإمام علي عليه السلام: الأول: دوره عليه السلام في استعادة كتاب حاطب بن أبي بلتعة^(٢)، فقد جاء في المسند روايتان عن بعث النبي ﷺ الإمام علياً عليه السلام لهذه المهمة:

(١) أسد الغابة، ج ٤، ص ٩٤.

(٢) حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة اللخمي، حليف بني أسد، شهد بدرًا والحديبية، وهو الذي أرسل كتاباً إلى قريش يعلمهم بأمر مسير الرسول ﷺ إليهم بجيشه من دون قصد النفاق، فقد شهد الله تعالى له بالإيمان في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ. (سورة الممتحنة: الآية ١، وصدقته النبي ﷺ لما قدم اعتذاره وتبريره لما فعله، وكان رسول الله ﷺ قد أرسله إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، فقال له: انك حكيم جاء من عند حكيم، توفي حاطب سنة ٣٠ هـ. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ١، ص ٦٦٠-٦٦١.

الرواية الأولى: رواها عن سفيان، عن عمرو قال: أخبرني حسن بن محمد بن علي قال: أخبرني عبيد الله بن أبي رافع: أنه سمع علياً (عليه السلام) يقول: بعثني رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ^(١) فإن بها ظعينة^(٢) معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة فقلنا أخرجي الكتاب، قالت ما معي من كتاب، قلنا لتخرجن الكتاب أو لنقلبن الثياب، قال: فأخرجت الكتاب من عقاصها^(٣) فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا حاطب ما هذا؟ قال: لا تعجل علي إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسها وكان من كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهلهم بمكة فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتحذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنه قد صدقكم، فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: إنه قد شهد بدرًا وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم^(٤).

الرواية الثانية: رواها عن عفان بن مسلم، عن أبي عوانة، عن حصين قال: حدثني سعد بن عبيدة قال: تنازع أبو عبد الرحمن السلمي وحبان بن عطية فقال أبو

(١) روضة خاخ: موضع بين الحرمين بقرب حمراء الأسد من المدينة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٨٢.

(٢) ظعينة: المرأة في اليهود، سميت به على حد تسمية الشيء باسم الشيء لقربه منه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٢٧٤٨.

(٣) عقاصها: أي ضفائرها، وعقاص جمع عقصة وهو الخيط الذي تعقص به أطراف الذوائب. ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص ١٨٧.

(٤) ابن حنبل، مسند، الحديث (٦٠٠)، ص ٨٩.

عبد الرحمن لحبان قد علمت ما الذي جرأ صاحبك يعني علياً عليه السلام، قال: فما هو لا أباك؟ قال: قول سمعته من علي عليه السلام يقوله قال: بعثني رسول الله ﷺ والزبير وأبا مرثد وكلنا فارس قال انطلقوا حتى تبلغوا روضة خاخ فإن فيها امرأة معها صحيفة من حاطب ابن أبي بلتعة إلى المشركين فأتوني بها فانطلقنا على أفراسنا حتى أدركناهما، حيث قال لنا رسول الله ﷺ تسير على بعير لها قال: وكان كتب إلى أهل مكة بمسير رسول الله ﷺ فقلنا لها أين الكتاب الذي معك؟ قالت ما معي كتاب فأنخنا بها بعيرها فابتغينا في رحلها فلم نجد فيه شيئاً، فقال صاحبائي ما نرى معها كتاباً، فقلت لقد علمتما ما كذب رسول الله ﷺ، ثم حلفت والذي أحلف به لئن لم تخرجي الكتاب لأجر دنك فأهوت إلى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجت الصحيفة فأتوا بها رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله: قد خان الله ورسوله والمؤمنين دعني أضرب عنقه، قال علي عليه السلام: يا حاطب ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رسول الله والله ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله ولكنني أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي ولم يكن أحد من أصحابك إلا له هناك من قومه من يدفع الله تعالى به عن أهله وماله قال: صدقت فلا تقولوا له إلا خيراً، فقال عمر: يا رسول الله إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين دعني أضرب عنقه، قال: أو ليس من أهل بدر وما يدريك لعل الله عز وجل اطلع عليهم فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة فاغرو رقت عينا عمر وقال: الله تعالى ورسوله أعلم^(١).

ذكر أحمد بن حنبل في الرواية الأولى أن النبي ﷺ بعث علياً والزبير والمقداد، ويتفق في أسماء المبعوثين من قبل الرسول ﷺ مع البخاري^(٢)، والترمذي^(٣)، بينما

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٨٢٧)، ص ١٠٧.

(٢) صحيح البخاري، ج ٤، ص ٧٣.

(٣) السنن، ج ٥، ص ٣٨١.

يختلف مع ما جاء عند المؤرخين، فالواقدي^(١)، وابن هشام^(٢)، واليعقوبي^(٣)، والطبري^(٤)، يذكرون أن علياً (عليه السلام) والزبير فقط هم الذين أرسلهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لاستعادة كتاب حاطب بن أبي بلتعة من المرأة التي أرسله معها، بينما يذكر ابن سعد^(٥)، أن المرسلين لهذه المهمة هما علي (عليه السلام) والمقداد فقط، فيما انفرد أحمد بن حنبل في الرواية الثانية، حيث تشير إلى ما يميز الإمام علي (عليه السلام) عن غيره من الصحابة وهو إيمانه وتصديقه المطلق برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالإضافة إلى ما يمتلك من الأساليب المؤثرة في كشف الحقائق التي يحاول الآخرون إخفاءها، الأمر الذي جعله مميزاً في القضاء فخلقه (عليه السلام) الذي عرفناه عنه لا يسمح له بالنظر إلى عورات ألد أعدائه في الحرب فكيف يقوم بما يخالف الشريعة التي تصون حجاب المرأة إلا أنه (عليه السلام) أراد فقط انتزاع الكتاب منها بطريقة الاستفزاز القولي لا الفعلي، كما تفرد ابن حنبل في هذه الرواية بأن جعل الرفيق الثالث للإمام علي والزبير هو أبو مرثد، وهذا الأخير لم تذكره المصادر الأخرى.

الثاني: دوره (عليه السلام) في ملاحقة من أهدر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دمه: إذ يورد أحمد بن حنبل في مسنده روايتين يبرز بهما مكانة آل أبي طالب عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رجالهم ونسائهم على حد سواء، وكذلك تظهر مدى حرص الإمام علي (عليه السلام) على تطبيق أحكام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتنفيذ أوامره. الأولى: حدثنا وكيع قال: حدثنا ابن أبي ذئب، عن سعيد ابن أبي سعيد المقبري، عن أبي مرة مولى فاختة أم هانئ عن فاختة أم هانئ بنت

(١) المغازي، ج ٢، ص ٧٩٧.

(٢) السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٨-٤٠.

(٤) تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٨-٤٩.

(٥) الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٦٧.

أبي طالب قالت: لما كان يوم فتح مكة أجزت رجلين من أحمائي فأدخلتهما بيتا وأغلقت عليهما بابا فجاء ابن أُمي علي بن أبي طالب فتغلّت عليهما بالسيف، قالت: فأتيت النبي ﷺ فلم أجده ووجدت فاطمة فكانت أشد عليّ من زوجها قالت فجاء النبي ﷺ وعليه أثر الغبار فأخبرته فقال: يا أم هانئ قد أجرنا من أجزت وأمنا من أمنت^(١).

الثانية: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن مالك، عن أبي النضر، عن أبي مرة مولى عقيل بن أبي طالب عن أم هانئ أنها: ذهبت إلى النبي ﷺ يوم الفتح قالت فوجدته يغتسل وفاطمة تستره بثوب فسلمت وذلك ضحى فقال: من هذا؟ فقلت: أنا أم هانئ، قلت يا رسول الله زعم ابن أُمي أنه قاتل رجلا أجرته فلان ابن هبيرة، فقال رسول الله ﷺ قد أجرنا من أجزت يا أم هانئ^(٢).

على الرغم من أن النبي ﷺ أظهر من الحرص الشديد على أن لا تهتك حرمة البيت الحرام، فقد عهد إلى المسلمين ألا يقتلوا بمكة إلا من يقاتلهم^(٣)، كما أصدر عفواً عاماً عن المشركين^(٤)، إلا أنه عليه السلام أهدر دم نفر من قريش ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة؛ لأنهم كانوا يؤذون النبي ﷺ، أو من الذين ارتدوا عن الإسلام^(٥)، فقد روى ابن حنبل^(٦) عن أنس بن مالك قوله: (دخل رسول الله ﷺ مكة يوم

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٧٤٤٥)، ص ٢٠٠٠.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٢٧٤٤٦)، ص ٢٠٠١.

(٣) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٨٢٤؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٥٦.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٩٨؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ١، ص ٣٥٧.

(٥) اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٥٤-٥٥.

(٦) مسند، الحديث (١٢٧١١)، ص ٨٩٤.

الفتح وعليه المغفر، فجاء رجل فقال: هذا ابن خطل^(١) متعلق بأستار الكعبة، فقال رسول الله ﷺ: اقتلوه). ولم يسم أحمد بن حنبل أحداً من الرهط الذين أمر النبي ﷺ بقتلهم يوم فتح مكة سوى ابن خطل، ولعل ابن حنبل لم يذكر الأسماء لأن رواته تعمدوا إغفالها مجاملة لبني أمية، فيما ذكر المؤرخون بعض أسمائهم^(٢).

كان علي (عليه السلام) من المسارعين في تطبيق أوامر النبي ﷺ بإنزال القصاص العادل بهؤلاء النفر الضال، فطاردهم فقتل بعضاً منهم، وفر آخرون، ولما بلغه أن أخته أم هانئ^(٣) قد أجارت رجلين منهم، أو رجلاً واحداً كما تذكر الرواية الثانية لابن حنبل، قصد الإمام (عليه السلام) دارها فنادى: أخرجوا من آويتهم، فخرجت أم هانئ وهي لا تعرفه، لأنه كان مقنعاً بالحديد، فقالت له يا عبد الله، أنا أم هانئ بنت عم رسول الله ﷺ، وأخت علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فانصرف عن داري^(٤)، فقال علي (عليه السلام): أخرجيهم، فقالت أم هانئ: والله لأشكونك إلى رسول الله ﷺ، فنزع الإمام علي (عليه السلام) المغفر عن رأسه، فعرفته، فأمسكت بساعده لتمنعه من الدخول إلى دارها، ويعجب النبي ﷺ في موقف أم هانئ فيقول: لله در أبي طالب، لو أولد الناس كلهم، كانوا

(١) عبد الله بن هلال بن خطل صاحب القيتين (فرتا وقريبة) وقيل أنها (فرتا وأرنبة) اللتان كانتا يتغنيان بهجاء النبي ﷺ، قتله سعيد بن الحرث وهو متعلق بأستار الكعبة، وقتل الإمام علي إحدى القيتين، وأفلتت الأخرى. ينظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٢٥.

(٢) ينظر: الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٨٢٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٥٨-٥٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢، ص ٣٤٠-٣٤٢.

(٣) هي أم هانئ بنت أبي طالب بن عبد المطلب القرشية الهاشمية بنت عم النبي (ﷺ) وأخت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وقد اختلف في اسمها فقيل هند وقيل فاطمة وقيل فاختة، كانت تحت هيرة بن أبي وهب المخزومي وقيل أنها أسلمت عام الفتح. (ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة

الأصحاب، ج ٤، ص ٥١٧-٥١٨؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج ٧، ص ٤٠٥.

(٤) المفيد، الإرشاد، ص ١٠٤-١٠٥.

شجعانا^(١)، ثم أن رسول الله ﷺ قال لأُم هانئ: اذهبي فبري بقسمك فإن رسول الله ﷺ بأعلى الوادي^(٢)، وقد أجمعت المصادر الحديثية^(٣) والتاريخية^(٤) على ذكر حادثة إجارة أم هانئ وبالأسانيد نفسها التي أوردها أحمد بن حنبل في مسنده.

ولا تخلو الروايتان اللتان أوردهما ابن حنبل من إشكالية، لأنهما تشيران إلى عدم معرفة الإمام علي وكذلك السيدة الزهراء - عليهما السلام - بالإجارة!

غزوة حنين^(٥) (٦٢٩هـ / ٦٢٩م):

وصف أحمد بن حنبل يوم حنين والثابتين مع رسول الله ﷺ في رواية عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر ابن عبد الله الأنصاري يقول: لما استقبلنا وادي حنين، قال: انحدرنا في وادٍ من أودية تهامة، وفي عماية الصبح وقد كان القوم كمنوا لنا في شعابه وفي أجنابه ومضايقه قد أجمعوا وتهيؤوا وأعدوا، قال: فو الله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدت علينا شدة رجل واحد وانهمزم الناس راجعين فاستمروا لا يلوي أحد منهم على أحد وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، ثم قال: إلي أيها الناس هلم إلي أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله، قال: فلا شيء احتملت الإبل بعضها بعضا فانطلق الناس

(١) الأربلي، كشف الغمة، ج ٢، ص ٢٣٥.

(٢) الطبرسي، إعلام الوري، ج ١، ص ٢٢٣.

(٣) الصنعاني، المصنف، ج ٥، ص ٢٢٣؛ البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ١٥٢-١٥٣؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج ٩، ص ١٦١.

(٤) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٨٢٩-٨٣٠؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٥٨؛ ابن سعد الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٤٤؛ يعقوبي، تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٣٠.

(٥) حنين: واد قبل الطائف، وقيل واد بجنب ذي المجاز، وقال الواقدي بينه وبين مكة ثلاث ليال، وقيل بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣١٣.

إلا أن مع رسول الله ﷺ رهطاً من المهاجرين والأنصار وأهل بيته غير كثير وفيمن ثبت معه ﷺ أبو بكر وعمر ومن أهل بيته علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وابنه الفضل بن عباس وأبو سفیان بن الحارث وربيعه بن الحارث وأيمن بن عبيد وهو ابن أم أيمن وأسامة بن زيد، قال: ورجل من هوازن على جمل له أحمر في يده راية له سوداء في رأس رمح طويل له أمام الناس وهوازن خلفه فإذا أدرك طعن برمحهم وإذا فاتته الناس رفعه لمن وراءه فاتبعوه، قال: بينا ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جملة ذلك يصنع ما يصنع، إذ هوى له علي بن أبي طالب ورجل من الأنصار يريدانه، قال: فيأتيه علي من خلفه فضرب عرقوبي الجمل فوق على عجزه ووثب الأنصاري على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه فانعجف عن رحله واجتلد الناس، فو الله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسرى مكتفين عند رسول الله ﷺ^(١).

بلغ رسول الله ﷺ وهو بمكة^(٢)، أن هوازن قد جمعت بحنين جمعاً كثيراً، فخرج إليهم رسول الله ﷺ في جيش عظيم عدته اثنا عشر ألفاً: عشرة آلاف أصحابه الذين فتح بهم مكة وألفان من أهل مكة ممن أسلم طوعاً وكرهاً^(٣)، فأعجبت المسلمين كثرتهم، وقال بعضهم: ما نؤتى من قلة، فكره رسول الله ﷺ ذلك من

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٥٠٩١)، ص ١٠٥٠.

(٢) لما سمع نبي الله ﷺ بتحركات هوازن بعث أحد أصحابه ليأتي بخبرهم، فدخل فيهم وعلم ما أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ، فعاد وأخبر النبي ﷺ بأمر هوازن، ولكن عمر كذب مبعوث النبي ﷺ، فرد عليه قائلاً: إن كذبتني فربما كذبت بالحق يا عمر، فقد كذبت من هو خير مني، فقال رسول الله ﷺ: قد كنت ضالاً فهداك الله يا عمر. ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٧٥-٢٧٦.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٧٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٦٢.

قولهم^(١)، وكانت هوازن قد كمنت في الوادي، فخرجوا على المسلمين. وكان يوماً عظيماً الخطب وانهمزم المسلمون عن رسول الله ﷺ كما يشير الحديث الوارد في مسند أحمد بن حنبل إذ يقول: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء وسأله رجل من قيس، فقال: أفرتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال البراء: ولكن رسول الله ﷺ لم يفر كانت هوازن ناساً رماة وأنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكبنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهم ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان بن الحارث أخذ بلجامها وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾^(٢) ولم يبق مع نبي الله ﷺ إلا تسعة نفر كلهم من بني هاشم^(٣) إلا أن أحمد بن حنبل في روايته ادخل بعض المهاجرين والأنصار ضمن الثابتين التسعة مع رسول الله ﷺ لاعتبارات سياسية.

وقد أبدى بعض الطلقاء والمؤلفة قلوبهم ما كان في نفسه لما هزم المسلمين أول الأمر، فقال أبو سفيان: لا تنتهي والله هزيمتهم دون البحر، وقال آخر: اليوم بطل السحر، وقال ثالث: اليوم أقتل محمداً^(٤).

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٧٨؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٨.

(٢) سورة التوبة، الآية (٢٥).

(٣) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩٠٨؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤١؛ المفيد، الإرشاد، ١٠٧؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ١٣٢-١٣٣.

(٤) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩٠٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٧٨؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٧٥.

فكان لا بد من عمل سريع، وتصرف حاسم من النبي ﷺ، فنظر إلى حامل راية هوازن، حيث كان يقتحم المسلمون بفرسه وهو رافع الراية ويمسك برمح طويل ومن ورائه مقاتلو هوازن وثقيف، وهنا يرفع النبي ﷺ أصبعه مشيراً إلى حامل الراية، فيفهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) مقصد النبي ﷺ وإشارته ليهوي بسيفه على عقب فرسه فيسقط من عليها وتسقط الراية، وترتبك هوازن، ويترك الإمام علي (عليه السلام) مسألة قتل فارس هوازن إلى غيره^(١) إذ كان مشغولاً بما هو أهم، ألا وهو حماية النبي ﷺ والذب عنه، فكانت بداية هزيمتهم^(٢). ثم يلتفت النبي ﷺ إلى العباس بن عبد المطلب الذي كان يمسك بزمام راحلة النبي ﷺ فيقول له: نادِ بأعلى صوتك - حيث كان العباس جهوري الصوت - يا للأنصار، يا أهل بيعة الرضوان، فأقبلوا يقولون: يا لبيك يا لبيك، فحملوا على المشركين^(٣)، فأشرف رسول الله ﷺ فنظر إلى قتالهم فقال: الآن حمي الوطيس، ثم قال (عليه السلام): واقتتل الناس قتالاً شديداً، وفتح الله على نبيه ﷺ وأيده بجنود من الملائكة، ومضى علي بن أبي طالب يضرب أعناق الكفار مع من كان معه فقتل من هوازن خلق عظيم، وسبي منها سبايا كثيرة، وبلغت عدتهم ألف فارس وبلغت الغنائم اثني عشر ألف ناقة سوى الأسلاب^(٤).

(١) والخبر متواتر عند أهل السير والمغازي التي لم تصرح باسم الأنصاري الذي أجهز على فارس هوازن، بعدما عقر الإمام علي جملة، فهل خفي اسم ذلك الرجل الأنصاري على الراوي؟ أم أن هذه عادة الرواة إما أن يسلبوا فضائل الإمام وينسبونها إلى غيره، أو يجعلو معه شخصاً آخر يشاركه المناقب؟ الله اعلم. ينظر: النصر الله، فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) المنسوبة لغيره ص ١٤٤.

(٢) القمني، حروب دولة الرسول ﷺ، ص ٥٠٥.

(٣) الواقدي، المغازي، ج ٢، ٨٩٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٧٩؛ ابن سعد الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٥١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٧٦.

(٤) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩٠١؛ ابن سعد الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١١٥؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٩؛ البخاري، صحيح البخاري، ج ٤، ص ٢٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٣٧.

ويتفق بعض المؤرخين مع أحمد بن حنبل في ذكر من ثبت مع النبي يوم حنين من المهاجرين والأنصار^(١)، فالواقدي^(٢) يقول: وبقي رسول الله ﷺ في نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته، أما ابن هشام^(٣) فلم يذكر للأنصار ثباتاً مع النبي ﷺ، وإنما ذكر من ثبت فقط من المهاجرين وأهل بيت النبي ﷺ، وتبعه ابن كثير^(٤)، وابن القيم الجوزية^(٥)، فيما جاء الطبري^(٦) برواية مطابقة تماماً لرواية أحمد بن حنبل، والجدير بالذكر أن السهيلي^(٧) عدّ من ثبت مع النبي ﷺ ثمانية نفر فقط، ثم راح يبرر للمهاجرين من المعركة قائلاً: إن قيل: كيف فر أصحاب رسول الله ﷺ عنه حتى لم يبق معه إلا ثمانية، والفرار من الزحف من الكبائر، وقد أنزل الله تعالى فيه من الوعيد ما أنزل؟ قلنا: لم يجمع العلماء على أنه من الكبائر إلا في يوم بدر، أما يوم أحد وحنين، فقد عفا الله تعالى عنهم، وغفر لهم، ثم إن المنهزمين عنه يوم حنين قد رجعوا لحينهم، وقاتلوا مع النبي ﷺ حتى فتح الله عليهم، وأما القمني^(٨) فقد نسب، قول أحدهم: (لن نغلب اليوم من قلة) إلى رسول الله ﷺ

(١) يختلف بعض المؤرخين مع ابن حنبل في قوله: فانطلق الناس إلا أن مع رسول الله ﷺ رهطاً من المهاجرين والأنصار وأهل بيته غير كثير، فبعض المؤرخين لم يذكر -المهاجرين والأنصار- إنما قالوا لم يثبت معه إلا تسعة من أهل بيته. ينظر: يعقوبي، تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٢٨؛ المفيد، الإرشاد، ص ١٠٧؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ١٣٢.

(٢) المغازي، ج ٣ ص ٩٠٠.

(٣) السيرة النبوية، ج ٣ ص ٢٧٧.

(٤) البداية والنهاية، ج ٤، ص ٣٧٣.

(٥) زاد المعاد، ج ٣، ص ٤٦٨ - ٤٦٩.

(٦) تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٧٦.

(٧) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م): الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن الوكيل، دار النصر للطباعة، (القاهرة، ١٩٧٩ م)، ج ٣، ص ٤٠١. بتصرف من الباحث.

(٨) حروب دولة الرسول ﷺ، ص ٥٠٠ - ٥٠٥.

ليحول عجب أصحابه بكثرتهم إلى ثقة النبي ﷺ بجنده الذين أعطاهم صفة -جند الله-، ولم يلبث القمني طويلاً حتى ناقض نفسه بقوله: (وبعد كل ذلك التواصل بين الأرض والسماء، وكل الآيات التي تتحدث عن الجنة وعن النار، تفر الكثرة أمام القلة...). وينفي صمود أحد من المسلمين مع النبي ﷺ ويرى انه ﷺ بقي وحده، ثم اجتمع إليه ثمانية من أهل بيته لا لإيمانهم بالقضية المحمدية بل اجتمعوا بسبب رابطة الدم! حيث يقول: (ويصمد القائد العظيم وحده، ويهرب المؤمنون فراراً من الموت، ولا يبقى من القضية كلها والشعارات جميعاً عن جنة الشهداء ونار الكافرين، سوى رابطة الدم وحدها).

لقد أغفل أحمد بن حنبل دور الإمام علي (عليه السلام) في معركة حنين ولم يذكر له سوى قتله لصاحب راية هوازن، بقوله: (فيأتيه علي (عليه السلام) من خلفه فضرب عرقوبي الجمل فوق علي عجزه ووثب الأنصاري على الرجل فضربه)^(١)، والإمام علي (عليه السلام) كما هو معروف عنه لا يقتل أحداً من الخلف، ثم يجعل معه شريكاً ساعده في قتله، وقد حذا بعض المحدثين^(٢) والمؤرخين^(٣) حذوه!

وعن ذلك الدور البطولي يروي الأربلي^(٤) عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: قتل علي بن أبي طالب (عليه السلام) بيده يوم حنين أربعين رجلاً. وروى أبو يعلى^(٥) بسنده عن

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٥٠٩١)، ص ١٠٥٠.

(٢) الصنعاني، المصنف، ج ٥، ص ٢٠١-٢٠٢؛ البخاري، صحيح البخاري، ج ٤، ص ٢٩-٣٠؛ مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٤٠؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج ٩، ص ١٣٩-١٤٠.

(٣) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٨٩٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٧٩؛ ابن سعد الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٥١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٧٦.

(٤) كشف الغمة، ج ٢، ص ٨٣.

(٥) أحمد بن علي التميمي: (ت: ٣٠٧هـ / ٩١٩م): مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين بن سليم، ط ١، دار المأمون للتراث، (دمشق، ١٩٨٤م)، ج ٣، ص ٤٤٣.

انس بن مالك قوله: (كان علي بن أبي طالب عليه السلام يوم حنين أشد الناس قتالا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله).

غزوة تبوك^(١) (١٤٩هـ/٦٣٠م):

أورد أحمد بن حنبل في مسنده أربع روايات عن منزلة الإمام علي عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله:

الأولى: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا سليمان بن بلال حدثنا الجعيد ابن عبد الرحمن عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص عن أبيها: إن عليا رضي الله عنه خرج مع النبي صلى الله عليه وآله حتى جاء ثنية الوداع وعلي عليه السلام يبكي يقول تخلفني مع الخوالم؟ فقال أو ما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة^(٢).

الثانية: حدثنا عفان، حدثنا حماد، أنبأنا علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال: قلت لسعد بن مالك إني أريد أن أسألك عن حديث وأنا أهابك إن أسألك عنه، فقال: لا تفعل يا بن أخي إذا علمت أن عندي علما فسلني عنه ولا تهني، قال: فقلت قول رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام حين خلفه بالمدينة في غزوة تبوك، فقال سعد: خلف النبي صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام بالمدينة في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله أتخلفني في الخالفة في النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، قال: بلى يا رسول الله، قال: فأدبر علي مسرعا كأني أنظر إلى غبار قدميه يسطع^(٣).

الثالثة: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن قتادة، وعلي بن زيد بن جدعان،

(١) تبوك: موضع بين وادي القرى والشام. بنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٤.

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٤٦٣)، ص ١٥٥.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (١٤٩٠)، ص ١٥٧.

قالا: حدثنا ابن المسيب قال: حدثني ابن سعد بن مالك عن أبيه، قال دخلت على سعد فقلت له: حديثا حدثني عنك حين استخلف رسول الله ﷺ عليا (عليه السلام) على المدينة، قال: فغضب، فقال: من حدثك به؟ فكرهت أن أخبره أن ابنه حدثني فيغضب عليه، ثم قال: إن رسول الله ﷺ حين خرج في غزوة تبوك استخلف عليا (عليه السلام) على المدينة فقال علي: يا رسول الله ما كنت أحب أن تخرج وجهي إلا وأنا معك، فقال ﷺ: أو ما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي^(١).

الرابعة: حدثنا شاذان أسود بن عامر، حدثنا شريك، عن عبد الله بن محمد ابن عقيل، عن جابر بن عبد الله قال لما أراد رسول الله ﷺ أن يخلف عليا (عليه السلام) قال له علي ما يقول الناس في إذا خلفتني؟ قال فقال أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي أو لا يكون بعدي نبي^(٢). في رجب سنة تسع من الهجرة قاد رسول الله ﷺ جيشه غازياً الروم^(٣)، وأعلم الخارجين معه مقصدهم، والصعوبات التي تواجههم، من حيث بعد الطريق وشدة الحر وقلة المؤن وقوة العدو، لذلك سمي بجيش العسرة^(٤) قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾^(٥) وقد سميت هذه الغزوة بغزوة تبوك، وهي آخر غزوات الرسول ﷺ، وقد استعمل رسول الله ﷺ على المدينة علياً (عليه السلام)، وقال له:

(١) المصدر نفسه، الحديث (١٥٣٢)، ص ١٦٠.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (١٤٦٩٣)، ص ١٠٢٢-١.

(٣) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩٨٩؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٦٥؛ البيهقي، تاريخ البيهقي، ج ٢، ص ٦٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١٠٠.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٢٢؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ١، ص ٣٦٨؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج ٢، ص ٢١٥.

(٥) سورة التوبة، الآية (١١٧).

تقيم أو أقيم، وهذه هي الغزوة الوحيدة من الغزوات التي لم يشترك فيها علي ابن أبي طالب عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان الإمام علياً عليه السلام يرغب في مرافقة النبي صلى الله عليه وآله ويكره أن يتخلف^(١) كما تشير الروايات الواردة في مسند أحمد بن حنبل.

ولكن بقاءه عليه السلام في المدينة أمر تفرضه مصلحة الإسلام، بعدما ظهر للنبي صلى الله عليه وآله من أمر المنافقين، فإن بقاءهم بالمدينة يشكّل خطراً على الدعوة وذلك أنه صلى الله عليه وآله علم خبث نيات المنافقين، وكثير من أهل مكة الذين دخلوا الإسلام قهراً لا عن قناعة به، فأشفق أن يطلبوا المدينة عند نأيه عنها، وبخاصة أنه صلى الله عليه وآله يعلم أنه سوف يتأخر بالرجوع إلى المدينة لبعده المسافة، ففي باقي غزواته كان صلى الله عليه وآله يخرج من المدينة ومعه الإمام علي عليه السلام لكنه صلى الله عليه وآله سرعان ما يعود إليها، فمتى لم يكن من يقوم مقامه خلال غيبته الطويلة عن المدينة، لم يأمن جانبهم في إيقاع الفساد في دار هجرته، والتخطي إلى ما يشين أهله ومخلفيه^(٢).

أدرك صلى الله عليه وآله أنه لا يقوم مقامه في إرهاب العدو وحراسة دار الهجرة وحيطة من فيها إلا الإمام علي عليه السلام، فلما علم أهل النفاق باستخلاف رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام على المدينة عظم عليهم مقامه، وعلموا أنها تحرس به، ولا يكون لهم فيها مطمع، فساءهم ذلك لما يرجونه من وقوع الفساد والاختلاط عند نأي النبي صلى الله عليه وآله عن المدينة، وخلوها من شخص مرهوب الجانب يحرسها، ومن جهة أخرى فإن بعض الصحابة حسدوه على الرفاهية والدعة بمقامه في أهله، وعدم تكلفه العناء كما تكلف من خرج منهم المشاق بالسفر والخطر^(٣).

(١) الطبرسي، إعلام الوري، ج ١، ص ٢٤٣.

(٢) المفيد، الإرشاد، ص ١١٨؛ الريشهري، موسوعة الإمام علي عليه السلام، ج ١، ص ٢٦٢.

(٣) المفيد، المصدر نفسه، ص ١١٩؛ الريشهري، المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٦٣.

وجد المنافقون فرصة للتعبير عما بداخلهم من حقد ونفاق، فأخذوا يتكلمون في الإمام علي (عليه السلام) بما يقلل من مكانته عند النبي (صلى الله عليه وآله)، فمن ذلك قولهم: لم يستخلفه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إكراما له وإجلالا، وثقةً به، وإنما خلفه استثقالا له، فلما بلغ الإمام عليا (عليه السلام) إرجاف المنافقين به، أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم، على لسان النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال: يا نبي الله، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني لأنك استثقلتني، وتخفت مني، فقال (صلى الله عليه وآله): كذبوا! ولكنني خلفتك لما تركت ورائي^(١).

وتشير بداية الحديث الذي رواه ابن حنبل عن جابر بن عبد الله الأنصاري: لما أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يخلف عليا (عليه السلام) قال له علي: ما يقول الناس في إذا خلفتني؟ فالتفت الإمام علي (عليه السلام) إلى تخرصات المنافقين فأراد النبي (صلى الله عليه وآله) أن يطلها، كما جاء في الحديث نفسه إلى أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي أو لا يكون بعدي نبي^(٢).

وأما الحديث الآخر الذي رواه أحمد بن حنبل^(٣) ويصف فيه: إن عليا (عليه السلام) خرج مع النبي (صلى الله عليه وآله) حتى جاء ثنية الوداع وعلي (عليه السلام) يبكي يقول: تخلفني مع الخوالف، فقال (صلى الله عليه وآله): أو ما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة، فإن سبب بكائه (عليه السلام) لفراق النبي (صلى الله عليه وآله)، فلم يكن الإمام علي (عليه السلام) طوال عمره الشريف إلا ملازماً للنبي (صلى الله عليه وآله)، وقد شعر النبي (صلى الله عليه وآله) بحزن علي (عليه السلام) فقال له: ارجع يا أخي إلى مكانك، فإن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، فأنت خليفتي في أهلي ودار هجرتي وقومي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٢٥؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٢٤؛ الطبري،

تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١٠٣.

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٤٦٩٣)، ص ١٠٢٢-١٠٢٣.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (١٤٦٣)، ص ١٥٥.

إلا أنه لا نبي بعدي، فقال عليه السلام: قد رضيت، قد رضيت^(١)، ثم رجع الإمام إلى المدينة وسار رسول الله ﷺ بجيشه^(٢). والجدير بالذكر هو أن حديث المنزلة بلغ حد التواتر لدى المحدثين^(٣).

سرية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى اليمن (٦٣٠هـ / ٦٣٠م):

روى أحمد بن حنبل بسنده عن عبد الله بن بريده عن أبيه، قال: بعث رسول الله ﷺ بعثين إلى اليمن على أحدهما علي بن أبي طالب وعلى الآخر خالد بن الوليد فقال إذا التقيتم فعلي على الناس وإن افرقتما فكل واحد منكما على جنده، قال فلقينا بني زيد من أهل اليمن فاقتتلنا فظهر المسلمون على المشركين فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية فاصطفى علي امرأة من السبي لنفسه، قال بريده: فكتب معي خالد ابن الوليد إلى رسول الله ﷺ يخبره بذلك، فلما أتيت النبي ﷺ دفعت الكتاب فقرئ عليه فرأيت الغضب في وجه رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله هذا مكان العائد بعثني مع رجل وأمرتني أن أطيعه ففعلت ما أرسلت به، فقال رسول الله ﷺ: لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي^(٤).

أرسل النبي ﷺ الإمام علي عليه السلام إلى اليمن ثلاث مرات إلا أن المؤرخين اختلفوا في ترتيب هذه المرات الثلاث حيث ذكروا إن سرية الإمام علي عليه السلام وسرية خالد ابن الوليد كانتا متزامنتين في وقت واحد، ولكنهما سارا بجندهما كل على حده،

(١) الطبرسي، إعلام الوري، ج ١، ص ٢٤٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٢٥.

(٣) الصنعاني، المصنف، ج ١١، ص ٢٢٦؛ البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ١٢٩؛ مسلم، صحيح مسلم، ج ٥، ص ١٢٠؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ١٠٨؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج ٩، ص ٦٨.

(٤) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٣٤٠٠)، ص ١٧٠٨.

وذكروا شرط النبي ﷺ عليهم إن التقيا: فالأمير علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهذا ما ذكره ابن هشام^(١) وجاءت رواية أحمد بن حنبل متوافقة معه، وأما الواقدي^(٢) فقد ذكر بعث النبي ﷺ علياً (عليه السلام) إلى اليمن سنة (١٠ هـ)، فيصف أنه خرج في ثلاثمائة فارس، فكانت خيلهم أول خيل دخلت تلك البلاد، ولم يذكر بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد، ثم ينتقل إلى ذكر قضيتين قضى بهما الإمام علي (عليه السلام) في اليمن، ويبدو إن الواقدي جعل للإمام (عليه السلام) بعثة واحدة إلى اليمن يوحى فيها إن الإمام علياً استقر في اليمن بعدما عينه الرسول ﷺ قاضياً وخمساً، وقد حذف جزءاً من الرواية المتعلق باستجابة أهل اليمن لدعوة الإمام علي (عليه السلام) لهم لدخول الإسلام، بعدما مكث خالد ستة أشهر يدعوهم فلم يجيبوه.

والغريب إن الطبري^(٣) يورد الرواية كاملة بدون حذف، علماً إن مورد الطبري في هذه الرواية هو الواقدي! حيث يروي الطبري بسنده عن البراء بن عازب قائلاً: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أهل اليمن، يدعوهم إلى الإسلام فكنت ممن سار معه، فأقام عليه ستة أشهر لا يجيبونه إلى شيء، فبعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأمره أن يقفل خالد ومن معه، فإن أراد أحد ممن كان مع خالد أن يعقب معه تركه، قال البراء: فكنت فيمن عقب معه، فلما انتهينا إلى أوائل اليمن، بلغ القوم الخبر، فجمعوا له، فصلى بنا علي (عليه السلام) الفجر، فلما فرغ صفنا صفاً واحداً، ثم تقدم بين أيدينا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فلما قرأ الكتاب خر ساجداً، ثم جلس فقال: السلام على همدان، السلام

(١) السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٠٤.

(٢) المغازي، ج ٣، ص ١٠٧٩ - ١٠٨٢.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١٣١ - ١٣٢.

على همدان، ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام، وقد جاء ابن كثير^(١) بنحو ما جاء به الطبري، ولكنه أثبت إن البعثين كانتا متعاقبتين، وليس في وقت واحد، بينما يذكر ابن سعد^(٢) أنهما بعثتان بنحو من التضعيف بقوله: يقال أنها مرتين، حيث تناول ذكر تفاصيل بعثة واحدة، ولم يتعرض لذكر البعثة الثانية.

وقد أجاد أحد الباحثين^(٣) في دراسة الموضوع تاريخياً إذ قال: (إن النبي ﷺ بعث الإمام علياً عليه السلام في المرة الأولى في سرية قوامها (٣٠٠) فارس إلى اليمن، وقد حمل النبي ﷺ الإمام علياً عليه السلام كتاباً يقرؤه على أهل اليمن وأوصاه قائلاً: امض ولا تلتفت، فإذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك، بيد أن الإمام علياً عليه السلام قد واجه مقاومة خفيفة من قبيلة مذحج، فهزمهم وقتل منهم (٢٠) رجلاً وسبى من نسائهم^(٤)، فكف عن طلبهم، وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام وقالوا: نحن على من ورائنا من قومنا، وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله، وجمع علي الغنائم فجزأها على خمسة أجزاء، فكتب في سهم منها لله، وأقرع عليها، فخرج أول السهام سهم الخمس، وقسم علي على أصحابه بقية المغنم^(٥) ثم رجع إلى المدينة، حاملاً الغنائم، لأن المؤرخين يذكرون أن خيل الإمام عليه السلام كانت أول خيل تدخل اليمن، وفي المرة الثانية بعثه النبي ﷺ سفيراً إلى من لم يسلم من أهل اليمن بعدما اخفق خالد بن الوليد الذي أرسله إليها قبل بعث علياً عليه السلام بستة

(١) البداية والنهاية، ج ٥، ص ٩٤.

(٢) الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣٣٧.

(٣) الشرهاني، أسلوب الرسول ﷺ في اختيار سفرائه، بحث منشور في مجلة آداب ذي قار، العدد، المجلد، كانون الأول ٢٠١٢ م، ص ١١٣ - ١١٤.

(٤) الشرهاني، أسلوب الرسول ﷺ، ص ١١٤؛ وينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣٣٧.

(٥) الشرهاني، أسلوب الرسول ﷺ، ص ١١٤؛ وينظر: الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ١٠٨٢. الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ١٠٨٢.

أشهر في أداء مهمته، وفيها دعى قبيلة همدان إلى الإسلام، فأسرعوا وأجابوا، لأن الرواية تقول: ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام، ثم بعثه الرسول (ﷺ) في المرة الثالثة ليكون قاضياً ومخمساً في اليمن).

كان تاريخ بعث سرية الإمام علي (عليه السلام) في سنة ٩ هـ، وذلك لوجود عدة قرائن تثبت إن تاريخ هذه السرية كان في سنة (٩ هـ):

يذكر أحمد بن حنبل في مسنده، إن النبي (ﷺ) قد وزع الغنائم التي بعثها إليه الإمام علي (عليه السلام) من اليمن على المؤلفة قلوبهم، من الذين دخلوا الإسلام في عام الوفود الذي كان في سنة (٩ هـ)، فغضب المهاجرون والأنصار، وقال رجل لم يعرف به ابن حنبل لرسول الله (ﷺ): اتق الله...، فأراد المسلمون قتله فمنعهم النبي (ﷺ) مخبراً أصحابه بأنه سيخرج من صلبه الخوارج، فعن أبي سعيد الخدري قال: بعث علي من اليمن إلى رسول الله (ﷺ) بذهبه في أديم فقسّمها رسول الله (ﷺ) بين أربعة بين زيد الخير والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن وعلقمة بن علاثة أو عامر بن الطفيل، فوجد من ذلك بعض أصحابه، فقال: رسول الله (ﷺ) ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر من السماء صباحاً ومساءً، ثم أتاه رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية مشمر الإزار مخلوق الرأس، فقال: اتق الله يا رسول الله، فرفع رأسه إليه فقال: ويحك ألسنت أحق أهل الأرض أن يتقي الله أنا، ثم أدبر فقال خالد يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ فقال رسول الله (ﷺ) فلعله يكون يصلي، فقال إنه رب مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال رسول الله (ﷺ) إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم ثم نظر إليه النبي (ﷺ) وهو مقف، فقال: ها انه سيخرج من ضئضي هذا قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية^(١).

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١١٠٢٠)، ص ٧٧٧-٧٧٨.

نقلت كتب السيرة أن قبيلة همدان كانت من ضمن الوفود القادمة إلى النبي ﷺ في سنة (٩ هـ)، وكان قولهم لرسول الله ﷺ: خيار القوم من همدان متصلة بحبائل الإسلام، لا تأخذهم في الله لومة لائم، فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً أعطاهم فيه عهد الله وضمهم رسول الله ﷺ^(١) ومن غير المعقول أنهم يتكلمون بهذا الكلام قبل أن يصلهم الإسلام عن طريق الإمام علي عليه السلام، ولا يمكن للنبي ﷺ أن يعطيهم العهد والضم ثم يبعث بعد ذلك من يقاتلهم.

ومما يدل على رجوع الإمام علي عليه السلام إلى المدينة بعد فتحه اليمن في عام ٩ هـ هو حادثان مهمتان في التاريخ الإسلامي، كان الإمام علي طرفاً مهماً فيهما الأولى: حادثة المباهلة في عام الوفود. والثانية: تبليغه سورة براءة في السنة التاسعة للهجرة، ثم بعد ذلك بعثه الرسول ﷺ للقضاء في اليمن وهي البعثة الثالثة له، وقد حصل اللبس عند المؤرخين^(٢) إما تعمداً أو وهماً منهم لأنهم أرحوا لبعثة واحدة حصل فيها الفتح والقضاء في اليمن وذلك كله حدث في السنة العاشرة، وأن الإمام علياً عليه السلام لم يلتق الرسول ﷺ منذ أن بعثه لفتح اليمن حتى وافاه وهو في طريقة لأداء حجة الوداع سنة ١٠ هـ.

وبغض النظر عن اختلاف المؤرخين في ترتيب بعوث الإمام علي عليه السلام إلى اليمن، فإن رواية أحمد بن حنبل المذكورة تشير إلى أن فتح اليمن الذي كان على يد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لم يرق لخالد بل أرقه، الأمر الذي دعاه أن يرسل بريده ليشكو علياً عليه السلام إلى النبي في أمر الجارية، لعل النبي ﷺ يغضب على علي عليه السلام لحبه لفاطمة، ولكن تلك المحاولة فشلت، بل وجاءت بنتائج

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٧٥؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٨٩.

(٢) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ١٠٧٩؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣٣٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١٣١، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٥، ص ٩٤.

عكسية، ويؤكد ذلك رواية أخرى يذكرها ابن حنبل: عن عبد الله بن أبي بريدة قال: أبغضت عليا بغضا لم يبغضه أحد قط، قال وأحببت رجلا من قريش لم أحبه إلا علي بغضه عليا قال فبعث ذلك الرجل علي خيل فصحبته ما أصحابه إلا علي بغضه عليا، قال فأصبنا سبيا قال فكتب إلى رسول الله ﷺ ابعث إلينا من يخمسنا قال فبعث إلينا عليا وفي السبي وصيفة هي أفضل من السبي فخمس وقسم فخرج رأسه مغطى فقلنا يا أبا الحسن ما هذا؟ قال ألم تروا إلى الوصيفة التي كانت في السبي فإني قسمت وخمست فصارت في الخمس ثم صارت في أهل بيت النبي ﷺ ثم صارت في آل علي ووقعت بها، قال فكتب الرجل إلى نبي الله ﷺ فقلت ابعثني فبعثني مصدقا قال فجعلت اقرأ الكتاب وأقول صدق قال فأمسك يدي والكتاب وقال أتبغض عليا، قال: قلت: نعم، قال: فلا تبغضه وإن كنت تحبه فازدد له حبا فوالذي نفسي محمد بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة، ثم قال: يا بريدة أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قلت بلى يا رسول الله قال من كنت مولاه فعلي مولاه، قال: فما كان من الناس أحد بعد قول رسول الله ﷺ أحب إلى من علي، قال عبد الله فوالذي لا إله غيره ما بيني وبين النبي ﷺ في هذا الحديث غير أبي بريدة^(١).

ونلاحظ في النص الوارد في المسند تجنُّ علي الإمام علي (عليه السلام) وذلك من خلال التركيز على اهتمامه ﷺ بجارية ضمن السبي وهو في أرض العدو لتصبح من نصيبه، كي يسلبوا قول النبي ﷺ للإمام علي (عليه السلام) (من كنت مولاه فعلي مولاه)، لذا نجد أن أهمية الحدث والحديث المتمثلة بتنصيب الإمام علي (عليه السلام) ولياً وخليفةً على الأمة، تصرف إلى قضية جانبية تتعلق بسبي وصيفة!

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٣٣٥٥)، ص ١٧٠٥.

ثالثاً: تبليغ سورة براءة:

روى أحمد بن حنبل حادثة تبليغ سورة براءة، وكانت الأحاديث الواردة في المسند قد تناولت الموضوع من ناحيتين:

الناحية الأولى: الأحاديث التي ذكرت لحوق الإمام علي عليه السلام بأبي بكر، وأخذه سورة براءة منه ليلبغها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بأمر من الله عز وجل جاء به الوحي.

فقد ورد في مسند أحمد بن حنبل، عن وكيع، عن إسرائيل، عن زيد بن يثبع، عن أبي بكر أنه قال: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعثه ببراءة لأهل مكة، قال: فسار بها ثلاثاً ثم قال لعلي عليه السلام ألحقه فردّ عليّ أبا بكر وبلغها أنت، قال: ففعل قال: فلما قدم أبو بكر على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكى وقال يا رسول الله حدث فيّ شيء؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: ما حدث فيك إلا خير ولكن أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني^(١).

وعن محمد بن سليمان، عن محمد بن جابر، عن سماك، عن حنش عن علي عليه السلام قال: لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة، ثم دعاني النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي أدرك أبا بكر فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم، فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله نزل فيّ شيء؟ قال: لا ولكن جبريل جاءني فقال لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك^(٢).

وعن عفان، عن حماد، عن سماك بن حرب، عن أنس بن مالك قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث ببراءة مع أبي بكر إلى أهل مكة، قال ثم دعاه فبعث بها علياً

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث، ص ٣٧.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (١٢٩٧)، ص ١٤١.

قال لا يبلغها إلا رجل من أهلي^(١).

الناحية الثانية: أحاديث نصت على ما تضمنته الآيات الأولى من سورة براءة، التي نادي بها علي بن أبي طالب (عليه السلام) أيام الحج على مسامع قريش.

فعن سفیان، عن أبي اسحاق، عن زيد بن يثبع، قال: سألنا علي بن أبي طالب (عليه السلام) بأي شيء بعثت؟ قال: بعثت بأربع لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي (صلى الله عليه وآله) عهد فعهد هذه إلى مدته ولا يحج المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا^(٢).

وعن محمد بن جعفر قال: حدثنا شعبة، عن مغيرة، عن الشعبي، عن أبي هريرة قال: كنت مع علي بن أبي طالب حيث بعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى أهل مكة ببراءة، فقال ما كنتم تنادون؟ قال: كنا ننادي انه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله) عهد فإن أجله أو أمده إلى أربعة أشهر، فإذا مضت الأربعة الأشهر فإن الله بريء من المشركين ورسوله ولا يحج هذا البيت بعد العام مشرك، قال فكنت أنا نادي حتى صحل صوتي^(٣).

اتفقت المصادر^(٤) على أن النبي (صلى الله عليه وآله) أرسل أبا بكر على الحج سنة (٩هـ)، ولما خرج أبو بكر من المدينة، نزل الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخبره: إن السلام يقرؤك السلام، ويقول لك لا يؤديها - أي سورة براءة - إلا أنت أو رجل من أهل

(١) المصدر نفسه، الحديث (١٤٠٦٤)، ص ٩٨٢.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٥٩٤)، ص ٨٩.

(٣) ابن حنبل، مسند، الحديث (٧٩٦٤)، ص ٥٩٥.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٤٢؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٦٨-١٦٩؛ البخاري، صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٠٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١٢٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٥، ص ٤٤-٤٥.

بيتك، أو رجل منك، فبعث النبي ﷺ علياً عليه السلام ليدرك أبا بكر حيثما وصل فيأخذ منه كتاب رسول الله ﷺ، ويقرأه على قريش، ولكنهم اختلفوا في أمرين:

الأمر الأول: اختلفوا في وقت نزول سورة براءة، أكان قبل مسير أبي بكر؟ أم بعدما بعثه النبي ﷺ للحج؟ فأحمد بن حنبل^(١) يقول: لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي ﷺ دعا النبي ﷺ أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة، ويتفق معه اليعقوبي^(٢)، والطبري^(٣) وإن اختلفت روايته عن رواية ابن حنبل من حيث عدد آيات سورة براءة، إذ يذكر الطبري: لما نزلت هذه الآيات إلى رأس الأربعين -يعني من سورة براءة- فبعث بهن رسول الله ﷺ مع أبي بكر، ووافقهم المفيد^(٤) على ذلك. أما الواقدي^(٥) الذي حذف قول النبي ﷺ: لا يبلغ عني غيري أو رجل مني، وابن هشام^(٦)، والبخاري^(٧) فأجمعوا على أن سورة براءة نزلت بعد مسير أبي بكر بالمسلمين لإمارة الحج، فيما اكتفى البلاذري^(٨) بذكر الرواية باختصار دون تحديد وقت نزولها.

الأمر الثاني: اختلفوا في عودة أبي بكر إلى المدينة؟ فقد ذكرت بعض المصادر أن أبا بكر عاد إلى المدينة المنورة وهو يبكي، بادياً عليه الخوف لئلا يكون قد نزل فيه شيء جعل النبي ﷺ يرجعه ويرسل مكانه الإمام علياً عليه السلام وهذا ما يؤكد نزول

(١) مسند، الحديث (١٢٩٧)، ص ١٤١.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٣٥.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١٢٢-١٢٣.

(٤) الإرشاد، ص ٥٤-٥٥.

(٥) المغازي، ج ٣، ص ١٠٧٧.

(٦) السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٤٢.

(٧) صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٠٠.

(٨) انساب الأشراف، ج ١، ص ٣٨٣.

الآيات المتعلقة بتبليغ المشركين من سورة براءة، وقد أرسلها النبي ﷺ مع أبي بكر أولاً، ثم نزل الوحي على النبي ﷺ وأمره بأنه يجب أن ينتزعها منه، ويؤديها النبي بنفسه الشريفة، أو رجلٌ منه، ويقف أحمد بن حنبل^(١) في مقدمة المحدثين الذين ذكروا عودة أبي بكر إلى المدينة، ويتبعه النسائي^(٢)، وأما المؤرخون الذين شاركوا ابن حنبل الرأي فهم: الطبري^(٣)، والمسعودي^(٤)، ويروي المفيد^(٥): (أن الإمام علياً عليه السلام قال لأبي بكر: إن النبي ﷺ أمرني أن أخيرك بين أن تسير معي أو ترجع إليه، فقال أبو بكر: بل أرجع إليه...).

فيما روى قسم من المؤرخين استمرار إمارة أبي بكر على الحج ومواصلة المسير إلى مكة جنباً إلى جنب مع الإمام علي عليه السلام، فيروي ابن هشام^(٦)، وابن كثير^(٧)، أنه لما رأى أبو بكر الإمام علياً عليه السلام على ناقه رسول الله ﷺ قال له: أمير أم مأمور؟ فقال عليه السلام: مأمور، ثم سارا معاً، ويروي الواقدي^(٨)، وابن سعد^(٩)، إن أبا بكر أمر بعض الصحابة بأن يؤذنوا في الناس يوم النحر، ليساعدوا علي بن أبي طالب عليه السلام في مهمته كي يصل الخبر إلى الناس جميعاً.

ويعلل البعض سبب إرسال النبي ﷺ علي بن أبي طالب، لتبليغ قريش سورة

(١) مسند، الحديث، ص ٣٧.

(٢) سنن النسائي، باب مناسك الحج، الحديث (٢٩٠٨)، ص ٥٥٦.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١٢٢-١٢٣.

(٤) مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٩٢.

(٥) الإرشاد، ص ٥٤.

(٦) السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٤٢.

(٧) البداية والنهاية، ج ٥، ص ٤٤-٤٥.

(٨) المغازي، ج ٣، ص ١٠٧٧.

(٩) الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٦٨-١٦٩.

براءة بدلا عن أبي بكر، لمراعاة النبي ﷺ الأعراف القديمة، لأن العرب تعارفوا فيما بينهم في عقد العهود ونقضها، أن لا يبلغه إلا سيد القوم، أو رجل من رهطه، فبعث علياً عليه السلام حتى لا يكون للعرب حجة عليه، وليس في ذلك إشارة لتولي علي عليه السلام الخلافة بدلا من أبي بكر بعد وفاة النبي ﷺ^(١). وإذا كان الأمر كما يعللون فلماذا لم يبعث النبي ﷺ أحداً غير الإمام علي عليه السلام من بني عمومته وبخاصة عمه العباس بن عبد المطلب، ليلغ قريش سورة براءة؟ والمعروف عن النبي ﷺ دقة اختياره للأفراد في أداء المهام التي تناسب شخصياتهم، ولكن السماء اختارت علياً عليه السلام على علم.

إن إعلان الإمام علي عليه السلام سورة براءة على مسامع العرب في الحج، كان بمثابة الإعلان بنهاية الوثنية في الجزيرة العربية، وكل ما يتصل بها من التقاليد والأعراف الجاهلية، وإن الأمر السماوي الذي جاء به جبرائيل عليه السلام يكشف عن أهلية الإمام علي عليه السلام وصلاحيته للنهوض بالرسالة السماوية دون غيره^(٢) هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن سورة براءة لم تنص على نقض أي عقد أو عهد للنبي ﷺ مع المشركين، يستوجب أن يكون المبلغ إما النبي أو رجلاً من رهطه، كما يعللون، حيث تضمنت سورة براءة على جملة من الأمور التي يجب تبليغها إلى المشركين:

١- لا يدخل الكعبة مشرك.

٢- لا يطوف بالبيت الحرام عريان.

(١) البغوي، معالم التنزيل، ج ٤، ص ١٤٧؛ سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ٤٣؛ الشريف،

أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ، دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٩٦٥م)،

الساعاتي، الفتح الرباني، ص ٤٠٦٢.

(٢) السبحاني، السيرة المحمدية، ص ٢٢٨.

٣- لا يحج المشركون بعد عامهم الذي بلغوا فيه.

٤- أما من كان له عهد تعاقده مع رسول الله ﷺ من قبل فهو إلى يوم انقضاء العهد الذي اتفقا عليها، فالنبي ﷺ يحترم عهوده ومواريثه مع الآخرين، وبخاصة إن الله تعالى أمر بذلك بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(١) فكيف يتصور أن النبي ﷺ لا يراعي العهود والذمام التي قطعها على نفسه!؟

٥- ومصدقاً لقوله جل وعلا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) تأتي الفقرة الأخيرة من فقرات سورة براءة التي كلف الإمام علي (عليه السلام) بتبليغها للمشركين: وهي من لم يكن له عهد ومدة من المشركين مع رسول الله ﷺ فيمهل مدة أربعة أشهر ابتداء من يوم العاشر من ذي الحجة، وبعدها عليه أن يحدد موقفه إما الدخول في الإسلام وترك مظاهر الشرك، وإما القتال^(٣).

إن احترام الأعراف غير المنافية لمبادئ الإسلام، هي من أخلاقيات رسول الله ﷺ وهي جزء مهم من هدف رسالته الإنسانية والأخلاقية وذلك لقوله ﷺ: إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق^(٤) ولا شك إن التغاضي عما جاءت به آيات سورة براءة من أوامر، وما حققته من نتائج بعد بعث الإمام علي (عليه السلام) بها، حيث لم يمض على قرائتها مدة قليلة حتى اعتنق أكثر المشركين الإسلام، فتم بذلك استئصال جذور الوثنية في أواسط السنة العاشرة للهجرة، دلالة على تأثير الجانب السياسي في إبعاد المسلمين عن الواقع القرآني.

(١) سورة المائدة، الآية (١).

(٢) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).

(٣) الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٣٢٦؛ السبحاني، السيرة المحمدية، ص ٢٢٨.

(٤) ابن شعبة الحراي، تحف العقول، ص ٤٠.

رابعاً: قضاء الإمام علي عليه السلام في اليمن:

القضاء لغةً: هو الحكم والإلزام^(١)، واصطلاحاً: هو الفصل في الخصومات التي تحدث بين الناس بالأحكام الشرعية المأخوذة من القرآن الكريم والسنة النبوية والاجتهاد^(٢) متبعين قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(٣) والقضاء من أجل وأخطر الوظائف الإدارية في الدولة الإسلامية^(٤) وتتضح أهمية القضاء وخطورته من قول الرسول ﷺ: من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين^(٥) وعدّ القيام بأمر القضاء واجباً كفائياً كالجهاد والإمامة^(٦).

لا شك أن مكانة علي بن أبي طالب عليه السلام القضائية لا تدانيها مكانة أحد ممن عاصروه، أو جاءوا بعده على امتداد التاريخ الإسلامي، فقد اجتمعت فيه مقومات وشروط القاضي الكفوء، وأهمها العلم بالنصوص الشرعية، والتجرد الخالص للحق، من ثم القدرة على الاجتهاد والتأويل^(٧) وقد أكد النبي ﷺ على

(١) الرازي، مختار الصحاح، ص ٢٢٦.

(٢) الماوردي، أدب القاضي، تحقيق: محي هلال السرحان، (بغداد، ١٩٧١م)، ص ٣١٣.

(٣) سورة النساء، الآية (٥٨).

(٤) ابن أبي الدم، شهاب الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الهمداني (ت ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م): أدب

القضاء، تحقيق: محمد مصطفى الرحيلي، مجمع اللغة العربية، (دمشق - ١٩٧٥م)، ص ٥ - ٣٦.

(٥) السجستاني، سليمان بن الأشعث أبو داود الأزدي (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)، سنن أبي داود، تحقيق:

محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، (د.م. د. ت)، ص ٢٩٨؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج ٣،

ص ٦١٤.

(٦) ابن قدامة المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م): المغني، ط ٣، (القاهرة،

١٣٦٧هـ)، ج ٩، ص ٣٤.

(٧) جامع، حامد، علي بن أبي طالب حاكماً... وفقياً، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (القاهرة،

٢٠٠٣م)، ج ٢، ص ٢٩ - ٣١.

عبقريّة الإمام علي (عليه السلام) القضائيّة بقوله (عليه السلام): أقضاكم علي^(١)، فهو يتبع سنة النبي (صلى الله عليه وآله) في القضاء وغيره.

والجدير بالذكر هو أن منهج أحمد بن حنبل قد تغافل عن إمكانية الإمام علي (عليه السلام) القضائيّة، إذ تشير رواياته إلى أن الإمام علياً (عليه السلام) كان غير واثق من نفسه في الجانب القضائي، وإن نبوغه فيه كان كسبياً ببركة دعاء النبي (صلى الله عليه وآله) وتعليمه له فقط. فقد ورد في المسند عن الإمام علي (عليه السلام) قوله: لما بعثني رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى اليمن، فقلت: تبعثني وأنا رجل حديث السن وليس لي علم بكثير من القضاء، قال: فضرب صدري رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: اذهب فإن الله عز وجل سيثبت لسانك ويهدي قلبك، قال: فما شككت في قضاء بين اثنين بعد^(٢)، وجاء في حديث آخر، قال: فما أعياني قضاء بين اثنين^(٣)، وقد ذكر هذا الحديث عند أكثر المحدثين والمؤرخين^(٤). ويذكر أحمد بن حنبل^(٥) قول النبي (صلى الله عليه وآله) المروي عنه (عليه السلام) عندما ولاه قضاء اليمن إذ قال: بعثني رسول الله (صلى الله عليه وآله) قاضياً فقال: إذا جاءك الخصمان فلا تقضي للأول حتى تسمع من الآخر، فإنه أجدر أن يبين لك القضاء، قال (عليه السلام) فما زلت قاضياً.

(١) الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ١٣٥.

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (٦٣٦)، ص ٩٢.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (١١٤٥)، ص ١٣٠.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٣٣٧؛ البخاري، صحيح البخاري، ج ٧، ص ٦٦٣؛ السجستاني، سنن أبي داود، ج ٤، ص ١١؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج ٣، ص ٦١٣؛ وكيع، إخبار القضاء، ج ١، ص ٨٤؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ٦٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٥، ص ١٢٤.

(٥) مسند، الحديث (١٢٨١)، ص ١٤٠.

قد ذكر ابن حنبل في مسنده قضيتين من قضاياهِ عليه السلام التي حكم بها في اليمن وأمضاها له النبي عليه السلام:

القضية الأولى: حدثنا أبو سعيد، حدثنا إسرائيل، حدثنا سمالك عن حنش عن علي عليه السلام قال: بعثني رسول الله عليه السلام إلى اليمن فأنتهينا إلى قوم قد بنوا زبية^(١) للأسد فبيناهم كذلك يتدافعون إذ سقط رجل فتعلق بآخر ثم تعلق رجل بآخر حتى صاروا فيها أربعة فجرحهم الأسد فانتدب له رجل بحربة فقتله وماتوا من جراحتهم كلهم فقاموا أولياء الأول إلى أولياء الآخر فأخرجوا السلاح ليقتلوا، قال الراوي: فأتاهم علي عليه السلام على تفيئة ذلك^(٢) فقال: تريدون أن تقاتلوا ورسول الله عليه السلام حي، إني أقضي بينكم قضاءً إن رضيتم فهو القضاء وإلا حجز بعضكم عن بعض حتى تأتوا النبي عليه السلام فيكون هو الذي يقضي بينكم، فمن عدا بعد ذلك فلا حق له، اجمعوا من قبائل الذين حضروا البئر ربع الدية وثلاث الدية ونصف الدية والدية كاملة فلأول الربع لأنه هلك من فوقه وللثاني ثلث الدية وللثالث نصف الدية، فأبوا أن يرضوا فأتوا النبي عليه السلام وهو عند مقام إبراهيم فقصوا عليه القصة، فقال: أنا أقضي بينكم وأحتبي، فقال: رجل من القوم إن عليا قضى فينا فقصوا عليه القصة فأجازه رسول الله عليه السلام^(٣).

وردت هذه القضية عند الواقدي^(٤)، في معرض كلامه عن سرية علي بن أبي طالب عليه السلام إلى اليمن، وأوردها ابن كثير^(٥) وذكرها البيهقي^(٦)، ووکیع^(٧).

(١) الزبية: حفرة في الأرض. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٣٤٠.

(٢) على تفيئة ذلك: على اثر ذلك. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٣٧.

(٣) ابن حنبل، مسند، الحديث (٥٧٣)، ص ٧٨-٨٨.

(٤) المغازي، ج ٢، ص ١٠٨٦.

(٥) البداية والنهاية، ج ٥، ص ١٢٥.

(٦) أخبار القضاة، ج ١، ص ٩٥-٩٧.

(٧) السنن الكبرى، ج ٨، ص ١١١.

القضية الثانية: حدثنا سفيان بن عيينة، عن أجلاح، عن الشعبي، عن عبد الله بن أبي الخليل عن زيد بن أرقم قال: إن نفرًا في اليمن وطئوا امرأة في طهر فقال: علي (عليه السلام) عنه لاثنين أتطيان نفسا لذا، فقالا: لا، فأقبل على الآخرين فقال: أتطيان نفسا لذا، فقالا: لا، قال: أنتم شركاء متشاكسون، قال: إني مقرر بينكم فأيكم قرع أغرمته ثلثي الدية وألزمته الولد، قال: فذكر ذلك للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فضحك حتى بدت نواجذه، وقال: لا أعلم إلا ما قال علي (عليه السلام) (١).

يبدو إن المحدثين كانوا أكثر رواية لهذه الحادثة من المؤرخين، إذ ذكرها ابن أبي شيبة (٢)، والبيهقي (٣)، وأخرجها البخاري في تاريخه (٤)، ولم يذكرها في صحيحه، ورواها الحاكم (٥)، ولم يذكرها سوى ابن القيم الجوزية (٦)، وربما يكون السبب في عدم ورودها عند المؤرخين، هو ذكرهم بعثة واحدة فقط من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي (عليه السلام) إلى اليمن، ولكن وبحسب ما جاء في مسند أحمد بن حنبل من الروايات الخاصة بتولي الإمام علي (عليه السلام) القضاء في اليمن، نلاحظ أنه يروي عن بعثتين، الأولى اختصت بفتح اليمن، وكانت الثانية إرساله للقضاء، التي انتهت عندما قرر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حج البيت الحرام (حجة الوداع)، حيث أرسل معاذ بن جبل ليلبغ الإمام علياً (عليه السلام) بملاقاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو في طريقه إلى مكة لأداء فريضة الحج، وليحل محل الإمام (عليه السلام) في تولي القضاء في اليمن، فيذكر ابن حنبل في حديث أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٩٥٥٧)، ص ١٤١٥.

(٢) المصنف في الحديث والآثار، تحقيق، ج ٧، ص ٣٥٢-٣٥٣.

(٣) سنن، ج ١٠، ص ٢٦٧.

(٤) التاريخ الكبير، ج ٥، ص ٧٩.

(٥) المستدرک، ج ٢، ص ٢٠٧.

(٦) اعلام الموقعين، ج ٢، ص ١٥٦.

حين أرسل معاذاً نعى إليه نفسه قائلاً له: ... يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا أو لعلك إن تمر بمسجدي هذا أو قبري...^(١)، وفي حديث آخر يقول إن الإمام علياً عليه السلام قد وافى النبي ﷺ قادماً من اليمن، فعن جابر قال: إن رسول الله ﷺ أهل وأصحابه بالحج وليس مع أحد منهم يومئذ هدي إلا النبي ﷺ وطلحة، وكان علي عليه السلام قدم من اليمن ومعه الهدى، فقال: أهللت بما أهل به رسول الله ﷺ.

لقد خلف الإمام علي عليه السلام تراثاً ضخماً في الفكر القضائي كشف فيه عن وجه العدل الإسلامي^(٢)، ودل على سعة علمه، وإحاطته بالنصوص، وحسن الاستنباط منها، فضلاً عن الاجتهاد الشديد، مما جعله موضع ثقة الرسول ﷺ^(٣)، فقد أجمع الصحابة وأهل العلم على أنه عليه السلام أحق الناس بمنصب القضاء، وأقربهم إلى إصابة الواقع في أحكامه القضائية، بما أوتي من مقومات وخصائص تفرد بها دون غيره، كان أهمها الملازمة الدائمة للنبي ﷺ لأكثر من ثلاثين عاماً، حتى شهد له الجميع بذلك الفضل^(٤). وسنأتي على ذكر ما أورده أحمد بن حنبل من أحكامه القضائية في خلافته، وما استدركه على بعض الأحكام في حقبة الخلفاء الثلاثة في الفصل الرابع.

(١) مسند، الحديث (٢٢٤٠٢)، ص ١٦٢٧.

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٤٣٣٠)، ص ٩٩٨.

(٣) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٢، ص ١١٥؛ جرداق، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ج ١، ص ٤٢؛ التستري، محمد تقي: قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ط ١٠، دار الشالي للطباعة، (بيروت، د. ت)، ص ٣٦ وما بعدها؛ العقاد، عباس محمود، عبقرية الإمام علي، (مصر، ١٩٦١م)، ص ١٩٥.

(٤) جامع، الإمام علي بن أبي طالب، حاكماً وفقياً، ص ٢٩.

(٥) الباقوري، أحمد حسن، علي إمام الأئمة، دار مصر للطباعة، (القاهرة، د. ت)، ص ١٦٩.

خامساً: بيعة الغدير:

استفاضت الروايات التي ذكرت بيعة غدير خم^(١) عقب منصرف النبي ﷺ من الحج، عند المؤرخين والمحدثين والمفسرين^(٢)، حتى قال الذهبي^(٣) وهو يترجم للطبري: جمع طرق حديث غدير خم في أربعة أجزاء، ورأيت شطره فبهمني سعة روايته، وجزمت بوقوع ذلك، أما ابن حجر^(٤) فيقول: أما حديث، من كنت مولاه فعلي مولاه، فهو كثير الطرق جداً، وكثير من أسانيده صحاح حسان، وينقل السيوطي^(٥) قول عبد الله بن مسعود: (كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٦) إن علياً مولى المؤمنين)، وقد كتب فيها الباحثون من التفاصيل الشيء الكثير^(٧)، لكننا سوف نستعرضها وفق منهج إمام الحنابلة أحمد بن حنبل من خلال الأحاديث التي رواها في مسنده، حيث أورد:

(١) خم: وإد بين مكة والمدينة بينه وبين الجحفة ميلان، به غدير خطب عنده رسول الله ﷺ. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٨٩.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٢٢-١٢٣؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، تحقيق: طه محمد الزيني، دار الأندلس، (النجف الأشرف، ١٩٦٧م)، ج ١، ص ١٠٩؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ١، ص ٣٦٨؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٨٦؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٤٩؛ النسائي، خصائص، ص ٣٩-٤٠؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٤٧؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٥، ص ٦٣٣؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ١٠٩؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٧، ص ٤٣٧؛ الواحدي، أسباب النزول، ص ١٣٥؛ الحسكاني، شواهد التنزيل، ج ١، ص ١٥٨؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٨٦؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٦٣؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ٢٨.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص ٢٧٧.

(٤) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ج ٧، ص ٩٣.

(٥) الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٩٨.

(٦) سورة المائدة، الآية (٦٧).

(٧) ينظر: الأميني، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ج ١، ص ١١٧.

تاريخ حجة الوداع^(١) ومشاركة الإمام علي عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله في مراسيم الحج:

حدثنا يحيى، حدثنا جعفر بن محمد، حدثني أبي قال أتينا جابر بن عبد الله فسألناه عن حجة النبي صلى الله عليه وآله فحدثنا: أن رسول الله صلى الله عليه وآله مكث بالمدينة تسع سنين لم يحج ثم أذن في الناس أن رسول الله صلى الله عليه وآله حاج هذا العام، قال فنزل المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتيهم برسول الله صلى الله عليه وآله ويفعل مثل ما يفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله لعشر بقين من ذي القعدة وخرجنا معه... وقدم علي من اليمن فقدم بهدي وساق رسول الله صلى الله عليه وآله معه من المدينة هديا... وقال لعلي: بم أهللت، قال: قلت اللهم إني أهلُّ بما أهلَّ به رسولك، قال: ومعني الهدي، قال: فلا تحل، قال فكانت جماعة الهدي الذي أتى به علي عليه السلام من اليمن والذي أتى به النبي صلى الله عليه وآله مائة فنحر رسول الله صلى الله عليه وآله بيده ثلاثة وستين ثم أعطى عليا فنحر ما غبر وأشركه في هديه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فأكلوا من لحمها وشربا من مرقها...^(٢).

لا يتفق ابن حنبل في يوم خروج النبي صلى الله عليه وآله للحج مع ما ذكره المؤرخون^(٣)، حيث اجمعوا على أن خروجه كان لخمس بقين من شهر ذي القعدة، ولكنه يتفق معهم في الشهر والسنة، أما تفاصيل الرواية فإنها تنطبق تماماً مع رواية المفيد^(٤) سنداً ومتناً لأنها واردة عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام وآبائه هم الذين سألوا

(١) سميت حجة الوداع لأن النبي صلى الله عليه وآله ودع فيها المسلمين بقوله: لا ادري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه، وكذلك سميت حجة الإسلام لأن النبي صلى الله عليه وآله لم يحج غيرها بعد الهجرة، وأطلق عليها حجة البلاغ، لأن النبي صلى الله عليه وآله بلغ فيها شرع الله في الناس، وتسمى أيضاً يوم الحج الأكبر. ينظر: الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ١٠٨٩؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٧٢.

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٤٤٩٢)، ص ١٠٠٩.

(٣) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ١٠٨٨؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٧٧، يعقوبي، تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٤٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١٤٩.

(٤) الإرشاد، ص ١٣١.

جابر، وتتفق رواية ابن حنبل مع رواية اليعقوبي^(١) بعض الشيء حيث يذكر إن النبي ﷺ نحر بيده ستين من بدنة، وقيل أربعاً وستين، فيما اكتفى الواقدي^(٢) بالقول: إن النبي ﷺ أشرك علياً بالنحر، بينما ذكر ابن هشام^(٣) نقلاً عن ابن إسحاق، وكذلك يذكر الطبري^(٤) موافاة الإمام علي (عليه السلام) النبي ﷺ في الحج قادماً من اليمن، وليس معه هدي.

خطب النبي ﷺ في حجة الوداع:

أشارت بعض الخطب التي رواها أحمد بن حنبل في أماكن متفرقة في مسنده، إلى أن النبي ﷺ قصد بيان مقام الإمام علي (عليه السلام) لعامة المسلمين الذين قصدوا أداء فريضة الحج مع الرسول ﷺ من كل الولايات الإسلامية، فقد روى ابن حنبل^(٥) خطبة النبي ﷺ في نهي الناس من أن يشكو علياً (عليه السلام) فعن أبي سعيد الخدري قال: اشتكى عليا الناس فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً، فسمعته يقول: أيها الناس لا تشكوا علياً، فوالله إنه لأخشن في ذات الله.

ويروي كل من ابن هشام^(٦)، والطبري^(٧)، السبب الذي لأجله خطب النبي ﷺ هذه الخطبة بقولهم: لما كانت حجة الوداع قدم الإمام علي (عليه السلام) من اليمن ومعه عدد من الجند تعجل في الوصول إلى النبي ﷺ، فاستخلف أحد أصحابه عليهم، فقام باستعمال بعض ما قدم به الإمام علي (عليه السلام) من خمس الغنائم، فلما

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٤٨.

(٢) المغازي، ج ٣، ص ١٠٨٧.

(٣) السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٧٨.

(٤) تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١٤٨-١٤٩.

(٥) مسند، الحديث (١١٨٣٩)، ص ٨٣٧.

(٦) السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٧٨.

(٧) تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١٤٩.

دنا الجيش من مكة خرج علي عليه السلام ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل، فقال لمن استخلفه: ويلك ما هذا؟! قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، وإن أصحاب علي عليه السلام طلبوا منه أن يركبوا و يريحوا على إبل الصدقة بحجة أن يابلهم خلاً و ضعفاً، فأبى عليهم ذلك وقال: إنما لكم منها سهم كما للمسلمين، فعد بعض أصحاب علي عليه السلام ذلك منه غلظة وتضييقاً، فأظهر الجيش شكواه للنبي صلى الله عليه وآله لما صنع بهم الإمام علي عليه السلام.

يبدو إن ابن كثير^(١) حاول خلط الأمور بعدما وجد نفسه أمام تواتر مستفيض لبيعة الغدير لا يسمح بالطعن بسند الحديث، فقال إن خطبة النبي صلى الله عليه وآله في الناس ونهيه عن شكواهم لعلي عليه السلام كانت بعد إتمام مراسيم الحج، وليس حين قدم الإمام علي عليه السلام من اليمن، وإنما كانت لتبرئة ساحة الإمام علي عليه السلام، لا لأجل إعطائه البيعة والولاية، فقد ورد عن قوله معللاً سبب حديث الغدير: ولما كثر القيل والقال في علي واشتهر الكلام فيه في الحجيج وبالأخص بين أهل المدينة، ولم يرد الرسول صلى الله عليه وآله أن يفعل ذلك في أثناء موسم الحج، لأن الحادثة رغم انتشارها بقيت محدودة في أهل المدينة، كما أنه لم يؤخره حتى يصل المدينة حتى لا يمكن للمنافقين من استغلال مثل هذه الحادثة في مكائدهم، وبعد فراغه صلى الله عليه وآله من الحج، وفي أثناء عودته إلى المدينة، قام في الناس خطيباً فبرأ ساحة علي ورفع من قدره ونبه على فضله ونوّه بشأنه، ليزيل ما وقر في نفوس كثير من الناس وبالأخص من كان معه في اليمن، وأخذوا عليه بعض الأمور، بسبب ما جرى له من أصحابه!! ثم يروي أحمد بن حنبل خطبة أخرى للنبي صلى الله عليه وآله عن حماد بن أسامة، عن مجالد، عن عامر، عن جابر بن سمرة السوائي قال: سمعت رسول

(١) البداية والنهاية: ج ٥، ١٠٤-١٠٥.

الله ﷺ يقول في حجة الوداع إن هذا الدين لن يزال ظاهراً على من ناوأه لا يضره مخالف ولا مفارق حتى يمضي من أمتي اثنا عشر خليفة، قال: ثم تكلم بشيء لم أفهمه، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش^(١).

وفي موقف ثالث ذكر ابن حنبل^(٢) أربعة أحاديث بالسند نفسه، عن يحيى بن آدم، عن حبشي بن جنادة، وكان قد شهد يوم حجة الوداع، قال: قال رسول الله ﷺ علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي، لا يقضي عني ديني إلا أنا أو علي. وعن يحيى بن سعيد، حدثنا شعبة قال: حدثني عمرو بن مرة، عن أبيه قال: حدثني رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ على ناقه حمراء مخضرة فقال: أتدرون أي يومكم هذا؟ قلنا يوم النحر، قال: صدقتم يوم الحج الأكبر، أتدرون أي شهر شهركم هذا؟ قلنا: ذو الحجة، قال: صدقتم شهر الله الأصم، أتدرون أي بلد بلدكم هذا؟ قلنا المشعر الحرام، قال: صدقتم، قال: فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا وشهركم هذا وبلدكم هذا، ألا وإني فرطكم على الحوض أنظركم وإني مكاثركم الأمم فلا تسودوا وجهي، ألا وقد رأيتموني وسمعتم مني وستسألون عني، فمن كذب علي فليتبوأ مقعده من النار، إلا وإني مستنقذ رجالاً أو إناثاً ومستنقذ مني آخرين فأقول يا رب أصحابي، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك^(٣).

نلاحظ من خلال الأحاديث التي تناولت خطب النبي ﷺ خلال حجة الوداع، أن النبي ﷺ قد بدأ يهيب نفوس المسلمين لاستقبال خبر استخلاف الإمام

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث، (٢١٠٩٩)، ١٥٢٨.

(٢) المصدر نفسه، الأحاديث (١٧٦٤٥)، (١٧٦٤٦)، (١٧٦٤٧)، (١٧٦٥١)، ص ١٢٦٢.

(٣) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٣٨٩٣)، ص ١٧٤٦.

علي عليه السلام، على الرغم من معرفته عليه السلام أن البعض لا يروق له هذا الاستخلاف، وأنهم سوف يحدثون في سنته، ويعصون أوامرهم، إلا أنه عليه السلام استطاع معالجة النفوس بالترغيب والترهيب، وما يمتلكه من وهج نور النبوة المؤثر في شخصياتهم، فلم يكن نعي النبي عليه السلام نفسه في حجة الوداع موجباً لهم بالرفض لهذا الاستخلاف، ذلك لأن موعد رحيله إلى الرفيق الأعلى لم يكن في تصورهم قريباً، على العكس مما حصل في رزية يوم الخميس حيث كانوا يتوقعون موته عليه السلام في أي لحظة، لذلك ظهرت من البعض حينها ردود فعل تدل على الإنكار والعصيان. وتشير الرواية التي نقلها أحمد بن حنبل^(١) عن أبي النضر، عن الأعمش، عن عطية الموفى، عن أبي سعيد الخدري عن النبي عليه السلام قوله: «إني أوشك أن ادعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله حبل ممدود بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني: إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا بهم تخلفوني فيهما. إلى معرفته التامة بردود أفعالهم غير الموافقة لما طلب منهم بعد مفارقتهم إياهم.

إعلان البيعة: أعلن النبي عليه السلام عن بيعة الإمام علي عليه السلام في يوم الغدير، وكان ذلك بدعم وتأيد من السماء لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢) وتأثير وتخطيط شخصي من النبي عليه السلام بوصفه قائداً إلهياً وسياسياً في آن واحد، وقد ورد في مسند أحمد بن حنبل ذكرٌ لتفاصيل خطاب النبي عليه السلام في ذلك اليوم، وتهنئة الصحابة الإمام علياً عليه السلام بولايته على المسلمين، إذ حدث عن عثمان، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب قال: كنا مع رسول الله عليه السلام في سفر فزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول

(١) المصدر نفسه، الحديث (١١٤٨)، ص ٧٨٧.

(٢) سورة المائدة، الآية (٦٧).

الله ﷺ تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد علي (عليه السلام) فقال أستم تعلمون أي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: أستم تعلمون أي أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، قال: فلقية عمر بن الخطاب بعد ذلك فقال: هنيئاً يا بن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة^(١).

وعن عفان، عن أبي عوانة، عن المغيرة، عن أبي عبيد، عن ميمون، عن زيد بن أرقم قال: نزلنا مع رسول الله ﷺ بواد يقال له وادي خم فأمر بالصلاة فصلاها بهجير، قال فخطبنا وظلل لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمرة من الشمس فقال: أستم تعلمون أو لستم تشهدون أي أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه اللهم عاد من عاداه ووال من والاه^(٢).

مناشدة الإمام علي (عليه السلام) صحابة النبي ﷺ ممن سمع حديث الغدير للشهادة له:

ما حصل بعد رحيل النبي ﷺ جعل الإمام علياً (عليه السلام) ينشد الناس ويستشهدهم على سماعهم لقول النبي ﷺ يوم الغدير: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقد أورد ابن حنبل عدداً من الأحاديث حول تلك المناشدة التي حدثت في الكوفة، لما بلغه اتهام الناس له فيما يرويه عن تقديم النبي ﷺ إياه على غيره^(٣) فشهد له جمع من الصحابة حددت روايات المسند عددهم ما بين خمسة إلى ثلاثين صحابياً، لم يرجح ابن حنبل الرواية الأصوب من حيث عدد الصحابة الذين شهدوا على نص النبي ﷺ لعلي (عليه السلام) بالولاية، إذ روى:

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٧٦٧١)، ص ١٣٤٧.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (١٩٥٤٠)، ص ١٤١٣.

(٣) الأميني، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ج ١، ص ٢٠٧.

عن ابن نمير، عن عبد الملك، عن أبي عبد الرحيم الكندي، عن زاذان قال: سمعت علياً في الرحبة وهو ينشد الناس من شهد رسول الله ﷺ يوم غدیر خم وهو يقول ما قال، فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا: أنهم سمعوا رسول الله ﷺ وهو يقول من كنت مولاه فعلي مولاه^(١).

حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا الربيع، حدثني زياد بن أبي زياد: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام ينشد الناس فقال: انشد الله رجلاً مسلماً سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خم ما قال فقام اثنا عشر بديراً فشهدوا^(٢).

حدثنا علي بن حكيم الأودي، أنبأنا شريك، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن وهب، وعن زيد بن يثيع قالاً: نشد علي الناس في الرحبة من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خم إلا قام، قال فقام من قبل سعيد ستة ومن قبل زيد ستة فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول لعلي عليه السلام يوم غدیر خم: أليس الله أولى بالمؤمنين قالوا بلى، قال اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه^(٣). وزاد فيه سعيد وزيد بحسب رواية عبد الله بن أحمد بن حنبل: وانصر من نصره، واخذل من خذله^(٤).

حدثنا حسين بن محمد، وأبو نعيم، قالاً: حدثنا فطر، عن أبي الطفيل قال: جمع علي عليه السلام عنه الناس في الرحبة ثم قال لهم أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خم ما سمع لما قام فقام ثلاثون من الناس، وقال أبو نعيم: فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذه بيده، فقال للناس أتعلمون أني أولى

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٦٤١)، ص ٩٢-٩٣.

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (٦٧٠)، ص ٩٥.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (٩٥٠)، ص ١١٦.

(٤) المصدر نفسه، الحديث (٩٥١)، ص ١١٦.

بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا نعم يا رسول الله: قال من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، قال: فخرجت وكأن في نفسي شيئاً فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إني سمعت علياً (عليه السلام) عنه يقول كذا وكذا قال فما تنكر قد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول ذلك له^(١).

حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي اسحاق، قال: سمعت سعيد بن وهب، قال: نشد علي (عليه السلام) الناس فقام خمسة أو ستة من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فشهدوا إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: من كنت مولاه فعلي مولاه^(٢).

حدثنا اسود بن عامر، حدثنا أبو إسرائيل، عن الحكم، عن زيد بن أرقم قال: استشهد علي الناس فقال: أنشد الله رجلاً سمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، قال فقام ستة عشر رجلاً فشهدوا^(٣).

كانت بيعة غدير خم في الثامن عشر من ذي الحجة^(٤)، وقد خلدها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٥)، وفي هذه الآية الكريمة من الدلالات التي تجعلها اختباراً مستمراً لكل المسلمين في الماضي والحاضر والمستقبل، لأنها تشير بوضوح إلى أن الله عز وجل قد أوصل المسلمين عن طريق رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى كمال الدين وتمام النعمة، تكمن دلالاتها في أن الإمام علياً (عليه السلام) هو الفرد الوحيد المؤهل لإقامة

(١) المصدر نفسه، الحديث (١٩٥١٧)، ص ١٤١٢.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٢٣٤٩٥)، ص ١٧١٥.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (٢٣٥٣١)، ص ١٧١٨.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٤٩.

(٥) سورة المائدة، الآية (٣).

دين الله الذي ارتضاه للناس بعد رسول الله ﷺ فعلي والقرآن تركته النبي ﷺ للأمة، وكلاهما عدل متلازمان، إلا أن الإمام علياً عليه السلام ترجمان القرآن، لأنه لازم النبي ﷺ طوال مدة نزول القرآن على صدره الشريف، حتى ورد عنه قوله: «أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّْي بِطُرُقِ الْأَرْضِ...»^(١)

سادساً: رزية^(٢) يوم الخميس واستشهاد النبي ﷺ:

روى أحمد بن حنبل^(٣) بسنده، عن عفان، عن وهيب، عن موسى بن عقبة، عن سالم عن أبيه عبد الله بن عمر، أنه كان يسمعه يحدث عن رسول الله ﷺ: حين أمر أسامة بن زيد فبلغه أن الناس عابوا أسامة وطعنوا في إمارته فقام رسول الله ﷺ في الناس فقال: إلا إنكم تعيبون أسامة وتطعنون في إمارته وقد فعلتم ذلك بأبيه من قبل وإن كان خليقاً للإمارة وإن كان لأحب الناس كلهم إليّ وأن ابنه هذا من بعده لأحب الناس إليّ فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم، قال سالم: ما سمعت أبي يحدث هذا الحديث قط إلا قال: ما حاشا فاطمة.

لم يمرض على إعلان النبي ﷺ البيعة لعلي عليه السلام سوى فترة تراوحت بين (٧٠-٨٠ يوماً)^(٤)، حتى بدأت أعراض المرض تظهر على النبي ﷺ، وخلال هذه المدة انصب اهتمام النبي ﷺ على تجهيز جيش بإمرة أسامة بن زيد لغزو الروم، وجعل كبار الصحابة من المهاجرين تحت لوائه^(٥) مستثنياً منهم علي بن أبي طالب عليه السلام.

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٢٨٩.

(٢) الرزية، المصيبة. ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص ١٠١.

(٣) مسند، الحديث (٥٨٤٨)، ص ٤٥٢.

(٤) ينظر في اختلاف أهل السير في تاريخ ابتداء شكوى النبي ﷺ وتاريخ وفاته: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١٦ ص ٢٦٠-٢٦١.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٨١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ج ٣ ص ١٨٤.

والجدير بالذكر أن أسامة بن زيد كان شاباً في الثامنة عشر من عمره، أسود اللون، وهو بعد مولى وليس حراً، وقد تعكز مؤرخو السير والمغازي، فضلاً عن المحدثين على تلك الأمور في تباطئ الجيش في المسير حيث وجههم النبي ﷺ، مما دعا رسول الله ﷺ إلى أن يخرج بنفسه على الرغم من اشتداد المرض عليه، لتفنيده تلك المطاعن، ولإنفاذ جيش أسامة^(١) فسار أسامة بجيشه غير بعيد عن المدينة متربصين أخبارها، وعاد النبي ﷺ وهو مستشعر أن أفراد جيش أسامة تنقصهم العزيمة الصادقة للمسير، ومتوقع إقبال الفتن، لتجاهل المسلمين أوامره وعدم إدراكهم المصالح والأهداف التي توخاها النبي ﷺ من بعث جيش أسامة.

إذ يروي أحمد بن حنبل^(٢) في المسند حديثاً عن أبي مويبة مولى رسول الله ﷺ قال: أمر رسول الله ﷺ أن يصلي على أهل البقيع فصلّى عليهم رسول الله ﷺ ليلة ثلاث مرات، فلما كانت الليلة الثانية قال: يا أبا مويبة أخرج لي دابتي قال فركب ومشيت حتى انتهى إليهم فنزل عن دابته وأمسكت الدابة، فقام عليهم فقال: ليهنكم ما أنتم فيه مما فيه الناس أتت الفتن كقطع الليل يركب بعضها بعضاً، الآخرة أشد من الأولى، فليهنكم ما أنتم فيه ثم رجع، فقال: يا أبا مويبة إني خيرت مفاتيح ما يفتح على أمتي من بعدي والجنة، أو لقاء ربي، فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله فأخبرني، قال: لأن ترد على عقبها ما شاء الله فاخترت لقاء ربي عز وجل فما لبث بعد ذلك إلا سبعا أو ثمانيا حتى قبض ﷺ.

وكان الله تعالى قد أخبر نبيه ﷺ بانقلاب أمته على عقيبتها حين موته شأنها شأن الأمم التي سبقتها مع أنبيائها، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ

(١) الواقدي، المغازي، ج ٥، ص ٨٤؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٤٠٩؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٩٠؛ البخاري، صحيح البخاري، ج ٤، ص ٢١٣.

(٢) مسند، الحديث (١٦٠٩٣)، ص ١١٣٢.

مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ^(١). وقد صدق الله ورسوله، فما إن سمع الخارجون تحت لواء أسامة خبر احتضار رسول الله، حتى عادوا إلى المدينة متجاهلين أوامر النبي ﷺ، وكرر رسول الله ﷺ أمره مرة ثانية بأن أنفذوا جيش أسامة، ولكن دون جدوى^(٢) يبدو أن مرحلة الفتن قد بدأت في تلك اللحظات الحرجة من تاريخ الإسلام، بيد أن نبي الرحمة ﷺ منحهم الفرصة الأخيرة ليجنبهم مهالك الفتن، فاجتمع عنده المسلمون، فبدرهم باختبار كشف فيه ﷺ عن نواياهم الحقيقية، فقد طلب منهم أن يأتوه بدواة وصحيفة ليكتب لهم كتاباً لا يضلوا بعده.

وينقل ابن حنبل^(٣) عن ابن عباس تلك الحادثة التي سماها (الرزية): إذ يقول: لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة قال هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجد وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، قال فاختلف أهل البيت فاختصموا فمنهم من يقول يكتب لكم رسول الله ﷺ أو قال قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف وغم رسول الله ﷺ قال قوموا عني، فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم.

وعن ابن عباس أيضاً قال: يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى بل دمه وقال مرة دموعه الحصى، قلنا يا أبا العباس وما يوم الخميس؟ قال: اشتد

(١) سورة آل عمران، الآية (١٤٤).

(٢) المفيد، الإرشاد، ص ١٤٠.

(٣) مسند، الحديث (٢٩٩١)، ص ٢٦٨.

برسول الله ﷺ وجعه فقال: ائتوني أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما شأنه أهجر، فذهبوا يعيدون عليه، فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه، وأوصى بثلاث قال: اخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم وسكت الراوي عن الثالثة فلا أدري اسكت عنها عمدا أو نسيها^(١).

كانت ردود الأفعال للوهلة الأولى تنم عن سلبية وفشل في الاختبار الذي قام به النبي ﷺ لأصحابه، تمثلت في ثلاث أشكال:

الشكل الأول: رد الفعل الأول يدل على أنه لا حاجة بعد لهم بالنبي ﷺ، وذلك من خلال قولهم: حسبنا كتاب الله، أي يكفينا القرآن، وهم يعلمون أن القرآن الكريم آياته مجملة، تحتاج إلى تفصيل، وأن رسول الله ﷺ هو المفصل والمؤول لتلك الآيات، فضلاً عن أنه ﷺ لا يأتي شيئاً فيه خروج عن الأمر الإلهي الوارد في القرآن، إذ يقول الباري عز وجل: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾^(٢).

الشكل الثاني: التنازع والاختصام والاختلاف في حضرة النبي ﷺ مخالفة صريحة لما ورد في القرآن الكريم من النهي عن رفع الأصوات فوق صوت النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾^(٣) وكذلك تجاوزهم للأمر الإلهي في إلزام الآخرين بما يحكم به رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٩٣٥)، ص ١٩٣.

(٢) سورة الحاقة، الآيات (٤٤، ٤٥، ٤٦).

(٣) سورة الحجرات، الآية (٢).

أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا^(١).

الشكل الثالث: الإساءة لمقام النبي ﷺ والنبوة، بأن قالوا غلب عليه الوجد - يهجر، يهذي - وهذا منافٍ لما صرح به القرآن من انه ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢)، بل ويفتقر إلى أدنى أخلاقيات وآداب التعامل مع الإنسان في حالته الاعتيادية، فكيف بالتعامل بها مع رسول الله ﷺ وهو في ساعاته الأخيرة!

ويحدد الغزالي^(٣) أسباب فشل المسلمين في هذا الاختبار بقوله: (أسفرت الحجة وجهها، واجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته ﷺ يوم غدیر خم باتفاق الجميع وهو يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقال عمر: بخ بخ يا أبا الحسن، لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن، فهذا تسليم ورضى وتحكيم، ثم بعد ذلك غلب الهوى لحب الرئاسة، وحمل عمود الخلافة، (وفسخ) عقود البنود، وخفقان الهوى في قعقة الرايات، واشتباك الخيول، وفتح الأمصار، وسقاهم (الشیطان) كأس الهوى فعادوا إلى الخلاف الأول (الجاهلية)، فنبذوه (عهد البيعة) وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً، ولما مات رسول الله ﷺ قال قبل وفاته: اتئوني بدواة وبياض لأزِيل لكم إشكال الأمر... قال عمر: دعوا الرجل فإنه يهجر).

من يتصفح سيرة النبي ﷺ يجزم أنه من المستبعد على شخصية كشخصية رسول الله ﷺ أن يترك مستقبل الرسالة التي ضحى من أجلها بالغالي والنفيس، دون أن يرسم لها ملامحها الواضحة، ويحدد سبلها الشارعة بما يتفق مع إرادة الله

(١) سورة الأحزاب، الآية (٣٦).

(٢) سورة النجم، الآية (٣، ٤).

(٣) أبو حامد محمد بن محمد بن محمد (ت: ٥٠٥هـ / ١١١١م) سر العالمين وكشف ما في الدارين، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت)، المقالة الرابعة، ص ١٠ - ١١.

سبحانه وتعالى، حيث تشير الأحاديث والأحداث الخاصة بيوم الرزية إلى الآتي:
 إن النبي ﷺ أمر بإخراج المتنازعين في محضره من الصحابة، وأبقى علياً (عليه السلام) عنده، فأملى عليه الكتاب الذي امتحن أصحابه فيه، حيث يورد أحمد بن حنبل^(١) حديثاً يؤكد كتابة الإمام علي (عليه السلام) الكتاب بأمر وإملاء من رسول الله ﷺ: فعن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: أمرني النبي ﷺ أن آتیه بطبق يكتب فيه ما لا تضل أمته من بعده....

وقد وضع رسول الله ﷺ لعلي (عليه السلام) برنامجاً متكاملًا لمستقبل الدعوة الإسلامية، فأعطاه القرآن وتأويله، والسنة وتطبيقاتها، والأحكام المتعلقة بالحوادث التي تقع في المستقبل، ويكون حكمها بالاجتهاد، وحدد له الأنظمة الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والعلمية، وأمره بجمع كل ذلك^(٢)، والدليل على ذلك قول الإمام علي (عليه السلام) في هذا الشأن: فما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلا أقرانيها وأملاها علي فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصتها وعامتها، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظا، فما نسيت آية من كتاب الله، ولا علما أملاه علي وكتبته منذ أن دعا الله لي بما دعا^(٣).

ثم انتقل إلى تدوين السنة فدونها في الصحيفة الجامعة، فقد ورد عن أم سلمة قولها: دعا رسول الله ﷺ بأديم وعلي بن أبي طالب عنده، فلم يزل رسول الله ﷺ

(١) مسند، الحديث، (٦٩٣)، ص ٩٦.

(٢) خليفات، مروان، النبي ومستقبل الدعوة، ط ١، مركز الأبحاث العقائدية، (د.م، ١٤٢٠ هـ)، ص ٢٥.

(٣) الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٨٥.

يملي وعلي يكتب حتى ملأ بطن الأديم وظهره وأكارعه^(١)، وقد وصف الإمام الباقر عليه السلام تلك الصحيفة لأحد أصحابه قائلاً: وإن عندنا الجامعة وما يدرهم ما الجامعة! قال: جعلت فداك، وما الجامعة؟ قال: عليه السلام صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله ﷺ وإملائه من فلق فيه، وخط علي يمينه، فيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج إليه الناس حتى الأرض في الخدش^(٢).

وعن الباقر عليه السلام أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام أكتب ما أمني عليك. فقال: عليه السلام يا نبي الله، وتخاف علي النسيان؟ فقال: عليه السلام لست أخاف عليك النسيان، وقد دعوت الله لك أن يحفظك ولا ينسيك، ولكن، أكتب لشركائك. فقال: عليه السلام قلت: ومن شركائي، يا نبي الله؟ قال: عليه السلام الأئمة من ولدك^(٣).

ويروي المفيد^(٤) رواية مفادها: إن النبي ﷺ قد أعرض بوجه القوم، وأمر بإخراجهم، وبقي عنده الإمام علي والعباس، فعرض النبي ﷺ وصيته على العباس، فأبى أن ينهض بها، وقبلها الإمام علي عليه السلام، فدفع له جميع مورثاته، وقال: له امض على اسم الله إلى منزلك، ثم كان اليوم التالي طلب النبي ﷺ وهو في بيت عائشة أن يدعوا له أخاه علياً عليه السلام فلما دنا منه ناجاه طويلاً، فلما فرغ من مناجاة رسول الله ﷺ، سأله الناس: ما الذي أوعز به النبي ﷺ إليك يا أبا الحسن؟ فقال: لقد علمني ألف باب فتح لي كل باب ألف باب، وأوصاني بما أنا قائم به إن شاء الله تعالى.

(١) الرامهرمزي، الحد الفاصل، ص ٦٠١.

(٢) الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٢٣٩.

(٣) الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٦-٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ١٠٠.

(٤) الإرشاد، ص ١٤١ - ١٤٢.

ويروي ابن حنبل^(١) حديثاً عن أبي جحيفة قال: سألتنا علياً (عليه السلام)، هل عندكم من رسول الله (ﷺ) شيء بعد القرآن؟ قال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهم يؤتية الله عز وجل في القرآن، وما في الصحيفة، قلت وما في الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلماً كافر. ويوحى هذا الحديث إلى أن هناك شياعاً بين الناس عن وجود تلك الصحيفة عند الإمام علي (عليه السلام) فكانوا يسألونه، وكان يجيبهم، إجابة فيها تورية وهو أسلوب دأب المعصومون على استعماله، ليجنبهم الكذب^(٢).

إن منهج أحمد بن حنبل في إيراد الأحاديث المتعلقة في اللحظات الأخيرة من حياة النبي الأعظم (ﷺ) كان متناقضاً، فهو يروي بسنده عن عائشة أنها قالت: لما ثقل رسول الله (ﷺ) قال لعبد الرحمن بن أبي بكر: إئتني بكتف أو لوح حتى اكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه، فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم، قال النبي (ﷺ): ابى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر^(٣). وبعد ذلك يروي حديثاً آخر عن عائشة أيضاً تقول فيه: قبض رسول الله (ﷺ) ولم يستخلف أحداً، ولو كان مستخلفاً أحداً لاستخلف أبا بكر أو عمر^(٤). ثم يورد حديثاً ثالثاً عن عائشة تؤكد فيه بأن النبي (ﷺ) مات في حجرها، إذ تقول: متى أوصى النبي (ﷺ) لعلي، وقد مات في حجري^(٥)، إلا أن ابن حنبل روى بسنده عن السيدة أم سلمة ما يناقض ذلك، إذ تقول: والذي احلف به إن كان علي (عليه السلام) لأقرب الناس عهداً برسول الله (ﷺ) قالت: عدنا رسول الله (ﷺ) غداة بعد غداة، وكان (ﷺ) يقول: هل جاء علي مراراً،

(١) مسند، الحديث (٥٩٩)، ص ٨٩؛ البخاري، صحيح البخاري، ج ١، ص ١١١.

(٢) خليفات، النبي ومستقبل الدعوة، ص ٣٧.

(٣) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٤٧٠٣)، ص ١٨١٣.

(٤) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٤٨٥٠)، ص ١٨٢٤.

(٥) المصدر نفسه، الحديث، (٢٤٥٤٠)، ص ١٨٠٣.

قالت: وأظنه كان بعثه في حاجة، قالت: فجاء بعد، فظننت أن رسول الله ﷺ إليه حاجة فخرجنا من البيت فقعنا عند الباب فكنت من أدناهم إلى الباب فأكب عليه علي فجعل يساره ويناجيه ثم قبض رسول الله ﷺ من يومه ذلك فكان علي أقرب الناس به عهداً^(١).

هذه المتناقضات، كانت البذرة الأولى للفتنة والشقاق التي تنبأ رسول الله ﷺ بوقوعها، والتي شتت شمل المسلمين وجعلتهم فرقاً وأحزاباً، تحتج كل فرقة على الأخرى بحديث رسول الله ﷺ الذي عملته أيدهم لإثبات حقها وأحقيتها، الأمر الذي جعل المستشرقين يلقون باللوم في مشكلة الحكم والخلافة على رسول الله ﷺ، لأنه لم يبت بشكل قطعي في أمر من يخلفه وذلك لأنهم لما اطلعوا على تلك المتناقضات الموجودة في كتب الحديث والسيرة، لم يستوعبوا حقيقة أمرها، أو ربما أنهم استوعبوا، ولكنهم وجدوا فيها فرصة مواتية للطعن برسول الله ﷺ، وانه ﷺ لم يكن بكفاءة رسلهم وأنبيائهم، وهو نوع من أنواع التعصب الديني، لأن الاستشراق نشأ في ظل الحروب الصليبية على الإسلام^(٢).

انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، فكانت آخر منقبة من مناقب الإمام علي وفضائله في عهد النبوة أن تشرف بغسل النبي ﷺ وتكفينه ودفنه، ثم صلى عليه، وأمر المسلمين أن يصلوا عليه، حيث جاء في مسند أحمد بن حنبل^(٣) عن ابن عباس انه قال: لما اجتمع القوم لغسل رسول الله ﷺ، وليس في البيت إلا أهله... وجعل علي عليه السلام يغسله، وهو يقول: بأبي وأمي يا رسول الله طبت حياً وميتاً.

(١) المصدر نفسه، الحديث (٢٧١٠٠)، ص ١٩٧٥.

(٢) ينظر: جباد، حاتم كريم، الإمام علي في كتابات المستشرقين الغربيين، دراسة تاريخية تحليلية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الكوفة، ص ١٣٧ وما بعدها.

(٣) مسند، الحديث (٢٣٥٧)، ص ٢٢١.

وتفرد ابن حنبل^(١) في رواية حديثٍ عن الإمام الصادق (عليه السلام) يصف فيه ما كان يفعل الإمام علي (عليه السلام) لما كان يغسل النبي (صلى الله عليه وآله) إذ يقول: كان ماء غسله (صلى الله عليه وآله) حين غسلوه بعد وفاته يستنقع في جفون النبي (صلى الله عليه وآله) - يتجمع الماء في محاجر عينيه - فكان علي (عليه السلام) يحسوه - أي يشربه - .

وانتهت حقبة العهد النبوي التي كان بطلها النبي (صلى الله عليه وآله) وجنديه الباسل علي (عليه السلام)، ولنا أن نقول بنهاية هذا الفصل: إن من الصعوبة بمكان أن يكتب التاريخ الإسلامي، أو أي شيء في الإسلام دون المرور بعلي (عليه السلام)، فهل هناك شاردة أو واردة في هذا الإسلام المديد، إلا كان النبي (صلى الله عليه وآله) أصل وجودها والإمام علي (عليه السلام) همزة وصلها؟ ولكن إذا كان الإمام علي (عليه السلام) بمعية النبي (صلى الله عليه وآله)، ووحى السماء ينزل عليه بالتشريع والأوامر والنواهي، والنبي (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) يقاتلان على التنزيل، ومع ذلك لم تبلغ الأمة كمالها من الوعي والإدراك لفهم دينها، فكيف بعلي (عليه السلام) بعد أن بقي وحيداً، وهو مأمور أن يقاتل على التأويل، هكذا بدأت المرحلة الثانية من مراحل تاريخ الإسلام في عهد الاختلاف، فلم تكن معاناة الإمام (عليه السلام) في هذه المرحلة طلب الدنيا التي كانت عنده: أزهّد من عطفة عنز^(٢)، ولا طلب الخلافة كما يظن البعض، إذ كانت عنده لا تساوي قيمة نعله، قال عبد الله بن عباس: دخلت على أمير المؤمنين (عليه السلام) بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة لها، فقال: والله هي أحب إليّ من إمرتك، إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً^(٣)، بل كان همه الأكبر أن ينجز ما كلفه النبي (صلى الله عليه وآله)، وهو التطبيق الواقعي لأطروحة السماء لأن الإسلام اكتمل تنزيله في عهد النبي

(١) مسند، الحديث (٢٤٠٤)، ص ٢٢٦.

(٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة الشقشقية، ص ٢٧.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة (٣٣)، ص ٦٠.

عن النبي صلى الله عليه وآله بنص القرآن قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١)، لذلك كان الإمام علي عليه السلام يقول مشيراً إلى صدره الشريف: إن هاهنا لعلماً جماً لو أصبت له حملة^(٢)، هذا ما يتوضح لنا في الفصل القادم من خلال استعراض سيرة الإمام علي عليه السلام في عهد الخلفاء من خلال مرويّات أحمد بن حنبل الواردة في مسنده.

(١) سورة المائدة، الآية (٣).

(٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة رقم (١٤٧)، ص ٥٢٧.

الفصل الرابع

الإمام علي عليه السلام

في مرويات ابن حنبل

(بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم)

المبحث الأول

الإمام علي عليه السلام وقضية الخلافة

مشكلة الخلافة:

إن قضية الخلافة وإمامة المسلمين أعقد المشاكل التي تعرضت لها الأمة، وقد كثر الكلام والجدال فيها بين العلماء القدامى^(١) والمحدثين^(٢)، فقد شهدت العصور الإسلامية المتعاقبة الكثير من الاختلاف في هذه المسألة، بوصفها المشكلة الرئيسة الكبرى التي دار عليها البحث في نظام الحكم السياسي في الدولة الإسلامية، ولا نغالي إذا قلنا إن قضية الخلافة والإمامة كانت ولا تزال من أخطر قضايا الفكر الإسلامي وأشدّها تعقيداً عندما توضع موضع التطبيق والممارسة، حتى عدّ الخلاف الناشب بين المذاهب والفرق الإسلامية التي نشأت في ظل أزمة الخلافة والإمامة، أعظم خلاف فكري في الإسلام، بيد إن ذلك الخلاف لم يقف عند حد

(١) ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ١٩؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٨٤-٨٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٠٥-٢٠٨؛ ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد (ت: ٣١٤هـ/ ٩٢٦م): كتاب الفتوح، تحقيق: علي شيري، ط ١، دار الأضواء، (بيروت، ١٩٩١م)، ج ١، ص ٦؛ الجوهري البصري، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز (ت: ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م): السقيفة وفدك، جمع وتحقيق: محمد هادي الأميني، ط ٢، شركة الكتبي، (بيروت، ١٩٩٣م)، ص ٥٣.

(٢) ينظر: حسين، طه، الفتنة الكبرى، ط ٦، دار المعارف، (مصر، ١٩٦٦م)، ج ١، ص ٧٣؛ الرئيس، محمد ضياء الدين، النظريات السياسية، ط ٦، مكتبة دار التراث، (القاهرة، ١٩٧٦م)، ص ٨٩-١٢٣؛ عبد الحميد، صائب، تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي، ط ٢، مؤسسة دار معارف الفقه الإسلامي، (قم، ٢٠٠٥م) ص ٥٧٨؛ عمارة، محمد، الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية، ط ٢، المكتبة العالمية، (بغداد، ١٩٨٢م)، ص ٦١-١١٩.

الجدل الفكري والحجاج النظري، بل تحول إلى صراع دامي، فقد جرد المسلمون سيوفهم لحسم خلافاتهم فيها، وفي ذلك يقول الشهرستاني^(١): (وأعظم خلاف الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية، مثل ما سل على الإمامة في كل زمان ومكان). وتعرّف الإمامة: على أنها موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وإن بداية النزاع بين الصحابة حولها كان في حال مرض النبي ﷺ واشتدت الخلافات بينهم بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى^(٢)، ولا غرابة في الاختلاف بين الصحابة، ولكن الغريب أن يحمل المسلمون النبي ﷺ المسؤولية التامة عن تلك الاختلافات لأنه مات دون أن يعين للمسلمين خليفة له ولهم، بل انه ﷺ لم يبلغ المجتمع الإسلامي نصاً من نصوص القرآن يحدد القاعدة الثابتة التي يتم بها اختيار الخليفة، وكأنها أراد ﷺ بذلك أن يترك الأمر شورى للمسلمين ليختاروا أصلحهم جرياً على النظام القبلي الذي ألفه العرب! ولهذا كان من الطبيعي أن يعود المسلمون إلى العرف العربي القديم يلتمسون منه حلاً لمشكلة الخلافة، ويحتكمون إليه في تحديد اختيار ذوي السن المتقدمة ضمن قاعدة اختيار القبيلة رئيساً لها؟ وإن كان هذا يتعارض مع ما ذكر بعض أهل الحديث من ان النبي ﷺ قد نص على استخلاف أبي بكر، ويتعارض أيضاً مع ما جاء في المدونات الحديثية نفسها بأن النبي قد بلغ الأمة بإمامة علي عليه السلام، الأمر الذي اضطر المسلمين إلى اللجوء إلى مبدأ الشورى انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾^(٣)، على أنه نص قرآني لا يتعارض مع العرف القبلي،

(١) الملل والنحل، ج ١، ص ٢٨.

(٢) الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق (ت: ٣٢٤هـ / ٩٣٥م): مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تصحيح: هلموت ريتز، وفرانز شتاينز، ط ٢، (فيسبادن، ١٩٦٣م)، ص ٢.

(٣) سورة الشورى، الآية (٣٨).

بل محل التناقض الذي أوجدوه في أحاديث النبي ﷺ في الاستخلاف، فهو تطبيق عملي لقولهم: حسينا كتاب الله^(١).

إن عامة المسلمين يعلمون أن النبي قد هدم العرف القبلي، وحل الروابط العشائرية، وجعل رابطة الإسلام محلها، وجعل القرآن دستوراً للمسلمين، وسنته الشريفة شارحة ومفصلة لما أجمله القرآن فكانت هي القانون المفصل للدستور الإلهي، وإن مشكلة الخلافة نشأت في أواخر حياة النبي ﷺ وكان بإمكان المسلمين أن يسألوا رسول الله ﷺ عن من يخلفه، بل إن كل ما احتاج إليه النبي ﷺ كي يحدد لهم الشخصية المستخلفة من بعده هو (قرطاس وصحيفة) حتى يجنب أمته الضلالة من بعده، فلما رفض المسلمون كتابة النبي ﷺ للكتاب، كان من البديهي أن يقعوا في التيه والضلال والعودة إلى الجاهلية الأولى ولكن بلباس الإسلام، ولو أنهم فعلاً عملوا بكتاب الله كما يقولون لو جدوا إن القرآن الكريم نزه رسول الله ﷺ عما نسبوه إليه من اجل إبراء ساحتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٢)، هذه الآية الكريمة حصرت الولاية بالله ورسوله والذين آمنوا، مع تخصيص وحصر دقيق لمن يمثل هؤلاء الذين آمنوا، هو من يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة وهو راکع لله عز وجل، وقد أشار بعض المفسرين إلى أن الآية نزلت في حق علي بن أبي طالب عليه السلام حين تصدق بخاتمه وهو يصلي^(٣)، ثم عزز النبي ﷺ النص القرآني بقوله يوم غدیر خم: (ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، فقال: من كنت مولاه

(١) الرئيس، النظريات السياسية، ص ٣٨.

(٢) سورة المائدة، الآية (٥٥).

(٣) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٦، ص ٣٤٤؛ الرازي، التفسير الكبير، ج ١٢، ص ٣٨٣؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٦، ص ١٤٤.

فعلي مولاه^(١).

إن الله تعالى ألزم نبيه ﷺ أن يبلغ أوامره ونواهيه وشرائع دينه إلى الناس، وأن يشخص لهم الصالح من الطالح، دون إن يكرههم عليه؛ وذلك لأن الله تعالى خلق الإنسان عاقلاً ومختاراً، كي يكون الثواب والعقاب، بعد البيان عدلاً من الله بما كسبت أيدي الناس، فقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢).

لو دققنا النظر إلى جوهر مشكلة الخلافة نجده يكمن في الشعار الذي رفع في بدايتها فتسبب في إقصاء النبي ﷺ وسنته الشريفة (حسبنا كتاب الله) وجعل الأمة الإسلامية تتخبطها الفتن، وهو الشعار نفسه الذي تسبب في استشهاد الإمام علي (عليه السلام) وانتهاء عصر الخلافة الراشدة، واعتلاء ملوك بني أمية عرش الحكم معلنين القضاء على الإسلام المحمدي، ألا وهو (لا حكم إلا لله)، وأن الشورى والتحكيم ما هي إلا أساليب جدال وإكراه، استغلوا فيها سذاجة وضعف البعض، باستخدام الخداع والمكر، كان ضحيتها الإسلام المحمدي الأصيل، وآل بيت النبوة، والأمة الإسلامية التي ما كادت أن تشم رائحة العدل والمساواة، حتى أركست في الفتن والحروب.

وفي ضوء ما جاء في مسند أحمد بن حنبل من أحاديث ذكرت الكيفية التي بويع بها الخلفاء الثلاثة، يمكننا أن نتناول الحيشات والظروف التي تمت فيها

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٧٦٧١)، ص ١٣٤٧.

(٢) سورة البقرة، الآيتان (٢٥٦، ٣٥٧).

تلك البيعات، بالدراسة والتحليل والنقد والمقارنة بما جاء في المصادر التاريخية والحديثية، مع بيان موقف الإمام علي عليه السلام منها:

أولاً: حادثة السقيفة.

شهدت سقيفة بني ساعدة^(١) عام ١١هـ / ٦٣١م أول خلاف سياسي في تاريخ الإسلام، حدث في اليوم نفسه الذي توفي فيه رسول الله ﷺ، حيث لم يتوان صحابته حين إكمال مراسيم تشييعه وتغسيله ودفنه ﷺ، لا ريب أن ذلك الفعل يمثل غاية نكران الجميل من أمة محمد لنبيها ﷺ، الأمر الذي دعا الإمام علياً عليه السلام أن يعتزل الناس، ويغلق الباب بوجه بعض المهاجرين والأنصار، ليتكفل بتجهيز النبي ﷺ^(٢).

إذ يذكر أحمد بن حنبل حديثاً عن عائشة قالت فيه: (ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي من آخر الليل ليلة الأربعاء)^(٣).

وقد روى أحمد بن حنبل في مسنده^(٤) حديث السقيفة المروي عن عمر بن الخطاب: قال ابن عباس وكنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف فوجدني وأنا أنتظره وذلك بمنى في آخر حجة حجها عمر بن الخطاب، قال عبد الرحمن بن عوف إن رجلاً أتى عمر بن الخطاب فقال: (إن فلانا يقول لو قد مات عمر بايعت فلاناً، فقال عمر: إني قائم العشية في الناس فمحذرهم، هؤلاء الرهط الذين

(١) سقيفة بني ساعدة: عبارة عن ظلة في المدينة كانوا يجلسون تحتها، وتقع في منازل بني الخزرج بن ساعدة، في دار جرار سعد التي تسقي الناس فيها الماء بعد موت أمه، هي صفة لها سقف. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٢٠٤١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٢٨.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣٠٨.

(٣) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٤٨٣٧)، ص ١٨٢٣.

(٤) المصدر نفسه، الحديث (٣٩١)، ص ٧٢-٧٣.

يريدون أن يغصبوهم أمرهم، قال عبد الرحمن: فقلت يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الموسم يجمع رعاك الناس وغوغاءهم، وأنهم الذين يغلبون على مجلسك إذا قمت في الناس فأخشى أن تقول مقالة يطير بها أولئك فلا يعوها ولا يضعوها على مواضعها ولكن حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة وتخلص بعلماء الناس وأشرفهم فتقول ما قلت متمكناً فيعون مقالتك ويضعونها مواضعها، فقال عمر: لئن قدمت المدينة سالماً صالحاً لأكلمن بها الناس في أول مقام أقومه، فلما قدمنا المدينة في عقب ذي الحجة وكان يوم الجمعة عجلت الأرواح صكة الأعمى، فقلت لمالك: وما صكة الأعمى؟ قال: إنه لا يبالي أي ساعة خرج لا يعرف الحر والبرد ونحو هذا، فوجدت سعيد بن زيد عند ركن المنبر الأيمن قد سبقني فجلست حذاءه تحك ركبتي ركبته فلم أنشب أن طلع عمر فلما رأيته قلت ليقولن العشيّة على هذا المنبر مقالة ما قالها عليه أحد قبله، قال فأنكر سعيد بن زيد ذلك، فقال: ما عسيت أن يقول ما لم يقل أحد؟ فجلس عمر على المنبر فلما سكّت المؤذن قام فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس فإنني قائل مقالة قد قدر لي أن أقولها لا أدري لعلها بين يدي أجلي فمن وعأها وعقلها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته ومن لم يعها فلا أحل له أن يكذب عليّ، إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب وكان مما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل لا نجد آية الرجم في كتاب الله عز وجل فيضلوا بترك فريضة قد أنزلها الله عز وجل، فالرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو الحبل أو الاعتراف، ألا وإننا قد كنا نقرأ لا ترغبوا عن آبائكم فإن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم ألا وإن رسول الله ﷺ قال لا تطروني كما أطري عيسى ابن مريم عليه السلام فإنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله، وقد بلغني

أن قائلاً منكم يقول لو قد مات عمر بايعت فلانا فلا يفترن امرؤ أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة^(١)، ألا وإنما كانت كذلك ألا وإن الله عز وجل وقى شرها وليس فيكم اليوم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر، ألا وأنه كان من خيرنا حين توفي رسول الله ﷺ، إن علياً والزبير ومن كان معهما تحلفوا في بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ وتحلفت عنا الأنصار بأجمعها في سقيفة بني ساعدة واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت له: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلاً صالحاً فذكر لنا الذي صنع القوم، فقالوا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلت: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار فقالوا: لا عليكم أن لا تقربوهم واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين فقلت والله لنأتينهم فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا هم مجتمعون وإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل، فقلت: من هذا؟ فقالوا: سعد بن عباد، فقلت: ما له؟ قالوا: وجع فلما جلسنا، قام خطيبهم فأثنى على الله عز وجل بما هو أهله وقال: أما بعد فنحن أنصار الله عز وجل وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا وقد دفت دافة منكم يريدون أن يخذلونا من أصلنا ويحضنونا من الأمر، فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أردت أن أقولها بين يدي أبي بكر وقد كنت أداري منه بعض الحد وهو كان أحلم مني وأوقر، فقال أبو بكر: على رسلك فكرهت أن أغضبه وكان أعلم مني وأوقر والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قالها في بديته وأفضل حتى سكت، فقال: أما بعد فما ذكرتم من

(١) سميت بالفلتة: لأنها كالشيء المنفلت بعد وثاق، وتأتي بعدة معاني منها: الفجأة، والبغطة، والخلسة، والزلة، والسقطة، والسلب، وقيل إنها آخر ليلة من الأشهر الحرم، حيث يسارع العرب فيها إلى درك الثأر، فيكثر الفساد وتسفك الدماء، فشبه أيام النبي ﷺ بالأشهر الحرم، ويوم موته بالفلتة لوقوع الشر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ٣٨ ص ٣٤٥٥.

خير فأنتم أهلهم ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح فلم أكره مما قال غيرها وكان والله إن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك إلي إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر إلا أن تغير نفسي عند الموت، فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فقلت لمالك: ما معنى أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب؟ قال: كأنه يقول أنا داهيتها، قال: وكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى خشيت الاختلاف فقلت ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار ونزونا على سعد ابن عباد فقال قائل: منهم قتلتم سعدا، فقلت: قتل الله سعدا، وقال عمر: أما والله ما وجدنا فيما حضرنا أمراً هو أقوى من مبايعة أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة، فأما أن نتابعهم على ما لا نرضى وإما أن نخالفهم فيكون فيه فساد، فمن بايع أميراً عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ولا بيعة للذي بايعه تغرة أن يقتلا).

روت هذا الحديث جل المصنفات الحديثية بالسند نفسه والمتن، فقد أورده الصنعاني في المصنف^(١)، وابن أبي شيبة^(٢)، والبخاري^(٣)، ومسلم^(٤)، والبيهقي^(٥)، فيما ذكرت كتب التاريخ حديث السقيفة بشيء من التفصيل، فقد رواه ابن إسحاق في سيرة ابن هشام^(٦) موضحاً أن ابن إسحاق قال، إن الزهري قال: أخبرني

(١) المصنف، ج ٥، ص ٤٣٩-٤٤٤.

(٢) المصنف في الحديث والآثار، ج ١٠، ص ٧٥-٧٦.

(٣) صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢١٤٥.

(٤) صحيح مسلم، ج ٥، ص ١٠.

(٥) السنن الكبرى، ج ٨، ص ٢١١.

(٦) السيرة النبوية، ج ٢، ٤١٤-٤١٧.

عروة بن الزبير: (إن أحد الرجلين اللذين لقيّا (أبا بكر وعمر) حين ذهبوا إلى السقيفة، من الأنصار، عويم بن ساعدة^(١)، والآخر معن بن عدي^(٢)، وأضاف ابن سعد^(٣)، بأن القائل من الأنصار (منا أمير ومنكم أمير) وهو الحباب بن المنذر^(٤)، وتحدث المؤرخ اليعقوبي^(٥) عن أمر السقيفة قائلاً: (ثم اندفع عمر يحدث عن أبي بكر حتى قال: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها، فمن عاد لمثلها فاقتلوه)، أما البلاذري^(٦)، فقد ذكر الخبر مصرحاً بأن القائل (لومات عمر بايعنا علياً، وإنما كانت بيعة أبي بكر فلتة هو الزبير بن العوام)، ويفسر ابن أبي الحديد^(٧) موقف الأنصارين من أمر اجتماع السقيفة، وسبب إخبارهما لعمر الذي أخبر بدوره أبا بكر، لأنهما: ذوي حب لأبي بكر في حياة الرسول ﷺ، واتفق مع ذلك بغض وشحناء كانت بينهما وبين سعد بن عباد. وعلى أية حال فإن نص حديث السقيفة الوارد في مسند أحمد بن حنبل يشير إلى أن المسلمين انقسموا إلى فرق، كل فرقة لها مرشحها، ولديها نظريتها السياسية في الحكم:

الفرقة الأولى: وهم الأنصار من الأوس والخزرج، ويمثل ابن حنبل الأنصار مسؤولية المبادرة بالاجتماع في سقيفة بني ساعدة لمبايعة مرشحها

(١) عويم بن ساعدة بن عايش بن قيس بن النعمان الأنصاري الأوسي، كان ممن شهد العقبة وبدراً وأحداً، مات في خلافة عمر بن الخطاب. ينظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج ٤، ص ٧٤٥.
(٢) معن بن عدي بن الجد بن العجلان، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وقد آخى النبي ﷺ بينه وبين زيد بن الخطاب، قتل يوم اليمامة في خلافة أبي بكر سنة ١٢ هـ. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٥، ص ٢٢٩.

(٣) الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٤٦٥.

(٤) الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري، ترجم له.

(٥) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٣.

(٦) انساب الأشراف، ج ١ ص ٥٨١-٥٨٧.

(٧) شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ١٩.

سعد بن عباد، وأن دعوى الأنصار في استحقاقهم الخلافة دون غيرهم، كونهم أصحاب الدار التي هاجر إليها النبي ﷺ وأصحاب التضحيات التي قدمت للإسلام والمسلمين بعد أن تركوا وطنهم^(١)، وكان الحباب بن المنذر هو المعبر عن وجهة نظر الأنصار، فبدأ بخطابه مع المهاجرين، متمسكاً بحق الأنصار بالخلافة، وذلك بأن جعل المهاجرين تبعاً لهم بقوله: (أما بعد فنحن أنصار الله عز وجل وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا)^(٢)، ولكن انقسام الأنصار على أنفسهم، إذ مال زعيم الأوس أسيد بن خضير إلى المهاجرين خشية أن يستلم الخلافة الخزرج، وتبعه بشير بن سعد الخزرجي^(٣) الذي عد أول من بايع من الأنصار، الأمر الذي اضطر الحباب بن المنذر أن يأتي بنظرته السياسية الثانية والبديلة في الخلافة، التي تكمن في قوله: (يا معشر الأنصار، املكوا عليكم أمركم، فإن الناس في فيئكم وفي ظلكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولن يُصدر الناس إلا عن رأيكم، انتم أهل العز والثروة، وأولوا العدد والمنعة والتجربة، ذوو البأس والنجدة، وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون، ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم، ويتنقض عليكم أمركم، فإن أبى هؤلاء إلا ما سمعتم، فمننا أمير ومنهم أمير)^(٤)، وقد سبّب هذا الاقتراح انقساماً بين

(١) ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٥٥؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ٨؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٥.

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (٣٩١)، ص ٧٢-٧٣.

(٣) بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، ويكنى أبا النعمان، والنعمان بن بشير والى الأمويين على الكوفة أبان ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، شهد بيعة العقبة الثانية، كما شهد بداراً واحداً مع رسول الله، قتل في عين التمر في خلافة أبي بكر. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ١، ص ٢٥٢-٢٥٣.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٠٣-٢٠٦.

الأنصار، ورأى فيه سعد بن عباد تراجعا من الأنصار عن أحقيتهم بالخلافة لذلك قال: (هذا أول الوهن)^(١)، وقد قوبل بالرفض من المهاجرين، وقد حسم زيد بن ثابت الأنصاري^(٢) النزاع لصالح المهاجرين، حيث يذكر ابن حنبل^(٣) حديث ذلك قائلاً: عن أبي سعيد الخدري قال: (لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار فجعل منهم من يقول: يا معشر المهاجرين إن رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلا منكم قرن معه رجلا منا فترى أن يلي هذا الأمر رجلا من أحدهما منكم والآخر منا قال: فتتابع خطباء الأنصار على ذلك قال: فقام زيد بن ثابت فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وإنما الإمام يكون من المهاجرين ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله ﷺ، فقام أبو بكر فقال: جزاكم الله خيرا من حي يا معشر الأنصار وثبت قائلكم، ثم قال: والله لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم).

الفرقة الثانية: عدد المهاجرين من قريش، وقد مثل هذا التكتل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة^(٤) وسالم مولى أبي حذيفة^(٥)، وكان عمر بن الخطاب هو المحور

(١) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٠٧.

(٢) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، قدم النبي ﷺ إلى المدينة وعمره إحدى عشرة سنة، كتب القرآن لأبي بكر وعثمان، توفي سنة خمس وخمسين، وصلى عليه مروان بن الحكم.

ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ٣٤٦.

(٣) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢١٩٥٣)، ص ١٥٩٤.

(٤) أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي، شهد بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، توفي في طاعون عمواس في الشام سنة ١٨ هـ. ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٤٧.

(٥) هو سالم بن عبيد مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي، من أهل اصطخر، شهد بدرًا وأحدًا، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، كان عمر يكتر الثناء عليه، قتل يوم اليمامة. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ٣٨٣.

الرئيس^(١)، واللسان المعبر عن النظرية السياسية القائمة على مرتكزين:

المرتكز الأول: السابقة إلى الإسلام، فقد عبر أبو بكر عن إثبات حق المهاجرين وأولويتهم في الخلافة على غيرهم بقوله يوم السقيفة: (إن المهاجرين أول الناس إسلاماً...، وإنهم أول من عبد الله في الأرض، وهم أولياء الرسول وعشيرته، الذين صبروا معه على شدة أذى قومهم وتكذيبهم إياهم، وكل الناس مخالف عليهم، زار لهم، فلم يستوحشوا لقلّة عددهم وإزدراء الناس لهم واجتماع قومهم عليهم)^(٢).

المرتكز الثاني: العصبية القبلية، إذ ظهرت لأول مرة في اجتماع السقيفة فكرة التنويه بفضل قريش مستدلين بحديث (الأئمة من قريش)، الذي اعتمد فيما بعد أساساً لنظرية أحقية القرشيين بالخلافة، إذ يروي ابن حنبل^(٣) رد أبي بكر على الأنصار دعوتهم بالخلافة قائلاً: (لن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أواسط العرب نسباً وداراً)، كما رد عمر بن الخطاب على اقتراح الحباب بن المنذر (منا أمير ومنكم أمير) قائلاً: (هيهات، لا يجتمع سيفان في غمد واحد، والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم، ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا تمنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم، وولي أمورهم منهم، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته، إلا مدل بباطل، أو متجانف لإثم، ومتورط في هلكة)^(٤)، ولم يذكر ابن حنبل رد عمر هذا، ولكنه ذكر تخوفه من الاختلاف.

(١) يروي البخاري عن انس بن مالك قال: لقد رأيت عمرًا يزعم أبا بكر إلى المنبر إزعاجاً. ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ج ١٣، ص ٢٠٩.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١ ص ٧؛ النوري، نهاية الأرب، ج ٨ ص ١٦٩.

(٣) مسند، الحديث (٣٩١)، ص ٧٢-٧٣.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٢٠.

أما أبو عبيدة فقد تدارك موقف عمر المتشدد بقوله: (يا معشر الأنصار، إنكم أول من نصر وأزر، فلا تكونوا أول من بدّل وغير^(١))، وهكذا تمت البيعة لأبي بكر، بعد أن استطاع المهاجرون تفتيت كتل الأنصار من خلال ترهيب المعارضين، وترغيب المؤيدين منهم، إذ عرض المهاجرون حجمهم بأسلوب راعى مشاعر المؤيدين لهم من الأنصار، وذلك بالثناء عليهم ويلحظ ذلك من خطاب أبي بكر معهم، بقوله: (يا معشر الأنصار، إننا لا ننكر حقكم ولا ينكر حقكم مؤمن، وإننا والله ما أصبنا خيراً إلا شاركتهمونا فيه...) ثم ختم حوارهم بطمأننتهم فقال: (فحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تُفتاتون عليكم بمشورة، ولا نقضي دونكم الأمور)^(٢).

بيد أن أحمد بن حنبل^(٣) يورد هذا القول على لسان سعد بن عباد، حيث يذكر عن عبد الرحمن قال: (توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر في طائفة من المدينة، فجاء فكشف عن وجهه فقبله وقال فداك أبي وأمي ما أطيبك حيا وميتا، مات محمد ﷺ ورب الكعبة، قال فانطلق أبو بكر وعمر يتقاودان حتى أتوهم فتكلم أبو بكر ولم يترك شيئا أنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله ﷺ من شأنهم إلا وذكره وقال ولقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار واديا سلكت وادي الأنصار، ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: قريش ولالة هذا الأمر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم، قال. فقال له سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء) وهو أمر مستبعد لأن

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٢٠.

(٢) ابن أبي شيبه، المصنف، ج ٨، ص ٥٧٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٢٠.

(٣) مسند، الحديث (١٨)، ص ٣٨.

سعد بحسب رواية عمر كان مريضاً لا يستطيع أن يتحدث، وإن المتحدث باسمه ابنه قيس بن سعد، وانه كان معترضاً علىبيعة أبي بكر، كما يذكر عمر: ونزونا على سعد بن عباد فقال قائل: منهم قتلتم سعدا، فقلت: قتل الله سعدا، وإن المصادر تذكر أن سعد بن عباد لم يبايع إلى أن أغتيل^(١)، ويروي ابن حنبل^(٢) احتجاج عمر على الأنصار حين قالت: منا أمير ومنكم أمير، فعن عبد الله بن مسعود قال: (لما قبض رسول الله ﷺ، قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فأتاهم عمر فقال: يا معشر الأنصار أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس؟ فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر).

إن هناك عدداً من الدلائل على أن المهاجرين قد أعدوا العدة لأخذ الخلافة ولم تكن حادثة السقيفة محض صدفة، منها:

أ/ إنكار عمر بن الخطاب موت النبي ﷺ حتى مجيء أبي بكر، الذي كان قد تغيب في تلك اللحظات الحرجة، ثم بدأ عمر يغير موقفه ويقتنع بوفاء النبي ﷺ، على إثر الأدلة القرآنية التي ساقها أبو بكر لتفنيد مزاعم عمر بعدم موت النبي ﷺ، إذ لا معنى لذلك الإنكار المؤقت، والتراجع السريع عنه، سوى أنها مناورة ذكية من عمر لكسب الوقت حين عودة أبي بكر، فقد جاء في مسند أحمد بن حنبل ذلك الإنكار فعن انس بن مالك قال: (... فقبض من يومه ذلك، فقام عمر فقال: إن رسول الله لم يمت ولكن ربه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى فمكث عن قومه أربعين ليلة، والله أني لأرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يقطع

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٥٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٠٨؛ ابن عبد ربه، العقد

الفريد، ج ٤، ص ٢٦٠.

(٢) مسند، الحديث (١٣٣)، ص ٤٩.

أيدي رجال من المنافقين وألستهم يزعمون أن رسول الله ﷺ قد مات^(١).
وعن عائشة قالت: (قال المغيرة^(٢)) يا عمر مات رسول الله ﷺ قال كذبت بل أنت رجل تحوسك فتنة، إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفني الله عز وجل المنافقين، ثم جاء أبو بكر فرفعت الحجاب، فنظر إليه فقال إنا لله وإنا إليه راجعون مات رسول الله ﷺ ثم أتاه من قبل رأسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم قال وانبياؤه، ثم رفع رأسه، ثم حدر فاه وقبل جبهته، ثم قال واصفياؤه، ثم رفع رأسه وحدر فاه وقبل جبهته وقال واخليلاه، مات رسول الله ﷺ، فخرج إلى المسجد وعمر يخطب الناس ويتكلم ويقول إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفني الله عز وجل المنافقين فتكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٣)، حتى فرغ من الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^(٤)، حتى فرغ من الآية فمن كان يعبد الله عز وجل فإن الله حي ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، فقال عمر: وإنها لفي كتاب الله ما شعرت إنها في كتاب الله، ثم قال عمر: يا أيها الناس هذا أبو بكر وهو ذو شيبة المسلمين فبايعوه فبايعوه^(٥).
ب/ قول عمر الوارد في المسند: (... فلما سكت خطيب الأنصار أردت أن

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٢٠٥٩)، ص ٩١٨.

(٢) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي، أسلم عام الخندق، موصوفٌ بالدهاء، ولاه عمر البصرة ولم يزل عليها حتى شهد عليه بالزنا، فعزله وولاه الكوفة، وهو أول من رشي في الإسلام، توفي بالكوفة سنة ٥٠ هـ. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٥، ص ٢٣٨-٢٤٠.

(٣) سورة الزمر، الآية (٣٠).

(٤) سورة آل عمران، الآية (١٤٤).

(٥) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٦٣٦٥)، ص ١٩٢٣.

أتكلم وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أردت أن أقولها بين يدي أبي بكر...^(١)، أي أن عمر كان قد أعد مسبقاً خطبة يلقيها على الأنصار بين يدي أبي بكر.

ج/ تحديد أبي بكر الأنصار في اختيارهم واحداً من رفقاءه للخلافة بقوله: (... هذا عمر، وهذا أبو عبيدة، فأيهما شئتم فبايعوا...)، ورفض الاثنان ذلك، فقالا: (... لا والله لا نتولّى هذا الأمر عليك، فإنك أفضل المهاجرين وثاني اثنين إذ هما في الغار، وخليفة رسول الله على الصلاة؛ والصلاة أفضل دين المسلمين، فمن ذا ينبغي له أن يتقدّمك أو يتولّى هذا الأمر عليك! ابسط يدك نبايعك...) ^(٢)، علماً أن هناك الكثير من المهاجرين الذين يتمتعون بمزايا ربما تفوق ما يملكه هؤلاء الثلاثة، أدوا دوراً بارزاً في العهد النبوي، إذا ما غضضنا الطرف عن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فلماذا يرشح أبو بكر (عمر، وأبا عبيدة) دون غيرهم؟ ولماذا يرفضون الترشيح ويصرون على أبي بكر ^(٣)؟ ويشير بعض المستشرقين إلى أن اتفاقاً مسبقاً تم بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة، وقد أعدوا له عدته قبيل وفاة النبي (عليه السلام) للاستئثار بإدارة شؤون الإسلام، وحرمان علي وآل النبي عليهم السلام من تولي زعامة المجتمع الجديد، وقد ساعده في استبعاد علي (عليه السلام) صغر سنه، ودسائس عائشة، والشاهد على ذلك التحالف هو تداولهم الأمر فيما بينهم، ورد الجميل لمن وقف إلى جانبهم بالقول أو الفعل أو النصح ^(٤).

(١) ينظر: ابن حنبل، مسند، الحديث (٣٩١)، ص ٧٢-٧٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، الحديث (٢٣٣)، ص ٥٨.

(٣) ينظر: الطبري الإمامي، دلائل الإمامة، ج ٢، ص ٣١.

(٤) توماس، ارنولد، الخلافة، ترجمة: حسن حيدر الشيباني، ط ٢، دار النضام، (بغداد، ١٩٦١م)، ص

١٥؛ سفاري، آيين، مختصر حياة محمد، ترجمة: عبد العظيم علي، تحقيق: عبد المتعال الجبري، ط ١،

دار الدعوة، (الإسكندرية، ١٩٩٤م)، ص ٢٤٢؛ كونسلمان، سطوع نجم الشيعة، ص ١٨.

تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٢٢؛ اليحيى، يحيى بن إبراهيم، مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري،

ط ١، دار العاصمة، (الرياض، ١٤١٠هـ)، ص ١٢٦-١٢٧.

د/ يورد الطبري^(١) رواية مفادها أن قبيلة أسلم قد ملأت سكك المدينة وهي مدججة بالسلاح لأخذ البيعة لأبي بكر ولو بالقوة، كما يوحى بذلك قول عمر: (ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر).

هـ/ تضافر جهود قريش لإخراج الخلافة من بني هاشم؛ وذلك لأنهم كرهوا أن تجمع النبوة والخلافة لهم، ويقول الإمام علي عليه السلام في ذلك: «حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ وَعَالَتْهُمْ السُّبُلُ وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِجِ وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رِصِّ أَسَاسِهِ فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ مَنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ»^(٢)، ويذكر ابن هشام^(٣): أن قريشاً لما توفي رسول الله ﷺ همّت بالرجوع عن الإسلام، وأرادوا ذلك...، ويرى الجوهرى^(٤) أن أول من حث المهاجرين على طلب الخلافة هو المغيرة بن شعبة، إذ يروي: (مر المغيرة بأبي بكر وعمر وهما جالسان على باب النبي ﷺ، فقال ما يقعدكما؟ قالاً: ننتظر الرجل يخرج فنبايعه، يعينان علينا، فقال: أتريدان أن تنظروا جبل الحبلية^(٥) من أهل هذا البيت، وسعوها في قريش تتسع)، كما يورد استشارة أبي بكر للمغيرة في شأن العباس ليكون إلى جانبهم، فيضعف جانب علي عليه السلام، ولكن العباس رفض^(٦).

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ٢٦٥.

(٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ١٥٠ ص ٢١٤-٢١٥.

(٣) السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤٢٠.

(٤) السقيفة، ص ٦٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ٦٩.

(٦) جبل الحبلية: نتاج التاج وولد الجنين، كناية عن صغر سن الإمام علي عليه السلام. ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص ٥٢.

الفرقة الثالثة: وهم بنو هاشم، ومعهم مجموعة من الصحابة المؤيدين لخلافة الإمام علي (عليه السلام)، لاجتماع جميع الشرائط فيه، من علم وعدل وتقوى وسابقة في الإسلام، ومؤاخاة النبي (صلى الله عليه وآله) له، وبلائه الحسن في سبيل الله، فضلاً عن بيعة المسلمين له يوم الغدير بأمر من السماء، ويذكر اليعقوبي^(١) أن المهاجرين والأنصار لا يشكّون أن الخلافة لعلي (عليه السلام)، وحتى الإمام علي (عليه السلام) كان يستبعد أن يطلب الخلافة أحد من المسلمين، حيث يروى أنه قال للعباس بن عبد المطلب حين طلب منه أن يسط يده لبياعه: ومن يطلب هذا الأمر غيرنا^(٢)، وإن كان أحمد بن حنبل^(٣) يذكر قلق العباس من أن يموت النبي (صلى الله عليه وآله) دون أن يوصي لعلي (عليه السلام)، وأن الإمام علياً (عليه السلام) كان يخشى أن يسأل النبي (صلى الله عليه وآله) خوفاً من أن يمنعه الخلافة، فعن ابن عباس قال: (إن علي بن أبي طالب (عليه السلام) خرج من عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا حسن كيف أصبح رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال أصبح بحمد الله بارئاً، قال ابن عباس فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال: ألا ترى أنت والله إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) سيتوفي في وجعه هذا إني أعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت فاذهب بنا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلنسأله فيمن هذا الأمر فإن كان فينا علمنا ذلك وإن كان في غيرنا كلمناه فأوصى بنا فقال علي (عليه السلام): والله لئن سألتها رسول الله (صلى الله عليه وآله) فمنعناها لا يعطيناها الناس أبداً فوالله لا أسأله أبداً).

يصور الحديث الإمام علياً (عليه السلام) وكأنه غير متأكد من رأي النبي (صلى الله عليه وآله) في إمامته (عليه السلام) للمسلمين؟! لذا فإنه (عليه السلام) كان يخشى سؤال النبي (صلى الله عليه وآله)، فيفضل السكوت على السؤال حرصاً على الخلافة، وخوفاً من الناس أن لا يعطوها إياه إذا منعها عنه النبي (صلى الله عليه وآله).

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٥٤.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٢.

(٣) مسند، الحديث (٢٩٩٩)، ص ٢٦٨.

ولا نعلم إن كان العباس قد حث الإمام علياً عليه السلام على أن يسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل حادثة الرزية أم بعدها؟ وماذا يعني جواب الإمام علي عليه السلام للناس حين سألوه عن صحة النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أصبح بحمد الله بارئاً)، هل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصبح فعلاً بارئاً من مرضه؟ أم أن الإمام علياً عليه السلام أراد فقط أن يطمئن الناس؟ أم أن العباس كان أعلم من الإمام علي في تقدير حالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصحية، بحيث أنه يعرف أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سيموت في مرضه هذا، من خلال ميزة معينة تكون في وجوه بني عبد المطلب عند الموت، فلماذا لم يعرفها الإمام علي عليه السلام وهو أيضاً من بني عبد المطلب؟ أم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انتكست حالته الصحية بعد أن غادر الإمام علي عليه السلام بسبب إعطاءه دواءً نهى الأطباء عنه؟ كما يؤكد ذلك الحديث الذي أورده ابن حنبل^(١) عن عائشة: (للدنا^(٢) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه فأشار أن لا تلدونى، قلت - أي عائشة - انه صلى الله عليه وآله وسلم رفض لكرهية المريض الدواء، فلما أفاق قال ألم أنكم أن لا تلدونى).

ثانياً: موقف الإمام علي عليه السلام من البيعة لأبي بكر:

تشير الروايات التي وردت في مسند أحمد بن حنبل التي تخص موقف الإمام علي عليه السلام من بيعة أبي بكر وخلافته، إلى امتناع الإمام علي عليه السلام ومعه الزبير بن العوام عن البيعة في بيت فاطمة عليه السلام، بحسب خبر السقيفة الوارد عن عمر بن الخطاب^(٣)، ولكن اليعقوبي^(٤) قدم قائمة بأسماء الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر مع علي بن أبي طالب عليه السلام: «وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٤٧٦٧)، ص ١٨١٧.

(٢) ألد: هو سقي الإنسان الدواء في أحد جانبي الفم إذا أصيب بذات الجنب. ينظر: ابن منظور،

لسان العرب، ج ٤٤، ص ٤٠١٩.

(٣) مسند، الحديث (٣٩١)، ص ٧٢-٧٣.

(٤) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٨٤-٨٥.

والأنصار، ومالو مع علي بن أبي طالب، منهم: العباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، والزبير ابن العوام، وخالد بن سعيد بن العاص، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأبي بن كعب... وكان فيمن تخلف عن بيعة أبي بكر أبو سفيان بن حرب^(١)، بينما اغفل الطبري^(٢) ذكر أسماء من تخلف عن البيعة، واقتصر على ذكر موقف أبي سفيان الرافض لبيعة أبي بكر، المتعاطف مع بني هاشم، فيما قدم ابن قتيبة^(٣)، وابن أعثم^(٤)، والجوهري^(٥)، والبلاذري^(٦)، تفاصيل حول الموقف السلبي الذي صدر من المهاجرين المؤيدين لخلافة أبي بكر، وقيامهم ببعض الأفعال المستهجنة بحق علي وفاطمة -عليهم السلام- على إثر رفضهم البيعة لأبي بكر، فيما يذهب ابن أبي الحديد^(٧) إلى عدم صحة هذه الأمور، وأن طابع المبالغة واضح فيها، لأن المصادر التي ذكرت تلك الأفعال، مصدرها كتاب سليم بن قيس الهلالي، وقد أنكر ابن أبي الحديد وجود تلك الشخصية فضلاً عن الكتاب، وينفي كذلك وجود نص صريح لتولي الإمام علي (عليه السلام) الأمر بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، معللاً بأنه لو كان هناك نص لاحتج به علي (عليه السلام)، متجاهلاً قول النبي (صلى الله عليه وآله) يوم الغدير: من كنت مولاه فعلي مولاه، ويرى أن علياً (عليه السلام) كان يطمح إلى الخلافة، ويعتقد أنه أحق الناس بها، لقربته من الرسول (صلى الله عليه وآله)، فهو الوحيد الذي ينطبق عليه أنه من أهل بيت الرسول، لكونه هاشمياً، وزوج بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ووالد النسل الباقي

(١) تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٠٩.

(٢) الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٩.

(٣) الفتوح، ج ١، ص ٦.

(٤) السقيفة وفدك، ص ٥٣.

(٥) انساب الأشراف: ج ١، ص ٥٨١.

(٦) شرح نهج البلاغة، ج ١٢، ص ٢١٦.

للنبي (الحسن والحسين - عليهما السلام)، وبذلك تكون هذه المؤهلات أخص من القرشية، بل وأخص من الهاشمية^(١).

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى الآراء التي طرحت حول الوقت الذي بايع فيه الإمام علي عليه السلام أبا بكر، فهناك اتجاه يرى أن الإمام علياً عليه السلام بايع عقب البيعة العامة للناس لأبي بكر في المسجد، فيروي الطبري^(٢) قائلاً: «كان علي في بيته إذ قيل له: جلس أبو بكر للبيعة، فخرج في قميص ما عليه إزار ولا رداء عجلًا كراهية أن يبطئ عنها، حتى بايعه، ثم جلس إليه، وبعث إلى ثوبه فأتاه فتجلله، ولزم مجلسه». ويستدل أصحاب هذا الرأي على عدم تأخر بيعة الإمام علي عليه السلام، بعدد من الأدلة منها: ما ورد عن ابن حنبل^(٣) من حديث على لسان الإمام علي عليه السلام ينص على تفضيل أبي بكر، فعن علي عليه السلام أنه قال: (ألا أنبئكم بخير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ أبو بكر ثم عمر)، وبما أجاب به أبا سفيان حين قال: (أين المستضعفان؟ أين علي والعباس؟ أما والله لئن شئتُم لأملأنها عليكم خيالاً ورجلاً)، فقال له علي عليه السلام: (يا أبا سفيان طالما كدت الإسلام وأهله فما ضرهم شيئاً، أمسك عليك)^(٤)، وكذلك نهى الإمام علي عليه السلام الفضل بن عباس حين قال مخاطباً مهاجرة قريش: (يا معشر قريش، إنه ما حقت لكم الخلافة بالتمويه ونحن أهلها دونكم وصاحبنا أولى بها منكم)^(٥)، وأيضاً يحتجون بنهي الإمام علي عليه السلام عتبة بن أبي لهب حين انشد:

(١) النصر الله، شرح نهج البلاغة، ص ٢٦٠.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٠٧.

(٣) مسند، الحديث (١٠٤٠)، ص ١٢٣.

(٤) ذكرت المصادر سعي أبي سفيان إلى إثارة الفتنة بين المسلمين في أثناء بيعة السقيفة، ينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٨٥؛ البلاذري، أنساب الإشراف، ج ٢، ص ٢٧١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٨٩؛ المفيد، الإرشاد، ص ١٤٥.

(٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٨٤؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٠٣.

ما كنت أحسب أن الأمر منصرفٌ عن هاشمٍ ثم منها عن أبي الحسن
أليس أول من صلى لقبلكم وأعلم الناس بالقرآن والسّنن
وأقرب الناس عهداً بالنبي ومن جبريل عونٌ له في الغسل والكفن^(١)

ويعللون عدم حضور الإمام علي (عليه السلام) بيعة السقيفة، بأنه كان مشغولاً وبنو هاشم بتجهيز النبي (صلى الله عليه وآله) ودفنه، وأما عدم مبايعته في البيعة العامة في المسجد فلأنه (عليه السلام) لزم بيته بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) لجمع القرآن، إذ يورد الصنعاني^(٢) حديثاً يقول فيه: (لما بويع لأبي بكر، تخلف علي في بيته، فلقيه عمر فقال: تخلفت عن بيعة أبي بكر؟ فقال علي: إني آليت يمين حين قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألا ارتدي برداء إلا إلى الصلاة المكتوبة حتى أجمع القرآن، فإني خشيت أن يتفلت القرآن، ثم خرج فبايعه)، ويذكر اليعقوبي^(٣): «أن علي بن أبي طالب كان جمعه لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأتى به يحمله على جمل، فقال: هذا القرآن قد جمعته، وكان قد جزأه سبعة أجزاء»، ويذكر أن ابن سيرين^(٤) قال: (بلغني أن علي بن أبي طالب كتب القرآن على تنزيله، ولو أصيب ذلك الكتاب لوجد فيه علم كثير)^(٥).

(١) اختلف في قائل أبيات الشعر، فعند اليعقوبي، في تاريخه، ج ٢، ص ٨٤، بأنه: عتبة بن أبي لهب، وعند المفيد، الجمل، تحقيق: علي مير شريف، ط ٢، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، (قم، ١٤١٦ هـ)، ص ١١٨ أنه: عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

(٢) المصنف، ج ٥، ص ٤٥٠؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣٣٨.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٥٨.

(٤) أبو بكر الأنصاري، محمد بن سيرين، مولى انس بن مالك، ولد لستين بقيتا من خلافة عثمان بن عفان، كان من كبار التابعين، توفي سنة ١١٠ هـ. ينظر: المزني، تهذيب الكمال، ج ٢٥، ص ٣٤٤.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣٣٨؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ١، ص ٥٧٨؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٥٧.

أما الاتجاه الآخر: فيرى أن الإمام علياً عليه السلام لم يبايع أباً بكر حتى توفيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ؛ وذلك بعد ستة أشهر من بيعة السقيفة كما نص حديث عائشة المروي عن عروة بن الزبير في مسند أحمد بن حنبل^(١) حيث يقول: (وعاشت بعد وفاة رسول الله ﷺ ستة أشهر)، ويشاركه في هذا الرأي: البخاري^(٢)، واليعقوبي^(٣) والبلاذري^(٤)، والمسعودي^(٥)، وابن كثير^(٦)، فيما يذكر ابن الأثير^(٧) جملة من الأقوال التي تتباين في تحديد وفاتها ﷺ إذ يقول: (توفيت فاطمة بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر وهو أصح ما قيل، وقيل: بثلاثة أشهر، وقيل: عاشت بعده ﷺ سبعين يوماً)، وقيل^(٨) أنها عاشت -عليها السلام- بعد أبيها ﷺ أربعين يوماً، وابن قتيبة^(٩) يقول: أنها عاشت خمساً وسبعين يوماً. وقد قدمت ثلاثة أسباب لبيعة الإمام علي عليه السلام بعد وفاة الزهراء عليه السلام:

السبب الأول: الخلاف الناشئ بين السيدة فاطمة الزهراء وأبي بكر حول ميراثها من أبيها، حال دون البيعة، علماً أن امتناع الإمام علي عليه السلام عن بيعة أبي بكر، سابق على مطالبة الزهراء بإرث فذك، فابن حنبل^(١٠) في مسنده يورد مطالبة الزهراء عليه السلام بميراثها، عن عروة بن الزبير قال: (إن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته: إن فاطمة بنت

(١) مسند، الحديث (٢٥)، ص ٣٠.

(٢) صحيح البخاري، ج ٥، ص ١٧٧.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٨٦.

(٤) انساب الأشراف، ج ٢، ص ٢٦٨.

(٥) مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٦٣.

(٦) البداية والنهاية، ج ٥، ص ٢٠٨.

(٧) أسد الغابة، ج ٧، ص ٢٢١.

(٨) سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ٢٨٨.

(٩) الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢٠.

(١٠) مسند، الحديث (٢٥)، ص ٣٩.

رسول الله ﷺ سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال لا نورث ما تركنا صدقة، فغضبت فاطمة عليها السلام فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرة حتى توفيت قال: وعاشت بعد وفاة رسول الله ﷺ ستة أشهر، قال وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله ﷺ من خير وفدك وصدقته بالمدينة فأبى أبو بكر عليها ذلك وقال: لست تاركا شيئا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ، فأما صدقته بالمدينة فدفعتها عمر إلى علي وعباس فغلبه عليها علي وأما خير وفدك فأمسكها عمر وقال: هما صدقة رسول الله ﷺ كانتا لحقوقه التي تعروه ونوائبه وأمرهما إلى من ولي الأمر.

وعن أبي الطفيل قال: لما قبض رسول الله ﷺ أرسلت فاطمة إلى أبي بكر أنت ورثت رسول الله ﷺ أم أهله؟ قال فقال: لا بل أهله، قالت: فأين سهم رسول الله ﷺ؟ قال فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله عز وجل إذا أطعم نبيا طعمة ثم قبضه جعله للذي يقوم من بعده فرأيت أن أردّه على المسلمين، فقالت: فأنت وما سمعت من رسول الله ﷺ أعلم؟^(١).

السبب الثاني: وقد أشار الصنعاني^(٢) والبخاري^(٣) والطبري^(٤) عن ارتباط بيعة الإمام علي (عليه السلام) لأبي بكر بموت السيدة فاطمة، بالسند نفسه المروي عن عروة بن الزبير عن عائشة، والمضمون نفسه الذي يشير إلى (إن للإمام علي (عليه السلام) وجه وجاه بين الناس في حياة فاطمة (عليها السلام)، فلما توفيت (عليها السلام) انصرف وجه

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٤)، ص ٣٧.

(٢) المصنف، ج ٥، ص ٤٥١.

(٣) صحيح البخاري، ج ٧، ص ٤٦٤.

(٤) تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٠٧-٢٠٨.

الناس عنه، وعندما رأى عليٌ انصراف وجوه الناس عنه أسرع إلى مصالحة أبي بكر ومبايعته)، إن مصدر هذه الرواية هو عروة بن الزبير المعروف ببغضه لعلي عليه السلام، ولم يكتفِ بذكر هذه الرواية فقط، بل جاء برواية أخرى قرن فيها مطالبة الزهراء عليه السلام بميراثها مع مطالبة العباس بن عبد المطلب بميراثه، ليتقرب بها إلى السلطة، فالمعروف أن الزهراء عليه السلام جاءت بمفردها مطالبة بميراثها. يحاول أصحاب هذا الرأي أن يجعلوا سبب الخلاف على أساس اقتصادي لمنع أبي بكر الزهراء من ورث أبيها في خيبر وفدك، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن بموت فاطمة عليه السلام انقطعت العلاقة المباشرة والخاصة التي تربط الإمام علي عليه السلام ببيت محمد ﷺ، كأن موت الزهراء قد أثر على صفات الإمام علي عليه السلام وكفائته، بل وأثر حتى على انتسابه إلى بيت الرسالة! على أن من الباحثين المعاصرين^(١) من يجعل بيعه الإمام علي عليه السلام بعد وفاة الزهراء عليه السلام بيعه ثانية، لتأكيد البيعة الأولى. والجدير بالذكر أن أحمد بن حنبل لم يورد هذا الحديث في المسند.

السبب الثالث: إن السبب في مبايعة الإمام علي عليه السلام لأبي بكر، عندما برزت مخاطر الردة، وليس بسبب موت فاطمة عليه السلام، وذلك لحرص الإمام علي عليه السلام على اجتماع الكلمة، وشعوره بضرورة التماسك والاتحاد، والخوف من تفرق المسلمين وضياع دولة الإسلام، وعلى الرغم من بعض المصادر التاريخية^(٢) لم تذكر أي مشاركة لبني هاشم في الجيوش التي عبأها الخليفة الأول للتصدي

(١) نوار، صلاح الدين محمد، نظرية الخلافة أو الإمامة وتطورها السياسي والديني، دار المعارف، (الإسكندرية، ١٩٩٦م)، ص ٤٧.

(٢) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (٢٨٣هـ / ٨٩٥م): الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، (القاهرة، ١٩٦٠م)، ص ١١١؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٨٦-٩٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٢٤٤.

لحركات الردة، ويُعتقد أن عدم اشتراك آل عبد المطلب في قتالهم يعود إلى: أن هذه الحركات حصلت بُعيد مبايعة أبي بكر التي توافقت مع امتناع بني هاشم عن البيعة ومن ثم اعتزالهم العمل السياسي فيما يخص تلك الحركات، حيث أن فاطمة الزهراء لم تكن قد توفيت بعد، وأن الضباية التي تكتنف هذه الحركات من حيث شرعيتها وأهدافها فيما إذا استثنينا المتنبيين منذ أواخر حياة النبي ﷺ كمسيلمة الكذاب^(١)، وسجاح^(٢)، فهناك قوم اعترضوا على خلافة أبي بكر^(٣) ليس بقصد الارتداد عن الإسلام، ولكن النويري^(٤) يذكر: أن الإمام علياً (عليه السلام) قد أسهم له من السبي الذي حصل عليه المسلمون في خلافة أبي بكر، فقد تزوج من ذلك السبي خولة بنت جعفر بن قيس من بني حنيفة، وهم فرع من بكر بن وائل باليمامة، واستولد منها محمد ابن الحنفية^(٥)، مما يؤكد اشتراك الإمام علي (عليه السلام) في حروب الردة، ويحتمل الباحث محمد عمارة^(٦)، بعد أن يقول: (من الثابت أن علي بن أبي طالب قد أسهم في المشورة لأبي بكر في حروب الردة)، احتمالين:

الأول: إن علي بن أبي طالب قد نهض بواجباته كمسلم ومواطن في الدولة العربية الإسلامية، إزاء الخطر الذي يهدد وجودها ووحدتها، وإن لم يكن قد بايع أبا بكر، وهو أمر ممكن، وموقف لائق بمكانة علي وعقله وتقديره الظروف.

(١) مسيلمة الكذاب: هو مسيلمة بن حبيب بن حنيفة بن جثيم، يكنى أبا ثمامة. كان صاحب نيرانجات - السحر - هو أول من أدخل البيضة في القارورة، واتبعه على ذلك خلق كثير، لا عقب له، قتل في حروب الردة سنة ١١ هـ. ابن قتيبة، المعارف، ص ٤٠٥.

(٢) سجاح وهي من بني يربوع وكان يقال لها صادر وهي التي تنبئت، تزوجها مسيلمة واتبعها قوم من بني تميم. ابن قتيبة، المعارف، ص ٤٠٥.

(٣) المفيد، الجمل، ص ١١٨.

(٤) نهاية الإرب، ج ٧، ص ٢٢٦.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ١٩.

(٦) الخلافة، ص ٨٥.

ويؤكد الإمام علي عليه السلام ذلك الموقف بقوله: (...) فلما رأيت راجعةً من الناس قد رجعت عن الإسلام تدعو إلى محو دين محمدٍ وملة إبراهيم خشيت إن أنا لم انصر الإسلام وأهله، أرى فيه ثلماً وهدماً تكون المصيبة عليّ فيه أعظم من فوت ولاية أموركم التي هي إنما متاع أيام قلائل، ثم تزول وتنقشع كما يزول وينقشع السحاب، فنهضت مع القوم في تلك الأحداث حتى زهقت الباطل، وكانت كلمة الله هي العليا وإن رغم الكافرون^(١) ويذكر ابن الجوزي^(٢) أن الإمام علياً عليه السلام قد تناوب على حراسة المدينة المنورة بعد أن ارتدت قبائل العرب المحيطة بالمدينة وكان جيش أسامة ما زال خارج المدينة مع عدد من الصحابة خوفاً من أن تهاجم بعض القبائل التي ارتدت المدينة على حين غرة.

الثاني: إن تاريخ وفاة فاطمة فيه خلاف كبير، وإن الرأي الذي يقول أنها عاشت بعد النبي ﷺ سبعين يوماً، هو الأرجح مما يجعل وفاتها أمراً سابقاً على حروب الردة، وبذلك يكون الإمام علي عليه السلام قد بايع أبا بكر، واشترك في تقديم المشورة له في تلك الحروب^(٣)، ويمكننا القول بأن الاحتمال الأول اقرب إلى الواقع، لأنه يشير إلى أن الإمام علياً عليه السلام قد بين رأيه في قتال المرتدين، وبخاصة الذين ادعوا النبوة، وساهم في حراسة المدينة وحمايتها، وإن كان معترضاً علىبيعة أبي بكر.

لقد كشفت الروايات التي تتحدث عن أمر الخلافة والبيعة، أن الإمام علياً عليه السلام قد دافع عن أحقيته بالخلافة وإن السيدة فاطمة عليه السلام كانت تمثل السند الأكبر له والداعم المعنوي لقضيته لأن الإمام علياً عليه السلام كان يرى فيها شخص النبي ﷺ

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة (٦٢)، ص ٤٧٨.

(٢) المنتظم، ج ٤، ص ٧٥.

(٣) عمارة، الخلافة، ص ٨٦.

فعن عائشة قالت: (أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ...) (١)، فقد أورد ابن قتيبة (٢) قولها (عليها السلام) الذي يؤكد موقفها المساند للإمام علي (عليه السلام): «ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيهم وطالبهم»، وكان بيتها يعد مركز المعارضة السلمية؛ لأنه يمثل بيت النبوة، فقد ذكر ابن حنبل (٣): (ظل رسول الله ﷺ ستة أشهر يومياً يمر بباب فاطمة إذا خرج إلى صلاة الصبح وهو يقول: الصلاة يا أهل بيت النبوة ويتلو: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ...﴾).

وقد أوضح الإمام علي (عليه السلام)، من خلال الحوارات التي دارت بينه وبين القوم وتناقلتها كتب التاريخ وأغفلها أحمد بن حنبل في مسنده، كيف أن الأمة سعت إلى دفعه عن مرتبته، وإزالته عن محله في الخلافة، ومن المهم أن نورد تلك الخطابات التي وجهت إلى ثلاثة أصناف من المسلمين، وهم:

الصف الأول: أصحاب السقيفة من المهاجرين: لما بويع أبو بكر في يوم السقيفة... خرج الإمام علي (عليه السلام) معترضاً فقال: أفسدت علينا أمورنا ولم نُستشر ولم ترع لنا حقاً. فقال أبو بكر: بلى، ولكن خشيت الفتنة (٤)، ولما بايع الناس أبا بكر، تخلف عليّ والزبير ومنّ معهما في بيت فاطمة؛ أمر أبو بكر عمر قائلاً: اتّني به بأعنف العنف وإن أبوا فقاتلهم (٥)، فذهب عمر ومعه عصابة إلى بيت فاطمة، فقال لهم: انطلقوا فبايعوا فأبوا عليه، وخرج إليهم الزبير بسيفه. فقال عمر: عليكم الكلب

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٦٩٤٥)، ص ١٩٦٤.

(٢) الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢٩؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ١٣.

(٣) مسند، الحديث (١٣٧٦٤)، ص ٩٦٤.

(٤) البلاذري، انساب الأشراف، ج ٢، ص ٦٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٦٣.

(٥) البلاذري، المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٨٧.

فوثب عليه سلمة بن أسلم^(١) فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار ثم انطلقوا به وبعلي وبني هاشم، وعلي يقول: (أنا عبد الله وأخو رسول الله)، حتى انتهوا به إلى أبي بكر ف قيل له: بايع^(٢). فقال عليه السلام: (أنا أحق بهذا الأمر منكم لا أبياعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله فأعطوكم المقادة، وسلموا إليكم الإمارة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى بمحمد ﷺ حياً وميتاً؛ لأننا أهل بيته، فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم، واعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم، وإلا فبوؤوا بالظلم وأنتم تعلمون)، فقال عمر: (إنك لست متروكاً حتى تبائع، كما بايع غيرك). فقال الإمام علي عليه السلام: «أحلب يا عمر حلباً لك شطره أشد له اليوم أمره ليرده عليك غداً، ألا والله لا أقبل قولك ولا أبياعه». فقال أبو عبيدة: يا أبا الحسن، (إنك حديث السن وهؤلاء مشيخة قريش، قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك وأشد إحتيلاً واضطلاعاً به، فسلم له هذا الأمر وأرض فإنك إن تعش ويطيل عمرك فأنت لهذا الأمر خليف وبه حقيق في فضلك وقرابتك وسابقتك وجهادك)^(٣).

فقال الإمام علي عليه السلام: (يا معشر المهاجرين الله الله لا تخرجوا سلطان محمد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه، فوالله يا

(١) سلمة بن أسلم بن حريش بن عدي الأوسي الأنصاري، يكنى أبا سعد، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، قتل يوم الجسر سنة ١٤ هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٩٣-٩٤.

(٢) اختلف الرواة في من كان مع عمر: فالطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٠٤ يقول كان معه، يذكر إن خالد بن الوليد كان مع عمر، وإن الذي كسر سيف الزبير هو عمر، بينما يقول: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ١١، إن مع عمر عصابة، وإن الذي وثب على الزبير هو سلمة بن أسلم.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ١١؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ٧٣.

معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم، أما كان منّا القارئ لكتاب الله الفقيه في دين الله العالم بالسنة المضطلع بأمر الرعية؟ والله إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعداً). فقال بشير بن سعد: (لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا علي قبل بيعتهم لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان، غير أنك جلست في منزلك، ولم تشهد هذا الأمر، فظن الناس أن لا حاجة لك فيه، فبايعوا، والآن فقد سبقت البيعة لهذا الشيخ، وأنت على رأس أمرك). فقال الإمام علي (عليه السلام) له: (ويحك يا بشير، أفكان يجب أن أترك رسول الله ﷺ في بيته، فلم أجبه إلى حفرتي، وأخرج أنازع الناس بالخلافة؟)^(١).

وقد كان كلامهم يوحي بأن الإمام علياً (عليه السلام) كان طامحاً للخلافة، حريصاً عليها، فرد عليهم بما يتناسب مع بواطن مقاصدهم، فقال (عليه السلام): وقد قال قائل: (إنك على هذا الأمر يا ابن أبي طالب لحريص! فقلت: بل أنتم والله احرص على الخلافة وأبعد، وأنا أخص وأقرب، وإنما طلبت حقالي، وأنتم تحولون بيني وبينه، وتصرفون وجهي دونه، فلما قرعته بالحجة في الملأ الحاضرين، هب كأنه بهت لا يدري ما يحينني)، وقد حدد لهم شرط من يتولى الإمامة ينطبق عليه دون سواه بقوله: إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه، فقال أبو بكر: فإن لم تبايعني فإني لا أكرهك، وانصرف الإمام علي (عليه السلام) إلى بيته ولم يبايع. يقول ابن أبي الحديد^(٢) بعد سرد هذه القصة: (هذا النص يدل على بطلان من

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ١١؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ٧٣؛ الهمداني، شير محمد بن صفر بن علي، سند الخصام في ما انتخب من مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد علي مجيد الحلي، ط ١، مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، (كربلاء، ٢٠٠٩م)، ج ٧، ص ٢٤-٥٧.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٥٩؛ انظر في تفصيلات الموضوع: النصر الله، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ص ٢٦٢-٢٨٨.

يدعي النص إلى الإمام علي عليه السلام وغيره لأنه لو كان هناك نص صريح لاحتج به). أما مسألة الإقدام على حرق بيت فاطمة عليها السلام فقد أوردتها بعض المصادر التاريخية^(١)، بقصد إجبار المتخلفين من بني هاشم ومن ساندتهم من المهاجرين والأنصار على بيعه أبي بكر، ويبدو أن القصد من حرق بيت الزهراء هو القضاء على تراث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، الذي دونه الإمام علي عليه السلام.

الصنف الثاني: قريش: من خلال كلام الإمام علي عليه السلام يتبين أن قلق قريش من أن يجمع بنو هاشم النبوة والخلافة، وبخاصة إذا تسلمها علي بن أبي طالب عليه السلام، الشخص الذي فجعهم بقتل ذويهم في معارك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وغزواته، قد دفعها إلى أن تسعى جهدها لكي تبعد الخلافة عن الإمام علي عليه السلام، ولذلك كان يقول - عليه السلام -: «ما لنا ولقريش، وما تنكر منا قريش، غير أننا أهل بيت شيد لنا الله فوق بنيانهم بنياناً، وأعلى فوق رؤوسهم رؤوسنا، واختارنا الله عليهم فنقموا على الله أن اختارنا عليهم، عرفناهم الكتاب والنبوة وعلمناهم الفرض والدين، وحفظناهم الصحف والزبر، وديناهم الدين والإسلام، فوثبوا علينا، وجحدوا فضلنا ومنعوننا حقنا وظلمونا أسباب أعمالنا وأعلامنا، اللهم إني أستاذيك على قريش ومن أعانهم فإنهم قد قطعوا رحمي وأكفئوا إنائي وصغروا عظيم منزلتي وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري وقالوا ألا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تمنعه فاصبر مغموماً أو متأسفاً فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا ذاب ولا مساعد إلا أهل بيتي فضنت بهم عن المنيّة فأغضيت على القذى وجرعت ريقى على الشجاء وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم وآلم للقلب من

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٨٥-٨٦؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٦-١٧؛ الجوهري، السقيفة، ص ٥٠-٥١؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ٢٠١

وَحُزِرَ الشُّفَارِ»^(١).

ويبدو أن عداء قريش قد امتد إلى الأنصار، كما يذكر الزبير بن بكار^(٢)، وذلك بعد أن ندموا على بيعتهم في السقيفة، فهتفوا: (لا نبايع إلا علياً)، ولكن كان ذلك بعد فوات الأوان، حيث تصدى لهم مهاجرة الفتح من قريش، من أشرف قريش الذين حاربوا النبي ﷺ ثم دخلوا الإسلام وكلهم موتور، قد وتره الأنصار، فقد رد عليهم سهيل بن عمرو (مفاوض الحديبية) قائلاً: (يا معشر قريش إن هؤلاء القوم قد ساءهم الله الأنصار وأثنى عليهم في القرآن فلهم حظ عظيم وشأن غالب، وقد دعوا إلى علي بن أبي طالب، وعلي في بيته لو شاء لردعهم فأدعوههم إلى صاحبكم وإلى تجديد بيعته فإن أجابوكم وإلا قاتلوهم فوالله أني لأرجو الله أن ينصركم عليهم كما نصرتم بهم، وتبعه الحارث بن هشام ليقول: إن تكن الأنصار تبوأ الدار والإيمان من قبل ونقلوا رسول الله ﷺ إلى دورهم من دورنا فأووا ونصروا ثم ما رضوا حتى قاسمونا الأموال وكفونا العمل فإنهم قد لهجوا بأمرٍ إن ثبتوا عليه فإنهم قد خرجوا عما وسموا به وليس بيننا وبينهم معاتبة إلا السيف وإن نزعوا عنه فقد فعلوا الأولى بهم والمظنون معهم).

أما عكرمة بن أبي جهل فقال: (لولا أن قال إن الأئمة من قريش ما أنكرنا أمر الأنصار ولكانوا لها أهلاً لكنه قول لا شك فيه ولا خيار وقد عَجَلْتُ الأنصار علياً والله ما قبضنا عليهم الأمر ولا أخرجناهم من الشورى أعذروا إلى القوم فإن أبوا

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٣؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة (١٧٢)، ص ٢٥٤؛ ابن المطهر الحلي: رضي الدين علي بن يوسف بن المطهرت (٧١٠هـ / ١٣١٠م): العدد القوية لدفع المخاوف اليومية، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، ط ١، مطبعة سيد الشهداء (عليه السلام)، (إيران، ١٤٠٨هـ)، ص ١٨٩.

(٢) الأخبار الموفقيات، ص ٤٦٧-٤٧٥.

فقاتلوهم، فو الله لو لم يبق من قريش كلها إلا رجل واحد لصير الله هذا الأمر فيه). وقد انتبه عمر لخطر أبي سفيان عليهم، بعد موقفه من بيعة السقيفة، فقال لأبي بكر: (إن هذا قد قدم، وهو فاعل شرًّا، وقد كان النبي ﷺ يستألفه على الإسلام، فدع له ما بيده من الصدقة)، ففعل أبو بكر، ورضي أبو سفيان وبايعه، لذلك كان أبو سفيان يقول: (لشيء ما، فارقنا ابن أبي طالب)^(١).

ويسمع الأنصار بمقولة القوم، فيرد خطيهم عليهم بقوله: (يا معشر الأنصار، إنما يكبر عليكم هذا القول لو قاله أهل الدين من قريش فأما إذا كان من أهل الدنيا لاسيما من أقوام كلهم موتور فلا يكبرن عليكم...)، ثم يجتمع المهاجرون بعد أن سمعوا ما قالته الأنصار ويقولون لعمر بن العاص: (أنت لسان قريش في الجاهلية والإسلام، فلا تدع للأنصار وما قالت وأكثر من ذلك)، ويذهب ابن النابغة إلى المسجد فيخطب بالناس قائلاً: (إن الأنصار ترى لنفسها ما ليس لها وأيم الله لوددت أن الله خلّى عنا وعنهم وقضى فيهم وفينا بما أحب، نحن الذين أفدنا على أنفسنا أحرزناهم عن كل مكروه، وقدمناهم إلى كل محبوب حتى أمنوا من الخوف فلما جاز لهم ذلك صغروا حقنا ولم يراءوا ما أعظمنا من حقوقهم). ويرد عليه الفضل بن العباس قائلاً: (يا عمرو إنه ليس لنا أن نكتم ما سمعنا منك وليس منا من يحيبك وأبو حسن شاهد في المدينة) وكانت الأنصار تهتف باسم علي إلا أن يأمرنا، ولما يبلغ الفضل الإمام علياً عليه السلام بما قال بن العاص غضب وقال: (آذى الله ورسوله) ثم أتى المسجد فاجتمع إليه الناس فقال: (يا معشر قريش، إن حبّ الأنصار إيمان وبغضهم نفاق، وقد قضوا ما عليهم وبقي ما عليكم واذكروا أن الله رغب لنبیکم عن مكة فنقله إلى المدينة وكره له قريشاً

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٣، ص ٢٧١.

فنقله إلى الأنصار ثم قدمنا عليهم دارهم فقاسمونا الأموال وكفونا العمل فصرنا منهم ثم حاربنا الناس فوقونا بأنفسهم. ألا وإن عمرو بن العاص قد قام مقاماً أذى في الميت والحي ساء به الواتر وسرّ به الموتور فاستحق من المستمع لجواب ومن الغائب المقت. وإنه من أحب الله ورسوله أحب الأنصار فليكف عنا عمرو نفسه). ويجتمع كبار قريش فقال إذا وصل الأمر إلى غضب علي (عليه السلام) فلنكف^(١).

الصنف الثالث: الأنصار، إن موقف بعض الأنصار يوم السقيفة، يتسم بالسلبية، ومن الصعب أن نعطي تعليلاً لذلك، وبخاصة إن النبي (صلى الله عليه وآله) قد أشاد بهم بقوله: (فو الذي نفسي بيده، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلكت الناس شعباً، وسلكت الأنصار شعباً، لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار)^(٢)، وكذلك دفاع الإمام علي (عليه السلام) عنهم، حينما بلغه أن قريشاً قد تكالبت على الأنصار بعد السقيفة، إذ قال: (إن حبّ الأنصار إيمان وبغضهم نفاق)^(٣).

وعلى الرغم من ذلك، فقد وجه إليهم الإمام علي (عليه السلام) نقداً على موقفهم في السقيفة، وفند الإمام علي (عليه السلام) حجج الأنصار والمهاجرين لما وصلت إليه أبناء السقيفة، بقوله: (فهلا احتججتم على الأنصار بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): استوصوا بالأنصار خيراً، اقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم، ولو كانت الإمامة فيهم، لم تكن الوصية بهم)^(٤). وأما المهاجرون الذين احتجوا بأنهم شجرة الرسول (صلى الله عليه وآله)، فقد قال فيهم الإمام علي (عليه السلام): (احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة) ثم يضيف

(١) الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، ص ٤٧٠-٣٧٧.

(٢) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩٨٧؛ البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ٣٨.

(٣) الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، ص ٤٧٥.

(٤) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة (٦٧)، ص ٨٧-٨٨.

عليه السلام متعجباً: (أتكون الخلافة بالصحابة! ولا تكون بالصحابة والقرابة؟) ^(١).

هناك جملة من الأسباب التي دعت الإمام علياً عليه السلام لمبايعة أبي بكر، يمكن إدراكها من خلال بعض أقواله وخطبه التي ذكرها في خلافته عليه السلام، ويمكن إجمالها:

إن الرسول ﷺ أمر الإمام علياً عليه السلام بأن يطلب الخلافة سلمياً وبرفق، فإن حصل ذلك كان بها وإلا أمسك عنها، فالإمام عليه أن يلتزم بأمر النبي ﷺ وينفذ عهده وميثاقه له، فيقول الإمام عليه السلام في خطبة له: (فنظرت في أمري، فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي، وإذا الميثاق في عنقي لغيري) ^(٢).

لاحظ الإمام علي عليه السلام تقديم مصلحة الأمة الإسلامية على مصلحته الشخصية، لأنه كان يخشى حدوث الفتنة وسفك الدماء بين المسلمين، وكذلك تخوفه من ارتداد بعض الناس عن الإسلام، بدليل قوله عليه السلام: (وأيّم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر، ويور الدين، لكنا على غير ما كنا عليه، فولى الأمر ولالة لم يألو الناس خيراً) ^(٣).

إن السبب الذي دفع الإمام علياً عليه السلام لترك الأمر هو خذلان الأمة له وقلة المناصرين، فيروي اليعقوبي ^(٤) أن علياً عليه السلام أخذ يبحث المهاجرين والأنصار في تذكيرهم بفضائله، فلم يدع أحداً من أهل بدر من المهاجرين والأنصار إلا أتاه في منزله فذكرهم حقه ودعاهم إلى نصرته فما استجاب له منهم إلا أربعة وأربعون

(١) المصدر نفسه، الحكمة (١٩٠)، ص ٥٣٣.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٨٤-٢٩٦. نقلاً عن النصر الله: شرح نهج البلاغة (رؤية اعتزالية)، ص ٢٦٠.

(٣) المفيد، الجمل، ص ٤٣٧.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٨٥.

رجلاً فأمرهم أن يصبحوا محلقين رؤوسهم معهم سلاحهم ليبيعوا على الموت، فلم يواف منهم أحد إلا ثلاثة فقط، قد أفصح الإمام علي (عليه السلام) عن ذلك وما كان في نيته قبل أن يخذله القوم، عندما بويع البيعة العامة في المسجد بعد أكثر من عقدين في خطبته المعروفة بالشقشقية: (والله لقد تقمصها أخوتيم، وأنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي، ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ طير، فسدت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذاء، أو اصبر على طخية عمياء، يشيب فيها الصغير ويهرم فيها الكبير ويكدح فيها المؤمن حتى يلقي الله، فرأيت أن اصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهياً...) (١).

إن الإمام علياً (عليه السلام) أجبر على البيعة بعد أن هددوه بالقتل، إذ روى ابن شهر آشوب رواية مفادها: (إن القوم لما طالبوا الإمام علياً بالبيعة، قال لهم: وإن لم أفعل؟ فردوا عليه قائلين: والله الذي لا إله إلا هو، نضرب عنقك، فالتفت الإمام إلى قبر رسول الله ﷺ مخاطباً إياه: يا بن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) (٢).

ونلاحظ في هذه الخطب التي خطبها الإمام علي (عليه السلام) أنها جاءت بعد حادثة السقيفة بزمان ليس بالقليل، إلى تناقضات فيما بينها، فإذا كان النبي ﷺ قد أوصى علياً (عليه السلام) وأخذ عليه موثقاً، في أن تكون دعوته لنفسه سلمية، فلا داعي بعد لأن يحث المهاجرين والأنصار ويطلب منهم النصرة، ويواعدهم سرا للقيام بالثورة المسلحة، ولا معنى لأن يعتذر من الرسول ﷺ كما اعتذر هارون من موسى، بقوله: ﴿يا بن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾ (٣)، وإن كان الإمام قد أدرك أن

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة، ص ٢٤.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٣٠؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٢، ص ١١٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية (١٥٠).

مصلحة الإسلام تتطلب التنازل عن حقه بالخلافة، لما تؤول إليه الأمور من الفتنة والارتداد عن الإسلام، فهذا يعني أنه عليه السلام لا يصلح للخلافة، لعدم قدرته على لم شمل المسلمين وتوحيدهم فضلاً عن تجنبهم الفتنة وسفك الدماء فيما بينهم، والأجدر به أن يبايع أبا بكر بأسرع ما يمكن، فلا داعي لأن تتأخر بيعته إلى وفاة السيدة فاطمة عليها السلام، وهذا منافٍ للنصوص الشرعية الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله بحق الإمام علي عليه السلام فضلاً عن أن القرآن جعله كنفس النبي بقوله تعالى: ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾^(١)، وإن نسبة الخوف والاستضعاف إلى علي بن أبي طالب عليه السلام لا تليق به كفارس ترهب صولته الجموع، ولا تنطبق عليه كإمام، وإن لفظة (المستضعفان) أطلقها أبو سفيان^(٢)، ويكفي قول قريش حينما غضب الإمام علي عليهم لتكالبهم على الأنصار، إذ قالوا: إذا وصل الأمر إلى غضب علي فلنكف^(٣)، وحتى تذكيره لهم بفضائله عليه السلام عند مطالبته بحقه في الخلافة، يكون منافياً لقوله: (وانه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي)^(٤)، وإن جميع المسلمين ليعلمون محله، وقد اعترف معاوية ألد أعدائه بمكانته قائلاً: (كنا ننظر إلى ابن أبي طالب كالنجم في الثريا)^(٥).

نعم إن هذه الأسباب وردت على لسان الإمام علي عليه السلام ولكنها جاءت مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وآله: نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولها، على هذا فإن أفعال وأعمال الإمام علي عليه السلام إنما تصدر عن إرادة وعلم منه، بما فيها البيعة، ويؤكد ذلك اقرب مقوله صرح بها الإمام علي عليه السلام بعد بيعة الناس لأبي بكر، حيث قال عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ شَقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ،

(١) سورة آل عمران، الآية (٦١).

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٠٩.

(٣) الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، ص ٤٧٥.

(٤) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة، ص ٢٤.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ١١.

وَعَرَّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ وَضَعُوا تَيْجَانَ الْمَفَاخِرَةِ، أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ أَوْ اسْتَسْلَمَ فَأَرَّاحَ، هَذَا مَاءٌ آجِنٌ وَلُقْمَةٌ يَعْصُ بِهَا أَكْلُهَا وَتُجْتَنِّي الثَّمَرَةَ لِغَيْرِ وَقْتِ إِيْنَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ، فَإِنْ أَقْلَ يَقُولُوا حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ، وَإِنْ أَسْكُتَ يَقُولُوا جَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ، هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي، وَاللَّهُ لَا بِنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلْ أَنْدَجْتُ عَلَى مَكْنُونٍ عَلِمَ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَا ضَطْرَبْتُمْ اضْطَرَّابَ الْأَرْضِشِيَّةِ^(١) فِي الطَّوِيِّ^(٢) الْبَعِيدَةِ^(٣).

ولذلك جاءت بيعة الإمام علي (عليه السلام) أبا بكر، لضرورة قدرها الإمام علي (عليه السلام) من خلال علمه المكنون، الذي لم يبح به، إنما أشار فقط إلى ما يجب عليهم أن يفعلوه، موضحاً لهم أنه غير طامع بالخلافة، ولا خائف من المطالبة بها، إنما ترك لهم الخيار في اختياره بعد أن ألقى عليهم الحجة والبيان.

وقد كان للإمام علي (عليه السلام) أيام أبي بكر إسهامه وعطاؤه في مجلس المشورة، وفي مجلس القضاء، وكانت أول قضية قضى بها الإمام علي (عليه السلام) لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأفضى الأمر إلى أبي بكر، حيث جيء برجل قد شرب الخمر، فقال له أبو بكر: أشربت الخمر؟ فقال: نعم، فقال: ولم شربتها وهي محرمة؟ فقال الرجل: إني أسلمت، ومنزلي بين ظهرائي قوم يشربون الخمر ويستحلونها، ولم اعلم أنها حرام لأجتنبها، فالتفت أبو بكر إلى عمر وقال: ما تقول في أمر هذا الرجل؟ فقال عمر: معضلة وأبو الحسن لها، فقال أبو بكر: ادع لنا علياً، فقال عمر: إنما يؤتى الحكم في منزله، فدخلوا عليه واخبروه بقصة الرجل؛ فقال علي (عليه السلام) لأبي بكر: ابعث معه من يدور به على مجالس المهاجرين والأنصار، فمن كان تلا عليه آية تحريم

(١) الأرضية: جمع رشاء، وهو الحبل. ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص ١٠٣.

(٢) الطوى: جمع طوية، وهي البئر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٣٠، ص ٢٧٢٩.

(٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة، ص ٣٠.

الخمر فليشهد عليه، فإن لم يشهد عليه احد على انه سمع آية التحريم فلا شيء عليه. ففعل أبو بكر ما قاله علي عليه السلام، فلم يشهد عليه احد، فخلى سبيله. فكان الإمام علي عليه السلام ممن يؤخذ منه الفقه أيام أبي بكر^(١).

وقد لقب أبو بكر بخليفة رسول الله، وقسم العطاء بالتساوي بين الناس^(٢)، حيث أورد ابن حنبل^(٣) حديثاً عن أبي مليكة قال: (قيل لأبي بكر يا خليفة الله، فقال: أنا خليفة رسول الله ﷺ وأنا راضٍ به).

ثالثاً: استخلاف أبي بكر عمر بن الخطاب، وموقف الإمام علي عليه السلام:

لم تكن بيعة عمر بن الخطاب، مثل بيعة السقيفة التي بويع بها أبو بكر، إذ إن عمر قد استخلفه أبو بكر، فتسلم الخلافة بنوع من الهدوء الخالي من أي اعتراض من المسلمين؛ وذلك لأن أبا بكر حين حضرته الوفاة كتب عهداً أوصى به بالخلافة إلى عمر بن الخطاب، أما الإمام علي عليه السلام فقد أثر الصبر، ونصح لعمر في خلافته كما نصح لأبي بكر^(٤).

وقد أورد أحمد بن حنبل^(٥) حديثاً واحداً حول استخلاف أبي بكر لعمر، فعن قيس قال: (رأيت عمر بن الخطاب ويده عسيب نخل^(٦) وهو يجلس الناس، يقول: اسمعوا لقول خليفة رسول الله ﷺ فجاء مولى لأبي بكر يقال له شديد، بصحيفة فقرأها على الناس فقال: يقول أبو بكر: اسمعوا وأطيعوا لما في

(١) المفيد، الإرشاد، ص ١٥٢-١٥٣؛ التستري، قضاء أمير المؤمنين عليه السلام، ص ٥٢.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٥٩.

(٣) مسند، الحديث (٥٩)، ص ٤٢.

(٤) طه حسين، الفتنة الكبرى، ج ٢، ص ١٩.

(٥) مسند، الحديث (٢٥٩)، ص ٦٠.

(٦) عسيب نخل: سعف النخل إذا نحى عنه خوصه ويسمى (جريد). ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٣٢، ص ٢٩٣٦.

هذه الصحيفة فو الله ما ألو تكم، قال قيس: فرأيت عمر بعد ذلك على المنبر).
وقد أورد ابن سعد^(١) تفاصيل أكثر عن الخبر وفيه: (إن أبا بكر استشار بعض المقربين من الصحابة حول استخلاف عمر فوافقوه الرأي، ولما سمع أصحاب النبي ﷺ بما يريد أبو بكر أن يصنع، دخلوا عليه فقال له قائل^(٢): ما أنت قائل لربك إذا سالك عن استخلافك عمر؟ فقال أبو بكر أبا لله تخوفني، أقول: اللهم إني استخلفت خير اهلك، ثم دعا عثمان بن عفان فقال له اكتب: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلها فيها، حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب، أني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا، واني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيرا، فإن عدل فذاك ظني به وعلمي فيه، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب من الإثم، والخير أردت، ولا يعلم الغيب إلا الله، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٣)، والسلام عليكم ورحمة الله، ثم أمر بالكتاب فحتم)، والخبر مذكور بالمعنى نفسه عند اليعقوبي^(٤)، وابن قتيبة^(٥)، والطبري^(٦).

إلا أن ابن الأثير^(٧) روى: (أن أبا بكر أمر عثمان بن عفان ليكتب عهده إلى عمر، فقال له: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، أمّا بعد.. ثُمَّ أغمي عليه، فكتب عثمان: فإنني قد استخلفت

(١) الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٢) القائل هو: طلحة بن عبيد. ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٩، ص ٣٤٣.

(٣) سورة الشعراء، الآية (٢٢٧).

(٤) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٩٣.

(٥) الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢١-٢٢.

(٦) تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٢٩.

(٧) الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٧٣-٢٧٤.

عليكم عمر بن الخطاب، ولم ألكم خيراً، ثم أفاق أبو بكر، فقال: أقرأ عليّ. فقرأ عليه: فكبر أبو بكر، وقال: أراك خفت أن يختلف المسلمون إن متُّ في غشيتي؟ قال عثمان: نعم، فقال أبو بكر: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله، فلما كتب العهد أمر أن يُقرأ على الناس، فجمعهم وأرسل الكتاب مع مولى له، ومعه عمر، فكان عمر يقول للناس: أنصتوا واسمعوا لخليفة رسول الله، فإنه لم يالكم نصحاً! فسكت الناس).

ويلق احد الباحثين^(١) على هذا النص قائلاً: (ولم يقل أحد إن أبا بكر يهجر، وحالوا بينه وبين النص على عمر، كما حالوا بين النبي ﷺ وبين ما رامه من الكتابة في حق الإمام علي عليه السلام، وقالوا انه يهجر).، بينما يرى عمر فروخ^(٢) إن أبا بكر قد زاد الوحشة التي كانت قد وقعت بين المهاجرين والأنصار، وبين بني هاشم وسائر المسلمين، وأعلن علي عليه السلام أنه قد حيل بينه وبين الخلافة مرة ثانية.

ولم يُشر ابن حنبل في مسنده إلى موقف الإمام علي عليه السلام من تولي عمر بن الخطاب للخلافة، ويبدو إن معظم المصادر التاريخية والحديثية لم تتطرق إلى ذلك، ولعل الإمام علياً عليه السلام كان يتوقع أن يعهد أبو بكر لعمر بالخلافة منذ حادثة السقيفة، حيث قال لعمر حين طالبه بالبيعة لأبي بكر: (أحلب يا عمر حلباً لك شرطه أشدد له اليوم أمره ليردّه عليك غداً)^(٣)، ولكن علياً عليه السلام يتعجب من موقف أبي بكر حيث كان يصرح بثقل أعباء الخلافة ويلتمس الصواب في أحكامه منه عليه السلام عند اختلاف الآراء، ثم عند وفاته لا يعقدها للإمام علي عليه السلام، بل إن أبا

(١) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام دراسة وتحليل، ط ١، دار المرتضى، بيروت، ١٩٩٩م، ج ٢، ص ١٣١.

(٢) تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠م، ص ٩٧.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ١١.

بكر لم يشاوره في أمر الخلافة، فقد أورد ابن حنبل^(١) أول خطبة خطبها أبو بكر عن قيس بن أبي حازم قال: (إني لجالس عند أبي بكر، بعد وفاة النبي ﷺ بشهر، فنودي في الناس أن الصلاة جامعة وهي أول صلاة في المسلمين نودي بها أن الصلاة جامعة فاجتمع الناس فصعد المنبر، وهي أول خطبة خطبها في الإسلام، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس ولوددت أن هذا كفانيه غيري، ولئن أخذتوني سنة نبيكم ﷺ ما أطيقها إن كان لمعصوماً من الشيطان وإنه كان لينزل عليه الوحي من السماء).

ويذكر الصنعاني^(٢): (أن أبا بكر حين استخلف قعد في بيته حزناً، فدخل عليه عمر، فأقبل على عمر يلومه، ويقول له: أنت كلفتني هذا، وشكا إليه الحكم بين الناس، فقال له عمر: أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: إن الوالي إذا اجتهد فأصاب الحكم فله أجران، وإذا اجتهد فاخطأ فله أجر واحد).

وتشير عدد من المصادر^(٣) على ندم أبي بكر في أواخر حياته على بعض الأفعال التي صدرت منه في خلافته، وتمنى أن يستقيل منها، لذلك قال الإمام علي (عليه السلام): (فوا عجباً!، بينا هو يستقيلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدة ما تشطراً ضرعيها، فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها، ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها)^(٤).

(١) مسند، الحديث (٨٠)، ص ٤٤.

(٢) المصنف، ج ١١، ص ٣٢٨، مسلم، صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٣٤٢.

(٣) ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة ج ١، ص ٢٠-٢١؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٩٣-٩٤؛

الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٣٠؛ الجوهري، السقيفة وفدك، ص ٤٠-٤١؛ المسعودي،

مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٠٨-٣٠٩.

(٤) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة، ص ٢٥.

كان عمر بن الخطاب يعلم أحقية علي عليه السلام فقد قال لابن عباس يوماً: (يا بن عباس أما والله إن صاحبك - يعني علياً - لأولى الناس بعد رسول الله ﷺ إلا أنا خفناه على اثنين، فقال ابن عباس: فما هما؟ فقال عمر: خفناه على حدثاء سنه...، وكرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة...) (١)، ولكن عمر لا يعلم أي نوع من الرجال كان علي بن أبي طالب، وبعد زمان قصير من خلافة عمر عرف بعد تجربة ما لم يكن قد علمه فأقر له بالفضل والعلم، فقد أورد بن حنبل (٢) في كتابه الفضائل قولين لعمر في ذلك: حيث قال: (لا عشت في أمة ليس لها أبو الحسن)، وقوله: (لولا علي لهلك عمر).

وقد ذكرت المصادر التاريخية (٣) بعض الاستشارات التي قدمها الإمام علي عليه السلام لعمر في فترة خلافته، كما أشارت إلى أن عمر كان يوكل إليه القضاء في المعضلات، وقد ذكر أحمد بن حنبل (٤) حديثاً عن ابن عباس قال فيه: (خطبنا عمر على منبر رسول الله ﷺ فقال: علي بن أبي طالب عليه السلام أقضانا...).

وفي المسند أيضاً حديثان، الأول: يذكر استشارة عمر الإمام علياً في بعض الجوانب المالية، فعن حارثة قال: (جاء ناس من أهل الشام إلى عمر، فقالوا: إنا قد أصبنا أموالاً وخيلاً ورقيقاً نحب أن يكون لنا فيها زكاة وطهور، قال: ما فعله صاحبائي قبلي فأفعله واستشار أصحاب محمد ﷺ وفيهم علي عليه السلام فقال علي:

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ج ٦، ص ٤٥.

(٢) فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ص ١١٥.

(٣) ينظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٢٧؛ البيهقي، تاريخ البيهقي، ج ٢، ص ١٠٠؛ الطبري،

تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٨ وما بعدها؛ ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج ٢، ص ٢٩٣-٢٩٥؛

المفيد، الإرشاد، ص ١٠٥-١٠٦؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٨، ص ٢٧٩.

(٤) مسند، الحديث (٢١٤٠٠)، ص ١٥٤٦.

هو حسن إن لم يكن جزية راتبة يؤخذون بها من بعدك^(١).

والثاني: يتناول تدخل الإمام علي (عليه السلام) في قضية حكم فيها عمر واستدركه ليصحح له الحكم، فعن أبي ظبيان: (إن عمر بن الخطاب أتى بامرأة قد زنت فأمر برجمها فذهبوا بها ليرجموها فلقاهم علي (عليه السلام) فقال: ما هذه؟ قالوا: زنت فأمر عمر برجمها فانتزعها علي (عليه السلام) من أيديهم وردهم فرجعوا إلى عمر، فقال: ما ردكم قالوا ردنا علي (عليه السلام) قال عمر: ما فعل هذا علي إلا لشيء قد علمه، فأرسل إلى علي فجاء وهو شبه المغضب، فقال: مالك رددت هؤلاء؟ قال علي: أما سمعت النبي ﷺ يقول رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المتبلى حتى يعقل، قال: بلى، قال علي (عليه السلام): فإن هذه مبتلاة بني فلان فلعله أتاها وهو بها، فقال عمر: لا أدري فلم يرجمها^(٢).

رابعاً: قصة الشورى:

تتسم قصة الشورى بنوع من المتناقضات الصريحة، وقبل الدخول في تفاصيل شورى الستة، لابد من معرفة موقف عمر بن الخطاب من الاستخلاف، فقد وردت عدة آراء حول ذلك:

الرأي الأول: الذي يقول أن عمر بن الخطاب كان يرى أن المستحق للخلافة بعده هما شريكاه في السقيفة (أبو عبيدة بن الجراح، وسالم مولى أبي حذيفة)، إلا أنهما توفيا قبل أن يطعن عمر، حيث أورد أحمد بن حنبل^(٣) حديثاً عن أبي رافع قال: قال عمر: (لو أدركني أحد الرجلين لجعلت هذا الأمر إليه ولو وثقت به،

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٨٢)، ص ٤٤.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (١٣٢٧)، ص ١٤٣.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (١٢٩)، ص ٤٩.

سالم مولى أبي حذيفة، وأبو عبيدة بن الجراح).

الرأي الثاني: الذي ينص على أن عمر لم يكن يريد أن يستخلف أحداً من بعده، فعن ابن عمر أنه قال لعمر: (إني سمعت الناس يقولون مقالة فأليت أن أقولها لكم: زعموا أنك غير مستخلف؟ فوضع عمر رأسه ساعة ثم رفعه فقال: إن الله عز وجل يحفظ دينه، وإني إن لا استخلف فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف، وإن استخلف فإن أبا بكر قد استخلف، قال ابن عمر: فوالله ما هو إلا أن ذكر رسول الله ﷺ وأبا بكر، فعلمت أنه لم يكن يعدل برسول الله أحداً، وأنه غير مستخلف)^(١).

الرأي الثالث: إن عمر لم يشأ في البداية أن يستخلف، ولكنه عاد وعدل عن رأيه إذعاناً لنصيحة عائشة، التي أرسل إليها ابنه عبد الله ليستأذنها في أن يقبر في بيتها، فأرسلت إليه: (إن استخلف عليهم ولا تدعهم هملاً، فإني أخشى عليهم الفتنة، فأتى عبد الله فأعلمه، فقال عمر: ومن تأمرني أن استخلفه؟)^(٢).

الرأي الرابع: إن ترشيح عثمان بن عفان لمنصب الخلافة، لم يكن في أيام عمر الأخيرة، إنما كان قبل ذلك بزمان، حيث يروى أنه لما حج عمر في إحدى حججه، كان الحادي أمامه يحدو: (أن الأمير بعد عمر عثمان)^(٣).

الرأي الخامس: يقال إن عمر بن الخطاب أزمع على تولية الإمام علي عليه السلام، لكنه رأى رؤيا في المنام جعلته يعدل عن رأيه، حيث يروي الطبري^(٤) ذلك قائلاً

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٣٣٢)، ص ٦٧.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢٨.

(٣) ابن أبي شيبه، المصنف في الأحاديث والآثار، ج ٧، ص ٤٤٠؛ ابن شبة، عمر النميري البصري (ت، ٢٦٢هـ / ٨٧٥م): تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهم محمد شلتوت، مطبعة دار القدس، (قم، د.

ت)، ج ٢، ص ٨٢.

(٤) تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٢٨.

عن عمر: (كنت أجمعت مقاتلي لكم أن انظر فأولي رجلاً أمركم، وهو أحراكم أن يحملكم على الحق - وأشار إلى علي - ورهقتني غشية فرأيت رجلاً دخل الجنة قد غرسها، فجعل يقطف كل غصنة يانعة، فيضمه إليه ويصيره تحته، فعلمت إن الله غالب أمره، ومتوفى عمر، فما أريد أن أتحملها حياً وميتاً...).

الرأي السادس: ميل عمر بن الخطاب إلى الشورى، بدليل قوله في نهاية حديث السقيفة المروي عنه في مسند أحمد بن حنبل^(١): (فمن بايع أميراً عن غير مشورة المسلمين فلا بيعه له ولا بيعه للذي بايعه تغرة أن يقتلا)، بعد أن استبعد ذريته وأهل بيته وعشيرته منها، بعدما أشار عليه بعض الصحابة من خاصته بالاستخلاف، حيث يروي ابن حنبل^(٢) حديثاً يذكر قول سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل لعمر: (أما إنك لو أشرت برجل من المسلمين لأتمنك الناس، وقد فعل أبو بكر ذلك وأتمنه الناس، فرد عليه عمر بقوله: قد رأيت من أصحابي حرصاً سيئاً).

ويذكر ابن قتيبة^(٣) إن عمر قال: (حسب آل الخطاب تحمل رجل منهم الخلافة)، أما النووي^(٤) فيروي أنه قال: (ما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي، إن كان خيراً قد أصبنا منه، وإن كان شراً فقد صرف عنا، بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسأل من أمة محمد)، واكتفى عمر بن الخطاب بإدخال ابنه عبد الله في الشورى كشاهد، ليس له من الأمر شيء.

الرأي السابع: ويرويه ابن حنبل^(٥) في المسند، عن معدان بن أبي طلحة

(١) مسند، الحديث (٢٩١)، ص ٧٢-٧٣.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (١٢٩)، ص ٤٩.

(٣) الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢٤.

(٤) نهاية الأرب، ج ١٩، ص ٣٧٨.

(٥) مسند، الحديث (٣٤١)، ص ٦٧.

اليعمري: (أن عمر قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وذكر نبي الله ﷺ وأبا بكر ثم قال: إني رأيت رؤيا كأن ديكا نقرني نقرتين ولا أرى ذلك إلا لحضور أجلي وإن ناساً يأمروني أن استخلفت وإن الله عز وجل لم يكن ليضيع خلافته ودينه ولا الذي بعث به نبيه ﷺ فإن عجل بي أمر فالخلافة شورى في هؤلاء الرهط الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض فأبهم بايعتم له فاسمعوا له وأطيعوا وقد عرفت إن رجالاً سيطعون في هذا الأمر...).

وقد روت المصادر التاريخية كيف وضع عمر تفاصيل انتخاب أحد المرشحين الستة للخلافة، ولا يعلم كيف استوحى عمر بن الخطاب تلك التفاصيل التي تحمل في طياتها العديد من المؤاخذات بدءاً من واقعيتها، مروراً بتحديد آلياتها، وانتهاءً بتقييمه عناصر الشورى:

أولاً: من حيث واقعيتها: لماذا حصر عمر بن الخطاب الشورى بهؤلاء الستة فقط وهم (الزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وعثمان بن عفان، وسعد بن أبي وقاص، والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام) دون غيرهم، على الرغم من أن هناك الكثير من الصحابة قد مات النبي ﷺ وهو راضٍ عنهم؟ إذا تجاوزنا تغافل عمر عن الأنصار في الترشيح للخلافة، لكونه كان يرى أن الخلافة في قريش حصراً. فالمعيار الذي حدده عمر للترشيح غير واقعي، لأنه لم يشرك فيه جميع أبناء الأمة الإسلامية، فضلاً عن أنه ينتقض بعد عرضه على الآليات التي وضعها عمر، والتقييم الذي أطلقه على كل مرشح^(١).

ثانياً: من حيث الآليات: أقام عمر بن الخطاب هيئة تتولى الإشراف على عملية الانتخاب وليس لها رأي، تساندها قوة عسكرية مؤلفة من خمسين عنصراً مهمتها

(١) القرشي، حياة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ج ٢، ص ١٦٠.

قتل كل شخص من أعضاء الشورى لا يتفق مع البقية منهم، بعد مرور ثلاثة أيام، حيث قال لهم: إذا اتفق خمسة وأبى واحد منهم فاضربوا عنقه، وإذا اتفق أربعة وأبى اثنان فاضربوا عنقيهما، وإذا اتفق ثلاثة منهم على رجل، ورضي ثلاثة منهم برجل آخر، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس^(١). والتناقض في هذه الفكرة التي طرحها عمر هو: كيف يجوز قتل فرد مسلم، وأن النبي ﷺ مات وهو راضٍ عنه، بل وشهد له بالجنة بحسب ما دل عليه حديث العشرة المبشرين بالجنة، ليس له ذنب سوى انه اعترض على عملية الانتخاب، علماً إن الشريعة المحمدية نهت عن قتل المسلم الاعتيادي بيد مسلم آخر بقوله ﷺ: كل المسلم على المسلم حرام دمه، وماله، وعرضه؟^(٢) ثم أن عمر بن الخطاب جعل سلفاً جناح عبد الرحمن بن عوف هو الأرجح في كل الأحوال، وبعد أن تنازل ثلاثة من أعضاء الشورى عن حقهم، فأعطى طلحة حقه لعثمان، ووهب الزبير حقه لعلي (عليه السلام)، ومنح سعد ابن عمه عبد الرحمن حقه، وبذلك أصبح عبد الرحمن بن عوف صاحب الحظ الأوفر في تنصيب الخليفة بعد أن اخرج نفسه منها، وبقي الإمام علي (عليه السلام)، وعثمان، فأضاف عبد الرحمن شرطاً جديداً لنيل الخلافة ألا وهو: المبايعة على كتاب الله وسنة نبيه، وسيرة الخليفين أبي بكر وعمر، فوافق عثمان، ورفض الإمام علي (عليه السلام) قائلاً: (أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي)^(٣)، ويروي ابن حنبل^(٤) حديثاً عن أبي وائل قال: قلت لعبد الرحمن بن عوف: (كيف بايعتم عثمان وتركتم علياً؟

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (٧٧١٣)، ص ٥٧٩.

(٣) مطر، آل بيت النبوة في كتاب الطبري، ص ٢٤٥.

(٤) مسند، الحديث (٥٥٧)، ص ٨٦.

قال: ما ذنبي، قد بدأت بعلي فقلت: أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبي بكر وعمر، فقال: فيما استطعت. قال: ثم عرضتها على عثمان فقبلها، بيد أن ابن تيمية^(١) ينسب قولاً لأحمد بن حنبل يصف بيعة عثمان قائلاً: (لم يتفق الناس على بيعة كما اتفقوا على بيعة عثمان)، ولم نقف على هذا القول في مصنفات أحمد بن حنبل، ويبدو إن الشرط الذي ابتدعه عبد الرحمن كان من مشورة قريش، ويؤكد ذلك قوله: (إني نظرت وشاورت... فإذا هم لا يعدلون بعثمان)^(٢).

ثالثاً: من حيث تقييم المرشحين: وجه ابن الخطاب إلى أعضاء الشورى الذين انتخبهم بنفسه نقداً لاذعاً، أظهر فيه صفاتهم التي توجب القدح في ترشيحهم للخلافة.

فقد روى اليعقوبي^(٣) حديثاً، عن ابن عباس قال: (طرقني عمر بن الخطاب بعد أن هدأ الليل، فقال: أخرج بنا نحرس نواحي المدينة! فخرج وعلى عاتقه درته، حافياً حتى أتى بقيع الغرقد^(٤))، فاستلقى على ظهره...، فقلت له: يا أمير المؤمنين ما خرجك إلى هذا الأمر؟ قال: أمر الله يا بن عباس! قال: إن شئت أخبرتك بما في نفسك قال: غص غواص، إن كنت لتقول فتحسن، قال: ذكرت هذا الأمر بعينه وإلى من تصيره. قال: صدقت! فقلت له: أين أنت من عبد الرحمن بن عوف؟ قال: ذاك رجل ممسك وهذا الأمر لا يصلح إلا لمعط في غير

(١) منهاج السنة النبوية، ج ٣، ص ٢٣٣.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٣٣.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٠٩؛ وقد أورد تقييم عمر لمرشحي الخلافة باختلاف في بعض الألفاظ، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢٤؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٢، ص ١٥٩.

(٤) بقيع الغرقد: أصل البقيع في اللغة الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضروب شتى وبه سمي بقيع الغرقد. والغرقد كبار العوسج. وهو مقبرة أهل المدينة وهي داخل المدينة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٧٣.

سرف. فقلت: سعد بن أبي وقاص؟ قال: مؤمن ضعيف!. فقلت طلحة بن عبيد الله؟ قال: ذاك رجلٌ يناول الشرف والمديح وفيه بأو^(١) وكبر، فقلت: فالزبير ابن العوام فهو فارس الإسلام؟! قال: ذاك يوم إنسان ويوم شيطان، فقلت: عثمان بن عفان؟ قال: وإن ولي حمل بني أبي معيط وبني أمية على رقاب الناس وأعطاهم مال الله، ولئن ولي ليفعلن والله ولئن فعل لتسيرن العرب إليه حتى تقتله في بيته، ثم سكت. فقال: أمضها يا بن عباس! أترى صاحبكم لها موضعاً؟ فقلت: وأين يتبعّد من ذلك مع فضله وسابقته وقرابته وعلمه؟ قال: هو والله كما ذكرت، ولو وليهم تحمّلهم على منهج الطريق، فأخذ المحجّة الواضحة، إلا أن فيه خصالاً: الدعابة في المجلس، واستبداد رأيي، مع حداثة السن، فقلت: يا أمير المؤمنين هلا استحدثتم سنه يوم الخندق إذ ضرب عمرو بن عبد ود وقد كعم عنه الأبطال، وتأخرت عنه الأشياخ، ويوم بدر إذ كان يقط الأقران قطعاً، ولا سبقتموه بالإسلام؟ فقال: إليك يا بن العباس! أتريد أن تفعل بي كما فعل أبوك وعلي (عليه السلام) بأبي بكر يوم دخلا عليه).

والشيء المتناقض هنا هو: لماذا رشحهم عمر للخلافة وهو يعلم ما فيهم من الصفات التي ذكرها؟

إن احتجاج ابن عباس على عمر في شأن الخصال التي أوردها بحق الإمام علي (عليه السلام) كان مقتصرأً على حداثة السن، يبدو أنه متفق مع عمر في صفتي الدعابة في المجلس، والاستبداد بالرأي، متناسين أن رسول الله ﷺ قد نصبه عليهم، وهم يشهدون لعلي (عليه السلام) بأنه يسلك بهم الصراط القويم والمحجة الواضحة.

(١) بأو، البأواء، العظمة والكبر والفخر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٢٠٢.

خامساً: موقف الإمام علي عليه السلام من البيعة لعثمان:

نستشف مما تقدم من ذكر لقصة أهل الشورى، أن عمر بن الخطاب قد وقع تحت تأثير الحزب القرشي، وبخاصة بعد أن مات مناصروه يوم السقيفة، حيث كان يرى أحقيتهم في الخلافة بعده، وأنه في قرارة نفسه يرى أن علي بن أبي طالب أحق وأجدر من غيره بها، لكنه لم يشأ أن يجعلها بيده إرضاءً لقريش، فوضع مسار عملية انتخاب شورى الستة بما يضمن فوز مجموعة عبد الرحمن بن عوف، لعلمه أنه سيؤثر صلة الدم والعصبية القبلية والمصالح الشخصية، على غيرها من الجوانب التي دعا إليها الإسلام، ويروي ابن حنبل^(١) حديثاً يبرر فيه انتخاب عبد الرحمن لعثمان فعن أبي وائل قال: (قلت لعبد الرحمن بن عوف كيف بايعتم عثمان وتركتم علياً؟ قال: ما ذنبي، قد بدأت بعلي فقلت: أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبي بكر وعمر، فقال: فيما استطعت. قال: ثم عرضتها على عثمان فقبلها) وقد أفصح الإمام علي عليه السلام عن السبب الذي دعا عبد الرحمن بن عوف لمبايعة عثمان بقوله له: (حبوته حبو دهر، ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر عليك...) ^(٢)، وقد علل عليه السلام موقف قريش منه بقوله: (إن الناس ينظرون إلى قريش وقريش تنظر إلى بيتها فتقول: إن وليّ عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً، وإن كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم) ^(٣). وبعد زمان الشورى، أفصح الإمام علي عليه السلام مرة أخرى عن إصرار قريش على إقصائه، فقال: (... حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أي أحدهم، فيا لله والشورى، متى اعترض

(١) مسند، الحديث (٥٥٧)، ص ٨٦.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١١٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٣٣.

(٣) ابن أعثم، الفتوح، ج ٢، ص ٣٣٢.

الريب في مع الأول منهم، حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر!، لكنني أسففت إذ أسفوا، وطرت إذ طاروا، فصغا رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هـن وهـن، إلى إن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه^(١)، وقد أورد ابن حنبل الكثير من المواقف السلبية لعثمان مع الصحابة، والخروقات التي تنافي التشريع الإسلامي في خلافته، نجمل أهمها:

أ/ الإمام علي (عليه السلام) مع عثمان: أورد أحمد بن حنبل عدداً من الأحاديث التي تدل على أن الإمام علياً (عليه السلام) كان ناصحاً لعثمان بن عفان في جميع شؤون الدولة، وإن معارضته لأحكامه لا يبتغي منها سوى تطبيق الشريعة، وإقامة العدل، نورد أهمها:

عن الحسن بن سعد: (إن يحنس وصفية كانا من سبي الخمس فزنت صفية برجل من الخمس فولدت غلاماً فادعاه الزاني ويحنس فاختصما إلى عثمان فرفعهما إلى علي بن أبي طالب فقال: أقضي فيهما بقضاء رسول الله ﷺ الولد للفراش وللعاهر الحجر، وجلدهما خمسين خمسين)^(٢).

قال عبد الله بن الحرث: (استقبلت عثمان بالنزل بقديد فاصطاد أهل الماء حجلاً فطبخناه بماء وملح فجعلناه عراقاً للثريد فقدمناه إلى عثمان وأصحابه فأمسكوا، فقال عثمان: صيد لم أصطده ولم نأمر بصيده؟ اصطاده قوم حل فأطعموناه؟ فما بأس، فقال عثمان: من يقول في هذا؟ فقالوا علي، فبعث إلى علي (عليه السلام) فجاء، قال عبد الله بن الحرث: فكأنني أنظر إلى علي حين جاء وهو يمت الخبط عن كفيه، فقال له عثمان: صيد لم نصطده ولم نأمر بصيده اصطاده قوم حل فأطعموناه فما

(١) المفيد، الجمل، ص ١٢٦ - ١٢٧؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة، ص ٣٥.

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (٨٢٠)، ص ١٠٧.

بأس؟ قال: فغضب علي وقال: أنشد الله رجلاً شهد رسول الله ﷺ حين أتى بقائمة حمار وحش فقال رسول الله ﷺ: إنا قوم حرم فأطعموه أهل الحل؟ قال: فشهد اثنا عشر رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ثم قال علي: أشهد الله رجلاً شهد رسول الله ﷺ حين أتى ببيض النعام، فقال رسول الله ﷺ: إنا قوم حرم أطعموه أهل الحل؟ قال فشهد دونهم من العدة من الإثني عشر، قال: فثنى عثمان وركه عن الطعام فدخل رحله^(١).

عن الرقاشي قال: (قدم ناس من أهل الكوفة على عثمان، فأخبروه بما كان من أمر الوليد^(٢)) أي بشربه الخمر، فكلمه علي عليه السلام في ذلك فقال: دونك ابن عمك فأقم عليه الحد، فقال: يا حسن قم فاجلده، قال: ما أنت من هذا في شيء ول هذا غيرك، قال: بل ضعفت ووهنت وعجزت، قم يا عبد الله بن جعفر فجعل عبد الله يضربه ويعد علي حتى بلغ أربعين، ثم قال: امسك أو قال كف جلد رسول الله ﷺ أربعين وأبو بكر أربعين وكملها عمر ثمانين وكل سنة^(٣).

عن ابن المسيب قال: (خرج عثمان حاجاً، فقبل لعلي قد نهى عثمان عن التمتع بالعمرة، فقال علي لأصحابه: إذا ارتحل فارتحلوا فأهل علي وأصحابه بعمرة فلم يكلمه عثمان في ذلك، فقال له علي: أخبرتك أنك نهيت عن التمتع بالعمرة؟ فقال عثمان: بلى، قال علي: فلم تسمع من رسول الله ﷺ تمتع؟ قال: بلى^(٤)).

(١) المصدر نفسه، الحديث (٧٨٣)، ص ١٠٤.

(٢) الوليد بن عقبة بن معيط بن أبي عمرو بن أمية، اخو عثمان لأمه أروى بنت كرز، من الطلقاء، اسلم يوم الفتح، وكان من المنافقين بنص القرآن، ولاه عثمان الكوفة بدلاً عن سعد بن أبي وقاص،

فصلى بالناس وهو مخمور، فشكوه إلى عثمان، ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ٣١٨.

(٣) ابن حنبل، مسند، الحديث (٦٢٤)، ص ٩١.

(٤) المصدر نفسه، الحديث (٤٠٢)، ص ٧٤.

عن أبي هريرة قال: (راح عثمان إلى مكة حاجاً، ودخلت على محمد بن جعفر بن أبي طالب امرأته فبات معها حتى أصبح ثم غدا عليه ردع الطيب وملحفة معصفرة مفدمة فأدرك الناس بملل قبل أن يروحوا فلما رآه عثمان انتهر وأفف، وقال: أتلبس المعصفر وقد نهى عنه رسول الله ﷺ فقال له علي بن أبي طالب: إن رسول الله ﷺ لم ينهه ولا إياك، إنما نهاني^(١)).

عن محمد بن الحنفية، قال: (جاء إلى علي ناس من الناس فشكوا سعاة عثمان قال: فقال لي أبي: اذهب بهذا الكتاب إلى عثمان فقل له: إن الناس قد شكوا ساعاتك وهذا أمر رسول الله ﷺ في الصدقة فمرهم فليأخذوا به قال: فأتيت عثمان فذكرت ذلك له، قال: فلو كان ذاكرًا عثمان بسوء لذكره يومئذ^(٢)).

ب/ مواقف عثمان مع بني أمية: من المآخذ التي ذكرها ابن حنبل وشاركه معظم المؤرخين، على عثمان بن عفان خلال فترة خلافته، هو تقريبه لبني أمية، وجعلهم بطانته الخاصة، وسلمهم إدارة شؤون الدولة، ومنحهم الكثير من الامتيازات، ووهبهم الأموال من بيت مال المسلمين، والإقطاعات من الأراضي المفتوحة عنوة وهي ملك للمسلمين، ومن أبرز تلك المواقف:

كتب عثمان حين بويع بالخلافة إلى الحكم بن أبي العاص^(٣) أن يقدم عليه وكان طريد رسول الله ﷺ، علماً أنه لما بويع أبو بكر اجتمع إليه عثمان وقوم من

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٥١٧)، ص ٨٣.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (١١٩٦)، ص ١٣٤.

(٣) الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، أبو مروان بن الحكم، وعم عثمان بن عفان، وهو من الطلقاء، أسلم يوم الفتح، وكان من الذين آذوا النبي ﷺ قبل إسلامه، وبعده كان من المستهزئين بمشية رسول الله ﷺ، والمجترئين على حرمة، طرده النبي ﷺ وأولاده من المدينة إلى الطائف، ويروى إن النبي ﷺ قال: لما رأى الحكم، ويل لأمتي مما في صلب هذا. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ٤٨-٤٩؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٥، ص ٢٤١.

بني أمية فسألوه في الحكم فلم يأذن للحكم بالعودة، فلما ولي عمر فعلوا ذلك فلم يأذن له أيضاً^(١)، حتى أقدمه عثمان المدينة وأصبح من بطانة الخليفة الثالث، وعهد إلى ابنه مروان ابن الحكم^(٢)، بإدارة شؤون الدولة، والشيء الذي يحز بالنفس هو أن يهب عثمان بن عفان ما وهبه رسول الله ﷺ لابنته - أرض فدك - إلى طريده^(٣)!

أورد ابن حنبل^(٤) حديثاً يؤكد على أن عثمان بن عفان كان يؤثر بني أمية على جميع صحابة رسول الله ﷺ، فعن سالم بن أبي الجعد قال: (دعا عثمان ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ وفيهم عمار بن ياسر، فقال: إني سائلكم وإني أحب أن تصدقوني نشدتكم الله: أتعلمون إن رسول الله ﷺ كان يؤثر قريشاً على سائر الناس، ويؤثر بني هاشم على سائر قريش؟ فسكت القوم، فقال عثمان: لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيتهما بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم...).

ج/ مواقف عثمان مع الصحابة: على إثر سياسة المحاباة التي اتخذها عثمان ابن عفان مع خاصته من بني أمية، فقد اتخذ المسلمون موقفاً معارضاً، ويمكننا القول إن تلك المواقف كانت البذرة الأولى للفتنة، التي لم يتداركها الخليفة الثالث، بالاستجابة لمطالب الصحابة، بتغيير سياسته، وأن يكفكف من غلواء بني أمية، بل اتخذ موقفاً سلبياً من كل الصحابة الذين وقفوا ضد مصالح بني أمية، الأمر الذي زاد الوضع سوءاً، فكان أول المعترضين عليه والجافين له، من نصبوه خليفة عليهم، حيث يورد ابن حنبل^(٥)، حديثاً يشير إلى جفاء عبد الرحمن بن عوف

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١١٤.

(٢) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، يكنى أبا عبد الملك، طريد رسول الله ﷺ مع أبيه، ولد لستين خلتاً من الهجرة، مات بالشام سنة ٦٥ هـ. ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٥٤.

(٣) ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ٨٤.

(٤) مسند، الحديث (٤٣٩)، ص ٧٦.

(٥) المصدر نفسه، الحديث (٤٩٠)، ص ٨٠.

لعثمان في أثناء خلافته، ويصف فيه ردة فعل عثمان إزاءه: فعن شقيق قال: (لقي عبد الرحمن بن عوف، الوليد بن عقبة، فقال له الوليد: مالي أراك قد جفوت أمير المؤمنين عثمان؟ فقال له عبد الرحمن: أبلغه أي لم أفر يوم أحد، ولم أتخلف يوم بدر، ولم أترك سنة عمر، قال: فانطلق فخير ذلك عثمان، فقال: أما قوله أي لم أفر يوم أحد فكيف يعيرني بذنب وقد عفا الله عنه فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾، وأما قوله إني تخلفت يوم بدر فإني كنت أمرض رقية بنت رسول الله ﷺ حين ماتت وقد ضرب لي رسول الله ﷺ بسهمي ومن ضرب له رسول الله بسهمه فقد شهد، وأما قوله إني تركت سنة عمر فإني لا أطيعها ولا هو فأتته فحدثه بذلك).

والملاحظ أن مقالة عبد الرحمن بن عوف الطاعنة في عثمان، قد انتشرت في الآفاق والولايات، فيروي ابن حنبل^(١)، عن ابن موهب قال: (جاء رجل من مصر يحج البيت، قال: فرأى قوما جلوسا، فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: قريش قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا عبد الله بن عمر، قال: يا بن عمر إني سائلك عن شيء أو أنشدك بحرمة هذا البيت، أتعلم إن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم، قال: فتعلم انه غاب عن بدر فلم يشهده؟ قال: نعم، قال: وتعلم انه تغيب عن بيعة الرضوان؟ قال: نعم، قال: فكبر المصري...). ويذكر المؤرخون إن عبد الرحمن ظل مجافياً لعثمان حتى مات^(٢).

ويبدو ان طلحة كان من اشد المعارضين لعثمان، على الرغم من إقطاع عثمان له مساحة واسعة من ارض الكوفة وقد سميت -بدار الطلحين-، ولكن معارضته

(١) المصدر نفسه، الحديث (٥٧٧٢)، ص ٤٤٨.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٥٦؛ البيهقي، تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٦٩.

كانت بشكل سري، وبسبب أطماعه السياسية في الوصول إلى الحكم^(١)، حيث يروي ابن حنبل^(٢) استغراب عثمان ومعاتبته لطلحة، كونه أحد محاصريه يوم الدار، فعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: (شهدت عثمان يوم حوصر في موضع الجنائز ولو ألقى حجر لم يقع إلا على رأس رجل فرأيت عثمان أشرف على الذين حصروه، فسلم عليهم، فلم يردوا عليه، فقال: أيها الناس أفيكم طلحة؟ فسكتوا، ثم قال: أيها الناس أفيكم طلحة؟ فسكتوا، ثم قال: يا أيها الناس أفيكم طلحة؟ فقام طلحة بن عبيد الله فقال له عثمان: إلا أراك ههنا ما كنت أرى أنك تكون في جماعة تسمع ندائي آخر ثلاث مرات ثم لا تجيبني...)، وتروي المصادر التاريخية^(٣) أن مروان بن الحكم قد تبع طلحة ليأخذ ثأر عثمان منه إلى البصرة حين كان هناك لقتال الإمام علي عليه السلام في يوم الجمل، وقد أدركه فرماه بسهم فقتله، وهذا يدل على أن مروان بن الحكم كان متأكداً من أن طلحة مشترك في مقتل عثمان.

أما أبرز المعارضين السلميين لسياسة عثمان المالية، فقد كان الصحابي أبو ذر الغفاري^(٤)، الذي قال النبي الكريم ﷺ في حقه: (ما أظلت الخضراء ولا أقلت

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٤٠؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ٨، ص ٨١.

(٢) مسند، الحديث (٥٥٢)، ص ٨٥.

(٣) أبو مخنف، لوط بن يحيى الأزدي الكوفي (ت: ١٥٧هـ / ٧٧٣م): الجمل وصفين والنهروان، جمع وتحقيق: حسن حميد السنيد، ط ١، دار الإسلام، (لندن، ٢٠٠٢)، ص ١٦٧؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٧٢؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ٣، ص ٤٣؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٢، ص ٤٧٨.

(٤) أبو ذر الغفاري، جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار، وقد اختلف في اسمه ونسبه اختلافاً كبيراً، أسلم والنبي بمكة أول الإسلام، فكان رابع أربع، وهو أول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام، وكان يعبد الله قبل مبعث النبي بثلاث سنوات، بايع النبي ﷺ على أن لا تأخذه في الله لومة لائم، وعلى أن يقول الحق وإن كان مرأياً، مات سنة ٣٢هـ بالربذة. ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٥٢؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ١، ص ٥٦٢.

الغبراء من رجل أصدق ذي لهجة من أبي ذر^(١)، على أن أبا ذر لم يكن يريد الخروج على عثمان، رغم إن الأخير قد قابله بإجراءات شديدة، بحسب ما يذكر ابن حنبل^(٢) في مسنده، فعن القاسم بن عوف الشيباني عن رجل قال: (كنا قد حملنا لأبي ذر شيئاً نريد أن نعطيه إياه فأتينا الربرة^(٣) فسألنا عنه فلم نجده، قيل استأذن في الحج فأذن له فأتيناه بالبلدة وهي منى فبينا نحن عنده إذ قيل له: إن عثمان صلى أربعاً فاشتد ذلك على أبي ذر، وقال قولاً شديداً، وقال: صليت مع رسول الله ﷺ فصلى ركعتين وصليت مع أبي بكر وعمر، ثم قام أبو ذر فصلى أربعاً، فقليل له: عبت على عثمان شيئاً ثم صنعت مثله، قال: الخلاف أشد، إن رسول الله ﷺ خطبنا فقال: انه كائن بعدي سلطان فلا تذلوه فمن أراد أن يذله فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وليس بمقبول منه توبة حتى يسد ثلثته التي ثلم وليس بفاعل ثم يعود فيكون فيمن يعزه، أمرنا رسول الله ﷺ أن لا يغلبونا على ثلاث: أن نأمر بالمعروف، وننهي عن المنكر، ونعلم الناس السنن).

وقد كان أبو ذر ينبه عثمان ويحذره من إكناز الأموال، وينصحه بأن يوزعها على المسلمين بالعدل، ويؤكد ذلك الحديث المروي في المسند، عن الأحنف بن قيس قال: (قدمت المدينة وأنا أريد العطاء من عثمان بن عفان فجلست إلى حلقة من حلق قريش فجاء رجل عليه أسمال له قد لف ثوباً على رأسه وقال: بشر الكنازين بكى في الجباه وبكى في الظهور وبكى في الجنوب ثم تنحى إلى سارية فصلى خلفها ركعتين، فقلت: من هذا؟ فقليل: هذا أبو ذر، فقلت له: ما شيء

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٦٥١٩)، ص ٤٩٤؛ الترمذي، السنن، ج ٥، ص ٦٢٨.

(٢) مسند، الحديث (٢١٧٩٢)، ص ١٥٨٠-١٥٨١.

(٣) الربرة: من قرى المدينة على ثلاث أميال قريبة من ذات عرق على الحجاز وبها موضع قبر أبي ذر الغفاري حيث توفي وحيداً في منفاه. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٨٨.

سمعتك تنادي به؟ قال: ما قلت لهم إلا شيئاً سمعوه من نبيهم ﷺ، فقلت: يرحمك الله إني كنت آخذ العطاء من عمر فما ترى؟ قال: خذه فإن فيه اليوم معونة ويوشك أن يكون ديناً فإذا كان ديناً فارفضه^(١).

ولما كان الصحابي أبو ذر لا يحابي في دين الله، إذ لم تكن تأخذه في الله لومة لائم، وبخاصة في مسألة الإنفاق في أموال المسلمين، والتي كانت المحور الرئيس لمعارضته إياه، كما يحدث ابن حنبل^(٢) عن أبي ذر أنه: (جاء يستأذن على عثمان بن عفان فأذن له ويده عصاه، فقال عثمان: يا كعب إن عبد الرحمن توفي وترك ما لا فما ترى فيه، فقال: إن كان يصل فيه حق الله فلا بأس عليه! فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعباً، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ما أحب لو أن لي هذا الجبل ذهباً أنفقه ويتقبل مني أذر خلفي منه ست أواق، أنشدك الله يا عثمان أسمعته ثلاث مرات؟ قال: نعم).

لذلك فقد رأى عثمان أن يسير أبا ذر إلى الشام، وهناك وجد أبو ذر من تصرفات معاوية ما لم يجده في المدينة، فبدأ يؤلب الناس عليه بما يذكره من أحاديث رسول الله ﷺ، التي تدعو إلى إنصاف المحرومين، وتذكر بحقوق الفقراء، فخشي معاوية على سلطانه منه، فكتب إلى عثمان يقول: (إن أبا ذر قد أفسد الناس بالشام)، فبعث إليه عثمان بن عفان، ثم نفاه حيث قال له: إلى الرّيزة التي خرجت منها حتى تموت بها، يا مروان أخرجه، ولا تدع أحد يكلمه حتى يخرج، فأخرجه على جمل ومعه امرأته وابنته، فخرج الإمام علي عليه السلام لتوديعه، فذهب علي عليه السلام يكلمه فقال له مروان: إن أمير المؤمنين قد نهى أن يكلمه أحد، فرفع علي عليه السلام السوط فضرب

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢١٨١٧)، ص ١٥٨٣.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٤٥٣)، ص ٧٨.

وجه ناقة مروان، وقال: تنح، نحاك الله إلى النار، ثم شيعه، وانصرف مروان إلى عثمان ليخبره بما جرى بينه وبين علي (عليه السلام)، فكانت بينه وبين علي (عليه السلام) بسبب ما حصل بعض الوحشة^(١)، وروى المسعودي^(٢) معاتبه الإمام علي (عليه السلام) لعثمان قائلاً: «فلما كان بالعشي جاء علي (عليه السلام) إليه، فقال عثمان: ما حملك على ما صنعت بمروان ولم اجترأت عليّ ورددت رسولي وأمري؟! قال: أما مروان فإنه استقبلني يردني فرددته عن ردي، وإما أمرك فلم أردّه، قال عثمان: ألم يبلغك أني قد نهيت الناس عن أبي ذر وعن تشييعه؟ فقال (عليه السلام): أو كل ما أمرتنا به من شيء نرى طاعة الله والحق في خلافه اتبعنا فيه أمرك؟ بالله لا نفعل. قال عثمان: إقذ مروان، قال ومم أقيده؟ قال: ضربت بين أذني راحلته وشتمته فهو شاتمك وضارب بين أذني راحلتك، قال علي (عليه السلام): أما راحلتي فهي تلك فإن أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل. أما أنا فوالله لئن شتمني لأشتمنك أنت مثلها بما لا اكذب فيه ولا أقول إلا حقاً، قال عثمان: ولم لا يشتمك إذا شتمته، فوالله ما أنت عندي بأفضل منه؟! فغضب علي بن أبي طالب وقال: إليّ تقول هذا القول، وبمروان تعدلني؟ فأنا والله أفضل منك وأبي أفضل من أبيك وأمي أفضل من أمك...» فكان هذا أول تجاذب في الحديث والشد فيه إزاء شخص عثمان بن عفان وكان سببها ترحيل أبي ذر الغفاري، حيث بقي أبو ذر في منفاه إلى أن توفاه الله عز وجل.

ويصف أحمد بن حنبل^(٣) حال أبي ذر وعياله عندما حضره الموت، فعن مالك الأشتر قال: (إن أبا ذر حضره الموت وهو بالربذة، فبكت امرأته، فقال: ما يبكيك؟ قالت: أبكي لا يدلي بنفسك وليس عندي ثوب يسعك كفناً، فقال: لا تبكي فإني

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٠؛ الجوهرى، السقيفة ص ٧٦-٧٨.

(٢) مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٩٠.

(٣) مسند، الحديث (٢١٧٩٩)، ص ١٥٨١.

سمعت رسول الله ﷺ ذات يوم وأنا عنده في نفر يقول ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين، قال فكل من كان معي في ذلك المجلس مات في جماعة وفرقة فلم يبق منهم غيري وقد أصبحت بالفلاة أموت فراقبي الطريق فإنك سوف ترين ما أقول فياني والله ما كذبت ولا كذبت، قالت: وأني ذلك وقد انقطع الحاج؟ قال: راقبي الطريق، قال: فينا هي كذلك إذا هي بالقوم تخد بهم رواحلهم كأنهم الرخم فأقبل القوم حتى وقفوا عليها، فقالوا ما لك؟ قالت: امرؤ من المسلمين تكفونه وتؤجرون فيه، قالوا: ومن هو؟ قالت: أبو ذر، ففدوه بآبائهم وأمهاتهم ووضعوا سياطهم في نحورها يتدرونه فقال: أبشروا أتم نفر الذين قال رسول الله ﷺ فيكم ما قال، أبشروا سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من امرأين مسلمين هلك بينهما ولدان أو ثلاثة فاحتسبا وصبرا فيريان النار أبدا، ثم قد أصبحت اليوم حيث ترون ولو أن ثوبا من ثيابي يسعني لم أكفن إلا فيه، فأنشدكم الله أن لا يكفني رجل منكم كان أميرا أو عريفا أو بريدا فكل القوم كان قد نال من ذلك شيئا، إلا فتى من الأنصار كان مع القوم، قال: أنا صاحبك ثوبان في عييتي من غزل أمني وأجد ثوبي هذين اللذين علي، قال: أنت صاحبي فكفني). وقد تفرد أحمد بن حنبل بهذا الحديث، وقد رواه عنه الحاكم النيسابوري^(١)، رغم أن المحدثين^(٢)، قد ذكروا في مصنفاتهم الحديثية الكثير من الأحداث التي جرت على أبي ذر إلا أنهم اغفلوا مدفنه، واختلف المؤرخون حول من اختص بدفن أبي ذر، فذهب الطبري^(٣) إلى أن الذي دفنه وصلى عليه هو عبد

(١) المستدرک، ج ٣، ص ٣٣٧-٣٣٨.

(٢) ينظر: البخاري، صحيح البخاري، ج ٢، ص ٣٤٧؛ أبو داود، سنن أبي داود، ج ١، ص ٢٣٥؛

الترمذي، سنن الترمذي، ج ١، ص ١١٤؛ النسائي، سنن النسائي، ج ١، ص ١٧١.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٠٩.

الله بن مسعود^(١)، بينما يقول اليعقوبي^(٢): وحضر الصلاة عليه: حذيفة بن اليمان، ومالك بن الأشتر^(٣)، وذكر ابن سعد^(٤) أسماء الذين حضروا أبا ذر عند موته، وعدّ ابن الأشتر منهم، ولا نستبعد حضور الإمام علي (عليه السلام) لدفن أبي ذر؛ لأنه عليه السلام كان يحرص على الصلاة على خواصه.

وينفي ابن العربي^(٥) الروايات التي نصت على نفي عثمان أبا ذر بقوله: والله ما سير عثمان أبا ذر! ولكن رسول الله أمره أن يخرج من المدينة إذا بلغ البناء مبلغاً.

وبحسب ما يروي ابن حنبل، نستطيع القول: بأن معاوية بن أبي سفيان كان يلجأ إلى عثمان بن عفان في إبعاد كل صحابي يحاول التذكير بسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، كان يستعين في تثبيت حكمه في الشام بأبي هريرة، فلما أنكر الصحابي عبادة بن الصامت على أبي هريرة ذلك، غضب معاوية وكتب إلى عثمان بنفس ما كتب إليه في شأن أبي ذر، فعن إسماعيل بن عبيد الأنصاري قال: قال عبادة لأبي هريرة: (يا أبا هريرة إنك لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، إنا بايعناه على السمع والطاعة

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، ويسمى ابن أم عبد، كان إسلامه قديماً، وهو أول من جهر بالقرآن بمكة، وقد اتخذ النبي (صلى الله عليه وآله) حاجباً وحارساً له، وبشره بالجنة، توفي سنة ٣٢ هـ.

ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ١٠٦؛ ابن الأثير، اسد الغابة، ج ٣، ص ٣٨٢-٣٨٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧٢.

(٣) مالك بن الحارث بن عبد يغوث الأشتر النخعي، من كبار أصحاب الإمام علي (عليه السلام) وولاه الإمام علي المدينة، شهد مع الإمام علي موقعة الجمل وصفين، وبعد صفين وجهه الإمام إلى مصر بدلاً من محمد بن أبي بكر، فلما علم معاوية بذلك وكان الأشتر أشد عليه من محمد بن أبي بكر دس له سماً، فلما صار إلى القلزم من الفسطاط نزل على رجل من أهل المدينة فخدمه وسقاه السم بعقب

فيه عسل فمات بالقلزم سنة ٣٨ هـ. ينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٩٤.

(٤) الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ٢٣٢.

(٥) العواصم من القواصم، ص ٨٨.

في النشاط والكسل، وعلى النفقة في اليسر والعسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن نقول في الله تبارك وتعالى، ولا نخاف لومة لائم فيه، وعلى أن نصر النبي ﷺ إذا قدم علينا يثرب فنمنعه مما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا ولنا الجنة، فهذه بيعة رسول الله التي بايعنا عليها فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما بايع عليه رسول الله ﷺ وفي الله تبارك وتعالى بما بايع عليه نبيه ﷺ فكتب معاوية إلى عثمان بن عفان: إن عبادة بن الصامت قد افسد على الشام وأهله فإما تكن إليك عبادة، وإما أخلي بينه وبين الشام، فكتب إليه: أن رحل عبادة حتى ترجعه إلى داره من المدينة، فبعث بعبادة حتى قدم المدينة، فدخل على عثمان في الدار وليس في الدار غير رجل من السابقين أو من التابعين قد أدرك القوم فلم يفجأ عثمان إلا وهو قاعد في جنب الدار فالتفت إليه فقال: يا عبادة بن الصامت ما لنا ولك؟ فقام عبادة بين ظهري الناس فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه سيلى أموركم بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصى الله تبارك وتعالى فلا تعتلوا بربكم^(١).

أما الصحابي المقداد بن الأسود^(٢) فقد اعترض على ظاهرة مدح الأمراء التي تفشت في زمن عثمان بن عفان، فيذكر ابن حنبل^(٣)، عن عبد الله البهي قال: (إن ركبا وقفوا على عثمان بن عفان فمدحوه وأثنوا عليه، وإن المقداد بن الأسود أخذ قبضة من الأرض فحشاها في وجوه الركب فقال له عثمان ما هذا؟ فقال: إن النبي

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٣١٤٩)، ص ١٦٨٨.

(٢) المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك، المعروف بالمقداد بن الأسود نسبة إلى الأسود بن عبد يغوث الزهري، لأنه حالفه، ويقال له المقداد الكندي، لأنه حالف كندة أيضا، وهو من السابقين في الإسلام شهد المشاهد كلها، وكان الفارس الوحيد يوم بدر، توفي في خلافة عثمان وله من العمر سبعون سنة. ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٦٣؛ ابن الأثير، اسد الغابة، ج ٥، ص ٢٤٠-٢٤٤.

(٣) مسند، الحديث (٢٤٣٢٥)، ص ١٧٨٤ ١٧٨٥.

عليه السلام أمرنا: إذا سمعتم المداحين فأحشوا في وجوههم التراب).

وعلى الرغم من أن عبد الله بن مسعود كان صاحب بيت المال في الكوفة منذ أيام عمر بن الخطاب^(١)، إلا أن معارضته لعثمان كانت تتجلى في أربعة أمور:

الأمر الأول: اعتراضه على والي عثمان في الكوفة، بسبب استقراضه من بيت مال المسلمين، ومطالبة ابن مسعود إياه باسترجاعها، وكعادة بني أمية يلجأ الوليد إلى عثمان ويخبره بموقف ابن مسعود، فيكتب إليه عثمان قائلاً: إنما أنت خازن لنا، الأمر الذي جعل ابن مسعود يلقي بمفاتيح بيت المال^(٢)، ويعود إلى المدينة، فقطع عنه عثمان العطاء إلى أن مات^(٣)، بعد أن نقل إليه أحد المنافقين أن ابن مسعود يقول: إن دم عثمان حلال! إذ يروي ابن حنبل^(٤) ذلك عن أبي عون الأنصاري قوله: (إن عثمان بن عفان قال لابن مسعود: هل أنت منته عما بلغني عنك؟ فاعتذر ابن مسعود بعض العذر، فقال عثمان: ويحك، إني قد سمعت وحفظت، وليس كما سمعت: إن رسول الله ﷺ قال: سيقتل أمير، وينتري منتري، وإني أنا المقتول، وليس عمر، إنما قتل عمر واحد، وأنا يجتمع علي).

الأمر الثاني: معارضة ابن مسعود عثمان على طريقة جمع وترتيب القرآن الكريم فعن عبد الرحمن بن عابس قال: لما أراد عبد الله أن يأتي المدينة جمع أصحابه، فقال: (والله إني لأرجو أن يكون قد أصبح اليوم فيكم من أفضل ما أصبح في أجناد المسلمين من الدين والفقه والعلم بالقرآن، إن هذا القرآن أنزل على حروف، والله

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٨.

(٢) الصنعاني، المصنف، ج ٤، ص ٥٣؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ٥، ص ٣٦؛ ويروي البيهقي أن عثمان كرر كلمة (إنما أنت خازن لنا) مع صاحب بيت المال، حين اعترض على إعطاء الأموال لأحد أقاربه، وهو الآخر رمى بالمفاتيح، تاريخ البيهقي، ج ٢، ص ١٧٣.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٢٣٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣، ص ١٣.

(٤) مسند، الحديث (٤٧٩)، ص ٨٠.

إن كان الرجال ليختصمان أشد ما اختصما في شيء قط فإذا قال القارئ: هذا أقرأني قال: أحسنت وإذا قال الآخر، قال كلا كما محسن فأقرأنا إن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، واعتبروا ذاك بقول أحدكم لصاحبه كذب وفجر، وبقوله: إذا صدقه صدقت وبررت إن هذا القرآن لا يختلف ولا يستثنى ولا يتفه لكثرة الرد، فمن قرأه على حرف فلا يدعه رغبة عنه، ومن قرأه على شيء من تلك الحروف التي علم رسول الله ﷺ فلا يدعه رغبة عنه فإنه من يجحد بآية منه يجحد به كله، والله لو أعلم رجلا أعلم بما أنزل الله على محمد ﷺ مني لطلبت حتى ازداد علمه إلى علمي انه سيكون قوم يميئون الصلاة فصلوا الصلاة لوقتها واجعلوا صلاتكم معهم تطوعا وإن رسول الله ﷺ كان يعارض بالقرآن في كل رمضان وإني عرضت في العام الذي قبض فيه مرتين فأنبأني أني محسن وقد قرأت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة^(١).

ويشاركه في هذا الاعتراض عبد الله بن عباس، كما يشير ابن حنبل^(٢) إلى ذلك في الحديث المروي عنه إذ يقول: (قلت لعثمان بن عفان ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني؟ وإلى براءة وهي من المائتين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطرا بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال؟ ما حملكم على ذلك؟ قال عثمان: إن رسول الله ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد وكان إذا أنزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده يقول: ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وينزل عليه الآيات، فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وينزل عليه الآية، فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما أنزل

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٣٨٤٥)، ص ٣٢٨.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٢٩٩)، ص ٧٣.

بالمدينة وبراءة من آخر القرآن فكانت قصتها شبيهة بقصتها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها وظننت أنها منها فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطرا بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتها في السبع الطول).

في هذا الحديث نرى إن عثمان، حينما اعترض عليه ابن عباس، أخذ يدافع عن الطريقة التي رتبت سور القرآن على أساسها، ويجعل السبب هو رسول الله ﷺ إذ لم يوضح للمسلمين حين كان ينزل عليه الوحي مكان كل آية حتى مات! فيما اتفقت المصادر^(١) على أن إقدام عثمان على توحيد القرآن هو اختلاف القراءات بين المسلمين، وقد اعتمد في ذلك على نسخة حفصة، والجدير بالذكر إن الإمام علياً وابن عباس لم يستدعها الخليفة عثمان للمشاركة في كتابة المصحف.

الأمر الثالث: يعترض ابن مسعود على تكليف زيد بن ثابت لهذه المهمة، حيث يورد أحمد بن حنبل^(٢) حديثاً عنه يقول فيه: (لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة، وزيد بن ثابت غلام له ذؤابتان يلعب مع الغلمان). ويذكر الترمذي^(٣) قول ابن مسعود، لما صرف عن كتابة المصحف، شق عليه ذلك، فقال: (يا معشر المسلمين: اعزل عن نسخ كتابة المصاحف ويتولاها رجل والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر - يريد زيد بن ثابت -) ويضيف الترمذي على ذلك بأنه اختلف يومئذٍ حول كتابة كلمة (التابوت أم التابوه) فقال زيد: تكتب التابوه، وقال القرشيون: تكتب التابوت، فأمر عثمان أن تكتب بلسان قريش.

(١) ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، ج ٣، ص ٩٩٠؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٤٦؛ ابن أبي داود، أبو بكر عبد الله السجستاني (ت: ٣١٦هـ / ٩٢٨م):

كتاب المصاحف، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٥م)، ص ٢٦

(٢) مسند، الحديث (٣٩٠٦)، ص ٣٣٣.

(٣) سنن الترمذي، ج ٥، ص ٢٨٥.

الأمر الرابع: اعترض ابن مسعود على عثمان لحرقه المصاحف في الأمصار، وغسله مصاحف الصحابة في المدينة، وحث المسلمين على الاحتفاظ بمصاحفهم ولو خلسة، إذ يذكر ابن حنبل^(١) عن خمير بن مالك حيث يقول: (أمر عثمان بالمصاحف أن تغير، فقال ابن مسعود: من استطاع منكم أن يغسل مصحفه فليغسله فإن من غل شيئاً جاء به يوم القيامة، ثم قال: قرأت من فم رسول الله ﷺ سبعين سورة أفأترك ما أخذت من فم رسول الله ﷺ).

علماً أن رسول الله ﷺ قال: (من أحب أن يقرأ القرآن غضاً طرياً، كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد)^(٢)، الأمر الذي حدا بعثمان أن ينتقص من ابن مسعود، ويأمر غلمانه بسحبه خارج المسجد، فكسروا له ضلعين، ولم ترص بفعله هذا عائشة^(٣).

ويبدو إن ظاهرة التعدي على الصحابة السابقين بالضرب من قبل عثمان بن عفان وأعوانه لاعتراضهم على سياسته، قد لاقت معارضة شديدة من جميع المسلمين^(٤)، وبخاصة بعد ما ضرب الصحابي عمار بن ياسر^(٥)، ولم يرو أحمد بن حنبل في مسنده لتلك الحادثة.

(١) مسند، الحديث (٣٩٢٩)، ص ٣٣٤.

(٢) مسند، الحديث (٤٢٥٥)، ص ٣٥٧.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧٠.

(٤) البلاذري، انساب الأشراف، ج ٥، ص ٥٤؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٢٣٨.

(٥) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك العنسي، أبو اليقظان، من السابقين الأولين في الإسلام، ممن عذب في الله مع أبيه وأمه اللذين يعدان أول من استشهد في الإسلام، فقال النبي ﷺ بحقهم: صبراً آل ياسر، موعدكم الجنة، وهو أول من بنى مسجداً في الإسلام، شهد مع النبي ﷺ بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها، وعمار من كبار صحابة الإمام علي عليه السلام، شهد معه الجمل وصفين، حيث قتل فيها سنة ٣٧ هـ، فدفعه علي عليه السلام وصلى عليه، وكان مقتله قد أربك جبهة معاوية، وذلك لقول رسول الله ﷺ: عمار تقتله الفئة الباغية. ينظر: ابن الأثير، اسد الغابة، ج ٤، ص ١٢٥-١٢٨.

سادساً: الثورة ضد الخليفة عثمان بن عفان:

يروى أحمد بن حنبل امتعاض الصحابة في المدينة المنورة من الخروقات التي حدثت في زمن عثمان بن عفان، إلا أنه يرى أنهم لم يفكروا في الخروج عليه، خشية الفتنة، والخروج على الجماعة؛ لأن النبي ﷺ وحسب الأحاديث المروية في المسند عنه ﷺ كان قد حذرهم من ذلك، وأمرهم بالصبر، ولزوم الجماعة، ونبذ الخلاف، واعتزال الفتن؛ لذا أثر بعضهم الاعتزال، واكتفى البعض الآخر بتوجيه النصيح، فعلى الرغم من معارضة الصحابي أبي ذر لعثمان حين شاهد مخالفة عثمان لسنة النبي ﷺ، في إلا أن معارضته كانت سلمية، والسبب في ذلك كما يورد ابن حنبل إن أبا ذر ملتزم بحديث رسول الله ﷺ القائل: (إنه كائن بعدي سلطان فلا تذلوه فمن أراد أن يذله فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وليس بمقبول منه توبة حتى يسد ثلمته التي ثلم وليس بفاعل ثم يعود فيكون فيمن يعزه)^(١).

أما ابن عباس فكان يؤثر الصبر، حيث يروي ابن حنبل^(٢) قوله عن رسول الله ﷺ انه قال: (من رأى من أميره شيئاً يكرهه، فليصبر، فإنه من خالف الجماعة شبراً، فمات، فميتته جاهلية).

وينقل أحمد بن حنبل^(٣) رأي حذيفة بن اليمان في معارضته الفتنة، فعن ربعي بن حراش قال: (انطلقت إلى حذيفة بالمدائن ليالي سار الناس إلى عثمان، فقال: يا ربعي ما فعل قومك؟ قال قلت: عن أي بالهم تسأل؟ قال: من خرج منهم إلى هذا الرجل؟ فسميت رجالاً فيمن خرج إليه، فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول من فارق الجماعة واستذل الإمارة لقي الله عز وجل ولا وجه له عنده).

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢١٧٩٢)، ص ١٥٨٠-١٥٨١.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٢٤٨٧)، ص ٢٣٢.

(٣) المصدر نفسه، (٢٣٦٧٧)، ص ١٧٢٩.

وفصل ابن عمر رأيه في الفتنة حين سأله احدهم عنها، مبرراً اعتزاله لها، إذ يروي ابن حنبل^(١)، عن سعيد بن جبير قوله: (خرج علينا عبد الله بن عمر، ونحن نرجو أن يحدثنا حديثاً حسناً، فبدرنا رجل منا يقال له الحكم فقال: يا أبا عبد الرحمن ما تقول في القتال في الفتنة؟ قال: ثكلتك أمك! وهل تدري ما الفتنة إن محمداً ﷺ كان يقاتل المشركين فكان الدخول فيهم أو في دينهم فتنة، وليس كقتالكم على الملك).

بينما فضّل محمد بن مسلمة اعتزال الفتنة حسب ما يروي ابن حنبل^(٢)، عن أبي بردة قال: (مررت بالربذة فإذا فسطاط، فقلت: لمن هذا؟ ف قيل: لمحمد بن مسلمة، فاستأذنت عليه فدخلت عليه فقلت: رحمك الله إنك من هذا الأمر بمكان فلو خرجت إلى الناس فأمرت ونهيت؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: إنه ستكون فتنة وفرقة واختلاف فإذا كان ذلك فأت بسيفك حائطاً فأضرب به عرضه، واكسر نبلك، واقطع وترك، واجلس في بيتك، فقد كان ذلك ما قال رسول الله ﷺ، ثم أستنزل سيفاً كان معلقاً بعمود الفسطاط فاخترطه فإذا سيف من خشب، فقال: قد فعلت ما أمرني به رسول الله ﷺ واتخذت هذا أرواحاً به الناس).

وكان سعد بن أبي وقاص ممن يفضل الاعتزال بعيداً عن الفتن، فيروي ابن حنبل^(٣) عن عامر بن سعد: (إن أخاه عمر بن سعد انطلق إلى أبيه في غنم له خارجاً من المدينة، فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فلما أتاه، قال: يا أبت أراضيت أن تكون أعرابياً في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة، ف ضرب سعد صدر عمر، وقال: اسكت، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله

(١) المصدر نفسه، الحديث (٥٣٨١)، ص ٤٢٥.

(٢) مسند، الحديث (١٦١٢٥)، ص ١١٣٥.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (١٤٤١)، ص ١٥٤.

عز و جل يحب العبد التقي الغني الخفي).

وتشير الأحاديث التي أوردها أحمد بن حنبل في شأن موقف الصحابة من عثمان، أن أكثرهم فضل الاعتزال، وأن الثورة انطلقت شرارتها من الأمصار، بعد أن استبد ولاتها عليهم، فكثرت شكائتهم، ولم يجدوا عند الخليفة استجابة لشكواهم من الولاة، حيث يورد ابن حنبل^(١) حادثة يوم الجرعة^(٢)، عن أبي ثور قال: (بعث عثمان يوم الجرعة بسعيد بن العاص^(٣))، قال: فخرجوا إليه فردوه، قال: فكنت قاعدا مع أبي مسعود وحذيفة، فقال أبو مسعود: ما كنت أرى أن يرجع لم يهرق فيه دماً، فقال حذيفة: ولكن قد علمت لترجعن على عقيبتها لم يهرق فيها محجمة دم، وما علمت من ذلك شيئاً إلا شيئاً علمته ومحمد (عليه السلام) حي، حتى أن الرجل ليصبح مؤمناً ثم يمسي ما معه منه شيء، ويمسي مؤمناً ويصبح ما معه منه شيء، يقاتل فتنه اليوم ويقتله الله غداً، ينكس قلبه تعلوه أسته).

كانت تلك الحادثة في سنة (٣٤هـ)^(٤) وكان بإمكان عثمان أن يحسم الأمر قبل أن يتفاقم، لو كان قد صغى لنصيحة الإمام علي (عليه السلام)، حين شكا إليه الناس من ولاة عثمان، فبعث إليه بكتاب مع ولده، وأمره أن يقول لعثمان: (إن

(١) المصدر نفسه، الحديث (٢٣٧٣٨)، ص ١٧٣٤.

(٢) يوم الجرعة: وهو اليوم الذي خرج فيه أهل الكوفة إلى الجرعة، والجرعة موضع قرب الكوفة، ومنعوا سعيد بن العاص من دخول الكوفة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٢٧.

(٣) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، جده كان يسمى بأبي احيحة، ولد عام الهجرة، قتل أبوه العاص يوم بدر كافراً، قتله علي بن أبي طالب (عليه السلام)، شارك في كتابة المصحف، واستعمله عثمان على الكوفة بعد الوليد، فوثب عليه أهلها لقوله: إنما السواد بستان لقريش، وطلبوا من عثمان عزله وتولية أبي موسى الأشعري عليهم، وحالوا بينه وبين دخول الكوفة لما رجع من المدينة، فاضطر عثمان لعزله، توفي سنة ٥٩هـ. ينظر:

البلاذري، انساب الأشراف، ج ٤، ص ٤٣٣.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٣٠.

الناس قد شكوا ولاتك، وهذا أمر رسول الله ﷺ في الصدقة فمرهم فليأخذوا به^(١)، ويضيف البخاري^(٢): رد عثمان عليه قائلًا: (أصرفه عنا، فرجع بها محمد إلى أبيه علي عليه السلام، فأخبره بالرد، فقال له الإمام علي: ضع الكتاب من حيث أخذته).

ولكن عثمان استشار ولاته الذين اشتكى الناس منهم، فقال له سعيد بن العاص: (يا أمير المؤمنين، إن كنت ترى رأينا، فاحسم عنك الداء، واقطع عنك الذي تخاف، واعمل برأيي تصب، فقال له عثمان: وما هو؟ قال: إن لكل قوم قادة متى تهلك يتفرقوا، ولا يجتمع لهم أمر، فقال عثمان: هذا هو الرأي، لو لا ما فيه)^(٣). وقدّم المغيرة له جملة من الاقتراحات في أثناء حصاره، إلا أن عثمان رفضها، إذ يروي ابن حنبل^(٤) عن محمد بن عبد الملك بن مروان أنه حدثه عن المغيرة بن شعبة: (أنه دخل على عثمان وهو محصور، فقال: انك إمام العامة وقد نزل بك ما ترى، وإني أعرض عليك خصالا ثلاثة اختر إحداهن: إما أن تخرج فتقاتلهم فإن معك عدداً وقوة، وأنت على الحق، وهم على الباطل، وإما أن تحرق لك بابا سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على رواحلك فتلحق بمكة فإنهم لن يستحلوك وأنت بها، وإما أن تلحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية، فقال عثمان أما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء، وأما أن أخرج إلى مكة فإنهم لن يستحلوني بها فإني سمعت رسول الله: يقول يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم فلن أكون أنا إياه، وأما أن

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١١٩٦)، ص ١٣٤.

(٢) صحيح البخاري، ج ٦، ص ٢٤٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٣٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٣٢.

(٤) مسند، الحديث (٤٨١)، ص ٨٠.

ألق بالشم فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية فلن أفرق دار هجرتي ومجاورة رسول الله. وهنا يصدق قول النبي ﷺ المروي في مسند ابن حنبل^(١) عن أبي هريرة: ما من نبي، ولا والٍ، إلا وله بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خيلاً...).

ولما كان عثمان يميل إلى رأي بني أمية، المؤدي إلى دفع عثمان إلى حتفه، وزج البلاد الإسلامية في الفتنة، فكان من الطبيعي أن تثور ضده الأمصار، وساعد على ذلك، تطلع بعض الصحابة إلى الخلافة منذ استخلاف أبي بكر لعمر، الذي اعترض طلحة عليه^(٢)، إلا أن شدة عمر وحزمه جعلته يؤثر الطاعة له، فلما أدخلهم عمر في هيئة الشورى، قويت لديهم المطامح للزعامة، ولما لم يجدوا في المدينة من يناصرهم، كاتبوا زعماء الخوارج في الأمصار^(٣).

يروى ابن قتيبة^(٤) إن الأشتر واجه طلحة في أثناء حصار عثمان بكتابه الذي أرسله إلى الناقمين على عثمان من الأنصار جاء فيه: من المهاجرين الأولين وبقية الشورى، إلى من بمصر من الصحابة والتابعين، (أما بعد: إن تعالوا إلينا، وتداركوا خلافة رسول الله ﷺ قبل أن يسلبها أهلها...)، فاجتمعت في المدينة أعدادهم القادمة في موسم الحج، فخرجت من مصر أربع فرق، على أربعة أمراء بزعامة الغافقي بن حرب العكي، ومن البصرة كذلك خرجت أربع فرق، وأميرهم زهير بن حرقوص -ذي الثدية-، أيضاً وصلت من الكوفة أربع فرق، وعلى القوم عمرو بن الأصم، فحاصروا دار عثمان، وطالبوه بالتنحي عن الخلافة،

(١) المصدر نفسه، الحديث (٧٢٣٨)، ص ٥٤٨.

(٢) عمارة، الخلافة، ص ٩٤.

(٣) يرى الخوارج إن عثمان كان كافراً مشركاً. انظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص ٤٥٤.

(٤) الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٤٠.

وإلا قتلوه^(١)، وعندها أحس بالخطر الحقيقي الذي يهدد حياته، فأخذ يناشد من ألّب عليه الناس، مذكراً إياهم بما قام به من أعمال في عهد النبي ﷺ، ويروي ابن حنبل^(٢) ذلك عن ثمامة القشيري انه قال: (شهدت الدار يوم أصيب عثمان، فاطلع عليهم أطّلاعة، فقال: ادعوا لي صاحبيكم اللذين ألباكم عليّ، فدعيا له، فقال: نشدتكما الله أتعلّمان إن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة ضاق المسجد بأهله فقال من يشتري هذه البقعة من خالص ماله فيكون فيها كالمسلمين وله خير منها في الجنة فاشتريتها من خالص مالي فجعلتها بين المسلمين، وأنتم تمنعوني إن أصلي فيه ركعتين؟، ثم قال: أنشدكم الله أتعلمون إن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة لم يكن فيها بئر يستعذب منه إلا رومة، فقال رسول الله ﷺ من يشتريها من خالص ماله فيكون دلوه فيها كدلي المسلمين وله خير منها في الجنة فاشتريتها من خالص مالي، فأنتم تمنعوني أن أشرب منها؟ ثم قال: هل تعلمون أي صاحب جيش العسرة؟ قالوا: اللهم نعم).

على أن ابن حنبل لم يخبر عن هذين الاثنين اللذين ألّبوا الناس على عثمان؟ والذي يبدو أنهما تزعما حركة الثوار لذلك كان عثمان يناشدهما، ويذكرهما بما انفق في سبيل الله، إلا إن من المؤكد إن طلحة بن عبيد ادهما، حيث يروي الطبري^(٣)، عن ابن أبي ربيعة انه قال: (دخلت على عثمان فتحدثت معه ساعة، ثم أخذ بيدي، فاسمعني كلام من كان على بابه يحاصره، فإذا منهم من يقول: ماذا تنتظرون به؟ ومنهم من يقول: انظروا عسى أن يرجع، فبينما أنا وهو واقفان، إذ مر طلحة بن عبيد، فوقف فقال: أين ابن عديس؟ ف قيل: ها هو ذا، فجاءه ابن عديس

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٤٨.

(٢) مسند، الحديث (٥٥٥)، ص ٨٦.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٥٠.

فناجاه بشيء، ثم رجع ابن عديس لأصحابه فقال: لا تتركوا أحداً يدخل على هذا الرجل، أو يخرج من عنده، فقال عثمان: اللهم اكفني طلحة بن عبيد الله، فإنه حمل إلى هؤلاء، وألبهم عليّ، والله إني لأرجو وأن يكون منها صفرًا - يعني الخلافة -، وإن يسفك دمه، إن انتهك ما لا يحل له، وكان ذلك بعد مناشده عثمان له التي أوردها ابن حنبل^(١).

ويذكر ابن أعثم^(٢): (إن عثمان لما أحس أنه سوف يغلب على أمره، بعث إلى الإمام علي (عليه السلام) قائلاً: أترضى أن يقتل ابن عمك وابن عمتك ويسلب نعمتك وأمرك؟ فقال (عليه السلام): صدق والله عثمان، لا والله لا نترك ابن الحضرمية - يعني طلحة - يأكلها، ثم خرج إلى الناس فصلى بهم الظهر والعصر، ففرق الناس عن طلحة، ومالوا إلى علي، فلما رأى طلحة ذلك، أقبل حتى دخل على عثمان، فاعتذر إليه مما كان منه، فقال له عثمان: يا ابن الحضرمية، وليت على الناس، ودعوتهم إلى قتلي، حتى إذا فاتك ما كنت ترجو، وعلاك علي، جئني معذراً، لا قبل الله منك). ويروي ابن قتيبة^(٣) إن عثمان بعث إلى علي (عليه السلام) كتاباً ضمّنه هذا البيت الشعري:

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلا فأدركني ولما أمزق

وعلى الأرجح إن دور الزبير بن العوام في تلك الأحداث مقترن بدور طلحة ابن عبيد الله وبدأ وكأنهما يريدان الاستيلاء على الأمر^(٤)، فقد ذكر الطبري^(٥) إن

(١) مسند، الحديث (١٤٠٢)، ص ١٥٠.

(٢) الفتوح، ج ٢، ص ٤٢٣-٤٢٤.

(٣) الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٥٣.

(٤) البلاذري، انساب الأشراف، ج ٨، ص ٨٤.

(٥) تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٩٥.

الثوار حصروا عثمان أربعين ليلة، وكان طلحة يصلي بالناس، ويذكر صاحب فتح الباري^(١) تخرج المسلمين من أن يصلي بهم إمام فتنة، ولكنه يورد أسماء من صلى بالمسلمين خلال هذه الفترة، ويجعل الإمام علياً عليه السلام أحدهم، ثم يورد حديثاً يقول فيه: (إن علياً صلى بالناس صلاة العيد، ولم يصل غيرها)، ويروي البلاذري^(٢) قائلاً: (لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أشد على عثمان من طلحة)، ويذكر إن طلحة منع أن يدخل الماء العذب على عثمان، فبعث إليه علي عليه السلام ثلاث قرب مملوءة بالماء، فما كادت تصل إليه، وقد استولى طلحة على بيت المال ووضع مفاتيحه بيده.

وقد بقي موقف عائشة المعارض لعثمان، منصباً على الجانب المالي لها شخصياً، على الرغم من أنها حاولت أن تنأى بنفسها عن الفتنة، فخرجت إلى مكة حاجة لبيت الله الحرام^(٣)، إلا أنها كانت تأمل في طلحة خيراً بعدما استولى على مفاتيح بيت المال، ويؤكد ذلك الحوار الذي دار بينها وبين ابن عباس، الذي نقله الطبري^(٤) على النحو الآتي: (خرج ابن عباس فمر بعائشة، فقالت له: يا ابن عباس: أنشدك الله فإنك أعطيت لساناً أزعجلاً إن تحذل عن هذا الرجل، وإن تشكك فيه الناس، فقد باتت لهم بصائرهم، وانهجت ورفعتم لهم المنار، وتحلبوا من البلدان لأمر قد حم، وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح، فإن ولي يسر بسيرة ابن عمه أبي بكر...).

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج ٢، ص ٢٢١-٢٢٢.

(٢) انساب الأشراف، ج ٨، ص ٩١.

(٣) ابن أعمش الكوفي، الفتوح، ج ٢، ص ٤٢١.

(٤) جامع، علي بن أبي طالب، حاكماً وفقياً، ص ١٧٨.

فلما علمت بانصراف الناس عن طلحة وميلها إلى علي (عليه السلام)، وهي تعلم منه الحرص على أموال المسلمين، وعدالته في الإنفاق، خشيت أن تفقد امتيازاتها بالكامل، فهي التي عارضت عثمان كونه قد ساوى في عطائها مع بقية أزواج النبي (صلى الله عليه وآله)، فكيف يكون حالها المالي إذا تولاها علي (عليه السلام)؟ لذلك فقد تغير موقفها إزاء عثمان بعد سماعها خبر موته والتفاف الناس حول الإمام علي (عليه السلام)^(١)، فبدأت تنهى عن ذمه وتذكر فضائله، فيذكر ابن حنبل^(٢) حديثاً عن فاطمة بنت عبد الرحمن قالت: (إن أمها سألت عائشة حين أرسلها عمها، فقال: إن أحد بنيك يقرئك السلام، ويسألك عن عثمان بن عفان فإن الناس قد شتموه؟ فقالت عائشة: لعن الله من لعنه، فو الله لقد كان قاعداً عند نبي الله (صلى الله عليه وآله) وإنه (صلى الله عليه وآله) لمسند ظهره إليّ، وإن جبريل ليوحى إليه القرآن، وأنه ليقول: له أكتب يا عثيم، فما كان الله لينزله تلك المنزلة إلا كريماً على الله ورسوله).

أما موقف بني أمية الخاذل لعثمان في محنته، فقد كان يعول كثيراً على نصرته من قبل معاوية بن أبي سفيان الذي عسكر جيشه على مقربه من المدينة ولم يأت لإنقاذ عثمان، إنما جاء ليتحين الفرصة، عليه يظفر بالأمر، فيكون الخليفة، بعد عثمان، حيث يروي الطبري^(٣) قائلاً: (ما زال معاوية يطمع فيها بعد مقدمه على عثمان حين جمع ولاته من بني أمية للتشاور معهم فاجتمعوا إليه بالموسم ثم ارتحل، فحدا الحادي، والذي على ما يبدو إن حداة الإبل وأراجيزهم كانت تمثل أجهزة دعاية وإعلام، لتهيئة أذهان الناس إلى من الذي يلي الأمر بعد الخليفة، فقال الحادي:

(١) تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٤٨-٤٤٩.

(٢) مسند، الحديث (٢٦٦٥٩)، ص ١٩٤٣.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٤٣.

وضامرات عوج القسي

قد علمت ضوامر المطي

إن الأمير بعده علي

فقال كعب الأحبار وهو يسير خلف عثمان: كذبت، إن الأمير والله من بعده صاحب البغلة الشهباء، أشار إلى معاوية، فوقعت في نفس معاوية، فسأل كعب عن الذي بلغه، فقال له: نعم أنت الأمير بعده، ولكن والله لا تصل إليك حتى تكذب بحديثي هذا).

أما مروان بن الحكم، فقد كان يعمل بالضد لنصائح الإمام علي عليه السلام لعثمان التي تهدف لدرء الفتنة، وإرضاء الثوار، بينما كانت ردود فعل مروان في مواجهة الثوار من الأسباب التي عجلت بمقتل عثمان، فما كاد الإمام علي أن يقنع الطرفين بإنهاء الأزمة، لينصرف الثوار إلى بلدانهم، ويعطي عثمان من نفسه التوبة، حتى خرج مروان على الناس فقال لهم: (شاهت الوجوه، جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا، اخرجوا عنا، ارجعوا إلى منازلكم، فإننا والله ما نحن بمغلوبين على ما في أيدينا)^(١)، وقد صدق الإمام علي عليه السلام حين وصف مروان قائلاً: (إنها كفٌ يهودية، إن بايعت بيمنها، غدرت بسبته)^(٢)، ولم يكتفِ مروان بكلامه المؤجج للفتنة هذا، بل دبر مكيده للفتك بقيادة الثورة، فلما علموا بها، عادوا ليفتكوا بعثمان، وفر مروان، ناجياً بنفسه بعد أن جرح^(٣).

(١) المصدر نفسه: ج ٤ ص ٣٦٢؛ القرشي، حياة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ج ٢ ص ٢١٣.

(٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة (٧٣)، ص ٩٣.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٨٠؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤ ص ٢٨٨.

هكذا قتل عثمان في داره، وقد ذكر أحمد بن حنبل^(١) تاريخ مقتله، ودفنه، والصلاة عليه، عن أبي معشر قال: (وقتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وكانت خلافته إثنتي عشرة سنة إلا إثني عشر يوماً)، وهذه الرواية هي التي اتفق عليها اغلب المؤرخين^(٢).

وعن ابن فروخ قال: (شهدت عثمان بن عفان دفن في ثيابه بدمائه ولم يغسل)^(٣). وعن قتادة قال: (صلى الزبير على عثمان: ودفنه وكان أوصى إليه)^(٤)، على الأرجح أن هذه الرواية تعرضت لتحريف فأسقط منها كلمة ابن الزبير؛ لأن عبد الله بن الزبير هو الذي أوصى له عثمان، وليس الزبير؛ لأنه كان من المعارضين لعثمان^(٥).

وتمت البيعة للإمام علي (عليه السلام) وكانت بيعة عامة من الناس، لأنهم التمسوا فيه الخلاص من الجهد والبلاء والفتنة، حيث يورد ابن حنبل^(٦) وصف الإمام علي لها بقوله: (سبق رسول الله ﷺ، وصلى أبو بكر، وثلاث عمر، ثم خبطتنا فتنة بعدهم يصنع الله فيها ما شاء).

ولم يذكر أحمد بن حنبل في مسنده طلب عثمان النصر من الإمام علي (عليه السلام) مراراً، وكان الإمام (عليه السلام) يستنصره ويشترط عليه معالجة الوضع إلا أن عثمان لم

(١) مسند، الحديث (٥٤٥)، ص ٨٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٧٩ ابن قتيبة، المعارف، ص ١٩٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤١٥.

(٣) ابن حنبل، مسند، الحديث (٥٣١)، ص ٨٤.

(٤) المصدر نفسه، الحديث (٥٤٩)، ص ٨٥.

(٥) ينظر: ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تعليقات شعيب الأرنؤوط في الهامش، ج ١، ص ٥٥٥.

(٦) مسند، الحديث (١٢٥٦)، ص ١٣٨.

يلتزم بما يطلب منه، فقد ذكر ابن الطقطقي^(١) إن عثمان أرسل ابن عباس إلى الإمام علي عليه السلام يستنصره ويطلب منه التدخل في الأمر، فقال له الإمام علي عليه السلام: (يا بن عباس ما يريد عثمان إلا أن يجعلني جماً ناضحاً بالقرب أقبل وأدبر، بعث إلي أن اخرج، ثم بعث إلي أن أقدم ثم يبعث إلي أن اخرج والله دفعت عنه حتى خشيت أن أكون أثماً).

مع هذا نرى إن علياً عليه السلام لا يسلم عثمان إلى مصيره دون أن يدافع عنه فأرسل إليه ولديه الحسن والحسين -عليهما السلام-... وعليه فإن علياً عليه السلام لم يقصر اتجاه الخليفة حتى قال له: (قد أدت إليك ما أوجب الله عليّ)^(٢).

(١) ابن الطقطقي، الفخري، ص ٩٨-٩٩.

(٢) المفيد، الجمل، ص ١٩١.

المبحث الثاني

خلافة الإمام علي عليه السلام في مرويات ابن حنبل

أولاً: بيععة الإمام علي عليه السلام:

عقب مقتل عثمان بن عفان أصبح الموقف حرجاً جديداً، ولم يكن بمقدور أحد أن يتصدى لمنصب الخلافة وإن كان طامحاً فيها، فقد تولد شعور لدى الجميع (الثوار، والصحابه) أن الوضع المضطرب في المدينة يحتاج إلى من ينقذه من حالة الفوضى، ونلمس ذلك من خلال المقولة التي بدأت تتردد على الألسن وقتئذٍ: لا بد للناس من إمام، ولما كان القرار بيد الثوار وقد كان أكثرهم ممن لم يعاصر الإسلام في بداياته، إما لصغر سنه، أو لكونه لم يولد بعد، فبات يعد من التابعين، والجدير بالذكر إن هذا الجيل قد تم إهماله لفترة طويلة من الزمن تبلغ قرابة عقدين فلم يتلقَ هذا الجيل تربية إسلامية سليمة، إنما أبصر إسلاماً يطبق معايير مزدوجة، لذلك تساوى لدى هذا الجيل الصحابي المضحي الذي لديه سابقة استثنائية في الإسلام، بالصحابي الذي لم يسلم إلا في وقت متأخر، وهو ممن شارك في حروب ضد الإسلام^(١)، لذلك وبمجرد أن انتهوا من تصفية عثمان بن عفان، أصبحوا في حيره من أمرهم فيمن يختارون بديلاً عن الخليفة المقتول، فتوجهوا إلى طلحة والزبير، حيث كان لكل واحد منهما أنصار من الثائرين، ولكن كلاهما كان يدرك أن لا طاقة له في إدارة الدولة في حالتها الجديدة، لذا فإن طلحة والزبير قد تشاورا فيما بينهما، فأشاروا عليهم بمبايعة علي عليه السلام، فالتجّهت الأنظار نحو

(١) جامع، علي بن أبي طالب حاكماً وفتياً، ج ١، ص ٢٢٨.

الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(١)، حيث يروي الطبري^(٢) إن الأحنف بن قيس^(٣) من أهل البصرة قدم في زمن الفتنة فسأل طلحة والزبير قائلاً: (من تأمراني به وترضيانه لي؟ فقالا: علي... فبايعت علياً، ثم رجعت إلى أهلي بالبصرة، ولا أرى الأمر إلا قد استقام). ثم يذكر الأحنف مستغرباً خروج طلحة والزبير على الإمام علي، وقدومهم إلى البصرة، الأمر الذي أدى إلى توقفه عن نصره أحد الفريقين.

ويصف الإمام علي (عليه السلام) إقبال الثوار عليه يطالبونه قبول البيعة قائلاً: «فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الصَّبْعِ إِلَيَّ يَتَّشَلُّونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وَشُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرِيضَةِ الْغَنَمِ»^(٤).

لم يروِ ابن حنبل في مسنده عن بيعة الإمام علي (عليه السلام) إلا أنه روى ذلك في كتابه الفضائل^(٥) فعن محمد بن الحنفية قال: (كنت مع علي، وعثمان محصور، قال: فأتاه رجل فقال: إن أمير المؤمنين مقتول ثم جاء آخر فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة قال: فقام علي، قال محمد: فأخذت بوسطه تخوفاً عليه، فقال: خلّ لا أم لك، قال: فأتى علي الدار وقد قتل الرجل فأتى داره فدخلها وأغلق عليه بابه فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من خليفة ولا نعلم أحداً أحق بها منك، فقال لهم علي: لا تريدوني فإني لكم وزير خير مني لكم أمير، فقالوا: لا والله ما نعلم أحداً أحق بها منك قال: فإن أبيت عليّ

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٤٦؛ النويري، نهاية الإرب، ج ٢٠، ص ١٣.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٩٧-٤٩٨.

(٣) الأحنف بن قيس، الأحنف لقب له لميل كان في رجله، واسمه الضحاك، وقيل صخر بن قيس بن معاوية التميمي، يكنى أبا بحر، من أشرف البصرة، اعتزل حرب الجمل، وشهد صفين مع الإمام علي (عليه السلام)، توفي بالكوفة سنة ٦٧ هـ. ينظر: ابن الأثير، اسد الغابة، ج ١، ص ١٧٩.

(٤) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة، ص ٤٩.

(٥) ابن حنبل، فضائل الصحابة، ج ٢، الحديث (٥٦٩)، ص ٣٥.

فإن بيعتي لا تكون سرا ولكن أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعني يبايعني قال فخرج إلى المسجد فبايعه الناس).

ولم يكن رفض الإمام علي عليه السلام تهرباً من المسؤولية، إنما كان رفضه رسالة وجهها إلى جميع من في المدينة، يخبرهم من خلالها إدراكه لخطورة الوضع، وقدرته على إعادة الأمور إلى نصابها الطبيعي، ولكن بأسلوبه الخاص المستند إلى علمه الذي علمه إياه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولما كان الثوار لا يعرفون الإمام علياً عليه السلام تمام المعرفة لذلك خيرهم بين قبوله أو تركه، بعد أن أوضح لهم الطريقة التي يريد أن يسلك بهم، وألقى عليهم الحجة، إذ قال لهم: «دَعُونِي وَالتَّمِسُّوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وَجُوهٌ وَأَلْوَانٌ لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ وَإِنَّ الْأَفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ وَعَلِمُوا أَنِّي إِنِ اجْتَبَيْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ وَلَمْ أَضِغْ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتَبِ الْعَاتِبِ وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطُوعُكُمْ لِمَنْ وَلِيْتُمُوهُ أَمْرُكُمْ وَأَنَا لَكُمْ وَزِيْرًا خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا»^(١).

وقد عدّ الثوار قول الإمام علي عليه السلام رفضاً منه للخلافة، ذلك لأنهم لم يدركوا مقاصد الإمام من مقولته لهم، ولذا فقد خشي أكثرهم من أن يسري خبر مقتل عثمان إلى أمصارهم دون أن يواكبه نبأ مبايعة خليفة بديلاً عنه، فتضطرب البلاد، فاجتمعوا بالمسجد يلومون طلحة والزبير، لأنهم أوقعوه في أمر عثمان، فأجاب الاثنان بجواب واحد: (إن عثمان كثر اللجاج فيه، وأمره إلى الله، وإن الله قد رضي لكم الشورى، فارجعوا إلى علي فبايعوه)، فرجعوا إلى الإمام علي عليه السلام وهو في داره يلحون عليه أن يقبل بيعتهم، فأبى أن يبايعونه، وقال لهم: (ليس لكم ذلك، إنما هو لأهل الشورى، وأهل بدر، فمن رضي به أهل الشورى، وأهل بدر

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة (٩٢)، ص ١٣٨-١٣٩.

فهو الخليفة...) واشترط (عليه السلام) عليهم أن تكون بيعته علنية في المسجد، فوافقوا على شروطه^(١).

ويروي ابن قتيبة^(٢) عن أبي ثور قوله: (فنظرت إلى الناس وقد أخذت أيديهم بذراع علي، تختلف أيديهم على يده، فأقبلوا به إلى المسجد، حيث كان فيه كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، وكان أول من صعد المنبر طلحة فبايعه، وكانت أصابعه شلاء، فتطير منها الإمام علي^(٣)، فقال: ما خلقها إن تنكث)، ثم بايعه الزبير وباقي أصحاب النبي (عليه السلام).

إلا أن ابن حنبل^(٤) في الفضائل يروي عن المسور بن مخرمةبيعة الإمام علي (عليه السلام) يقول فيها: (قتل عثمان وعلي في المسجد، فمال الناس إلى طلحة، فانصرف علي يريد منزله فلقيه رجل من قريش عند موضع الجنائز، فقال: انظروا إلى رجل قتل ابن عمه وسلب ملكه، فولى علي راجعاً فرقى في المنبر ف قيل: ذاك علي على المنبر فمال الناس عليه فبايعوه وتركوا طلحة).

ولا يخفى على أحد إن المسور بن مخرمة صاحب الروايات المكذوبة على الإمام علي (عليه السلام) فهو راوي حادثة خطبة الإمام من ابنة أبي جهل، وفي هذه الرواية يحاول ابن مخرمة أن يجعل من الإمام علي (عليه السلام) منافساً لطلحة على الخلافة، فلما يئس منها لميل الناس إلى طلحة، رجع إلى داره، وفي أثناء عودته عيرته قريش، فعاد إلى المسجد، يطلبها مرة أخرى، وكان الأجدر بالمسور أن يترك فترة زمنية بين ترك

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٦٥.

(٢) الامامة والسياسة، ج ١، ص ٦٦.

(٣) وفي بعض المصادر إن الذي تطير من بيعة طلحة هو قبيصة بن ذؤيب الأسدي، وهو رجل كفاف.

ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٨.

(٤) فضائل الصحابة، ج ٢، الحديث (٥٧٠)، ص ٣٥-٣٦.

الإمام علي عليه السلام المسجد، وعودته إليه، كي لا نتعرف على تناقض روايته، لأن المسافة بين دار الإمام والمسجد النبوي الشريف ليست بالبعيدة حتى تسمح بأن يعدل الناس برأيهم المفاجئ من طلحة إلى علي عليه السلام، فضلاً عن أن روايته هذه تخالف روايات الثقات من المؤرخين^(١) الذين تناولوا بيعة الإمام علي عليه السلام بما ثبت أنها كانت بيعة عامة صحيحة، وافق عليها المهاجرون والأنصار وعامة من كان في المدينة، ويكفي في دحض رواية المسور وصف الإمام علي لبيعته، إذ يقول: «وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُمُوهَا وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَ الْإِبِلِ الْهِيمِ عَلَى حَيَاضِهَا يَوْمَ وَرَدِهَا حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ وَسَقَطَ الرَّدَاءُ وَوُطِئَ الصَّعِيفُ وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنْ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ وَهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ وَتَحَامَلَ نَحْوُهَا الْعَلِيلُ وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكَعَابُ»^(٢).

وفي المسند يروي ابن حنبل^(٣) حديثاً هو الآخر يناقض أوله آخره فعن قيس بن عباد قال: (كنا مع علي فكان إذا شهد مشهداً أو أشرف على أكمة أو هبط وادياً، قال: سبحان الله صدق الله ورسوله، فقلت لرجل من بني يشكر انطلق بنا إلى أمير المؤمنين حتى نسأله عن قوله صدق الله ورسوله، قال: فانطلقنا إليه فقلنا يا أمير المؤمنين رأيناك إذا شهدت مشهداً أو هبطت وادياً أو أشرفت على أكمة قلت صدق الله ورسوله فهل عهد رسول الله إليك شيئاً في ذلك؟ قال: فأعرض عنا وألحنا عليه فلما رأى ذلك، قال: والله ما عهد

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣١؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ٣، ص ٩؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٣٣؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٣-١٢٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٢٨-٤٣٤؛ ابن أعثم، الفتوح، ج ٢، ص ٤٣٥.

(٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة (٢٢٩)، ص ٣٦٦.

(٣) مسند، الحديث (١٢٠٧)، ص ١٣٥.

إلى رسول الله ﷺ عهداً إلا شيئاً عهدته إلى الناس ولكن الناس وقعوا على عثمان فقتلوه فكان غيري فيه أسوأ حالا وفعلاً مني ثم أي رأيت أي أحقهم بهذا الأمر فوثبت عليه فإله أعلم أصبنا أم أخطأنا).

ويشير بداية الحديث إلى إن تصديق الإمام علي (عليه السلام) لله ورسوله يشير إلى أن لديه علماً بما سيقع من حوادث في المستقبل متعلقة بحروب الإمام علي (عليه السلام) ومشاهده، ولا أظن من يسمع ذلك يحتاج بعده إلى سؤال، ثم أن جواب الإمام علي (عليه السلام) يبدو مضطرباً اضطراباً يصعب تصور أنه صادر عن علي (عليه السلام) لما عرف عنه بالقطع بصحة ما يقوم به من أعمال وأفعال! ولا شك أنها زيادة أضيفت إلى الحديث من قبل الرواة، حيث قال علماء الجرح والتعديل بضعف رواية هذا الحديث المسند إليهم^(١).

لقد تمت البيعة العامة للإمام علي (عليه السلام) في ظروف أقل ما يقال عنها بأنها عصبية ودقيقة، ولم يُعر الإمام علي أي أهمية لمن تخلف عن بيعته، ولم يكرههم على شيء، بل قال (عليه السلام): لا حاجة لنا فيمن لا يرغب فينا^(٢). وقد عدَّ الإمام علي (عليه السلام) تسلمه الخلافة، رجوع الحق إلى أهله^(٣). ثم أنه (عليه السلام) قام بعد بيعته بتغيير جذري في السياسة العامة للدولة التي تضمنت: العودة إلى نظام توزيع العطاء بالتساوي بين المسلمين والذي كان النبي ﷺ قد سنه من قبل، وإرجاع القطاعات التي اقطعها عثمان إلى بني أمية وبعض أصحابه من أراضى الخراج إلى بيت مال المسلمين^(٤) واتخذ الإمام علي (عليه السلام) قرار عزل جميع الولاة الذين نصبهم عثمان

(١) انظر: تخریج شعيب الأرنؤوط لسند الحديث، مسند الإمام أحمد، ج ٢، ص ٣٨٥.

(٢) أبو مخنف، الجمل وصفين والنهروان، ص ٦٠؛ ابن أعثم، الفتوح، ج ٢، ص ٤٤١.

(٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة، ص ٢٤.

(٤) أبو عبيد، الأموال، ص ٣٣٩؛ الشرهاني، التغير في السياسة المالية للدولة الإسلامية في خلافة

على الأمصار^(١) وباشر علي عليه السلام بإجراء تحقيق بنفسه في مقتل عثمان للكشف عن هوية القاتلين وذلك من خلال سؤاله لزوجته عثمان نائلة بنت الفرافصة؛ لأنها كانت معه حين قتل، لكنها لم تكن تعرف منهم أحداً سوى محمد بن أبي بكر^(٢)، وقد برأته من دم عثمان^(٣).

وقد قدم ابن حنبل عدداً من الأحاديث التي تؤكد التزام الإمام علي عليه السلام التام بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وبما ألزم به نفسه في إقامة العدل بين الناس، والمساواة طوال مدة خلافته:

ففي الفقه: أورد ابن حنبل حديثاً عن عمران بن الحصين أنه قال: (كنت بالكوفة فصرى بنا علي بن أبي طالب فجعل يكبر كلما سجد وكلما رفع رأسه فلما فرغ، قال: عمران صلى بنا علي مثل صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله)^(٤).

وفي القضاء: روى أحمد بن حنبل عن الشعبي أنه كان يحدث: (أن علياً عليه السلام حين رجم المرأة من أهل الكوفة ضربها يوم الخميس، ورجمها يوم الجمعة، وقال: أجلدها بكتاب الله، وأرجمها بسنة نبي الله صلى الله عليه وآله)^(٥).

الإمام علي بن أبي طالب، ط ١، تموز للطباعة والنشر (دمشق، ٢٠١٣م)، ص ٦٥.

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤٤٢ - ٤٤٤؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٧، ص ٦.

(٢) محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة، ولد في حجة الوداع، تزوج الإمام علي بأمة أسماء بنت عميس بعد وفاة أبي بكر الذي تزوجها بعد استشهاد جعفر بن أبي طالب، تربى محمد في حجر علي عليه السلام، وقد شهد معه الجمل وصفين، ثم ولاء مصر، كان قد دخل على عثمان يريد قتله، لكنه تركه وخرج لقول عثمان له: لو رآك أبوك لساء فعلك، توفي محمد بن أبي بكر مقتولاً على يد عمر بن العاص. ينظر: ابن الأثير، اسد الغابة، ج ٥، ص ٩٧-٩٨.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٦٦؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٤٤.

(٤) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٠٠٧٩)، ص ١٤٥٤.

(٥) المصدر نفسه، الحديث (٧١٦)، ص ٩٩.

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: خطب علي (عليه السلام) قال: (يا أيها الناس أقيموا على أرقائكم الحدود، من أحصن منهم، ومن لم يحصن، فإن أمة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) زنت فأمرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن أقيم عليها الحد فأتيته فإذا هي حديث عهد بنفاس فخشيت إن أنا جلدها أن تموت فأتيته رسول الله (صلى الله عليه وآله) فذكرت ذلك له، فقال: أحسنت) (١).

أما في الجوانب المالية: فقد ذكر ابن حنبل جملة من الأحاديث في مسنده: فعن عبد الله بن زهير انه قال: (دخلت على علي بن أبي طالب (عليه السلام) يوم الأضحى فقرب إلينا خزيرة (٢) فقلت أصلحك الله لو قربت إلينا من هذا البط، فإن الله عز وجل قد أكثر الخير، فقال: يا بن زهير إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان: قصعة يأكلها هو وأهله، وقصعة يضعها بين يدي الناس) (٣).

وعن محمد بن كعب القرظي إن عليا (عليه السلام) قال: (لقد رأيتني مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإن صدقتي اليوم لأربعون ألفاً) (٤). وعن أبي مطر: (انه رأى علياً أتى غلاماً حدثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم ولبسه إلى ما بين الرسغين إلى الكعبين، فقال: الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس وأواري به عورتى، فقليل له: هذا شيء ترويه عن نفسك أو عن نبي الله (صلى الله عليه وآله)؟ قال: هذا شيء سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقوله عند الكسوة) (٥).

(١) المصدر نفسه، الحديث (١٣٤١)، ص ١٤٤.

(٢) الخزيرة: مرقعة من النخالة. ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤، ص ١١٤٨.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (٧٧٨)، ص ٨٨.

(٤) المصدر نفسه، الحديث (١٣٦٧)، ص ١٤٧.

(٥) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٣٥٥)، ص ١٤٦.

وحدثنا شيخ من بني تميم فقال: قال علي عليه السلام: (يأتي على الناس زمان عضوض يعرض الموسر على ما في يديه، قال: ولم يؤمر بذلك قال الله عز وجل: ولا تنسوا الفضل بينكم، وينهد الأشرار ويستذل الأخيار ويبائع المضطرون، قال: وقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع المضطرين، وعن بيع الغرر، وعن بيع الثمرة قبل إن تدرك^(١)).

والملاحظ إن المشروع الإصلاحى الذى قدمه الإمام علي عليه السلام قد واجه معارضة شديدة من قبل الطبقات المستفيدة من السياسة المالية السابقة، لذلك كانت الأطراف التى تضررت من طرح هذا المشروع مستعدة لمواجهة وإفشاله بكل الوسائل، حتى لو كان الثمن القتال وإراقة دماء المسلمين، وذلك لأنها شعرت بأن علي بن أبي طالب قد أفقدها السلطة والمال والمكانة الاجتماعية، وعلى الرغم من أن الإمام علياً عليه السلام يعرف حجم المعارضة التى ستقف ضده، فإنه أصر على تطبيق برنامجه الإصلاحى، وذلك تحقيقاً للعدل، وانتصاراً للإسلام، ووفاءً للمسلمين الذين بايعوه، حيث أراد بذلك المشروع أن يسلك بالجيل الذى قام بالثورة الصراط المستقيم، ويحمله على المحجة الواضحة، فضلاً عن أنه عليه السلام أراد أن يكشف عن وجوه الفتنة المقنعة بقناع الإسلام للناس، لذا خاطبهم قائلاً: «أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا وَاشْتَدَّ كَلْبُهَا»^(٢).

فلولا علي عليه السلام لما أقدم احد على حرب أهل القبلة^(٣)، ولظلت شبهة التباس الحق بالباطل ظاهرة بالمسلمين، لكون المسلمين قد اعتادوا على جهاد أهل الكفر

(١) المصدر نفسه، الحديث (٩٣٧)، ص ١١٥.

(٢) الشريف الرضى، نهج البلاغة، الخطبة (٩٣)، ص ١٣٩.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ٤٤-٤٦.

والشرك، فكانوا يهابون قتال أهل القبلة، لذلك لو لم يكن الإمام علي (عليه السلام) لاستعظموا حرب أم المؤمنين وطلحة والزبير لمكانتهم في الإسلام، ولم يعرفوا بأنهم الناكثون، ولم يدركوا أن معاوية رأس الفئة الباغية حتى قتل عمار بن ياسر، وأنه وأصحابه هم القاسطون، ولم يجروا على قتال قراء العراق الموصوفين بالزهد والعبادة من الخوارج، ولم يكن الناس يتصورون أنهم المارقون عن الدين. فلم تمض أربعة أشهر من تسلم الإمام علي الخلافة حتى بدأت بوادر الفتنة تلوح في الأفق، فاجتمع في مكة أقطاب المعارضة لعلي ومشروعه الإصلاحية، بدعم وتمويل من بني أمية مستغلين دم عثمان وتعاطف الإمام علي (عليه السلام) مع الثوار وعدم الاقتصاد من القتل، فألقوا بهذه التهمة على الإمام علي (عليه السلام)! فاضطروه للحرب التي ظلت مستمرة طوال مدة خلافته، كي يشغلوه عن تنفيذ برنامجه الإصلاحية، وكان (عليه السلام) يناشدهم السلم وحقن دماء المسلمين، ويرسل البعث بهدف الصلح قبل وقوع الحرب، ولكن دون جدوى، فلما أفضت تلك الحروب عن تورطهم بالفتنة، وانحرفهم عن الحق، وبراءة الإمام علي (عليه السلام) عما نسب إليه، أقدموا على اغتياله، ولأجل إبراء ساحتهم من تحمل وزر الاقتتال والتناحر على السلطة والمال، ولأجل إضعاف أتباع علي (عليه السلام) من خلال التشكيك في عقيدتهم، كان لابد من وجود شخصية تتحمل وزر كل ما حصل، فكان ذلك الشخص هو عبد الله بن سبأ (ابن السوداء)^(١)، ولكي يقطعوا جذور التشيع عن أصوله الإسلامية المتصلة بالنبي (صلى الله عليه وآله) والإمام علي (عليه السلام)، عدت تلك الشخصية المؤسس الأول للمذهب الشيعي، فوصموه بالسبئية، وأتباعه بالروافض.

(١) عبد الله بن سبأ: عبد الله بن وهب الهمداني، أبوه يهودي من اليمن، وأمّه من الأحباش لذلك سمي بابن السوداء، اسلم في زمن عثمان بن عفان، واختفى ذكره بعد معركة صفين. ينظر البلاذري، انساب الاشراف، ج ٣، ص ٢٣٦؛ صائب، تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي، ص ٥٧٨.

كان المخترع لهذه الشخصية هو سيف بن عمر الضبي التميمي الأسدي (ت: ١٧٠هـ / ٧٨٦م) إخباري له كتاب الفتوح الكبير والردة، وكتاب الجمل ومسير عائشة وعلي^(١)، روى عنه الطبري^(٢)، فقد تفرد بصياغة شخصية ابن سبأ بما يتناسب مع الذوق الأموي، وينسجم مع الذهنية الساذجة، وقد طعن علماء الجرح والتعديل في حديث سيف وروايته ومن جملة ما قالوا أنه: (متروك، ضعيف، أتهم بالزندقة، يروي الموضوعات عن الإثبات، ليس منه خير، متهم في دينه مرمي بالزندقة ساقط الحديث لا شيء، عامة حديثه منكر، بعض أحاديثه مشهورة وعامتها منكورة، إنه يضع الحديث)^(٣)، وعلى الرغم من هذه الآراء في شخصية سيف ومعرفة المؤرخين وأصحاب الحديث بطبيعة شخصيته، فقد نقل عنه الطبري كثيراً، دون أن يدقق رواياته التي كانت السبب في الكثير من الاختلافات بين المسلمين حتى وقتنا الحاضر، والجدير بالذكر أن أحمد بن حنبل لم يروي عنه في المسند أية رواية.

أما مضمون الرواية في الثورة ضد عثمان: هو أن عبد الله بن سبأ قام برحلات كثيرة إلى الأمصار فزار البصرة والكوفة والشام ومصر من أجل تأجيج الفتنة ضد عثمان، حتى تمكن من إشعال نار الفتنة بين المسلمين، وإنه هو الذي حرّض أبا

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٩٤.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٤٧-٤٦٢.

(٣) ينظر: ابن معين، أبو زكريا يحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ / ٨٤٧م): التاريخ، تحقيق: أحمد محمد نور سيف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٧٩م)، ج ٢، ص ٤٥؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٤، ص ٢٧٨؛ ابن حبان، المجروحين من المحدثين والضعفاء والمنكرين ج ١، ص ٣٤٥؛ ابن عدي، الكامل، ج ٣، ص ٤٣٥؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٢٥٥؛ الهيثمي، مجمع الزوائد: ج ٨، ص ٩٨؛ ابن حجر، تقريب التهذيب، ج ١، ص ٣٤٤. نقلاً عن الشرحاني: التغير في السياسة المالية، ص ٣٨.

ذر الغفاري، وعمار بن ياسر على إنكار سياسة عثمان المالية! وأن الصحابة لم يكن لهم علاقة بالثورة، ووصف الثوار بأنهم كانوا مجموعة من الخارجين على القانون، أو مجموعة من الرعاع غير المعروفين للمسلمين، فيما حاول سيف بن عمر الإيحاء من خلال ما ذكره من الروايات التي تخص بيعة الإمام علي (عليه السلام)، إلا أن الصحابة لم يبايعوا علياً، لأن الثوار هم الذين كانوا أصحاب القرار في اختيار الخليفة، لذلك أكره الصحابة على البيعة مخافة البطش بهم من قبل الثوار، بينما تؤكد الروايات التي كان مصدرها غير سيف غير ذلك، وقد مر ذكرها في الفصل الثالث، وتجاوزت رواية سيف بن عمر نص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على الإمام علي (عليه السلام) وأثبتتها إلى ابن السوداء، الذي ما لبث أن ادعى الألوهية لعلي (عليه السلام)، وقال برجعته بعد موته، ومن رواية سيف بن عمر، وشخصيته المبتدعة -ابن سبأ- صار الطعن على الشيعة بأنهم سبئية، فألصق بهم هذا الاسم، واتهموا بأن أفكارهم ومعتقداتهم ترجع إليه، وأنه منظر المذهب الشيعي، وفي هذا القول الكثير من التجني والمغالطة، إذا ما اطلع أي شخص على تشدد أهل البيت -عليهم السلام- على تكفير الغلاة والتبشير بهلاكهم في الدنيا والآخرة، وإن ذكر اسم ابن سبأ في محضرهم يوجب له اللعن من قبلهم^(١). وقد أهمل رواة الحديث والمؤرخون المتقدمون في مصنفاتهم وكتبهم أخبار ابن سبأ فلم يسجلوا حوادثه كما حاكها سيف بن عمر ونقلها عنه دون تمحيص الطبري، وإن كل ما ذكره هو إن ابن سبأ رجل من الغلاة الذين استتابهم الإمام علي (عليه السلام) فلم يتوبوا فأحرقهم بالنار.

أما موقف أحمد بن حنبل، فقد أورد في مسنده ثلاثة أحاديث لم يذكر فيها ابن سبأ إنما ذكر حادثة حرق الإمام (عليه السلام) للغلاة، فقال في الحديث الأول بأنهم من

(١) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤١٧؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٣٩، ص ٣٢١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧، ص ١٩٧.

الزط، فعن أنس قال: (إن علياً عليه السلام أتى بأناس من الزط يعبدون وثناً فأحرقهم، فقال ابن عباس: إنما قال رسول الله ﷺ: من بدل دينه فاقتلوه)^(١).

وفي الحديث الثاني نعتهم بالزندقة فروى عن عكرمة أنه قال: (إن علياً أتى يقوم من هؤلاء الزنادقة ومعهم كتب، فأمر بنار فأججت ثم أحرقهم وكتبهم، قال عكرمة: فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهى رسول الله ﷺ ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ من بدل دينه فاقتلوه، وقوله ﷺ لا تعذبوا بعذاب الله عز وجل)^(٢).

وأطلق عليهم ابن حنبل في الحديث الثالث صفة المرتدين عن الإسلام، فذكر قول عكرمة: (إن علياً أخذ ناساً ارتدوا عن الإسلام فحرقهم بالنار، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم إن رسول الله ﷺ قال لا تعذبوا بعذاب الله عز وجل أحداً وقال رسول الله ﷺ من بدل دينه فاقتلوه، فبلغ علياً ما قال ابن عباس؟ فقال: ويح ابن أم ابن عباس)^(٣).

لم يكن ابن حنبل يرى لابن سبأ أي دور، إذ لم يذكر اسمه بصراحة، بقدر ما كان يركز على مسألة حرق الإمام علي عليه السلام لجماعة من الزنادقة، واعتراض ابن عباس عليه باستخدام النار، على اعتبار إن النبي نهى المسلمين عن المعاقبة بالنار، واكتفى ابن حنبل بذكر رد الإمام علي عليه السلام مستغرباً على ابن عباس باقتضاب، قائلاً له: (ويح ابن أم ابن عباس)، لأن الذي كره العقاب بالتحريق عمر وليس النبي ﷺ والذي يدل على جواز التحريق سمل النبي ﷺ أعين العرنيين بالحديد

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٩٦٧)، ص ٢٦٦.

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٥٥١)، ص ٢٣٧.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (١٨٧١)، ص ١٩٠.

المحمى، وحرق أبي بكر البغاة بالنار بحضرة الصحابة، وحرق خالد بن الوليد بالنار ناساً من أهل الردة، وأكثر علماء المدينة يميزون تحريق الحصون والمراكب على أهلها^(١). والجدير بالذكر أن عمرو بن العاص أحرق محمد بن أبي بكر إلى أن مات، ولم نجد ابن عباس يعترض، علماً أن محمد مسلماً لم يرتد وهو بعد ابن أبي بكر صاحب رسول الله ﷺ له ما له عند المسلمين من وزن وقيمة!

وقد اخرج ابن أبي شيبة^(٢)، والبخاري^(٣) حديث إحراق المرتدين من قبل الإمام علي (عليه السلام) بالسند والمتن نفسه، ومن المؤرخين الذين ذكروا ابن سبأ دون أن يذكروا التفاصيل التي أوردها الطبري عن سيف بن عمر، بل وصفوه بحججه الحقيقي على أنه رجل مبتدع ومن الغلاة المنحرفين عن العقيدة وقف الإمام علي (عليه السلام) منه موقفاً حازماً، مبطلاً دعواه، فلما لم ينته أحرقه وأصحابه:

ابن قتيبة^(٤) الذي اكتفى بالقول: (إن عبد الله بن سبأ ادعى الربوبية لعلي فأحرق علي أصحابه بالنار)، وقال البلاذري^(٥): (إن ابن السوداء جاء علياً فسأله عن أبي بكر فردده هو وأصحابه رداً عنيفاً ووبخهم على اشتغالهم بهذا الكلام).

أما موقف أهل البيت - عليهم السلام - من عبد الله بن سبأ فقد أورد ابن حنبل^(٦) حديثاً واحداً عن عاصم بن ضمرة قال فيه: (قلت للحسن بن علي (عليه السلام): إن الشيعة يزعمون إن علياً يرجع؟ قال: كذب أولئك الكذابون لو علمنا

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج ١٢، ص ٢٧١-٢٧٢.

(٢) المصنف في الحديث والآثار، ج ١، ص ١٣٩.

(٣) صحيح البخاري، ج ٤، ص ٧٥.

(٤) تأويل مختلف الحديث، ص ٧٣.

(٥) انساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٣٦.

(٦) مسند، الحديث (١٢٦٥)، ص ١٣٨.

ذاك ما تزوج نساؤه ولا قسمنا ميراثه)، وعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قوله: (لعن الله من كذب علينا، إني ذكرت عبد الله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي، لقد ادعى أمراً عظيماً، ماله، لعنه الله)^(١). وورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: (إن عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة، ويزعم إن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فدعاه وسأله فأقر بذلك وقال: نعم أنت هو، وقد كان ألقى في روعي إنك أنت الله وإني نبي، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك سخر الشيطان منك، فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب، فأبى، فحبسه واستتابه ثلاثة أيام، فلم يتب فأحرقه بالنار، وقال: إن الشيطان استغواه فكان يأتيه فيلقي في روعه)^(٢)، وروي أيضاً عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قوله: (لعن الله ابن سبأ، أنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين عليه السلام، وكان والله أمير المؤمنين عليه السلام عبداً طائعاً، الويل لمن كذب علينا، وأن يقولوا فينا ما لا نقوله في أنفسنا، نبرأ إلى الله منهم، نبرأ إلى الله منهم)^(٣). وينفرد ابن شبة^(٤) في إيراد رواية يقول فيها: (كان أناس يعبدون الأصنام في السر، ويأخذون العطاء، فأتى بهم إلى علي، فوضعهم في السجن، واستشار الناس، فقالوا: اقتلهم، فقال: لا بل اصنع بهم كما صنع بأبينا إبراهيم، فحرقهم بالنار).

وقد تجاهل أكثر المؤرخين المتقدمين على الطبري ومعاصريه أمثال الواقدي، وابن سعد، وخليفة بن خياط، وأبو حنيفة الدينوري، واليعقوبي، وابن أعثم،

(١) الكشي، أبو عمرو محمد بن عبد العزيز (ت: ٣٤٠هـ / ٩٤٠م): رجال الكشي، تحقيق: أحمد الحسيني، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت، د.ت)، ص ١٠٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٨-٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٠.

(٤) تاريخ المدينة المنورة، ج ١٠، ص ١٤٢.

والمسعودي قصة ابن سبأ وأهملوا خبره جملة وتفصيلاً.

فيما انقسم الباحثون والمحققون المحدثون بين مشكك في قصة ابن سبأ معتبرها اقرب إلى الخيال والأسطورة باعتبار أن المصادر المتقدمة لم تذكر ابن سبأ، وأن أحداً من المؤرخين لم يتطرق إلى تاريخ حرق ابن سبأ وأصحابه، وأن المسلمين كانوا يتحسسون من أن يأخذوا عقيدتهم من اليهود الذين اسلموا على عهد النبي ﷺ وحسن إسلامهم، فكيف بشخص يهودي مجهول الحال اسلم حديثاً يستطيع أن يؤثر عليهم كل هذا التأثير، ويضيفون سبباً آخر إلى تلك الأسباب التي دعتهم إلى القطع بأن ابن سبأ شخصية منحولة ومختلقة هو اختفاء تلك الشخصية بعد أحداث معركة الجمل وان الإحداث التي أشارت إليها رواية سيف بن عمر تتناسب وأحداث العصر العباسي حيث ظهور الزنادقة من جهة، ومن جهة أخرى للطعن بعقيدة العلويين المنافسين للعباسيين، فلو كان موجوداً فعلاً لماذا لم يستغل معاوية وأتباعه ذلك للنيل من الإمام علي؟ ويجعل البعض قصة ابن سبأ من الإسرائيليات التي دخلت على التاريخ الإسلامي^(١).

وبين مثبت لقصة عبد الله ابن سبأ وأثرها في الفتنة بشكل قاطع بدعوى إن أخباره شهيرة في التواريخ، وان إنكار وجود ابن سبأ جاء من جهة الشيعة على

(١) ينظر: بيضون، إبراهيم، الإمام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ، ط ١، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، (بيروت، ١٩٩٩م)، ص ١٨٥؛ حسين طه، الفتنة الكبرى، ج ٢، ص ٩٠؛ العسكري، مرتضى، عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، ط ٥، دار الزهراء، (بيروت، ١٩٨٣م)، ص ٣١٥؛ كاشف الغطاء، محمد حسين، أصل الشيعة وأصولها، تحقيق: منذر آل جعفر، مؤسسة الإمام علي (عليه السلام)، (قم، ١٩٩٤م)، ص ١٧٩؛ الشرهاني، أضواء على السيرة النبوية، ص ٦٤-٦٥؛ الفياض، عبد الله، تاريخ الإمامية وأسلافهم من نشأة التشيع إلى القرن الرابع الهجري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت، ١٩٧٥م)، ص ٩٥؛ ومن المستشرقين: لويس، برنارد، أصول الإسماعيلية، ترجمة: خليل أحمد الحلو، جاسم محمد الرجب، مطبعة المثني، (بغداد، ١٩٤٧م)، ص ٨٦.

الرغم من أن كتبهم في الفقه والحديث فيها ذكر لابن سبأ، وبذلك يحاولون أن يجعلوا أصل الشيعة وجذورها مأخوذاً من اليهودية لأنها مطابقة لآراء ابن سبأ، وقد صيغت على شكل روايات وأحاديث نسبت لآل البيت زوراً، فوجدت قبولاً واسعاً لدى كثير من العوام^(١). ويذهب علي الوردي^(٢) إلى القول إن ابن سبأ هو شخصية مسلمة استترت بهذا العنوان، ويظن انه عمار بن ياسر، لانطباق المواصفات المذكورة عن ابن سبأ عليه.

ثانياً: تحليل مواقف الناكثين والقاسطين والمارقين:

تولى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الخلافة في ذي الحجة سنة ٣٥هـ / ٦٥٥م^(٣). ولم تكن الخلافة لتغري الإمام علياً عليه السلام لأنه لم يطلب يوماً مجد الدنيا وكنوزها، فقد كان يرى أن الرسالة الإسلامية هي جزء من عقله وقلبه لذا لبى النداء وقبل الخلافة، فقد ورد عنه عليه السلام قوله: (لولا الخشية على دين الله لم أجبه)^(٤).

وكان علي عليه السلام يعلم ما في نفوس بعض الصحابة، فقد أورد ابن حنبل^(٥) عن

(١) ينظر: أمحزون، محمد، تحقيق موقف الصحابة في الفتن من روايات الطبري والمحدثين، ط ١، مكتبة الكوثر، (الرياض، ١٩٩٤م)، ج ١، ٢٩٨؛ الصلابي، علي محمد، حقيقة الخلاف بين الصحابة في معركتي الجمل وصفين، المكتبة العصرية، (بيروت، ٢٠١١م)، ص ١٦-٢٢؛ القفاري، ناصر بن عبد الله بن علي، أصول مذهب الشيعة الأممية الإثني عشرية، ط ٣، دار الرضا للنشر والتوزيع، (مصر، ١٩٩٨م)، ص ٧٥-٨٠؛ معرفي، سليمان، سيرة الخلفاء الراشدين، ط ١، مكتبة الإمام الذهبي، (الكويت، ٢٠٠٣م)، ص ٢٧٣-٢٨٠؛ ومن المستشرقين: تسهير، العقيدة والشرعية الإسلامية، ص ٢٢٩.

(٢) وعاظ السلاطين، دار الحياة، (بغداد، د.ت)، ص ٩٨-١٠٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٨٣١؛ البيهقي، تاريخ البيهقي، ج ٢، ص ٢٠٦؛ الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٤٣٦. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ١٢؛ ابن كثير، البداية النهاية، ج ٧، ص ٢٣٧.

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ج ١٣، ص ٥.

(٥) فضائل الإمام علي، الحديث (١٠٩)، ص ١٥٢.

الإمام علي (عليه السلام) إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (ضغائن في صدور رجال عليك لن يبدوها لك للأمر بعدي، قال: فقلت له بسلامة ديني؟ فقال: نعم: بسلامة من دينك)، لذا كان علي (عليه السلام) يقول فيهم: (أريدهم الله ويريدوني لأنفسهم)^(١)، لذلك عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الإمام علي (عليه السلام) بالدفاع عن الدين، ثم أن النبي (صلى الله عليه وآله) نبه الصحابة إلى التزامهم جانب علي (عليه السلام)، فعن أبي سعيد الخدري قال: (أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فقلنا: أمرتنا بقتال هؤلاء، فمع من؟ فقال مع علي بن أبي طالب، ومعه يقتل عمار بن ياسر)^(٢). ومن اللافت للنظر أن الأحاديث التي أوردها أحمد بن حنبل في مسنده ذكرت باقتضاب موضوع الناكثين والقاسطين، فيما أسهب بإيراد أحاديث حول الخوارج المارقة.

فلما رأى (عليه السلام) نشاط طلحة بن عبيد الله و الزبير بن العوام في الفتنة ارتاب منهم وأدرك نواياهم وطموحاتهم، لذا طلب منهما أن ييسطا أيديهما للخلافة، فلما رفضا وبايعاه قال لهما: (إني أخاف إن يبايعني الناس واستقاموا على بيعتي أن يكون منكما أمر من الأمور فقالا له: مهلاً يا أبا الحسن فوالله لا يأتينك منا شيء تكرهه أبداً)، فقال علي (عليه السلام): «الله تبارك وتعالى عليكم راعٍ وكفيل»، فوافقوا، وعاهدوه وعاهدوه على أن لا يغدرا به^(٣).

وعلى ما يبدو أن عائشة ومعاوية أدركا قبل الجميع بأن الإمام علياً (عليه السلام) سيفقداهما مكانتهما وامتيازاتهما التي حصلا عليها في عهد الخلفاء الثلاثة، فكان ذلك الشعور قد أربع الاثنين معاً فأعلنوا رفضهم القاطع للبيعة، وربما شاركهم

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٩، ص ٣١ - ٣٢.

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (١١٠٢١)، ص ٧٧٨.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٥٢؛ اليعقوبي تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٨٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٢١٥ - ٢١٦.

طلحة والزبير بنفس الإدراك والشعور، حيث أصبحوا يرون أنفسهم أنداداً لعلي عليه السلام، فهم بعد أن أدخلهم عمر في الشورى كانوا يشعرون بأنهم ليسوا بأقل شأناً منه، لكنهما وقعا تحت تأثير أجواء المدينة المضطربة، التي اجمع من فيها على بيعه الإمام علي عليه السلام، فاضطرا إلى التماشي مع تلك الظروف وأعطيا البيعة غير مكرهين، لقناعتهم بأنهما لا يقدران على السيطرة على الأمور وإعادة الهدوء إلى المدينة في ظل تلك الظروف، وليس لها إلا أبو الحسن، عسى أن تكون بيعتهما له والوقوف إلى جانبه سبباً في أن يولي أحدهما على الكوفة والآخر على البصرة، لكن شيئاً من ذلك لم يكن ليحدث، فما إن بدأ علي عليه السلام بسياسة المساواة في العطاء، وتبعها بخطوة ترشيح ولاته على الأمصار، مستثنياً طلحة والزبير عن تلك الترشيحات، حتى بدا الامتناع عليهما^(١)، وظهرت عليهم ملامح النكت بالبيعة، وقاموا بخطوات فعلية لذلك، تمثلت في:

١ - مطالبة الإمام علي عليه السلام بالاقتصاص من قتله عثمان، علماً أنهما كانا من ابرز أقطاب المعارضة لعثمان، ومن المحرضين على قتله، لكن الإمام علي عليه السلام أجابهما قائلاً: «يَا إِخْوَتَاهُ إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ وَلَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةِ الْقَوْمِ الْمُجْلِبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُمْ وَهَاهُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانُكُمْ وَالتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ وَهُمْ خِلَالَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَا شَاءُوا وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرٌ جَاهِلِيَّةٌ وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ مَادَّةٌ إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ إِذَا حُرِّكَ عَلَى أُمُورٍ فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرُونَ وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرُونَ وَفِرْقَةٌ لَا تَرَى هَذَا وَلَا ذَاكَ فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ النَّاسُ وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا وَتُؤْخَذَ الْحَقُوقُ مُسَمَّحَةً فَاهْدِئُوا عَنِّي وَانظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي وَلَا تَفْعَلُوا

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٧٠؛ يعقوبي، تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٢٥، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٦٩؛ المفيد، الجمل، ص ٧٧.

فَعَلَةً تُضَعِّعُ قُوَّةً وَتُسْقِطُ مَنَّةً وَتُورِثُ وَهْنًا وَذِلَّةً وَسَأْمِسُكَ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدًّا فَأَخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ»^(١).

٢- زعما أنهما أكرها على البيعة إكراهاً وخوفاً من سيف الأشر الذي سلطه على رقابهما، وإن كانت رواية الإكراه قد وردت عن طريق سيف بن عمر^(٢)، إلا أن الذي نص عليه أكثر المؤرخين هو أنهما بايعا طائعين غير مكرهين، ولكن بايعا بأيديهم فقط، ولم تكن قلوبهم راضية^(٣)، لذلك كان الإمام علي يقول فيهما: «يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بَقَلْبِهِ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ وَادَّعَى الْوَلِيَجَةَ فَلَيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرِفُ وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيهَا خَرَجَ مِنْهُ»^(٤).

٣- اعترضوا على إجراءات الإمام علي (عليه السلام) وزعما أنهما بايعاه على أن يكونوا شركاء معه في الأمر، وعليه أن يستشيرهما في فما يريد أن يقدم على فعله، حيث إن الزبير وطلحة أتيا علياً (عليه السلام) بعد فراغ البيعة فقالا: (هل تدري على ما بايعناك يا أمير المؤمنين؟ فقال (عليه السلام): نعم على السمع والطاعة وعلى ما بايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان، فقالا: لا، ولكننا بايعناك على أننا شريكان في الأمر! فرد عليهم الإمام قائلاً: لا ولكننا شريكان في القول والاستقامة والعون على العجز)^(٥).

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٩، ص ٢٩٤.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٣٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٣١، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٦٥-٦٦، البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٠٥-٢١١، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧٨، ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ٣١-٣٢؛ أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهيل (ت: ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م): الأوائل، تحقيق: محمد السيد الوكيل، (المغرب، ١٩٦٦م)، ص ١٦٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٣٠.

(٤) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة، ص ٣٢.

(٥) ابن قتيبة، الإمامة، ج ١، ص ٥١.

٤- لما سمعوا بخبر تجمع المعارضين في مكة، وكانا قد يسّسا من نيل بعض الامتيازات من علي بن أبي طالب، استأذناه في الخروج إلى مكة للالتحاق بالمعارضين، بحجة أنهما يريدان العمرة، فأذن لهما وهو يعرف نواياهما، فنظر إليهما علي عليه السلام، وقال: (نعم والله ما العمرة تريدان وإنما تريدان الغدرة، أن تمضيا إلى شأنكما)^(١).

وشاركت عائشة، معاوية في ذريعة الطلب بدم عثمان لتأليب الناس على الإمام علي عليه السلام ولا يستبعد أن يكون لبني أمية بعض التأثير عليها في ذلك، في أثناء ما كانت بمكة للعمرة، التي خرجت إليها قبل أن يقتل عثمان، لكنها لم تعلن ذلك، لأنها كانت ترجو أن يلي الخلافة طلحة، بل وتدعو الناس لبيعته، فلما كانت في بعض طريقها راجعة إلى المدينة، بلغها مقتل عثمان، فقالت: (أبعده الله، قتله ذنبه، وأقاده الله بعمله يا معشر قريش لا يسومنكم قتل عثمان كما سام احمر ثمود قومه وإن أحق الناس بهذا الأمر ذو الأصبع - تعني طلحة -)^(٢) فلما وصلتها أخباربيعة الإمام علي عليه السلام استنكرت أم المؤمنين أن يبايع المسلمون علياً بالخلافة، وعدت تلك البيعة بمثابة استيلاء الإمام علي عليه السلام على رقاب المسلمين، إذ قالت: (تعسوا، تعسوا إلا يردون الأمر في تيم أبداً)، وقررت أن لا تدخل المدينة ولعلي عليه السلام فيها سلطان، وتمنت أن تنطبق السماء على الأرض على إن تتم البيعة لعلي عليه السلام، وقالت (ردوني ردوني، فانصرفت إلى مكة)^(٣) وقد تبدل موقفها إزاء عثمان إلى النقيض عما كانت عليه، وبدأت تصرح بذلك وتقول: (قتل والله عثمان مظلوماً والله لأطلبنّ بدمه!) فقيل لها:

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٥.

(٢) أبو مخنف، الجمل وصفين والنهروان، ص ٧٨.

(٣) أبو مخنف، الجمل وصفين والنهروان، ص ٧٥-٧٦؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٤٧؛

سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ٧١.

ولم؟ إنَّ أوَّلَ من أَمال حَرْفَه لأنَّ، (ولقد كنتَ تقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر؟) فقالت لهم: (إنَّهم استتابوه، ثُمَّ قتلوه، وقد قلتُ وقالوا، وقولي الأخير خيرٌ من قولي الأوَّل)^(١)، وبذلك شككت أم المؤمنين النواة الأولى لمعارضة خلافة الإمام علي (عليه السلام)، فلم تمضِ مدة طويلة حتى استغل المتضررون من سياسة علي (عليه السلام) معارضة عائشة لعلي (عليه السلام)، فوظفوها لصالحهم، وتعددت الآراء حول أسباب معارضة أم المؤمنين: فمنهم من عزاها إلى موقف علي (عليه السلام) منها في حادثة الإفك، لما أشار على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بطلاقها^(٢)، وقيل إن السبب يكمن في زواج علي (عليه السلام) من أسماء بنت عميس بعد وفاة أبي بكر فحز ذلك في نفسها^(٣)، وألح غيرهم إلى عجزها عن الإنجاب من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما تمكن الإمام علي (عليه السلام) من الحصول على الذرية من بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فتولدت لديها عقدة النقص من عدم تمكنها للحصول على من يرث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) منها، فوجدت في نفسها على الإمام علي (عليه السلام) واعتبرته منافساً لها في وراثة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان خوفها من سياسة علي (عليه السلام) المالية التي ستفقد لها امتيازاتها التي حصلت عليها زمن الخلفاء الثلاثة، سبباً آخر يضاف إلى بقية الأسباب السابقة^(٤).

أما الإمام علي (عليه السلام) فلم يكن يعبأ بأحد فكان عازماً على التغيير وإحداث التعديلات في كل مفاصل الدولة الإسلامية ونشر المساواة بين المسلمين في الحقوق والواجبات، رغم المشورات التي تقدم بها البعض إليه من أجل العدول عن

(١) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٢ ص ٤٢١؛ سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٦٦.

(٢) المفيد، الجمل، ص ٢٢٩؛ بودلي، حياة محمد، ص ٣٤٦.

(٣) حسين، الفتنة الكبرى، الجزء الثاني (علي وبنوه)، ص ٢٩.

(٤) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٩، ص ٣٣٧-٤٤٠، حيث أحصى مجموع الأسباب التي دعت عائشة إلى مناوأة الإمام علي (عليه السلام).

المساواة في العطاء بين المسلمين، وكذلك للإبقاء على معاوية بن أبي سفيان والياً على الشام، وذلك لكسب وده، وضمان مولاته، إلا أنه عليه السلام رد المقترحين عليه قائلاً: «أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجُورِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ؟! وَاللَّهِ لَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ، أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُهِنُهُ عِنْدَ اللَّهِ وَلَمْ يَضَعْ أَمْرُؤُ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ شُكْرَهُمْ وَكَانَ لِعَیْرِهِ وَدُّهُمْ فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النُّعْلُ يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرَّ خَلِيلٍ وَأَلْأَمَّ خَدِيدٍ»^(١). وكان المغيرة بن شعبة هو صاحب الاقتراح حيث قال لعلي عليه السلام: (انزع من تشاء، واترك معاوية)، فأجابه الإمام قائلاً: (لا والله لا استعمل معاوية يومين أبداً)^(٢).

كان عليه السلام حريصاً جداً على تطبيق مشروعه الإصلاحية، فقد قسم ما هو موجود في بيت المال على المسلمين بالتساوي في اليوم التالي لتوليّه الخلافة، وبعد بضعة أيام قام بإرسال ولاته إلى الأمصار، وقد اختار ولاته اختياراً مطابقاً للشروط التي يبتغيها في الوالي، وعمد إلى إشراك الأنصار في إدارة الدولة، فأرسل إلى البصرة عثمان بن حنيف، وأرسل إلى مصر قيس بن سعد بن عبادة، وأرسل عبيد الله بن عباس إلى اليمن، وأبقى أبا موسى الأشعري على الكوفة، بناءً على نصيحة قدمها له الأشر، وأرسل سهل بن حنيف إلى الشام، وقد نجح الجميع في الالتحاق بمراكز عملهم في الأقاليم، وأسرعوا في تهدئة الأوضاع فيها، باستثناء

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة (١٢٦)، ص ١٨٩.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٦٧؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٤٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤ ص ٤٤٠؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢ ص ٣٦٤.

سهل بن حنيف الذي أرجعته خيل معاوية عند حدود الشام^(١)، وقد نقل ابن حنبل^(٢) حديثاً عن أبي برزة السلمي يؤكد فيه انحراف معاوية، ودعاء النبي ﷺ عليه وعلى عمرو بن العاص عندما سمعهما يغنيان فقال النبي ﷺ: (اللهم اركسهما ركساً، ودعهما في النار دعاً)، ويصف ابن أبي الحديد^(٣) معاوية بأنه شديد التهتك، موسوم بكل قبيح، كثير الهزل والخلاعة، مبغض لعل، وقد انتهز فرصة مقتل عثمان للوصول إلى الحكم، وطلب الرياسة، فعمد إلى جملة من الأمور منها:

١ - عبأ أهل الشام للمطالبة بدم عثمان من قتلته والاقتصاص منهم، فقد علق لهم قميص عثمان على منبر دمشق ليكونه ويطلبون قاتله، فأخبرهم بأن قاتله علي وقد وصف الإمام علي (عليه السلام) تلك الخدعة: (بأنها خدعة الصبي عن الفطام)^(٤).

٢ - قام بإجراء مراسلات مع أقطاب بني أمية يأمرهم باستقطاب وبتمويل المعارضين المتجمعين في مكة للأخذ بشأر عثمان، فكتب إلى يعلى بن منية كتاباً يوضح له خطته: (فكان أعظم ما نقوموا على عثمان وعابوه عليه ولايتك على اليمن، وطول مدتك عليها، حتى ذبحوه ذبح النطيحة، وهو صائم معانق المصحف على غير جرم، وأنت تعلم أن بيعته في أعناقنا، وطلب ثأره لازم لنا، فشمّر لدخول العراق، وأما الشام فقد كفيتك أهلها، وقد كتبتُ إلى طلحة بن عبيد الله أن يلقاك بمكة حتى يجتمع رأيكما على إظهار الدعوة والطلب بدم عثمان المظلوم. وكتبتُ إلى عبد الله بن عامر يمهد لكم العراق، وأعلم يا ابن أمية أن

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٦ ص ٣٧-٣٨؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٧ ص ٣٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٢ ص ١٨؛ نقلاً عن الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص ١٩٣.

(٢) مسند، الحديث (٢٠٠١٨)، ص ١٤٥٠.

(٣) شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٣٣٨، ج ١٦، ص ١٦١.

(٤) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٤٨.

القوم قاصدوك بادئ بدء، لاستنزاف ما حوته يداك من مال^(١). وكان يعلى بن أمية والياً على اليمن، فسرق أموال المسلمين من بيت المال وهرب إلى مكة فور سماعه بوصول عبيد الله بن عباس ليكون والياً عليها من قبل الإمام علي عليه السلام وتجمع في مكة وجوه بني أمية حيث وصل إليها عبد الله بن عامر هارباً من البصرة ومعه أموالها، ومروان بن الحكم الذي خرج من المدينة، وقد قام يعلى ابن منية بتنفيذ خطة معاوية على أكمل وجه، فزود طلحة والزبير بالأموال، وأهدى لعائشة جملها الأدب (عسكر) وصرفهم عن الشام ليتوجهوا إلى البصرة لإثارة الناس على الإمام علي عليه السلام لعلهم يخرجون عليه فيطيحوا بحكومته بدعوى الطلب بدم عثمان. فقد استطاع إقناع طلحة والزبير في أن يتقاسموا الملك وخلافة المسلمين فيما بينهم، وتبقى الشام ومصر بيد معاوية، فوافقوا بعد ما علموا من عبد الله بن عامر أن الرجال والأموال تنتظرهم في البصرة. لذلك كان الإمام علي يقول: بليت بأدهى الناس طلحة، وأشجع الناس الزبير، وأطوع الناس في الناس عائشة، وأسرع الناس إلى الفتنة يعلى بن أمية، وأكثر الناس مالا وأجودهم عبد الله بن عامر؛ وقد استطاع معاوية استخدامهم جميعاً ضد علي عليه السلام^(٢).

٣- أغرى طلحة والزبير بتوليتهما الكوفة والبصرة شريطة أن يطالبوا بدم عثمان من الإمام، إذ يروي ابن أبي الحديد إن معاوية بعث بكتاب إلى الزبير بن العوام مخاطباً إياه بلقب أمير المؤمنين جاء فيه: أما بعد فإنني قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الجلب، فدونك الكوفة والبصرة، وقد

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٠، ص ٣٣٦-٣٤٠.

(٢) ينظر: ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٢، ص ٤٦٣؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٣، ص ٣٢٣؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ص ٣١٨؛ ابن الأثير، اسد الغابة، ج ٣، ص ٨٧؛ الرিশهري، موسوعة الإمام علي، ج ٥، ص ٨٩.

بايعت لطلحة بن عبيد من بعدك، فأظهرا الطلب بدم عثمان، وادعوا الناس إلى ذلك...^(١) لذلك يستغرب سعيد بن العاص والمغيرة بن شعبة من مسير بعض أفراد البيت الأموي من أولياء عثمان مع طلحة والزبير، فقالوا لهم: أين تذهبون وثأركم على أعجاز الإبل معكم؟ اقتلوهم ثم ارجعوا إلى دياركم^(٢).

٤- تخلف عن بيعة الإمام علي (عليه السلام)، وردّ عامله سهل بن حنيف ولم يسمح له بدخول الشام، فأرسل إليه الإمام علي رسولا وهو سبرة الجهني ليقف على أسباب تخلفه، ولكن معاوية لم يجبه وردّ رسوله^(٣).

٥- بعث إلى عمرو بن العاص ليأمن شره ويستفيد من مشورته، بمقابل إعطائه ولاية مصر، فتعاقدا على التناصر والتناصح^(٤).

وبعد ثلاثة أشهر من مقتل عثمان كشف معاوية عن نواياه، وأعلن معارضته للإمام علي متهما إياه بقتل عثمان، حيث أرسل رسولا إلى الإمام علي يبلغه بذلك وأرسل معه كتاباً ليس فيه شيء مكتوب سوى (من معاوية إلى علي) فلما وصل رسول معاوية إلى الإمام علي سأله: ما وراءك؟ فطلب الأمان من الإمام علي فأمنه، فقال: إني تركت ورائي قوما لا يرضون إلا بالقود - القصاص من قتلة عثمان - فقال له علي (عليه السلام): ممن؟ فقال: من خيط نفسك، وأضاف قائلاً: وتركت ستين ألف شيخ يبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم، قد ألبسوه منبر

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٣١.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ج ١، ص ٦٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ١٠٢.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٤٢.

(٤) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٤٩؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٩؛ المنقري، نصر بن مزاحم (ت: ٢١٢هـ / ٨٢٧م): وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ١، دار الأندلس،

(النجف، ٢٠١٠م)، ص ٣٨.

دمشق. فقال الإمام علي: مني يطلبون دم عثمان! ألسنت موتوراً كثرة عثمان! اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، نجا والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله....^(١).

كان معاوية خلال الأشهر الثلاثة المنصرمة عقب مقتل عثمان يرتب الأمور ويهيئ لها، عسى أن يكفيه غيره مواجهة علي عليه السلام، وبذلك يتسنى له تجنب مواجهته لأنه يعرف أن علياً لا يهزم، وفي الوقت نفسه كان يريد التخلص من كل الطامعين بالخلافة، ويجعل الفتنة تكون بين صحابة رسول الله ﷺ فيبادوا ويندرس الدين، فيعود ملك بني أمية الذي كان في الجاهلية وقضى عليه محمد ﷺ بالإسلام، والجدير بالذكر إن القضاء على الإسلام عن طريق التناحر والاقتتال من الأهداف التي تتوخاها الدولة البيزنطية، ولذلك ساعدت معاوية على تحقيق ذلك الهدف عن طريق إمداده بالمستشارين لتثبيت حكمه، وإعداده ليكون ملكاً على المسلمين يقودهم نحو الانحراف والتحريف، والدليل على ذلك أنها لم تحاول الإغارة على بلاد الشام رغم فراغها من الجيوش التي جاء بها معاوية من الثغور لقتال علي عليه السلام في صفين، وكان بإمكانها فعل ذلك بكل سهولة ويسر.

وقد جهز الإمام علي عليه السلام جيشاً لإرغام معاوية على الدخول في طاعته لأنه يعرف آل أبي سفيان لا يطيعون إلا بالإكراه أو المصانعة والاستئلاف، لكن إخبار تحرك المعارضين في مكة نحو البصرة قد وردت إليه، حيث كان عليه السلام يعرف بتجمعهم في مكة، ولكنه لم يعترضهم ماداموا في حرم مكة^(٢)، والظاهر أن في نية الإمام علي عليه السلام المسبقة الانتقال إلى العراق، وإلى الكوفة تحديداً، لأهميتها الدينية والاقتصادية لديه، ويظهر ذلك من تحذيره للمسلمين إن هم بقوا على مواقفهم

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٤٤.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٦٦؛ حسين، الفتنة الكبرى، الجزء الثاني (علي وبنوه)، ص ٣٢.

المرتدة في إحقاق الحق أن ينقل عنهم الخلافة فقد قال: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولًا هَادِيًا بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ وَإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ إِلَّا مَا حَفِظَ اللَّهُ مِنْهَا وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ عِصْمَةً لَأَمْرِكُمْ فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَلَا مُسْتَكْرَهٍ بِهَا وَاللَّهُ لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللَّهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ ثُمَّ لَا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا حَتَّى يَأْرِزَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ»^(١). فلما اعترض بعض المهاجرين والأنصار على خروجه إلى العراق بنفسه أجابهم قائلاً: (إن الأموال والرجال بالعراق ولأهل الشام وثبة أحب أن أكون قريباً منها)^(٢).

ولابد من الإشارة إلى المفارقة الكبيرة بين معارضة الإمام علي (عليه السلام) السلمية على الرغم من أنه صاحب الحق الشرعي، إلا أنه (عليه السلام) أثر الصبر على مظلوميته، في سبيل أن يجنب المسلمين الفتنة والافتتال، ويحفظ الإسلام الذي أفنى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عمره الشريف لإرساء قواعده، وبين المعارضين له في خلافته التي كانت بدون وجه حق، فقد شقوا عصا المسلمين وقادوهم إلى الفتن والحروب، وذلك عصياناً منهم من أجل تحقيق أهدافهم الشخصية المتمثلة بالحصول على الجاه والسلطة والمال، من دون أن يراعوا حرمة الدم المسلم، أو يحفظوا رسول الله في قرابة^(٣).

وقد ساعدت الفتن في تنامي أعداد المسلمين الذين أضحى الإسلام عندهم يعني الخروج والرفض على الظالم والعاقل على حد سواء، فالخوارج مع الثورة المستمرة والخروج الدائم وتجريد السيف مع كل فرقة معارضة، متظاهرين بالدين إلا أنهم مارقون عنه، ويمكن تحديد الأبعاد الحقيقية لنشأة الفكر الخارجي، فضلاً عن معرفة من يقف وراء هذا التنظيم، لغرض تشويه الإسلام المحمدي، ودافعه

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة (١٦٩)، ص ٢٥١.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٤٣.

(٣) العاملي، الغدير والمعارضون عواصف على ضفاف الغدير، ط ٢، (بيروت، ١٩٩٦م)، ص ٣٨.

الواقعي لتأسيس النموذج الأول في الإسلام الذي يحمل في طياته كل معاني التطرف الديني والتشدد اللاعقلاني، وقد سرت حمى ذلك التطرف إلى معظم الفرق الإسلامية تباعاً، وهذا بعيد كل البعد عن روح الإسلام وأهدافه الإنسانية، وتجاوز بشريّته السمحاء إلى درجة الإرهاب الديني والاجتماعي^(١) وإلغاء الجانب الأهم لرسول الله ورسالته التي حددها الباري تعالى في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

هؤلاء الخوارج كما يروي ابن حنبل ذرية من وقف بوجه النبي ﷺ مطالباً رسول الله ﷺ أن يعدل، فأخبر النبي ﷺ (انه سيخرج من ضئضي هذا الرجل قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)^(٣). وقد وصفهم النبي ﷺ بأنهم شر البرية وأمر بقتلهم فعن أبي سعيد الخدري: (إن أبا بكر جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني مررت بوادي كذا وكذا فإذا رجل متخشع حسن الهيئة يصلي، فقال له النبي ﷺ: اذهب إليه فاقتله، قال: فذهب إليه أبو بكر فلما رآه على تلك الحال كره أن يقتله فرجع إلى رسول الله ﷺ، قال فقال النبي ﷺ لعمر: اذهب فاقتله، فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآه أبو بكر، قال فكره أن يقتله، قال فرجع، فقال يا رسول الله: إني رأيته يصلي متخشعا فكرهت أن أقتله، قال ﷺ: يا علي اذهب فاقتله، قال فذهب علي فلم يره فرجع علي، فقال: يا رسول الله انه لم يره، قال فقال النبي ﷺ إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم في فوقه فاقتلوهم

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٠٥.

(٢) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).

(٣) ابن حنبل، مسند، الحديث (١١٠٢٠)، ص ٧٧٨.

هم شر البرية^(١)، وكذلك حذر الإمام علي (عليه السلام) أصحابه منهم قائلاً: عن زيد بن وهب قال لما خرجت الخوارج بالنهروان قام علي (عليه السلام) في أصحابه فقال: (إن هؤلاء القوم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا في سرح الناس وهم أقرب العدو إليكم وإن تسيروا إلى عدوكم أنا أخاف أن يخلفكم هؤلاء في أعقابكم إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: تخرج خارجة من أمتي ليس صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء ولا قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية وآية ذلك إن فيهم رجلاً له عضد وليس لها ذراع عليها مثل حلمة الثدي عليها شعرات بيض لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما لهم على لسان نبيهم لا تكلوا على العمل فسيروا على اسم الله)^(٢).

وقد تولدت الأسباب الذاتية التي دعت الناكثين والفاستين والمارقين جميعاً لأن يخرجوا تبعاً على حكومة الإمام علي (عليه السلام)، وأن يقفوا حائلاً بوجه المشروع الإصلاح الذي يروم تطبيقه، من حسد طلحة لعلي (عليه السلام) الناتج عن حب المال والسلطة، وتأثير عبد الله بن الزبير على أبيه في طلب الملك، وما تضرره أم المؤمنين في نفسها إزاء الإمام علي (عليه السلام) والعداء التاريخي بين قريش وبني هاشم وبخاصة أن أكثر قتلاهم كان عليّ قد وترهم، وانحراف الخوارج عن المنهج الإسلامي، والهوس الذي أصابهم في تكفير المسلمين، لذلك كان (عليه السلام) يقول: «فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثْتُ طَائِفَةً وَمَرَقْتُ أُخْرَى وَقَسَطَ آخَرُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ^(٣) ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا

(١) المصدر نفسه، الحديث (١١١٣٥)، ص ٧٨٦.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٧٠٦)، ص ٩٨.

(٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة، ص ٢٧.

فساداً والعاقبة للمتقين»^(١)، وقال عليه السلام: «ولو لم أكن فيكم ما قوتل الناكثون، ولا القاسطون، ولا المارقون»^(٢)، لذا سنلحظ تعارض هذه المجاميع الثلاث مع النص القرآني والسنة النبوية، فيما نلمس خلق الإمام علي عليه السلام الرفيع في حروبه معهم، والتزامه العالي للمنهج الإسلامي.

ثالثاً: معركة الجمل:

أ/ المسير إلى البصرة: سارت القافلة متوجهة إلى البصرة بدعوى الطلب بدم عثمان، وطلب الإصلاح، تتقدمهم عائشة، كي يضمّنوا من تقدمها هذا كسب تعاطف الناس معها والتفافهم حولها، وذلك استغلالاً منهم لمكانتها بوصفها زوج النبي ﷺ وابنة أبي بكر، وكان هذا الخروج لعائشة قد شكل أول تعارض مع الأمر القرآني الخاص بأزواج النبي ﷺ حيث يخاطبهن الباري عز وجل بقوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيْطَمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ وقرن في يوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى^(٣)، لذلك منع عبد الله بن عمر حفصة عن الخروج مع عائشة عندما حاولت التأثير عليها وإقناعها بالخروج^(٤)، وكذلك احتجت أم المؤمنين أم سلمة على عائشة بهذه الآيات لتمنعها من الخروج، فأبت عائشة إلا الخروج^(٥)، ولم تلتفت أم المؤمنين إلى خطورة الأمر الذي أقدمت عليه حتى

(١) سورة القصص، الآية (٨٣).

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٨٤، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ٥٨.

(٣) سورة الأحزاب، الآيات (٣٢-٣٣).

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٨٧.

(٥) البلاذري، انساب الأشراف، ج ٤، ص ٢٢٤؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ٢١٧.

سمعت صوت كلاب الحوآب^(١) تنبحها، فاضطربت، ويروي ابن حنبل^(٢) ذلك التنبيه الصادر من النبي ﷺ لأزواجه من أمهات المؤمنين، فعن قيس بن أبي حازم قال: (لما أقبلت عائشة بلغت مياه بني عامر ليلاً نبحت الكلاب قالت أي ماء هذا؟ قالوا ماء الحوآب، قالت ما أظنني إلا أني راجعة، فقال بعض من كان معها بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله عز و جل ذات بينهم، قالت: إن رسول الله ﷺ قال لها ذات يوم كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوآب)، وعندما همت عائشة بالرجوع إلى مكة، منعها الزبير بن العوام عن الرجوع، مكذباً خبر الحوآب الوارد عن النبي ﷺ وراجياً أن يصلح بها الناس! إذ يروي أحمد بن حنبل^(٣) إن الزبير قال لها: (ترجعين عسى الله عز و جل أن يصلح بك بين الناس)، وقد ذكر الحاكم النيسابوري^(٤) خبر الحوآب، ويتفق الطبري^(٥) مع ابن حنبل في روايته، بينما خالف البعض ابن حنبل، في أن الذي منع أم المؤمنين من الرجوع هو عبد الله بن الزبير، وليس أبوه، فيذكر، ابن أبي شيبه^(٦) والبلاذري^(٧) والمسعودي^(٨): إن عائشة عزمت على الرجوع فأتاها عبد الله بن الزبير فقال: كذب من زعم إن هذا الماء ماء الحوآب، وجاء بخمسين رجلاً من بني عامر فشهدوا وحلفوا على

(١) الحوآب: ماء من مياه العرب قريب من البصرة على طريق مكة، وينسب إلى امرأة يقال لها الحوآب بنت كلب بن وبرة القضاعية. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣١٤.

(٢) مسند، الحديث (٢٤٧٥٨)، ص ١٨١٧.

(٣) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٥١٦١)، ص ١٨٤٥.

(٤) المستدرک، ج ٣، ص ١٢٠.

(٥) تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٦٩.

(٦) المصنف، ج ١٥، ص ٢٣٨.

(٧) انساب الأشراف، ج ٣، ص ٤٧.

(٨) مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٦٧.

صدق عبد الله بن الزبير، وقد خالفهم اليعقوبي^(١) بعدد الرجال الذين شهدوا على صدق عبد الله فقال: أنهم أربعون رجلاً، فيما نقل ابن شبه^(٢) حديث رسول الله ﷺ الذي يصف فيه الجمل وكثرة القتلى حول صاحبه حيث قال ﷺ لنسائه: (أيتكن صاحبة الجمل الأدب، تخرج تنبها كلاب الحوآب، يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثيرة، وتنجو بعدما كادت).

وقد عدت تلك الشهادة أول شهادة زور في تاريخ الإسلام، صدرت من الناكثين لبيعة علي عليه السلام الزاعمين الخروج لطلب الإصلاح! يقول ابن قتيبة^(٣): (فلما انتهوا إلى ماء الحوآب في بعض الطريق ومعهم عائشة، فنبحتها كلاب الحوآب، فقالت لمحمد بن طلحة: أي ماء هذا؟ قال: هذا ماء الحوآب، فقالت: ما أراي إلا راجعة، قال: ولم؟ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لنسائه: كأني بإحداكن قد نبها كلاب الحوآب، وإياك أن تكوني أنت يا حميراء، فقال لها محمد بن طلحة: تقدمي رحمك الله ودعي هذا القول، وأتى عبد الله بن الزبير، فحلف لها بالله لقد خلفته أول الليل وأتاها بينة زور من الأعراب، فشهدوا بذلك، فزعموا أنها أول شهادة زور شهد بها في الإسلام). وقد نهى الله تعالى في كتابه العزيز المسلمين عن قول الزور وشهادة الزور بقوله تعالى: ﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾^(٤)، وعدّها النبي من اكبر الكبائر، فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ (إلا أنبئكم بأكبر الكبائر فقال: الشرك بالله، وقتل النفس، وشهادة الزور)^(٥).. وثمة أمر آخر يجب

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص، ص ١٢٥.

(٢) تاريخ المدينة، ج ٢، ص ٢٧٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٩، ص ٣١١؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٧، ص ٢٣٤.

(٣) الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٥٧؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة، ص ٦٨.

(٤) سورة الحج، الآية (٣٠).

(٥) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٢٣٦١)، ٨٧١.

الالتفات إليه وقد حصل في أثناء مسير القافلة إلى البصرة والذي يكشف عن عدم صدق نوايا أصحاب الجمل فيما بينهم، ويبطل دعواهم في المطالبة بدم عثمان أو طلب الإصلاح، وهو التنافس الداخلي الشديد بين طلحة ويساند ابنه محمد وبين الزبير ويساند ابنه عبد الله في حرص كل من الطرفين على أن يتولى الإمارة، ويبدو أن عائشة مالت إلى جانب طلحة لأنه تيمي، وإن كانت لها ميول إلى عبد الله بن الزبير لأنه ابن أختها، ولكنه كان يطلبها لأبيه، وقد وصل التنافس بينهم إلى أن يتقاسم إمامة الصلاة يوماً بيوم^(١).

كان خبر مسير الناكثين وقد وصل إلى مسامع الإمام علي (عليه السلام) على الرغم من انه يعرف بأنهم سيخرجون عليه منذ أن استأذنه طلحة والزبير في الخروج للعمرة، إلا أنه (عليه السلام) كان يخشى أن تكون وجهتهم نحو الكوفة؛ ذلك لأنه كان يريد أن يتخذها عاصمة لخلافته حيث قال: إن أهل الكوفة أشد حبا لي وفيهم رؤوس العرب وأعلامهم^(٢)، بالإضافة إلى أن علياً (عليه السلام) لم يكن مطمئناً لواليتها أبي موسى الأشعري، فقد كان يخشى أن يخذله ومن ثم تذهب الأموال والرجال إلى أيدي طلحة والزبير، وفعلاً صدق حدس ابن أبي طالب (عليه السلام) فقد أظهر الأشعري انتهاء لتيار المعارضين وذلك من خلال جهوده الخثيثة لتثييط الناس عن نصره إمامهم، وبخاصة بعد أن وردت إليهم كتب ورسائل من عائشة تطلب نصرتهم، الأمر الذي دعا الإمام علياً (عليه السلام) أن يعزله^(٣)، وقد اطمأن (عليه السلام) لما أتاه عن القوم أنهم يريدون البصرة لأن أهل البصرة بايعوه واستقاموا لعامله عثمان بن حنيف،

(١) البلاذري، انساب الأشراف: ج ٣، ص ٢٥؛ حسين، الفتنة الكبرى، ج ٢ (علي وبنوه)، ص ٤١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٧٧.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٨٦؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٤، ص ٢٢٥.

فأرسل إلى الكوفة الإمام الحسن عليه السلام ومعه عمار بن ياسر ليستنفرُوا الرجال.
ويذكر ابن حنبل^(١) ذلك عن الحكم قال: (لما بعث علي عماراً والحسن إلى الكوفة
ليستنفرهم، فخطب عمار فقال: إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة ولكن الله
عز وجل ابتلاكُم لتبعوه (يقصد علياً) أو إياها (يقصد عائشة)).

وهذا الفارق بين علي عليه السلام وأصحابه وبين أصحاب الجمل، فعمار حين خطب
لم يجبر أحداً على الخروج مع الإمام علي بل خيرهم ذلك بعد أن وضّح لهم طبيعة
الاختبار الإلهي، ولم يطعن في عائشة احتراماً لرسول الله ﷺ كونها إحدى زوجاته.
وقد لبى أهل الكوفة النداء وخرجوا مع عمار، والحسن بن علي عليه السلام تسعة آلاف
رجل، وخرج الإمام علي عليه السلام في تسعمائة رجل، وكان قد سبق عماراً والحسن إلى ذي
قار حيث عسكر بجيشه بانتظارهما فيها، حتى لحقاه به ومعهم رجال الكوفة فبلغ
عدد جيش الإمام علي اثنا عشر ألف مقاتل^(٢). ويرى الصلابي^(٣) إن عدد الصحابة
الذين خرجوا مع الخليفة علي بن أبي طالب كان قليلاً جداً، وليت الصلابي اطلع
على كتاب ابن حبيب^(٤) ليتسنى له معرفة عدد الصحابة الذين شاركوا في معركة
الجمل وصفين مع الإمام علي، وعلى الرغم من الكثرة العددية لأصحاب الإمام
علي عليه السلام، وثقته التامة بأحقيقته في حربه ضد مخالفيه، فضلاً عن يقينه بالنصر، إلا أنه
عليه السلام كان يقدم الإصلاح والسلم على الحرب، قولاً وفعلًا، فقد سأله أهل الكوفة:
أي شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إن
قبلوا منا وأجابونا إليه، قال: فإن لم يجيبونا إليه؟ قال: ندعهم بعذرهم ونعطهم

(١) مسند، الحديث (١٨٥٢١)، ص ١٣٣٦.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٠٨؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٥٠٣.

(٣) حقيقة الخلاف بين الصحابة في معركتي الجمل وصفين، ص ٥٦-٥٧.

(٤) المحبر، ص ١٣٦-١٣٧ حيث يورد أسماء (٢٣) صحابياً ممن شارك في الجمل مع الإمام علي.

الحق ونصبر، قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم، ولما سمعوا تلك السلسلة من الأسئلة والإجابات اطمأنوا إليها وارتاحوا لها، وقالوا: لنرضينك بالفعل كما ارضيتنا بالقول^(١)، وقد طبق (عليه السلام) بالفعل، فأرسل القعقاع بن عمرو التميمي في مهمة الصلح إلى طلحة والزبير وعائشة وقال له: الق هذين الرجلين، فادعهما إلى الألفة والجماعة، وعظم عليهما الاختلاف والفرقة. وذهب القعقاع إلى البصرة، فبدأ بعائشة فقال لها: ما أقدمك يا أماء إلى البصرة؟ قالت له: يا بني من أجل الإصلاح بين الناس. فطلب القعقاع منها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا، ويكلمهما في حضرتها وعلى مسمع منها، ولما حضرا سألهما عن سبب حضورهما، فقالا كما قالت عائشة: من أجل الإصلاح بين الناس. فقال لهما: أخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عرفناه لنصلحنَّ معكم، ولئن أنكرناه لا نصلح، قالوا له: قتلة عثمان، ولا بد أن يُقتلوا، فإن تركوا دون قصاص كان هذا تركاً للقرآن، وتعطيلاً لأحكامه، فقال القعقاع: هذا أمر دواؤه التسكين، ولا بد من التآني في الاقتصاص من قتلة عثمان، فإذا انتهت الخلافات، واجتمعت كلمة الأمة على أمير المؤمنين تفرغ لقتلة عثمان، ووافقوا على دعوته إلى الصلح، وقالوا له: قد أحسنت وأصبت المقالة، فارجع، فإن قدم علي، وهو على مثل رأيك، صلح هذا الأمر إن شاء الله، عاد القعقاع إلى علي في ذي قار وقد نجح في مهمته، وأخبر علياً بما جرى معه، فسرَّ علي بذلك، وأوشك القوم على الصلح^(٢).

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٦٧؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٣٩؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٢، ص ٤٦٥.

(٢) يقول احد الباحثين المعاصرين إن القعقاع بن عمرو شخصية لا وجود لها، ومهمته التي كلف بها للصلح من مختلفات سيف بن عمر. ينظر: العسكري، مرتضى، خسون ومائة صحابي مختلق، ط ٧، منشورات كلية أصول الدين، (قم، ٢٠٠٥م)، ج ١، ص ٩٥.

كانت محاولات الإمام علي عليه السلام في طلب السلم والإصلاح تلك على الرغم من الأعمال التي قام بها أصحاب الجمل في البصرة على اثر رفض رجالات البصرة لمزاعمهم في الطلب بثأر عثمان^(١)، ويذكر ابن حنبل^(٢) رد فعل البصريين إزاء أصحاب الجمل، عن مطرف قال: قلنا للزبير: (يا أبا عبد الله ما جاء بكم ضيعتم الخليفة حتى قتل ثم جئتم تطلبون بدمه قال الزبير: إنا قرأناها على عهد رسول الله وأبي بكر وعمر وعثمان: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^(٣)، لم نكن نحسب إنا أهلها حتى وقعت منا حيث وقعت).

ويروي الطبري^(٤) إن رجلاً من أهل البصرة جاء إلى طلحة والزبير، فقال لهما: نشدتكما بالله في مسيركم، أعهد إليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً؟ فقال له الزبير: لا، ولكن بلغنا إن عندكم دراهم فجئنا نشارككم فيها، في ضوء إجابات أصحاب الجمل على تساؤلات أهل البصرة التي كشفت صراحة عن الأهداف الحقيقية لمسيرهم نحو البصرة، امتنع أهلها عن مساندتهم وأصروا على الوفاء ببيعتهم للإمام علي عليه السلام التي أعطوها لعامله عثمان بن حنيف، فهم يرون إن الاختصاص من قتلة عثمان من اختصاص الخليفة فقط، بالإضافة إلى استنكارهم لخروج عائشة ومعارضتهم لقدمها مع طلحة والزبير، قائلين لها: هتكت سترك، وأبحت حرمتك^(٥)، الأمر الذي دعاهم إلى الإقدام على جملة من الأعمال التي تنافي الثوابت الإسلامية، منها:

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٨٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧، ص ٧٣٩.

(٢) مسند، الحديث (١٤١٤)، ص ١٥٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية (٢٥).

(٤) تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٧٥.

(٥) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤٦٥.

- ١- هجموا على البصرة بسبب امتناع وجهائها عن نصرتهم، ولما لم يتمكنوا منها، طلبوا الصلح، على أن لا يحدثوا حدثاً إلى أن يقدم الإمام علي (عليه السلام).
- ٢- نكثوا بعهد الصلح، واستباحوا المدينة، واستولوا على البصرة عنوة.
- ٣- قبضوا على والي البصرة عثمان بن حنيف وحبسوه، وضربوه أربعين سوطاً، وנתفوا شعر رأسه ولحيته وأهداب عينيه.
- ٤- نهبوا بيت مال المسلمين في البصرة، بعد أن قتلوا أربعين رجلاً، وقيل أربعمائة من حراسه.
- ٥- أحدثوا الفوضى والخراب والقتل في البصرة^(١).

ب/ حرب الجمل: وصل الإمام علي (عليه السلام) البصرة، ومكث فيها ثلاثة أيام بذل فيها مساعي حثيثة من أجل تجنب القتال، وذلك من خلال الرسائل والبعوث التي بعثها إلى عائشة وطلحة والزبير، ولكن القوم كانوا مصممين على القتال، فخرج الإمام علي (عليه السلام) بين الجيشين بدون سلاح ونادى بأعلى صوته أين الزبير؟ فخرج إليه وهو مدجج بالسلاح، ويبدو أن هناك من كان يخطط لقتل الإمام علي في تلك اللحظة، ولكن الزبير رفض ذلك، إذ يروي ابن حنبل^(٢) عن الحسن قال: (جاء رجل إلى الزبير بن العوام فقال: أقتل لك علياً، قال: وكيف تقتله ومعه الجنود؟ قال: الحق به فافتك به، قال: لا، إن رسول الله ﷺ قال: إن الإيما ن قيد الفتك ولا يفتك مؤمن). ولما دنا الإمام علي من الزبير قال له: ما

(١) ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٦٥؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٦؛
اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٦؛ ابن أعثم، كتاب الفتوح، ج ٢، ص ٣١٥، ٣١٦؛
المسعودي، مروج، ج ٢، ص ٥٠٤؛ المفيد، الجمل، ص ١١٢.

(٢) مسند، الحديث (١٤٢٦)، ص ١٥٣.

هملك على ما صنعت؟ فقال: الطلب بدم عثمان فقال عليه السلام: وأنشدك الله أما تذكر يوم جاء رسول الله ﷺ من عند ابن عوف وأنت معه وهو آخذ بيدك فاستقبلته أنا وسلمت عليه فضحك في وجهي فضحكت أنا إليه فقلت أنت لا يدع ابن أبي طالب زهواً أبداً. فقال لك النبي ﷺ مهلاً يا زبير فليس به زهو ولتخرجن عليه يوماً وأنت ظالم له؟ فقال: اللهم بلى، ولكنني نسيت، ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا، والله لا أقاتلك أبداً^(١)، ثم خاطب الإمام علي عليه السلام طلحة وكان قريباً منهما: يا طلحة تطلب بدم عثمان لعن الله قتلة عثمان! يا طلحة أجئت بعرس رسول الله ﷺ تقاتل بها وخبات عرسك في البيت!! ألم تكن قد بايعتني؟ قال: ما بايعتك إلا والسيف على عنقي، ويستغرب الإمام علي من المبررات غير الواقعية التي ذكرها طلحة، إذ لو كان الأمر كما يقول فلماذا ترك الإمام علي عليه السلام عبد الله بن عمر وأسماء بن زيد وغيرهما ممن لم يبايعوه؟^(٢)

ويعتزل الزبير القتال، وأقفل راجعاً إلى مكة، فلحقه عمرو بن جرموز فقتله غدراً، وجاء إلى الإمام علي عليه السلام يطلب الجائزة منه، فغضب منه علي وبشره بالنار، وقد خرج ابن جرموز مع أهل النهروان على الإمام علي عليه السلام فقتل فيها.

وينقل ابن حنبل^(٣) هذه الحادثة عن زر بن حبيش قال: (استأذن ابن جرموز على علي عليه السلام وأنا عنده فقال علي عليه السلام: بشر قاتل ابن صفية بالنار).

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١ ص ٦٨؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ٣، ص ٤٩؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٣٩؛ يعقوبي، تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٢٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٠٢؛ ابن أعثم، الفتوح، ج ٢، ص ٤٦٩.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٦٨؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٣٩؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٢، ص ٤٦٥.

(٣) مسند، الحديث (٦٨١)، ص ٩٦.

ويستمر الإمام علي (عليه السلام) في طلب السلم وحقق دماء المسلمين، وفي محاولة أخيرة منه (عليه السلام) يرسل أحد الفتيان ليرفع المصحف، وطلب منه أن يقول: القرآن بيننا وبينكم من أوله إلى آخره، والله في دماننا ودمائكم، ولكن أصحاب الجمل قتلوه ولم يرعوا للقرآن حرمة^(١)! والجدير بالذكر إن عمرو بن العاص يوم صفين اقتبس فكرة رفع المصحف من الإمام علي (عليه السلام)، ولكن الفارق بين الاثنين شاسع، فالإمام علي رفع المصحف قبل بدء المعركة من أجل الإعذار والإنذار، ورفع مصاحف أهل الشام كانت بعد هزيمتهم، فرفعوها للمكيدة والفتنة^(٢).

بعد أن رفض أصحاب الجمل الدعوة التي وجهها لهم الإمام علي (عليه السلام) للرجوع إلى حكم الله، وسفكوا دم حامل المصحف، أذن الإمام علي لأصحابه بالقتال قائلاً لهم: الآن حل قتالهم^(٣)، وأنه (عليه السلام) قد رتبهم على القبائل، فقابلت قبيلة مضر من أصحاب علي (عليه السلام) إخوانهم من مضر الذين مع أصحاب الجمل، وهكذا قبيلة ربيعة، وباقي القبائل اليمنية، ويروي ابن حنبل^(٤) طريقة القتال على أساس القبائل عن المخارق قال: (لقيت عمار بن ياسر يوم الجمل، فقلت: أقاتل معك فأكون معك، قال: قاتل تحت راية قومك فإن رسول الله ﷺ كان يستحب للرجل أن يقاتل تحت راية قومه).

لم تدم المعركة إلا ساعات قلائل، حيث خلت منذ بدايتها من أبرز قادتها

(١) البلاذري، انساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٠٦؛ المفيد، الجمل، ص ١١٥.

(٢) حسين، الفتنة الكبرى، القسم الثاني (علي وبنوه)، ص ٧٤.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥١١؛ ابن أعثم، الفتوح، ج ٢، ص ٣١٥؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٥٠٤.

(٤) مسند، الحديث (١٨٥٠٥)، ص ١٣٣٤.

حيث انسحب الزبير ثم قتل خارج المعركة، وقتل طلحة في بدايتها بعد أن رماه مروان بن الحكم بسهم أصاب ركبته^(١)، إلا أن قتالاً عنيفاً دار حول جمل عائشة وهي في هودجها عليه تعرض أصحابها على القتال، وقد أدرك الإمام علي عليه السلام بما أوتي من حنكة ومهارة عسكرية، إن بقاء الجمل يعني استمراراً للحرب وهلاكاً للناس، فنادى في أصحابه: اعقروا الجمل، فإنه إن عقر الجمل تفرق من حوله. فسقط الجمل وولّى الملتفون حوله الأدبار منهزمين، وانتهت الحرب التي خلفت الآف القتلى^(٢)، إلا أن الطبري^(٣) يقول في رواية أخرى حول مسألة عقر الجمل مفادها: إن أصحاب الجمل هم الذين عقروا الجمل!

ج/ ما بعد المعركة: جسدت مواقف الإمام علي عليه السلام مع أصحاب الجمل بعد المعركة كل معاني الرحمة ومكارم الأخلاق، وقد أدهشت تلك المواقف الحاضرين من أصحابه ومناوئيه، إذ كشفت لهم حقيقة القيم الإنسانية التي أودعها النبي ﷺ في ذات الإمام علي عليه السلام، وتجلت تلك المواقف بالآتي:

ما إن لاح النصر، حتى نادى الإمام علي عليه السلام في أصحابه: أن لا يجهزوا على جريح، ولا يقتلوا مدبراً، ولا يهتكوا سترأ، ومن ألقى السلاح فهو آمن^(٤)

منع عليه السلام أصحابه وأنصاره من أن يأخذوا شيئاً من الغنائم، ومنعهم من التفل، وقد أنكر بعض القوم في عسكره قائلين: يحل لنا دماؤهم، ويحرم علينا

(١) أبو مخنف، الجمل وصفين والنهروان، ص ١٦٧؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٧٢؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ٣، ص ٤٣.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٤٢، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤١٩؛ ابن أعثم، الفتوح، ج ٢، ص ٤٨٢؛ المفيد، الجمل، ص ١٩٢.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٢٣.

(٤) ابن أبي شيبة، المصنف في الحديث والآثار، ج ١٥، ص ٢٨٦-٢٨٧؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ١٠٣-١٠٤.

أموالهم؟ فأجابهم قائلاً: القوم أمثالكم، من صفح عنا فهو منا، ونحن منه، ومن لج حتى يصاب فقتاله مني على الصدر والنحر، وإن لكم في خمسه لغنى، فلما ألحوا عليه في مسألة الغنائم، قال لهم: هاتوا سهامكم فاقتربوا، أيكم يأخذ أمكم عائشة في سهمه، فقالوا: نستغفر الله، فقال: وأنا استغفر الله^(١).

وقد تأثر الإمام علي (عليه السلام) بمقتل الزبير غدرًا، فقال: والله ما كان ابن صفيّة جباناً ولا لئيمًا، ولكن الحين ومصارع السوء، ثم اخذ سيف الزبير وقال: سيف طالما جلى به الكرب عن وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم بشر قاتله بالنار^(٢).

وعتب على طلحة وهو ملقى في ساحة المعركة مقتولاً قائلاً: أبعد جهادك في الله، وذبك عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٣).

أما عائشة التي قادت المعركة، وكان بإمكانها أن تجنب الناس الفتنة والافتتال، وبخاصة بعد انسحاب الزبير ومقتل طلحة، إلا أنها أصرت على تحريض الناس، فكانت وطأة المعركة شديدة عليهم، ونتائجها وخيمة إذ عدت الجمل فاتحة للحرب فيما بين المسلمين، ويروي ابن حنبل^(٤) عن عبد الله بن عمر انه قال: (خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من بيت عائشة فقال إن الفتنة (الكفر) من ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان)، كذلك ويروي ابن حنبل^(٥) عن إخبار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) خروج عائشة عليه عن أبي رافع: (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٧٠؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ٣، ص ٦٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٤١؛ ابن حجر، فتح الباري، ج ١٣، ص ٦٢.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٣٣.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ٣٢١؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٤٨.

(٤) مسند، الحديث (٤٨٠٢)، ص ٣٩٢.

(٥) المصدر نفسه، الحديث (٢٧٧٤٠)، ص ٢٠٢٧.

قال: لعلي بن أبي طالب انه سيكون بينك وبين عائشة أمر، قال: أنا يا رسول الله؟ قال: نعم قال: أنا؟ قال: نعم، قال: فأنا أشقاهم يا رسول الله، قال: لا، ولكن إذا كان ذلك فاردها إلى مأمنها)، لذا أمر الإمام علي عليه السلام محمد بن أبي بكر بإعادة أخته عائشة إلى المدينة وبصحبتها أربعين امرأة من نساء بني عبد القيس، إكراماً لرسول الله ﷺ^(١)، وعقب رجوع عائشة إلى المدينة المنورة شعرت بالندم والحسرة، فكانت تبكي حتى يبل خمارها، وظلت على هذا الحال حتى وفاتها، إذ يروي ابن حنبل^(٢) ذلك من خلال محاولة ابن عباس التخفيف عنها عندما زارها قبل موتها، فعن ذكوان حاجب عائشة: (إنه جاء عبد الله بن عباس يستأذن على عائشة فجئت وعند رأسها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن، فقلت: هذا بن عباس يستأذن فأكب عليها ابن أخيها عبد الله فقال: هذا عبد الله ابن عباس يستأذن وهي تموت فقالت: دعني من ابن عباس، فقال: يا أمتاه إن ابن عباس من صالح بنيك ليسلم عليك ويودعك، فقالت: إئذن له إن شئت، قال: فأدخلته فلما جلس، قال: أبشري فقالت أيضاً، فقال ما بينك وبين أن تلقي محمداً ﷺ والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد، كنت أحب نساء رسول الله ﷺ إلى رسول الله ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيباً وسقطت قلادتك ليلة الأبواء فأصبح رسول الله ﷺ حتى يصبح في المنزل وأصبح الناس ليس معهم ماء فأنزل الله عز وجل: فتيّموا صعيداً طيباً، فكان ذلك في سببك وما أنزل الله عز وجل لهذه الأمة من الرخصة وأنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات جاء به الروح الأمين فأصبح ليس

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٤٤؛ ابن أبي

الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ٢٢٩.

(٢) مسند، الحديث (٢٤٩٦)، ص ٢٣٣.

لله مسجد من مساجد الله يذكر الله إلا يتلى فيه أثناء الليل وأثناء النهار، فقالت: دعني منك يا ابن عباس والذي نفسي بيده لو ددت أني كنت نسيا منسيا).

ويتفق ابن سعد^(١)، والبلاذري^(٢) واليعقوبي^(٣)، وابن أعثم^(٤)، والمسعودي^(٥) والطبراني^(٦) مع ابن حنبل في أن أم المؤمنين أبدت ندمها على خروجها من بيتها، مخالفةً أمر الله ورسوله، بينما يحاول الطبري^(٧) الذي اعتمد رواية سيف بن عمر، أن يهون أمر خروج عائشة في معركة الجمل ويصفه بأنه مجرد عتب بين المرأة وأحمائها، وأن الدماء التي سفكت يوم الجمل يتحمل مسؤوليتها السبئية، ورغم أن طه حسين^(٨) يقول عن دور السبئية في الجمل وما تلاها: أمر تكلفه الرواة إلا أنه يحمل مسؤولية حرب الجمل على عاتق عائشة والإمام علي مناصفة لأن كليهما اظهر الندم على ما جرى من الأحداث، وقد ناقض هذا الرجل نفسه في طرح هذا الرأي، فقبل بضع وريقات من كتابه كان يجزم قائلاً: كان علي (عليه السلام) على بصيرة من أمره، ثم يورد محاولات لتفادي الحرب حتى يضطره القوم إليها، لينتهي إلى إلقاء تبعات الأمر عليه لأنه اظهر حزناً على قتل المسلمين من كلا الطرفين كما أظهرت أم المؤمنين حزنها وندمها على نفسها بسبب خروجها، الغريب من موقف طه حسين، كيف لا يميز بين

(١) الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٧٥.

(٢) انساب الأشراف، ج ٣، ص ٦٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧٢.

(٤) الفتوح، ج ٢، ص ٤٨٤.

(٥) مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٦٤.

(٦) المعجم الكبير، ج ٧، ص ٢٣٨.

(٧) تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٤٤.

(٨) الفتنة الكبرى، الجزء الثاني (علي وبنوه)، ص ٥٣ - ٥٥.

الحزن على إراقة الدم المسلم، والحزن الشخصي على ارتكاب مخالفة لأمر الله ورسوله!

وبعد انتصار الإمام علي عليه السلام أعاد الهدوء والأمن إلى البصرة، وإيماناً منه على المضي في تطبيق برنامجه الإصلاحية، فقد وزع العطاء بين المسلمين بالتساوي، وتعجل بالمسير إلى الكوفة^(١)، مستخلفاً عليها عبد الله بن عباس، إذ يروي ابن حنبل عن عمران بن حصين الضبي: (إنه أتى البصرة وبها عبد الله بن عباس أميراً...) (٢).

رابعاً: معركة صفين^(٣):

أ/ دوافع معاوية في معارضته لعلي عليه السلام: اتبع معاوية سياسة التآليب ضد خلافة الإمام علي عليه السلام هدفاً للوصول إلى الحكم، مستغلاً مقتل الخليفة عثمان كورقة سياسية ومستفيداً من موقف أهل الجمل السلبى من الإمام علي، ومعتمداً على ولاء أهل الشام له حيث أمضى سبعة عشر عاماً والياً عليهم، فغدوا لا يعرفون الإسلام إلا من خلاله، فكان يمتنع من خلاصهم عن إعطاء البيعة للإمام، وهكذا اشغل معاوية الإمام علياً عليه السلام فترة من الزمن بحرب الجمل وعلى الرغم من أن الإمام علياً عليه السلام كان يعلم هدف معاوية الحقيقي فهو يعلم ببراءة الإمام علي من دم عثمان، ولكنه يطلب ثار آبائه الذين وترهم الإمام علي عليه السلام، إنما عثمان كان الذريعة التي يريد أن يحقق بها هدفه وإلا فأولى الناس بدم عثمان أبناءه الذين من

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٤٣؛ السعدي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٦٧.

(٢) مسند، الحديث (١٥٩٩٩)، ص ١١٢٢.

(٣) صفين: موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٩٥.

صلبه وليس معاوية، ويدرك نواياه السيئة في الحصول على الرياسة والتسلط على رقاب المسلمين^(١)، لذلك كان الإمام علي (عليه السلام) في مراسلاته مع معاوية يطعن في نسب معاوية فيدعوه باللصيق فيبطل رئاسة آبائه في الجاهلية بقوله ليس الصريح كاللصيق^(٢)، كما يمنع عليه الرئاسة في الإسلام بقوله ما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتميز بين المهاجرين والأنصار^(٣)، ويذكره بموقف آبائه من الإسلام ويذكره بما فعل بهم (عليه السلام) في معارك الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، لذلك كان معاوية يخاف علياً خوفاً لا مثيل له، ولعل خوفه منه يساوي حقه عليه، فقد كتب (عليه السلام) إليه: (... أذكرك ما لست ناسياً يوم قتلت أخاك حنظلة وجررت برجله إلى القليب، وأسرت أخاك عمراً فجعلت عنقه بين ساقيه، وطلبتك ففررت ولك حصاص، فلولا أني لا أتبع فاراً لجعلتك ثالثهما... لئن جمعني وإياك جوامع الأقدار لأتركك مثلاً يمتثل به الناس أبداً، ولأجمععن بك في مناخك حتى يحكم الله بيني وبينك)^(٤)، إلا انه (عليه السلام) التزم في سياسته الرامية إلى إحلال السلام بقبول بيعته، فما إن انتهت معركة الجمل، واستقر (عليه السلام) في الكوفة حتى بعث جرير بن عبد الله البجلي رسولاً إلى معاوية وحمله كتاب إليه هذا نصه: «إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًا فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بَطْعَنٍ أَوْ بَدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ فَإِنْ أَبَى قَاتِلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَلَاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى، وَلَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةَ لَئِنْ

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٥٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣١٨؛ ابن أبي

الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٣٣٨؛ النصر الله، شرح نهج البلاغة، ص ٣٢٤-٣٣١.

(٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة، كتاب رقم (١٧)، ص ٣٩٢.

(٣) المصدر نفسه، كتاب رقم (٢٨)، ص ٤٠٤.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ٨٤؛ نقلاً عن: النصر الله، شرح نهج البلاغة، ص ٣٢٣.

نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لِتَجِدَنِي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ وَلِتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عَزْلَةٍ عَنْهُ إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّنَّ مَا بَدَا لَكَ وَالسَّلَامُ^(١).

ولما قرأ معاوية الكتاب اغتم وشعر أن وسائله غير المباشرة انتهت وعليه أن يواجه أمر علي عليه السلام بنفسه، وتحير في الإجابة على كتاب علي عليه السلام وطلب من رسوله الانتظار كي يرد الجواب على الكتاب، وخلال هذه المهلة التي طلبها قام باستدعاء عمرو بن العاص ليتداول معه الرأي، ويستعين به في مواجهة علي عليه السلام، مقابل أن يعطيه ولاية مصر، وكذلك كلم وجوه أهل الشام في مساندته في المطالبة بدم عثمان، وبعد حصول معاوية على تأييد عمرو بن العاص، ومسانده أهل الشام، كتب إلى الإمام علي عليه السلام كتاباً أرسله مع جرير بن عبد الله، يعلن فيه رفضه للبيعة، ويطالب الإمام علي بدم عثمان^(٢)، كانت الصفقة التي تمت بين معاوية وعمرو بن العاص هدفها الوقوف بوجه الإمام علي وبرنامجه الإصلاحية، حيث شعرا بأنه سوف يقضي على طموحاتهما السياسية، لذلك طمع كل منهما في الآخر ليساعده في تحقيق هدفه، فعمر بن العاص كان يريد الاستيلاء على مصر بمساعدة معاوية، لذلك اقنع معاوية بالتحرك نحو مصر قبل التحرك نحو العراق، فساروا إلى مصر التي امتنعت عليهم حتى رموها بالمنجنيق، ولما علم الإمام علي بما حدث في مصر أرسل إليها قيس بن سعد، وكان معاوية يخشى مواجهته، فلجأ إلى المكر والخديعة به، فخرج قيس من مصر ليلتحق بالإمام علي الذي عين محله محمد ابن أبي بكر، الذي قتل على يد عمرو بن العاص حرقاً، فأرسل الإمام علي

(١) المنقري، وقعة صفين، ص ٥١-٦١؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٧١؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٧٠ وما بعدها.

(٢) المنقري، المصدر نفسه، ص ٢-٣٣؛ البيهقي، تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٧٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٦١؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٧٠.

مالك الأشتر وهو الآخر اغتيل بالسهم قبل وصوله إلى مصر^(١) ويبدو أن هناك فراغاً كبيراً في تاريخ الأحداث التي جرت في مصر، إذ لم يقدم المؤرخون صورة واضحة عن أحداث ذلك الصراع، فمنهم من تجاوزها بالكامل كابن قتيبة^(٢) وابن أعثم^(٣)، ومنهم من أشار إليها باقتضاب كالبلادري^(٤)، واليعقوبي^(٥)، فيما أورد الطبري^(٦) معلومات غير دقيقة لا يمكن الاطمئنان إليها فجاءت رواياته متناقضة مع بعضها، ولم نقف على أسباب ذلك الإعراض عن تفاصيل تلك الأحداث، ونحتمل أن تكون معركة صفين قد شغلت بال المؤرخين بحيث أنستهم جبهة مصر، كون صفين قد شارك فيها الكثير من الصحابة، وأنها كشفت عن الفئة الباغية أمام الرأي العام، وهول ما جرى فيها من الاقتال الذي طال أمده، وما تلاه من الأحداث، وربما يكون التغافل متعمداً بسبب معارضته لآراء السلطة السياسية في أثناء فترة التدوين التاريخي.

بعد أن ألقى الإمام علي (عليه السلام) الحجة على معاوية في إحلال السلم، وقدم الأدلة على أحقيته بالخلافة، وردّد ادعاءه في مسألة مقتل عثمان، وذلك من خلال البعوث والرسائل، كما سبق فعل ذلك مع أهل الجمل، وقد بين الإمام علي الغاية التي يستهدفها من مسعاه نحو الحل السلمي قائلاً: «... فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمًا

(١) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٤٨-٥٥٣، ج ٥، ص ٩٩.

(٢) الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٧٧.

(٣) الفتوح، ج ٢، ص ٥١٤.

(٤) انساب الأشراف، ج ٣، ص ١٦٧.

(٥) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٤٣.

(٦) تاريخ الرسل والملوك، حيث قال في الرواية الأولى عن الزهري: إن تعيين الأشتر على ولاية مصر كان بعد عزل قيس بن سعد منها ج ٤، ص ١٥٣، وحسب رواية هشام الكلبي: جعل تعيين الأشتر بعد مقتل محمد بن أبي بكر، ج ٥، ص ١٠٣. نقلاً عن مطر، آل البيت، ص ٣١١.

إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي وَتَعُشُوا إِلَى ضَوْئِي وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا»^(١)، فلما رأى تعنت الفئة الباغية وإصرارها على دفعه إلى الحرب قرر مواجهة القاسطين عسكرياً مستنداً إلى الأمر القرآني الذي يوجب قتال البغاة، قال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾^(٣)، وما اثر عن الرسول ﷺ من قوله لعلي عليه السلام: (انك ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين)^(٤).

ب/ استشهاد عمار بن ياسر على يد الفئة الباغية: أكمل الإمام علي عليه السلام استعداده للمسير إلى الشام، فلما سمع معاوية الخبر خاف واضطرب، فكتب إلى طلاب الدنيا ليراشيهم في نصرته، ولابد من الإشارة إلى البعد الأخلاقي الذي امتاز به الإمام علي عليه السلام فعندما تمكن جيش معاوية من الوصول إلى شريعة الفرات، فكتب عليه السلام إلى معاوية أن يخلوا بين الناس وبين الماء، لكن معاوية أصر على المنع، فأمر علياً أصحابه بالسيطرة على الماء فصارت شريعة الفرات بأيديهم، فأرادوا أن يعاملوهم بالمثل فرفض الإمام علي ذلك قائلاً: لا افعل كما فعل الجاهلون، خذوا من الماء حاجتكم وخلوا عنهم^(٥)، وليس ذلك بغريب عند من عرف سجايا علي عليه السلام.

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة (٥٥)، ص ٧٨.

(٢) سورة الحجرات، الآية (٩).

(٣) سورة الجن، الآية (١٥).

(٤) الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ١٣٩؛ الخوارزمي، المناقب، ص ١٢٢.

(٥) المنقري، وقعة صفين، ص ١٦٠-١٦١؛ ابن أبي شيبة، المصنف في الحديث والآثار، ج ١٥، ص ٢٩٤؛

ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٩٤؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٥٧-١٥٨؛ يعقوبي،

تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٧٤؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣١٢.

أما الموقف الأخلاقي الآخر للإمام علي فقد حرص على أن لا يكون هناك قتال في الشهر الحرام التزاماً منه بقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١). فلما انسלخ شهر محرم عاود الطرفان إلى اخذ مواقعهما والتأهب للقتال، وقد أوصى الإمام علي عليه السلام أصحابه أن لا يبادوا القوم بالقتال حتى يبدؤوهم^(٢).

وموقفه عليه السلام الثالث تجلّى في احترام قيمة الإنسان حياً وميتاً، فقد طلب من معاوية أكثر من مرة التوقف عن القتال ليتسنى للطرفين دفن قتلاهم^(٣).

وتوج الإمام علي عليه السلام مواقفه النبيلة بالموقف الذي استهدف منه حقن دماء المسلمين فوجه إلى معاوية نداءً لمبارزته وجعل للمنتصر حق طاعة المعسكرين، ولا ريب أن يرفض معاوية ذلك الأمر المرعب ليقينه بمقتله حال موافقته للمبارزة مع علي، فعاب عمرو بن العاص على معاوية رفضه قتال الإمام علي قائلاً: لقد أنصفك الرجل، بيد إن معاوية استطاع أن يقنع بدهائه عمرو بمنازلة أبي الحسن، فكان ما كان من كشف عمرو لعورته، فأعرض عنه علي عليه السلام ونجا عمرو^(٤).

(١) سورة البقرة، الآية (٢١٧).

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ١٤؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٥ ص ٤٨٠.

(٣) البلاذري، انساب الأشراف، ج ٣، ٣٢٦؛ حسين، الفتنة الكبرى، الجزء الثاني (علي وبنوه)، ص ٨١.

(٤) المنقري، وقعة صفين، ص ٢٧٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤١-٤٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٥، ص ٢١٩.

وقد ذكر أحمد بن حنبل^(١) التزام الإمام علي عليه السلام بسنة النبي صلى الله عليه وآله، إذ لم يترك حتى دعاءه في أحلك المواقف، فعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولفاطمة: (ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟) قالوا بلى، فقال كلمات علمنيهن جبريل، فقال تسبحان في دبر كل صلاة عشرا وتحمدان عشرا وتكبران عشرا وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين، قال فو الله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فقال له ابن الكواء: ولا ليلة صفين، فقال: نعم).

والجدير بالذكر إن ابن حنبل أولى اهتماماً كبيراً بشخصية عمار بن ياسر ودوره في معركة صفين في إثبات الحق مع الإمام علي عليه السلام وأصحابه في صراعه مع معاوية وأهل الشام، فقد اجمع المحدثون^(٢) على صحة الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله في مقتل عمار على يد الفئة الباغية، الأمر الذي ألزمهم الحجة في إثبات الحق لعلي عليه السلام من خلال ذلك الحديث المجمع عليه.

فقد أشار ابن حنبل^(٣) إلى فضائل عمار بجملة من الأحاديث، فعن علي عليه السلام قال: (كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وآله فجاء عمار فاستأذن فقال: ائذنوا له مرحبا بالطيب المطيب). وعن عبد الله بن مسعود قال: (ابن سمية ما عرض عليه أمران قط إلا اختار الأرشد منهما)^(٤). وعن الأشر قال: (كان بين عمار وبين خالد بن الوليد كلام فشكاه عمار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: انه من يعاد عماراً

(١) مسند، الحديث (٨٣٨)، ص ١٠٨.

(٢) الصنعاني، المصنف، ج ١١، ص ٢٣٩؛ ابن أبي شيبة، المصنف، ج ١٥، ص ٢٩٠؛ البخاري، صحيح البخاري، ج ١، ص ٦٤٦؛ مسلم، صحيح مسلم؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٣٩؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج ١، ص ٣٢٠؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٢٩٦.

(٣) مسند، الحديث (٧٧٩)، ص ١٠٣.

(٤) المصدر نفسه، الحديث (٣٦٩٣)، ص ٣١٧.

يعاده الله عز و جل، ومن يبغضه، يبغضه الله عز و جل، ومن يسبه، يسبه الله عز و جل^(١). وعن أبي الدرداء قال: (أليس فيكم الذي أجاره الله على لسان نبيه من الشيطان يعني عمار بن ياسر)^(٢).

ثم أبان أحمد بن حنبل^(٣) رأي عمار في القتال إلى جانب علي (عليه السلام)، فعن قيس بن عباد قال: (قلت لعمار أرأيت قتالكم رأيا رأيتموه، فإن الرأي يخطئ ويصيب أو عهد عهده إليكم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فقال ما عهد إلينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شيئا لم يعهده إلى الناس كافة وقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال إن في أمتي اثني عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة سراجا من نار يظهر في أكتافهم حتى ينجم في صدورهم).

وعن عبد الله بن سلمة يقول: (رأيت عمارا يوم صفين شيخا كبيرا آدم طوالا أخذ الحربة بيده ويده ترعد، فقال: والذي نفسي بيده لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاث مرات وهذه الرابعة والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا شعفات هجر لعرفت أن مصلحينا على الحق وأنهم على الضلالة)^(٤).

وجاء في مسند أحمد حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) القائل فيه: عمار تقتله الفئة الباغية، بطرق متعددة: عن ابن عباس قال: (انطلقنا إلى أبي سعيد الخدري فإذا هو في حائط له فلما رأنا أخذ رداه فجاءنا فقعد فأنشأ يحدثنا حتى أتى على ذكر بناء المسجد قال كنا نحمل لبنة لبنة وعمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين قال فرآه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجعل ينفذ التراب عنه ويقول: يا عمار ألا تحمل لبنة كما يحمل

(١) المصدر نفسه، الحديث (١٦٩٤٥)، ص ١٢٠٨.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٢٨٠٨٨)، ص ٢٠٥٦.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (١٩٠٩١)، ص ١٣٧٦.

(٤) المصدر نفسه، الحديث (١٩٠٩٠)، ص ١٣٧٦.

أصحابك؟ قال: إني أريد الأجر من الله، قال فجعل ينفض التراب عنه ويقول: ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، قال فجعل عمار يقول أعوذ بالرحمن من الفتنة^(١).

وعن أبي سعيد الخدري قال: (إن رسول الله ﷺ قال لعمار تقتلك الفئة الباغية)^(٢). وعن أبي قتادة الأنصاري قال: (إن رسول الله ﷺ قال لعمار حين جعل يحفر الخندق وجعل يمسح رأسه ويقول بؤس ابن سمية تقتلك فئة باغية)^(٣). وعن أم سلمة قالت: (ما نسيت قوله يوم الخندق وهو يعاطيهم اللبن وقد اغبر شعر صدره وهو يقول (اللهم إن الخير خير الآخرة... فاغفر للأنصار والمهاجرة)، فرأى النبي ﷺ عماراً فقال: ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية)^(٤).

بعدها أورد ابن حنبل^(٥) اثر تواجد عمار في معسكر الإمام في تحول مواقف البعض من الاعتزال والحياد إلى الالتحاق بجيش علي عليه السلام فعن محمد بن عمار بن خزيمة بن ثابت قال: (ما زال جدي كافاً سلاحه يوم الجمل حتى قتل عمار بصفيين فسل سيفه فقاتل حتى قتل قال سمعت رسول الله ﷺ يقول تقتل عماراً الفئة الباغية).

وذكر ابن حنبل^(٦) اسم قاتل عمار بن ياسر، ووصف يقين ابن ياسر بما أخبره به النبي ﷺ بما يفعل قبيل استشهاده، فعن كلثوم بن جبر قال: (كنا بواسط القصب عند عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر قال فإذا عنده رجل يقال

(١) المصدر نفسه، الحديث (١١٨٨٣)، ص ٨٤٠.

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (١١٢٣٩)، ص ٧٩٥.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (٢٢٩٨٣)، ص ١٦٧٥.

(٤) المصدر نفسه، الحديث (٢٧٠١٥)، ص ١٩٦٨-١٩٦٩.

(٥) المصدر نفسه، الحديث (٢٢٢١٧)، ص ١٦١٤.

(٦) المصدر نفسه، الحديث (١٦٨١٨)، ص ١١٩٦.

له أبو الغادية^(١): استسقى ماء فأتى بإناء مفضض فأبى أن يشرب وذكر قول النبي ﷺ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فإذا رجل يسب فلانا فقلت والله لئن أمكنني الله منك في كتيبة فلما كان يوم صفين إذا أنا به وعليه درع قال ففطنت إلى الفرجة في جربان الدرع فطعته فقتلته فإذا هو عمار بن ياسر، قال: قلت وأي يد كفتاه يكره أن يشرب في إناء مفضض وقد قتل عمار بن ياسر) ويتفق البلاذري^(٢)، وابن شبة^(٣) مع ابن حنبل في أن أبا الغادية هو قاتل عمار، بينما يذكر ابن سعد^(٤)، وابن كثير^(٥) مشاركة حويا السكسكي، وعمرو بن الحارث الخولاني مع أبي الغادية في قتل عمار.

وقد نقل ابن حنبل^(٦) ارتباك معسكر معاوية حين قتل عمار، وتبريرات معاوية في ذلك، فعن عبد الله بن الحرث قال: (إني لأسير مع معاوية في منصرفه من صفين بينه وبين عمرو بن العاص، فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: يا أبت ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار ويحك يا بن سمية تقتلك الفئة الباغية، فقال عمرو لمعاوية: ألا تسمع ما يقول هذا؟ فقال معاوية: لا تزال تأتينا بهنة أنحن قتلناه إنما قتله الذين جاؤوا به - يقصد علياً -). وعن حنظلة بن خويلد العنبري قال: (بينما أنا عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار يقول كل واحد

(١) أبو الغادية الجهني، اسمه يسار بن أزيهر، سكن الشام ثم انتقل إلى واسط، ويعد من الشاميين، أدرك النبي ﷺ وهو يافع، كان عثمانياً، ولا يبالي في قتله لعمار بن ياسر. ينظر: ابن الأثير: اسد الغابة، ج ٦، ص ٢٣١.

(٢) انساب الأشراف، ج ١، ص ١٧٢.

(٣) تاريخ المدينة، ج ٣، ص ١١٠٢.

(٤) الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٣٦٠-٣٦١.

(٥) البداية والنهاية، ج ٦، ص ٢١٤.

(٦) مسند، الحديث (٦٤٩٩)، ص ٤٩٢.

منهما أنا قتلته، فقال عبد الله: ليطب به أحدكما نفسا لصاحبه فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: عمار تقتله الفئة الباغية، فقال معاوية: ألا تغني عنا مجنونك يا عمرو، فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال لي رسول الله ﷺ: أطع أباك ما دام حيا ولا تعصه فأنا معكم ولست أقاتل^(١)، يقول ابن سعد: إن عبد الله بن عمرو قال: مالي ولصفين، مالي ولقتال المسلمين، لوددت أني مت قبل ذلك بعشرين سنة...^(٢) وعن أبي غادية قال: (قتل عمار بن ياسر فأخبر عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن قاتله وسالبه في النار، فليل لعمره فإنك هو ذا تقاتله؟ قال: إنما قال قاتله وسالبه)^(٣). وعن عمرو بن حزم قال: (لما قتل عمار بن ياسر دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص فقال: قتل عمار وقد قال رسول الله ﷺ تقتله الفئة الباغية فقام عمرو بن العاص فزعا يرجع حتى دخل على معاوية، فقال له معاوية: ما شأنك؟ قال قتل عمار، فقال معاوية قد قتل عمار فماذا؟ قال عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية، فقال له معاوية: دحضت في بولك أو نحن قتلناه إنما قتله علي وأصحابه جاؤوا به حتى القوه بين رماحنا)^(٤).

ويروي أحمد بن حنبل^(٥)، ندم عمرو بن العاص على ما فعله عندما حضرته الوفاة، عن عبد الرحمن بن شماس قال: (لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى، فقال له ابنه عبد الله: لم تبكي أجزعا على الموت؟ فقال: لا والله، ولكن مما

(١) المصدر نفسه، الحديث (٦٩٢٩)، ص ٥٢٥.

(٢) الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٢٥٣.

(٣) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٧٩٢٩)، ص ١٢٨٦.

(٤) المصدر نفسه، الحديث (١٧٩٣١)، ص ١٢٨٧.

(٥) المصدر نفسه، الحديث (١٧٩٣٣)، ص ١٢٨٧.

بعد، فقال: له قد كنت على خير فجعل يذكره صحبة رسول الله ﷺ وفتوحه الشام، فقال عمرو: تركت أفضل من ذلك كله شهادة أن لا إله إلا الله، إني كنت على ثلاثة أطباق ليس فيها طبق إلا قد عرفت نفسي فيه، كنت أول شيء كافرا فكنت أشد الناس على رسول الله ﷺ فلو مت حينئذ وجبت لي النار، فلما بايعت رسول الله ﷺ كنت أشد الناس حياء منه فما ملأت عيني من رسول الله ﷺ ولا راجعته فيما أريد حتى لحق بالله عز وجل حياء منه فلو مت يومئذ قال الناس هنيئا لعمرو أسلم وكان على خير فمات فرجاله الجنة، ثم تلبست بعد ذلك بالسلطان وأشياء فلا أدري علي أم لي فإذا مت فلا تبكين علي ولا تتبعني مادحا ولا نارا وشدوا علي إزارني فإني مخاصم وسنوا علي التراب سنا فإن جنبي الأيمن ليس بأحق بالتراب من جنبي الأيسر ولا تجعلن في قبري خشبة ولا حجرا فإذا واريتموني فاعدوا عندي قدر نحر جزور وتقطيعها استأنس بكم)، وعن أبي نوفل بن أبي عقرب قال: (جزع عمرو بن العاص عند الموت جزعا شديدا فلما رأى ذلك ابنه عبد الله بن عمرو، قال يا أبا عبد الله: ما هذا الجزع؟ وقد كان رسول الله ﷺ يدينك ويستعملك، قال: أي بني قد كان ذلك وسأخبرك عن ذلك إني والله ما أدري أحبا ذلك كان أم تالفا يتألفني؟ ولكن أشهد على رجلين انه قد فارق الدنيا وهو مجبها؛ ابن سمية وابن أم عبد، فلما حدثه وضع يده موضع الغلال من ذقنه وقال: اللهم أمرتنا فتركنا ونهيتنا فركبنا ولا يسعنا إلا مغفرتك وكانت تلك هجيراه حتى مات)^(١).

وقد عطف ابن حنبل^(٢) على ذكر اويس القرني^(٣) المقتول هو الآخر بصفيين

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٧٩٣٤)، ص ١٢٨٧.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٢٦٦)، ص ٦١.

(٣) أويس بن عامر، وقيل ابن عمرو، أصله من اليمن، يعد من الكوفيين، أصله من مراد، قتل يوم

مشيراً إلى حديث النبي ﷺ المخبر بأفضليته، فعن عمر بن الخطاب قال: (إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض فدعا الله عز وجل فأذهب عنه إلا موضع الدرهم في سرتة، فاستغفر له، ثم دخل في غمار الناس فلم يدر أين وقع، قال فقدم الكوفة).

ويقول العلامة الحلي^(١): وقال علي عليه السلام بذي قار وهو جالس لأخذ البيعة: (يأتيكم من قبل الكوفة ألف رجل لا يزيدون رجلاً ولا ينقصون رجلاً يبايعونني على الموت)، قال ابن عباس: فجزعت لذلك، وخفت أن ينقص القوم عن العدد أو يزيدون عليه، فيفسد الأمر علينا، فلم أزل مهموماً دأبي إحصاء القوم، حتى ورد أوائلهم، فجعلت أحصيه فاستوفيت عددهم تسعمائة وتسعة وتسعون رجلاً، ثم انقطع مجيء القوم، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا حمله على ما قال؟ فبينما أنا أفكر في ذلك، إذ رأيت شخصاً قد أقبل، حتى دنا مني، فإذا هو راجل عليه قباء صوف معه سيفه وترسه وأدواته، فقرب من الإمام علي، فقال له: امدد يدك أبايعك، فقال له علياً: وعلام تبايعني؟ قال: أبايعك على السمع والطاعة، والقتال بين يديك حتى أموت أو يفتح الله عليك، فقال له: ما اسمك؟ قال: أويس، قال: أنت أويس القرني؟ قال: نعم، قال: الله أكبر، أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ أنني أدرك رجلاً من أمتة يقال له أويس القرني، يكون من حزب الله ورسوله، يموت على الشهادة، يدخل في شفاعته مثل ربعة ومضر، قال ابن

صفين إلى جانب الإمام علي عليه السلام، أخبر عنه النبي ﷺ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٢٢٤-٢٢٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ١٤٧-١٥٥.

(١) الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي (٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م): المستجاد من كتاب الإرشاد، تحقيق محمد البدر، ط ١، منشورات مؤسسة المعارف الإسلامية، (إيران، ١٩٩٦م)، ص ١٣٢-١٣٣.

عباس: فسري عني^(١).

وأورد القزويني^(٢): (... نادى يوم صفين رجل من أهل الشام: أفيكم أويس القرني؟ قلنا نعم، ما تريد منه؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أويس القرني خير التابعين بإحسان، وعطف دابته ودخل مع أصحاب علي (عليه السلام)، فنادى المناادي في القوم: أويس؟ فوجد في قتلى علي (عليه السلام). قد أشار اليعقوبي^(٣) إلى وجود أعداد كبيرة فقال: كان مع علي يوم صفين من أهل بدر سبعون رجلاً، ومن بايع تحت الشجرة -بيعة الرضوان- سبعمائة رجل ومن سائر الصحابة السابقين من المهاجرين والأنصار أربعمائة رجل، فيما يقول ابن أعثم^(٤): (شهد مع علي يومئذ ثمانون بدرياً، ومائتين وخمسون ممن بايع تحت الشجرة)، وصرح ابن قتيبة^(٥) بخلو معسكر معاوية من صحابة النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار.

وقد ذكر المؤرخون^(٦) غضبة علي (عليه السلام) وأصحابه لما استشهد عمار بن ياسر وهو يقول: اليوم ألقى الأحبة، محمداً وحزبه، فحمل (عليه السلام) بإثني عشر ألف رجل على معسكر معاوية فلم يبق صف لأهل الشام إلا انتقض، وقتلوا كل من انتهوا إليه، وطلب معاوية للمبارزة لحسم النزاع فرفض، واستمر القتال منذ لحظة

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٣٠٠.

(٢) زكريا بن محمد بن محمود (٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت، د. ت)، ص ٧٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧٨.

(٤) الفتوح، ج ٢، ص ٥٤٤.

(٥) الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٠٣.

(٦) ينظر: المنقري، وقعة صفين، ص ٣٦٩-٣٧٩؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٠٣؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ١٧٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤١-٤٢؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٩١؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ١٥٠-١٥١.

استشهد عمار في مساء يوم الخميس حيث صلى الإمام علي عليه السلام بجيشه المغرب صلاة الخوف، واندفع بأصحابه نحو جيش معاوية طوال ليلة الجمعة التي سميت ليلة الهزير وقد أظهر الإمام علي عليه السلام بطولات في تلك الليلة حيث قتل خمسمائة وثلاثاً وعشرين رجلاً، فكان كلما قتل رجلاً كبير تكبيرة، وقد زادت حماسة أصحابه عندما شاهدوا إمامهم علياً يكبر مخترباً صفوف الأعداء فقاتلوا قتال الأبطال حتى تكسرت سيوفهم، فاشتبكوا بالأيدي حتى ظهر يوم الجمعة وقد تساقطت ألوية ورايات جيش معاوية، واستشعر معاوية بالهزيمة لما رأى إن النصر حليف ابن أبي طالب، فأخذ يعد العدة للفرار، لولا أن تدارك عمرو بن العاص الموقف فرفعت المصاحف.

ج/ رفع المصاحف وقضية التحكيم: أورد أحمد بن حنبل^(١) حديثاً حول قضية رفع المصاحف عن أبي وائل قال: (... كنا بصفين فلما استحر القتل بأهل الشام اعتصموا بتل، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أرسل إلى علي بمصحف وادعه إلى كتاب الله فإنه لن يأبى عليك فجاء به رجل فقال بيننا وبينكم كتاب الله، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحاً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(٢)، فقال علي: نعم أنا أولى بذلك بيننا وبينكم كتاب الله (...).

(١) مسند، الحديث (١٦٠٧١)، ص ١١٣٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية (٢٣).

وقد ذكر المحدثون^(١) والمؤرخون^(٢) حادثة رفع المصاحف متفقين بذلك مع ابن حنبل، وأجمعوا على أن الأسباب التي دعت الإمام علياً (عليه السلام) إلى قبول الهدنة، على الرغم من إن النصر على معسكر معاوية بات وشيكاً، انه (عليه السلام) يعلم بأنها كانت خدعة، وكذلك لم تنطلِ الخدعة على بعض أصحابه، إلا أن موقف القراء الذين أصبحوا فيما بعد خوارج اجبره على قبول الهدنة، فقد أحاطوا به في ارض المعركة وهددوه بالقتل إن لم يجب دعوة أهل الشام عند رفعهم المصاحف، فقد قال (عليه السلام) مخاطباً إياهم بعد خروجهم عليه: «أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِفِّينَ فَقَالُوا مِنَّا مَنْ شَهِدَ وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ قَالَ فَاُمْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً حَتَّى أَكَلِّمَ كُلًّا مِنْكُمْ بِكَلَامِهِ وَنَادَى النَّاسَ فَقَالَ أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلَامِ وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ فَمَنْ تَشَدَّنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا، فَقَالَ: أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمُصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً وَمَكْرًا وَخَدِيعَةً إِنْخَوَّانَنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا اسْتَقَالُونَا وَاسْتَرَاخُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ وَالتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ فَقُلْتُ لَكُمْ هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيْمَانٌ وَبَاطِنُهُ عُذْوَانٌ وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ فَأَقْبِلُوا عَلَى شَأْنِكُمْ وَالْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ وَعِظُوا عَلَى الْجِهَادِ بَنَوِاجِدْكُمْ»^(٣).

(١) الصنعاني، المصنف، ج ٥، ص ٤٦٣؛ ابن أبي شيبة، المصنف في الحديث والآثار، ج ١٥، ص ٣١٧؛ البخاري، صحيح البخاري، ج ٤، ص ٤٥٣؛ النسائي، تفسير النسائي، تحقيق: صبري عبد الخالق الشافعي، ط ١، مؤسسة الكتب الثقافية، (د.م، ١٤١٠ هـ)، ج ٢، ص ٣٠٦؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٦، ص ٢٣٨.

(٢) المنقري، وقعة صفين، ص ٤٨٤-٤٨٥؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٠٢؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ٣، ص ١١١؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٧٤؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٨٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٥٠؛ ابن أعثم، الفتوح، ج ٣، ص ١٨٢؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٨٧؛ المفيد، الإرشاد، ص ٢٠٧.

(٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة (١٢٢)، ص ١٨٤.

وكذلك أجبروه على انتداب أبي موسى الأشعري^(١) ممثلاً عنه في التحكيم حيث كان الإمام علي عليه السلام قد رشح ابن عباس ولكنهم رفضوا بزعم أنهم لا يريدون أن يكون الحكمان من مضر فاحتج عليهم ابن عباس بقوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾^(٢)، فرشح عليه السلام الأشر فأبوا إلا أبا موسى الأشعري، لذلك اضطر الإمام إلى إرساله في قضية التحكيم رغم اعتراضه عليه^(٣). وحمل بعض المؤرخين^(٤) الأشعث بن قيس^(٥) مسؤولية وقوع الفتنة في صفوف معسكر الإمام علي عليه السلام واتهموه بالتآمر مع معاوية والخيانة لعلي بناءً على مواقفه في إيقاف الحرب ووساطته بين الطرفين للتوصل إلى الهدنة والتحكيم حيث عدّ المنقذ لمعاوية من الهلاك على يد الأشر، وكذلك إصراره على اختيار أبي موسى الأشعري كدلائل على اشتراكه في المؤامرة. ويضيف الطبري^(٦) سبباً آخر لقبول الإمام علي عليه السلام وقف القتال، وهو خوف الإمام عليه السلام على ولديه الحسين والحسين -عليهما السلام- من القتل وانقطاع نسل محمد ﷺ، هو الذي دفعه لقبول التحكيم، كما وينفرد بذكر اتفاق حصل بين

(١) أبو موسى الأشعري: هو عبد الله بن قيس من اليمن، أول مشاهده خير، كان خفيف الجسم قصيراً، استعمله عمر بن الخطاب على البصرة، واستعمله عثمان على البصرة، أقره علي عليه السلام عليها منع أهل الكوفة من نصرة أمير المؤمنين فعزله عنها، مات بمكة سنة ٤٢ هـ. ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٦٦.

(٢) سورة النساء، الآية (٣٥).

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٥١؛ ابن أعثم، الفتوح، ج ٤، ص ١٩٧؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٠، ص ٢٥١-٢٥٣.

(٤) البيهقي، تاريخ البيهقي، ج ٢، ص ١٨٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٥٠؛ ابن أعثم، الفتوح، ج ٣، ص ١٨٢؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٨٧.

(٥) الأشعث بن قيس بن معد يكرب بن معاوية بن جبلة الكندي، قدم سنة ١٦ هـ في ٧٠ راكباً، صاحب مرباع حضرموت، كان أبداً أشعث الرأس، توفي سنة ٤٢ هـ، وصلى عليه الحسين بن علي عليه السلام. ينظر: ابن الأثير، اسد، ج ١، ص ١٣٨؛ بن حجر، الإصابة، ج ١، ص ٨٧، ٨٨.

(٦) تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٦١.

الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية على أن يكون للإمام علي العراق، ويملك معاوية الشام^(١). وقد تمت كتابة شروط التحكيم قبل الانصراف من صفين وذلك في صفر من سنة (٣٧هـ / ٦٥٧م) وكانت أهم بنود الصلح نزول الطرفين عند حكم الله تعالى فيما يحكم بينهم من خلال كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته، على أن يلتقي الحكماء اللذان تمت تسميتهما عمرو بن العاص ومثلاً عن معاوية وأهل الشام، وأبو موسى الأشعري مثلاً عن الإمام علي (عليه السلام) وأهل العراق، بعد ثمانية أشهر في دومة الجندل بأذرح.

والجدير بالذكر هو رفض معاوية وعمرو بن العاص لكتابة عبارة (أمير المؤمنين) بجانب اسم الإمام علي (عليه السلام) في وثيقة التحكيم، فوافق الإمام علي على محو لقبه، مستنداً إلى سنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم كتب بنود صلح الحديبية، فمحا لقب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما اعترضت قريش عليه، ويروي ابن حنبل^(٢) ذلك عن ابن عباس عندما نقل جزءاً من محاورته للخوارج: (أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الحديبية صالح المشركين فقال: لعلي اكتب يا علي: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قالوا: لو نعلم انك رسول الله ما قاتلناك؟ فقال: رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) امح يا علي اللهم إنك تعلم أني رسولك امح يا علي واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، والله لرسول الله خير من علي وقد محاه نفسه ولم يكن محوه ذلك يمحوه من النبوة أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم)، وتضيف المصادر^(٣) أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي لما امتنع عن محو لقب

(١) الطبري، المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٤٠.

(٢) مسند، الحديث (٣١٨٧)، ص ٢٨١.

(٣) البلاذري، انساب الأشراف، ج ٣، ص ١٢٣؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٧٨؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٨٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٥٢؛ ابن اعثم، الفتوح، ج ٣، ص ٢٠١.

رسول الله: (انك ستدعى لمثلها فتجيب وأنت على مضض)، في إشارة منه ﷺ إلى حادثة التحكيم.

والملاحظة التي تستحق الانتباه إليها أن المصادر التاريخية تظهر سيطرة القراء - الخوارج - على الوضع تماماً فهم الذين اجبروا الإمام علياً عليه السلام وتحت التهديد بالقتل بقبول الهدنة والاحتكام إلى القرآن في صفين، وكذلك منعه من اختيار مرشح له في التحكيم، فقد قال لهم عندما أصرّوا على اختيار الأشعري: عصيتُموني في أول الأمر فلا تعصوني الآن^(١)، فشقوا عصا الطاعة له، وسلّبوه قراره، وقد صورّه أحد المؤرخين موقف الإمام علي بقوله: (أصبح أمير المؤمنين مأموراً بعد أن كان أمراً)^(٢) ثم كيف يبعث المنتصر - علي - إلى المنهزم - معاوية - ليسأله عن آلية التفاوض معه؟ فيجيب معاوية: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله عز وجل به في كتابه، تبعثون رجلاً منكم ترضون به، ونبعث منا رجلاً، ثم نأخذ عليهما أن يعملّا في كتاب الله لا يعدوانه، ثم نتبع ما تفقنا عليه؟^(٣) والأغرب من ذلك هو فلسفة التحكيم الداعية للرجوع إلى حكم الله في كتابه، والقرآن حسب قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(٤)، وكما يقول الإمام علي: حال ذي وجوه^(٥) فهل عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري ممن يترجمون القرآن ويؤولونه إذا لم يجدوا فيه نصّاً صريحاً؟

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٥١؛ ابن اعثم، الفتوح، ج ٣، ص ١٩٨.

(٢) ابن اعثم، الفتوح، ج ٣، ص ١٨٦.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٥١.

(٤) سورة آل عمران، الآية (٧).

(٥) الشريف الرضي، نهج البلاغة، وصية رقم (٧٧)، ص ٤٩٤.

وقد دلت الأخبار^(١) على أنهما في مؤتمر التحكيم نبذا كتاب الله وراء ظهورهم، فتحول ذلك المؤتمر إلى مهزلة، إذ لم يأخذ أحد بقراراته، فلا الذي خلع صاحبه ألزم علياً بترك الخلافة، ولا الذي ثبت معاوية فرضه خليفة للمسلمين، ولم يحكما بكتاب الله إلا على نفسيهما، فشبه أبو موسى، عمرو بالكلب طبقاً لقوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾^(٢)، فيما مثل ابن العاص، الأشعري بالحمار حسب قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾^(٣).

غير أن هناك من الأخبار ما يشير إلى عدم حصول الاتفاق بين الحكمين على خلع صاحبيهما، ولم تكن هناك خدعة على النحو الذي أوردته الروايات، فقد ذكر خليفة بن خياط^(٤): (إن الحكمين لم يتفقا على شيء وافترقا الناس)، وأشار المسعودي^(٥) إلى أن الاتفاق بين الحكمين اقتصر على الإقرار بأن عثمان قتل مظلوماً وأن من حق معاوية أن يطالب بمعاينة قتلته، وينفي ابن العربي^(٦) الروايات التي تتحدث عن مخادعة عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري في أثناء التحكيم.

بعد الانتهاء من كتابة بنود التحكيم لم يتوان الخوارج عن الإعلان عن رفضهم مقرراته التي صيغت ضمن شروطهم، من ثم جاهروا بالخروج على الإمام علي

(١) المنقري، وقعة صفين، ص ٥٤٤-٥٤٥؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١١٦-١١٨؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ٣، ص ١٢١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٧٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٧٦).

(٣) سورة الجمعة، الآية (٥).

(٤) خليفة بن خياط الليثي العصفري (ت: ٢٤٠هـ / ٨٥٤م): تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط ٢، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٧٧م)، ص ١٧٤.

(٥) مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٩٤.

(٦) العواصم من القواصم، ص ١٧٧-١٧٨.

عليه السلام، وتكفيره، وشنوا هجوماً (بالسب والشتائم) عليه وعلى أصحابه (بالضرب بالسياط) عند عودتهم من صفين، حتى كادت تقع الحرب بينهم. وقد تذرعوا في خروجهم هذا بعدد من الذرائع التي دحضها الإمام علي عليه السلام، يوجزها ابن حنبل^(١) في حديث عن عبد الله بن شداد قال: (إن علياً لما كاتب معاوية وحكم الحكماء خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس فنزلوا بأرض يقال لها حروراء)^(٢) من جانب الكوفة وأنهم عتبوا عليه فقالوا: انسلخت من قميص ألبسكه الله تعالى، واسم سمالك الله تعالى به؟ ثم انطلقت فحكمت في دين الله فلا حكم إلا لله تعالى، فلما بلغ علياً ما عتبوا عليه وفارقوه عليه فأمر مؤذناً فأذن إن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن، فلما امتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده ويقول: أيها المصحف حدث الناس، فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه إنما هو مداد في ورق ونحن نتكلم بما رويانا منه فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾^(٣)، فأمة محمد ﷺ أعظم دماً وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا علي أن كاتب معاوية، كتب علي بن أبي طالب -يعني بدون لقب أمير المؤمنين- وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشا فكتب رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: سهيل لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: كيف نكتب؟ فقال: اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله

(١) مسند، الحديث (٦٥٦)، ص ٩٤.

(٢) حروراء قرية بينها وبين الكوفة نصف فرسخ، صارت الخوارج إليها ورئيسهم عبد الله بن وهب الراسبي وبها سموا الحرورية. ينظر يعقوبي، تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٨٢.

(٣) سورة البقرة، الآية (٣٥).

عليه السلام: فاكتب محمد رسول الله، فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك، فكتب هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشا، يقول الله تعالى في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١).

وطبقاً للمنهج الذي سار عليه الإمام علي (عليه السلام) المستند إلى ما عهد عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قتال الناكثين والقاسطين والمارقين، وذلك من أجل كشف خطرهم على الإسلام، بكشف نواياهم للمسلمين وتطهير المجتمع الإسلامي منهم، وهو ما عبر عنه النبي (صلى الله عليه وآله) بقوله: (منكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله، فاستشرف لها الصحابة، فقال: لا ولكنه خاصف النعل - يعني علياً -)^(٢)، ولما ألزم الإمام علي (عليه السلام) نفسه تطبيق الشريعة المحمدية، فقد كان ينجح إلى السلم والإصلاح، ويرفض أن يبدأ خصومه بالقتال قبل إلقاء الحجة عليهم، لذلك كان قبوله للهدنة والتحكيم كجزء من سياسته الرامية لحقن دماء المسلمين، ولشعوره بخطورة ذوي الجباه السود - الخوارج - على الإسلام والمسلمين، إذ لم يكن بمقدوره التصريح بخطرهم إلى الناس لتوهمهم بكثرة عبادتهم، كما لم يكن ليبدأهم بالقتال ما لم يكونوا هم البادؤون له.

خامساً: الخوارج والنهروان^(٣):

أ/ الخوارج: في طريق عودة الإمام علي (عليه السلام) وأصحابه إلى الكوفة راجعاً من صفين، فارقه الخوارج ولم يدخلوا الكوفة إنما نزلوا في حروراء خارجين بذلك عن

(١) سورة الأحزاب، الآية (٢١).

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (١١٣٠٩)، ص ٧٩٩.

(٣) النهروان: كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي، سميت بالنهروان نسبة إلى نهر فيها يسمى بالنهروان، وكانت بها وقعة مشهورة لعلي بن أبي طالب مع الخوارج. ينظر: البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت، ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٨م)، ج ٤، ص ١٣٣٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٢٤.

طاعة الإمام علي عليه السلام رافعين شعار (لا حكم إلا لله)، فسموا الحرورية، فلما سمع الإمام علي عليه السلام مقولتهم رد عليهم قائلاً: «كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ! نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ لَا إِمْرَةَ إِلَّا لِلَّهِ، وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ وَيُبْلَغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ».... وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «حُكْمَ اللَّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ...»^(١). ثم تركهم وتابع مع أصحابه مسيره نحو الكوفة، وقد روى أحمد بن حنبل^(٢) تلك الحادثة عن طريق أبي الوضيء أنه قال: (كنا عامدين إلى الكوفة مع علي بن أبي طالب، فلما بلغنا مسيرة ليلتين أو ثلاث من حروراء شذ منا ناس كثير فذكرنا ذلك لعلي، فقال: لا يهولنكم أمرهم فإنهم سيرجعون، قال: فحمد الله علي بن أبي طالب وقال إن خليلي أخبرني أن قائد هؤلاء رجل مخدج اليد على حلمة ثديه شعرات كأنهن ذنب اليربوع...).

وقد بعث الإمام علي إليهم عبد الله بن عباس لم حاججتهم وبيان عدم صواب رأيهم، كتطبيق واقعي لسياسته القائمة على تأكيد الجانب السلمي وتجنب المسلمين الحرب والقتال، فيذكر ابن حنبل^(٣) إنفاذ ابن عباس إليهم عن عبد الله بن شداد وهو يروي لعائشة خبر الخوارج مع علي عليه السلام فيقول في معرض كلامه: (خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس فنزلوا بأرض يقال لها حروراء... فبعث إليهم علي بن عبد الله بن عباس، فخرجت معه حتى إذا توسطنا عسكرهم قام ابن الكواء يخطب الناس، فقال: يا حملة القرآن إن هذا عبد الله بن عباس، فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه من كتاب الله ما يعرفه به هذا ممن نزل فيه وفي قومه:

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة (٤٠)، ص ٦٧-٦٨.

(٢) مسند، الحديث (١١٨٩)، ص ١٣٣.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (٦٥٦)، ص ٩٤.

﴿قوم خصمون﴾^(١)، فردوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله، فقام خطباؤهم فقالوا والله لنواضعنه كتاب الله، فإن جاء بحق نعرفه لتبعه وإن جاء بباطل لنبكتنه بباطله فواضعوا عبد الله بن عباس الكتاب ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب فيهم ابن الكواء حتى أدخلهم على علي (عليه السلام) الكوفة فبعث علي (عليه السلام) إلى بقيتهم فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد (صلى الله عليه وآله) بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دما حراماً، أو تقطعوا سبيلاً، أو تظلموا ذمة، فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء إن الله لا يحب الخائنين).

ويتفق ابن سعد^(٢) في خبر ابن عباس مع الخوارج مع ابن حنبل في عدد التائبين بعد المحاجة فيذكر أنهم (أربعة آلاف) فيما يختلف معه في عدد الخارجين فابن حنبل يقول: (خرج عليه ثمانية آلاف) بينما ابن سعد يقول: (فاعتزل منهم اثنا عشر ألفاً)، ويقتصر الطبري^(٣) على لقاء واحد لابن عباس مع الخوارج ويحدده بعد نزلهم في الحرورية، وأما باقي المؤرخين^(٤) فيذكرون إن ابن عباس التقى بهم مرتين الأولى في الحرورية، والثانية قبل معركة النهروان.

والسؤال المهم لماذا وقف الخوارج من الإمام علي (عليه السلام) هذا الموقف المتطرف بعد الهدنة وكتابة بنود التحكيم؟ علماً أن المعروف عنهم أنهم كرسوا حياتهم

(١) سورة الزخرف، الآية (٥٨).

(٢) الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٨٠.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٦٤-٦٥.

(٤) البلاذري، انساب الأشراف، ج ٣، ص ١٢٢؛ المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت: ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) الكامل في الأدب واللغة، تحقيق: محمد أحمد الدالي، ط ١، مؤسسة الرسالة (بيروت، ١٤٠٦هـ)، ج ٢، ص ٩١-١٢٥؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٨٦؛ ابن اعثم، الفتوح، ج ٤، ص ٢٥٢-٢٦٨.

لقراءة القرآن والعبادة، حتى وصفوا بالقراء^(١)، حيث يروي البخاري^(٢)، ومسلم^(٣)، والطبراني^(٤)، الهيثمي^(٥)، تعمقهم في الدين وكثرة عبادتهم وزهدهم، فكانت جباههم سوداء معلمة من آثار السجود، ولهم دوي كدوي النحل كناية عن قراءتهم للقرآن طوال الليل، فإذا رآهم احد يحتقر صلاته وعبادته في مقابل صلاتهم وعبادتهم.

وللإجابة على هذا التساؤل علينا أن نتحقق من مدى استيعاب الخوارج وفهمهم لآيات القرآن وتعاليمه، وروح الإسلام الحقيقية، فإذا ثبت أنهم كذلك عند ذلك نتفق مع من يصف حركة الخوارج بأنها حركة مثالية دينية قامت لأجل الدفاع عن الدين من خلال فهم النص القرآني، واختلفت مع باقي فرق المسلمين بوصفها فهمت نص القرآن الكريم، وإن ثبت العكس فلا بد من الوقوف على الأسباب الذاتية والموضوعية التي جعلت من الخوارج بهذا النمط من التفكير. وسوف يتم التحقق من ذلك عبر القرآن الكريم والسنة النبوية بوصفهما دستور الإسلام والمسلمين الذي وضعه الله عز وجل لهم بواسطة النبي محمد ﷺ، فقد ذكر ابن حنبل عددا من الآيات التي نزلت بحق الخوارج من خلال بعض الأحاديث:

عن أبي سعيد الخدري قال: (بينا رسول الله ﷺ قسم قسما إذ جاءه ابن ذي الخويصرة التميمي، فقال: اعدل يا رسول الله! فقال ﷺ: ويلك ومن يعدل إذا لم

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٦٠٧١)، ص ١١٣٠؛ وينظر: ابن أبي شيبه، المصنف في الحديث والآثار، ج ١٤، ص ٤٣٨-٤٣٩؛ الطبري، تفسير الطبري، ج ٢٦، ص ٧٠؛ البيهقي، سنن البيهقي، ج ٩، ص ٢٢٢.

(٢) ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج ١٢، ص ٢٩٥.

(٣) صحيح مسلم، ج ٢، ص ٧٤٨.

(٤) المعجم الكبير، ج ١٠، ص ٣١٣.

(٥) مجمع الزوائد، ج ٦، ص ٢٤١.

أعدل؟ فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله أتأذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال النبي ﷺ: دعه فان له أصحابا يحتقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نصيته فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم، منهم رجل أسود في إحدى يديه مثل ثدي المرأة يخرجون على حين فترة من الناس فنزلت فيهم الآية: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾^(١)، قال أبو سعيد: أشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد أن عليا حين قتله وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعت رسول الله ﷺ^(٢).

وعن أبي غالب قال: سمعت أبا أمامة يحدث عن النبي ﷺ: (في قوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾^(٣))، قال: هم الخوارج^(٤). وعنه أيضاً قال: سمعت أبا أمامة يحدث عن النبي: في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(٥)، قال: هم الخوارج^(٦).

وقد أشارت الأحاديث الواردة في المسند عن النبي ﷺ عن خروجهم عن ربة الإسلام ونعتهم بالمارقين، وكان من دلائل نبوته ﷺ أن حدد لهم صفاتهم،

(١) سورة التوبة، الآية (٥٨).

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (١١٥٥٨)، ص ٨١٥-٨١٦.

(٣) سورة البقرة، الآية (٧).

(٤) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٢٦١٤)، ص ١٦٤٥.

(٥) سورة آل عمران، الآية (١٠٦).

(٦) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٢٦١٤)، ص ١٦٤٥.

وأوجب قتالهم، فعن علي عليه السلام: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: يخرج في آخر الزمان أقوام أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة)^(١).

وعن عبد الله بن عمرو قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: سيخرج أناس من أمتي من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج منهم قرن قطع كلما خرج منهم قرن قطع حتى عدها زيادة على عشر مرات كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال في بقيتهم)^(٢). وعن زيد بن وهب قال: لما خرجت الخوارج بالنهروان قام علي عليه السلام في أصحابه فقال: (إن هؤلاء القوم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا في سرح الناس وهم أقرب العدو إليكم وان تسيروا إلى عدوكم أنا أخاف أن يخلفكم هؤلاء في أعقابكم إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: تخرج خارجة من أمتي ليس صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء ولا قراءتكم إلى قراءتهم بشيء يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد وليس لها ذراع عليها مثل حلمة الثدي عليها شعرات بيض لو يعلم الجيش الذين يصيرونهم ما لهم على لسان نبيهم لا تكلوا على العمل فسيروا على اسم الله)^(٣)، وعن يسير بن عمرو قال: (دخلت على سهل بن حنيف فقلت: حدثني ما سمعت من رسول الله ﷺ قال في الحروية أحدثك ما سمعت لا أزيدك عليه: سمعت رسول الله ﷺ يذكر قوما يخرجون من ههنا وأشار بيده نحو العراق يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما

(١) المصدر نفسه، الحديث (٦١٦)، ص ٩١،

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٦٨٧١)، ص ٥٢٠.

(٣) ابن حنبل، مسند، الحديث (٧٠٦)، ص ٩٨.

يمرق السهم من الرمية^(١). وعن ابن أبي أوفى قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: الخوارج هم كلاب النار)^(٢). وعن سعيد بن جهمان قال: (كنا نقاتل الخوارج وفينا عبد الله بن أبي أوفى وقد لحق له غلام بالخوارج وهم من ذلك الشط ونحن من ذا الشط فناديناه أبا فيروز، أبا فيروز ويحك هذا مولاك عبد الله بن أبي أوفى، قال نعم الرجل هو لو هاجر، قال: ما يقول عدو الله؟ قلنا: يقول نعم الرجل لو هاجر، فقال: أهجرة بعد هجرتي مع رسول الله ﷺ؟ ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: طوبى لمن قتلهم وقتلوه)^(٣). عن شريك بن شهاب قلت: (لأبي برزة حدثنا بشيء سمعته من رسول الله ﷺ يقوله له في الخوارج، فقال: أحدثك بما سمعت أذني ورأت عيناى: أتي رسول الله ﷺ بدنانير فكان يقسمها وعنده رجل أسود مطموم الشعر عليه ثوبان أبيضان بين عينيه أثر السجود فتعرض لرسول الله ﷺ فأتاه من قبل وجهه فلم يعطه شيئا ثم أتاه من خلفه فلم يعطه شيئا، فقال: والله يا محمد ما عدلت منذ اليوم في القسمة! فغضب رسول الله ﷺ غضبا شديدا ثم قال: والله لا تجدون بعدي أحدا أعدل عليكم مني قالها ثلاثا، ثم قال: يخرج من قبل المشرق رجال كان هذا منهم هديهم هكذا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يرجعون إليه ووضع يده على صدره سيأهم التحليق لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم فإذا رأيتموهم فاقتلوهم قالها ثلاثا شر الخلق والخليقة)^(٤). وعن طارق بن زياد قال: (سار علي (عليه السلام) إلى النهروان فقتل الخوارج فقال: اطلبوا المخدج فإن النبي ﷺ

(١) المصدر نفسه، الحديث (١٦٠٧٣)، ص ١١٣٠.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (١٩٣٤١)، ص ١٤٠١.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (١٩٣٦٢)، ص ١٤٠٢.

(٤) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٠٠٢١)، ص ١٤٥٠.

قال: سيجيء قوم يتكلمون بكلمة الحق لا يجاوز حلوقهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية سيماهم أو فيهم رجل أسود مخدج اليد في يده شعرات سود، إن كان فيهم فقد قتلتم شر الناس، وإن لم يكن فيهم فقد قتلتم خير الناس قال ثم إنا وجدنا المخدج قال فخرنا سجودا وخر علي ساجدا معنا^(١). وعن علي عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: (إن قوما يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم طوبى لمن قتلهم وقتلوه، علامتهم رجل مخدج اليد)^(٢). وعن أبي الوضئ عبادا حدثه أنه قال: (كنا عامدين إلى الكوفة مع علي بن أبي طالب فذكر حديث المخدج، قال علي: فو الله ما كذبت ولا كُذبت ثلاثا، أما إن خليلي أخبرني عن ثلاثة إخوة من الجن هذا أكبرهم، والثاني له جمع كثير، والثالث فيه ضعف)^(٣). عن أبي سعيد الخدري قال: (كان رسول الله ﷺ إذا حلف واجتهد في اليمين قال: لا والذي نفس أبي القاسم بيده ليخرجن قوم من أمتي تحقرون أعمالكم مع أعمالهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية قالوا: فهل من علامة يعرفون بها؟ قال: فيهم رجل ذو ثدية، محلقي رؤوسهم، قال أبو سعيد: فحدثني بضع وعشرون من أصحاب النبي ﷺ إن علياً ولي قتلهم، قال: رأيت أبا سعيد الخدري بعد ما كبر ويدها ترتعش يقول: قتلهم أحل عندي من قتال عدتهم من الترك)^(٤).

من خلال ما ذكرت الأحاديث السابقة من صفات للخوارج يتبين لنا: إن الخوارج هم جنود إبليس، وذلك لاعتبارين:

-
- (١) المصدر نفسه، الحديث (١٢٥٥)، ص ١٣٨.
 - (٢) المصدر نفسه، الحديث (١٣٠٣)، ص ١٤١.
 - (٣) المصدر نفسه، الحديث (١١٩٧)، ص ١٣٤.
 - (٤) المصدر نفسه، الحديث (١١٣٠٥)، ص ٧٩٨.

الأول: تشابه الأسلوب المتخذ من قبل إبليس والخوارج في العبادة من حيث الغاية والهدف، فقد جاء عن الإمام علي (عليه السلام) في ذم إبليس قوله: «فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ وَكَانَ قَدْ عَبْدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ عَنْ كِبَرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلُمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ كَلَّا مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا بَأْمَرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ وَمَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمَى حَرَمِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ»^(١).

الثاني: إن إبليس عصى الله تعالى برفضه السجود لآدم بعد أن جعله الله خليفته في الأرض، والخوارج عصوا الإمام علياً (عليه السلام) بعد أن نصبه الله ورسوله خليفة للمسلمين.

ويمكننا بعد ذلك معرفة الدوافع الحقيقية لاعتراضهم على الإمام علي (عليه السلام) بعد صفين وهي كالآتي:

قولهم (لا حكم إلا لله): نابع من العجب والكبر الذي أصاب نفوسهم، فظنوا أنهم أكثر الناس تعبدًا لله، وتلاوةً لكتابه، وهم أحق من غيرهم في تنفيذ أمر الله، بيد أنهم لم يدركوا أن عبادتهم لم تكن نابعة من قلب سليم، فإن أغلبهم كان من الأعراب الذين اسلموا ولم يدخل الإيمان قلوبهم، قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢). فالفترة التي أمضاها الخوارج في الأمصار غير كافية لتغير قيم البداوة عندهم، إنما اكتفوا بتغليفيها ببعض

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة (١٩٢) القاصعة، ص ٢٩٧.

(٢) سورة الحجرات، الآية (١٤).

المظاهر الإسلامية^(١) أما رفضهم (التحكيم): فكان بسبب الخوف من نتائجه، التي قد يكون من بينها - حسب ظنهم - الاقتصاص من قتلة عثمان، وبخاصة أن بعضهم ضالعون بقتله كحرقوص بن زهير - ذو الثدية -^(٢) فخافوا على أنفسهم من ذلك، لذلك كانوا يطالبون الإمام بأن لا يوجه أبا موسى الأشعري للتحكيم، وأن يخرج بهم لقتال أعدائهم من أهل الشام، فاتخذوا جملة من الحجج للاعتراض على التحكيم - المنافية للقرآن والسنة النبوية والتي كشفت عن عدم التزامهم بهما، فرفضهم للصالح والإصلاح منافٍ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾^(٣).

واعترضوا على موافقة الإمام علي عليه السلام على محو لقب (أمير المؤمنين) عند كتابة صحيفة التحكيم، ليس حرصاً منهم على إثبات الولاية لعلي عليه السلام، إنما كي يبرروا خروجهم عليه لأنه شك في أمر الله، وضيع الوصية، واعتبروا ذلك تنازلاً منه عن الإمرة عليهم، وقد أكد لهم الإمام علي أن رفع اللقب من الكتاب لا يعني رفع الصفة عن حاملها مستدلاً بمحو لقب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم كتابة بنود صلح الحديبية، ومع ذلك لم ترفع عنه النبوة^(٤).

إن السياسة المالية العادلة للإمام علي عليه السلام كانت من الدوافع المهمة في خروج بعض الخوارج إذ كانوا يمتنون أنفسهم بالغنائم والأموال التي سيحصلون عليها معه، إلا أن أمانيتهم في ذلك لم تتحقق، فكروهوا علماً وعدالته وفارقوه، لأن الحق

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٦٦، حيث وصفهم بأنهم (أعاريب بكر وتميم).

(٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤٨٨.

(٣) سورة الحجرات، الآية (٩).

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ١٢٧؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٨٥؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٧٢؛ ابن أعثم، الفتوح، ج ٤، ص ٢٥٢.

والعدل كان عليهم ثقیل^(١).

ب/ معركة النهروان (٣٨ هـ / ٦٥٨ م): علم الخوارج أن لا سبيل لهم في ثني الإمام علي (عليه السلام) وجعله يتراجع عن العهود والمواثيق التي ابرمها عند كتابة وثيقة التحكيم^(٢)، فقد قال لهم عندما طالبوه بالرجوع عن التحكيم: ويحكم، ابعده الرضا والميثاق نرجع^(٣)، أليس الله تعالى قد قال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾^(٤)؛ لذلك قاموا بمشاغبات لمضايقة الإمام، اتخذت أشكالاً متعددة: كمقاطعته عندما يخطب في المسجد بقولهم لا حكم إلا لله، أو مخالفته في القراءة عند الصلاة^(٥)، حيث يروى أن أحد الخارجين قاطعه وهو يجهر بالقراءة مخالفاً لقراءة الإمام علي بقوله: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾^(٦)، فسكت الإمام علي حتى أنهى الخارجي قراءته، ثم استأنف الإمام صلاته، فقاطعه مره أخرى بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٧)، فقرأ الإمام قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾^(٨)، فضلاً عن تأليب وتحريض الناس عليه وكان الإمام علي ثابتاً على منهجه الذي اتخذه من البداية، والقائم على الدعوة إلى السلم والإصلاح،

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ١٩٨ - ٢٠٣.

(٢) البلاذري، انساب الأشراف: ج ٣ ص ١٢٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ج ٥ ص ٧٢.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ١٩٣.

(٤) سورة النحل، الآية (٩١).

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ٧٣.

(٦) سورة الأنعام، الآية (٥٧).

(٧) سورة الزمر، الآية (٦٥).

(٨) سورة الروم، الآية (٦٠).

فكان يقابل تصرفاتهم بصبر عظيم، وحلم عجيب، فقد كان حريصاً على منع وقوع الحرب، وبذل محاولات عديدة لإقناعهم بالعدول عن رأيهم، حتى أدت تلك المحاولات إلى أن يشيعوا بين الناس إن الإمام علي قد رجع إلى رأيهم، فلما سمع علي عليه السلام بذلك كذب إشاعتهم، ورد عليهم بقوله: لكم علينا ثلاث: لا تمنعكم المساجد، ولا تمنعكم حقكم في الفيء، ولا نبدؤكم بقتال^(١)، على الرغم من أنه عليه السلام يعرف أنهم سرطان في جسم الأمة الإسلامية يجب استئصاله. وبعد إن أرسل الإمام علي عليه السلام أبي موسى الأشعري إلى مؤتمر التحكيم، اجتمع الخوارج، وقرروا القيام بجمله من الأعمال منها:

- اختاروا عبد الله بن وهب الراسبي^(٢) ليكون زعيماً لهم، وقد خطب فيهم يحثهم على الخروج على الإمام علي، ورفض التحكيم.
- اتهم الإمام علي عليه السلام بالكفر، وأنه لم يغضب الله إنما غضب لنفسه، وطالبوه بالتوبة، فإن تاب عن ذلك نظروا في أمره، وإلا فأنهم سوف يعلنون الحرب عليه.
- استقر رأيهم على الخروج من الكوفة إلى النهروان، فرادى مستخفين.
- كتبوا إلى خوارج البصرة ليوافوهم عند جسر النهروان، وقد انضم إليهم خمسمائة رجل من خوارج البصرة^(٣).

(١) المبرد، الكامل: ج ٣ ص ٢١٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٧٣؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٢٧٩؛ حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، ص ١١٣.

(٢) عبد الله بن وهب الراسبي، من كبار الخوارج وعظمائهم قائدهم يوم النهروان. الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٠٥.

(٣) ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٢٣-١٢٧؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٨٠-١٨٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٧٢-٧٨؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٤١٥-٤١٧.

مع هذا كله فقد كتب الإمام علي (عليه السلام) إلى رؤساء الخوارج يخبرهم بفشل مؤتمر التحكيم، ومخالفة المحكمين لكتاب الله، ويأمرهم بالرجوع إلى رشدهم والانضمام إليه، فرفضوا أن يكونوا تابعين له، وكتبوا له يخبرونه بين التوبة والحرب، فلما قرأ كتابهم أيس منهم، ورأى أن يتركهم ويسير بجيشه إلى الشام، إلا أن بعض أصحابه طالبوه بحرب الخوارج، ولكنه رفض طلبهم قائلاً: بلغني قولكم: لو أن أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت علينا فبدأناهم، إلا أن غير هذه الخارجة أهم على أمير المؤمنين، سيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا في الأرض جبارين ملوكاً، ويتخذهم المؤمنون أرباباً، ويتخذون عباد الله خولاً^(١). وينفرد ابن اعثم^(٢) بالقول: (إن الإمام علياً (عليه السلام) عبأ جيشه مباشراً لقتال الخوارج)، ولم يكن سيره إليهم تحت إلهام أصحابه، وتفق مع رأي ابن اعثم حيث لم ترد الخطبة المذكورة عنه في نهج البلاغة.

ويؤكد ذلك الرأي الحديث الذي ذكره ابن حنبل^(٣) في مسنده والذي يشير إلى أن الإمام علياً (عليه السلام) استنهض أهل الكوفة لقتال الخوارج، حيث لم يكن بإمكانه الخروج إلى الشام دون أن يضع حداً لهم، فعن زيد بن وهب قال (لما خرجت الخوارج بالنهر وان قام علي (عليه السلام) في أصحابه فقال: إن هؤلاء القوم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا في سرح الناس وهم أقرب العدو إليكم وإن تسيروا إلى عدوكم أنا أخاف أن يخلفكم هؤلاء في أعقابكم)، وإن أعمال القتل والترويع التي قام بها الخوارج قد تزامنت مع دعوته (عليه السلام) إلى استنهاض أهل الكوفة، فقد طالت أعمالهم المنكرة كل من يوافق الإمام علياً في

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٢٨، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٧٨.

(٢) الفتوح، ج ٤، ص ٢٥٦.

(٣) مسند، الحديث (٧٠٦)، ص ٩٨.

رأيه وفعله، ولما وصل خبر مقتل عبد الله بن خباب بن الأرت^(١) وزوجته التي بقروا بطنها وأسقطوا جنينها، إلى جانب عدد آخر من الضحايا^(٢)، تولدت القناعة لدى أهل الكوفة بضرورة قتال الخوارج لأن خطرهم سوف يطال الجميع.

ويروي ابن حنبل^(٣) قصة مقتل عبد الله بن خباب بحديث مروي عن رجل من عبد القيس كان مع الخوارج ثم فارقهم قال: (دخلوا قرية فخرج عبد الله بن خباب ذعرا يجر رداءه، فقالوا: لم ترع؟ قال: والله لقد رعتموني، قالوا: أنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قالوا: فهل سمعت من أبيك حديثا يحدثه عن رسول الله ﷺ تحدثناه؟ قال: نعم سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ: أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي، قال: فإن أدركت ذاك فكن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل: قالوا: أنت سمعت هذا من أبيك يحدثه عن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، فقدموه على ضفة النهر فضربوا عنقه فسال دمه كأنه شراك نعل ما أبدقر^(٤)، وبقروا أم ولده عما في بطنها). وخبر عبد الله بن خباب مع الخوارج ذكره معظم المحدثين^(٥) والمؤرخين^(٦). ولم يتعجل الإمام علي عليه السلام بقتال الخوارج

(١) عبد الله بن خباب بن الأرت: يعد أول مولود ولد في الإسلام، له رؤية ولأبيه صحبة مع النبي ﷺ، كان من سادات المسلمين، قتله الخوارج مع امرأته سنة ٣٧ هـ. ينظر: ابن الأثير، اسد الغابة، ج ٣، ص ٢٢٤.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٢٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٨٥.

(٣) مسند، الحديث (٢١٣٧٨)، ص ١٥٤٣.

(٤) ما أبدقر: ما تفرق ولا تمذر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٥١.

(٥) ابن أبي شيبة، المصنف في الحديث والآثار، ج ١٥، ص ٣٠٨؛ النسائي، خصائص أمير المؤمنين، ص ١٩٥؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٢، ص ١٥٢؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٦، ص ٢٤١.

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٢٤٥؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٢٨؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ١٤٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٨٣؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٧، ص ٢٣٧.

حيث يروي ابن حنبل^(١) عن عبد الله ابن شداد قال: (والله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدم واستحلوا أهل الذمة)، فقد أرسل إليهم مبعوثاً يطالبهم بتسليم منفذي جريمة قتل عبد الله بن خباب وزوجته، فامتنعوا عن تسليم القتلة، وقالوا: كلنا قتلناهم، وكلنا نستحل دماءهم ودماءكم^(٢)!، وإمعاناً في الدعوة إلى السلم من قبل الإمام علي عليه السلام فقد رفع راية أمان بيد أبي أيوب الأنصاري^(٣) لكل خارجي لم يشترك في قتل المسلمين، وذلك قبل نشوب الحرب، فاستأمن منهم خلق كثير^(٤).

وبدا واضحاً أن الذين أصروا على موقفهم من الخوارج أنهم يريدون الحرب، فهجموا على معسكر الإمام وهم ينادون: لا حكم إلا لله، ولما كان الإمام علي عليه السلام عارفاً بأسرار الحرب، فقد أعطى أمره لأصحابه بالسماح لهم ليدخلوا في عمق الجيش ثم ينقضوا عليهم حيث يكون التعب قد تملكهم وهم مطوقين من قبل جيش الإمام من كل الجهات حيث استقبلتهم السيوف والرماح وعطفت الخيل عليهم من الميمنة والميسرة، ونهض الإمام علي عليه السلام في القلب عليهم بسيفه، فما لبثوا مقدار ساعة حتى صرعهم الله، وقتلوا بأجمعهم، فكأنما قيل لهم موتوا فماتوا،

(١) مسند، الحديث (٦٥٦)، ص ٩٤.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١ ص ١٦٨؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٠٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٨٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢ ص ٤١٥.

(٣) أبو أيوب الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة وهدراً وأحدأ والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، وكان مع علي بن أبي طالب، ومن خاصته، شهد مع علي عليه السلام، الجمل وصفين وكان على مقدمته في النهروان، توفي عند القسطنطينية سنة ٥١ هـ. ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٧٤؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ح ٥، ص ٢٥.

(٤) ينظر في أعداد من رجع من الخوارج: البلاذري، انساب الأشراف، ج ٣ ص ١٤٦؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ١٨٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٨٦؛ ابن اعثم، الفتوح، ج ٤ ص ٢٧٠؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢ ص ٣٩٩.

وهكذا انتهت معركة النهروان بهزيمة الخوارج، وقد أباح الإمام علي عليه السلام لجيشه غنائم المعركة، فقسم بينهم الغنائم^(١).

ج/ الإخبار بالغيبات في النهروان: يروي أحمد بن حنبل في مسنده أحاديث تشير إلى أن الإمام علياً كان يكرر قولين قبل وبعد معركة النهروان: القول الأول: عن عبد الله بن شداد قال: (سمعت يوم النهروان يقول صدق الله ورسوله)^(٢).

القول الثاني: عن أبي الوضئ قال شهدت علياً حيث مثل أهل النهروان قال: (فو الله ما كذبت ولا كُذبت)^(٣). في إشارة منه إلى أن رسول الله ﷺ لما أمره بقتال المارقين^(٤)، أخبره ببعض العلامات التي ستحصل في المعركة، فقد كان عليه السلام يقول: (أخبرني خليلي رسول الله ﷺ بصفة الخوارج وهي قراءة القرآن فلا يجاوز تراقيهم، وإنهم المارقون الذين يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وعلامتهم الكبرى رجل مخدج اليد، اسود اللون يعرف بذى الثدية)^(٥)، فضلاً عن بعض الإخباريات التي ذكرها الإمام علي عليه السلام لأصحابه عن الخوارج، والتي ذكرها المؤرخون^(٦)، كإخباره بعدم عبورهم النهر بقوله: ما كذبت ولا كُذبت،

(١) الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، ص ٢٧٠؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١ ص ١٢٨؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٠٨؛ البعقوبي، تاريخ البعقوبي، ج ٢ ص ١٨٨؛ النسائي، خصائص أمير المؤمنين، ص ٥٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٨٦؛ ابن اعثم، الفتوح، ج ٤، ص ٢٧٠؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢ ص ٤٠٠.

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (٦٥٦)، ص ٩٤.

(٣) ابن حنبل، مسند، الحديث (١١٨٨)، ص ١٣٣.

(٤) البيهقي، السنن الكبرى، ج ٨، ص ١٧٠؛ الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٠٤.

(٥) ابن حنبل، مسند، الحديث (١١٨٩)، ص ١٣٣، والحديث (١١٩٧)، ص ١٣٤.

(٦) ينظر: المبرد، الكامل، ج ٢، ص ١٠٥؛ البعقوبي، تاريخ البعقوبي، ج ٢، ص ١٨٩؛ ابن اعثم، الفتوح، ج ٤، ص ٢٧٤؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٠١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٠٥؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٧١.

والله ما عبروا النهر، وإخباره (عليه السلام) بعدد الناجين منهم بقوله: لا ينجو منهم إلا عشرة، ولا يقتل منكم إلا عشرة، إلا أنه خاف أن يتكل أصحابه على ما يقول فيتكاسلوا عن الحرب فأمسك، فقد قال: (ولو لا أن تبطروا لأنبأتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان نبيه ﷺ) (١).

فيما يلي استعراض للأحاديث الواردة في مسند أحمد بن حنبل حول إخبار الإمام علي (عليه السلام) لأصحابه عن مقتل ذي الثدية: فعن أبي الوضئ قال: (شهدت علياً حيث مثل أهل النهروان، قال: التمسوا إلى المخدج فطلبوه في القتلى فقالوا ليس نجده فقال ارجعوا فالتمسوا فو الله ما كذبت ولا كُذبت فرجعوا فطلبوه فردد ذلك مراراً كل ذلك يحلف بالله ما كذبت ولا كذبت فانطلقوا فوجدوه تحت القتلى في طين فاستخرجوه فجيء به، فقال أبو الوضئ فكأنني انظر إليه حبشي عليه ثدي قد طبق إحدى يديه مثل ثدي المرأة عليها شعرات مثل شعرات تكون على ذنب اليربوع) (٢). وعن أبي الوضئ أيضاً قال: خطب علي بن أبي طالب فحمد الله وقال: إن خليلي أخبرني أن قائد هؤلاء رجل مخدج اليد على حلمة ثديه شعرات كأنهن ذنب اليربوع فالتمسوه فلم يجده فأتيناه فقلنا: إنا لم نجده، فقال فالتمسوه فو الله ما كذبت ولا كُذبت ثلاثاً فقلنا: لم نجده فجاء علي بنفسه فجعل يقول: اقلبوا ذا اقلبوا ذا حتى جاء رجل من الكوفة فقال: هو ذا، قال: علي: الله أكبر، لا يأتيكم أحد يخبركم من أبوه فجعل الناس يقولون هذا ملك هذا ملك يقول علي: ابن من هو) (٣).

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (٦٢٦)، ص ٩٢.

(٢) مسند، الحديث (١١٧٩)، ص ١٣٢، والحديث مكرر بالرقم (١١٨٨)، ص ١٣٣.

(٣) ابن حنبل، مسند، الحديث (١١٨٩)، ص ١٣٣.

وعن أبي كثير مولى الأنصار قال: قال علي عليه السلام: (يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ قد حدثنا بأقوام يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون فيه أبدا حتى يرجع السهم على فوقه، وإن آية ذلك أن فيهم رجلا أسود مخدج اليد أحد ثديه كثدي المرأة لها حلمة كحلمة ثدي المرأة حوله سبع هلبات فالتمسوه فإني أراه فيهم فالتمسوه فوجدوه إلى شفير النهر تحت القتل فأخرجوه، فقال علي: الله أكبر صدق الله ورسوله وانه لمتقلد قوسا له عربية فأخذها بيده فجعل يطعن بها في مخدجيه ويقول صدق الله ورسوله وكبر الناس حين رأوه واستبشروا وذهب عنهم ما كانوا يجدون)^(١).

وعن عبيدة عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرج قوم فيهم رجل مودن اليد أو مثدون اليد أو مخدج اليد ولولا أن تبطروا لأنبأتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان نبيه ﷺ قال عبيدة: قلت لعلي أنت سمعته من رسول الله ﷺ قال: إي ورب الكعبة إي ورب الكعبة إي ورب الكعبة)^(٢).

عن زيد بن وهب قال: (... لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما لهم على لسان نبيهم لا تكلوا على العمل فسيروا على اسم الله)^(٣).

في ضوء الأحاديث الواردة في مسند أحمد بن حنبل نجد أن علي بن أبي طالب عليه السلام يستند في قتاله الخوارج إلى ما اثر عن الرسول ﷺ من الأمر بقتالهم، بالإضافة إلى استناده إلى سلطته الشرعية كونه خليفة المسلمين، حيث كانت بيعته بيعة عامة بايعه فيها الصحابة السابقون من المهاجرين والأنصار.

(١) المصدر نفسه، الحديث (٦٧٢)، ص ٩٥ - ٩٦.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٧٣٥)، ص ١٠٠.

(٣) المصدر نفسه، الحديث (٧٠٦)، ص ٩٨.

سادساً: استشهاد الإمام علي (عليه السلام):

أ/ سياسة الإمام علي (عليه السلام) بعد النهروان: عقب الانتصار الذي حققه معسكر الإمام علي (عليه السلام) على الخوارج في النهروان، وقلة الخسائر في أصحاب علي (عليه السلام)، كان من المفترض أن يستوجب ذلك النصر رفع الحالة المعنوية لدى أصحاب الإمام، وأن تزداد همتهم في المضي إلى حيث يوجههم، خاصة وأنهم قد عاينوا بأنفسهم عدالة الإمام، وُبعد نظره في تقييم الأحداث، واستشرف المستقبل، مما يستدعي ثقتهم التامة به، ويقينهم برجاءه رأيه وتوحد كلمتهم له، لكننا نجد عكس ذلك تماماً، فقد كان الانتصار سبباً في تفكك معسكر الإمام وتناقل أصحابه عن النهوض معه، واستبطائهم عليه، وقد حاول الإمام علي جاهداً حثهم واستنهاضهم لقتال معاوية، ولكن دون جدوى، فقد كانوا كارهين القتال معه، الأمر الذي دعا الإمام لأن يخطب بهم مذكرهم بحقه عليهم، وبخاصة بعد ظهور سلسلة من حركات التمرد المستمرة التي قام بها الخوارج ضد حكم الإمام علي بعد النهروان، فكان لا تكاد تخمد حركة حتى قامت بأعقابها الأخرى، وربما تكون أحدهما أشد وأعتى من سابقتها! ويعلل البعض سبب تلك الثورات، بأنها ردة فعل لهزيمتهم في النهروان، دون أن يلتفتوا إلى أن تلك الحملات الخارجية تحتاج إلى تمويل مادي، وتخطيط عسكري؟ ربما تعجز مقدرة الخوارج الذاتية عن توفيرها، المهم أنها أسفرت عن تفكك جبهة الإمام علي (عليه السلام) في العراق، وأدى ذلك إلى أن يتوقف مشروع الإمام علي (عليه السلام) في السنتين الأخيرتين من عمره رغم محاولاته المتكررة^(١)،

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١ ص ١٣١-١٣٣؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٣٩-٢٤٨؛ ابن هلال الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد (ت: ٢٨٣هـ / ٨٩٦م): الغارات، تحقيق: عبد الزهرة الخطيب، ط ١، دار الكتاب الإسلامي، (بيروت، ١٩٩٠م)، ج ١، ص ٣٠ وما بعدها؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ١٢٠-١٣٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ١١٣-١٢٥.

والغريب إن المؤرخين^(١) لم يقدموا سبباً لذلك الانهيار المعنوي في صفوف معسكر الإمام علي عليه السلام غير أنهم أشاروا إلى دور الأشعث بن قيس في تشييط عزيمة المقاتلين في معسكر الإمام علي، واتهموه بالتآمر مع معاوية الذي نشط خلال هذه الحقبة لإضعاف جبهة العراق بواسطة غيره، حيث ورد أنه كان يقول: لقد حاربت علياً بعد صفين بغير جيش ولا عناء^(٢)، علماً إن الأدلة التاريخية قاصرة عن إثبات الصلة السرية بين الأشعث ومعاوية، وقد أدت تلك الظروف في النهاية إلى مقتل الإمام علي عليه السلام في سنة أربعين للهجرة.

وفي ذلك ظلم كبير للإمام علي عليه السلام وسياسته وأصحابه ناتج عن مبالغة المؤرخين في وصف فقدان الإمام علي عليه السلام السيطرة على زمام الأمور، والإيحاء بأن سبب ذلك هو سياسته العامة وتدبيره للخلافة لم تكن صالحة، وأن غيره كان أسوس منه، بالإضافة إلى سياسته المالية القائمة على أساس توزيع الأموال بالتساوي سبب آخر أدى إلى تقاعس العرب عن نصرته، وأنه ابتلي بأصحاب لا يستجيبون إليه إذا دعاهم لأنه لم يختارهم بنفسه، إنما اضطر إلى الاستنجاد بهم عندما خرج لحرب أصحاب الجمل، لذلك كان أكثرهم يحارب معه بدافع الحمية والنخوة العربية، لا بدافع الدين والعقيدة، ونتيجة لتلك الأهواء المختلفة لأصحاب الإمام فقد تمرد قسم منهم عليه وأظهر القسم الآخر عصيان الأوامر. بل إن حمى مفارقة الإمام علي عليه السلام قد طالت المقربين من أصحابه وخاصته، فقارقه بعضهم، وصار إلى عدوه البعض الآخر مرجحين سياسة معاوية على سياسته حتى إن الإمام علياً عليه السلام اضطر إلى الاتفاق معه من أجل إبقاء العراق بيده، والشام لمعاوية، لذلك

(١) البلاذري، انساب الأشراف، ج ٣، ص ١٥٦؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٨٤؛ الطبري،

تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٨٩.

(٢) البلاذري، انساب الأشراف، ج ٣، ص ١٥٦.

طمع الأخير في حيازة الأمصار إليه فبدأ بشن الغارات على العراق ومصر^(١)، وبهذه الأقاويل افقدوا الإمام علياً (عليه السلام) جميع امتيازاته الذاتية من الحكمة والتدبير وغيرها من اجل الطعن بنظرية أنه (عليه السلام) الأحق بالخلافة، والوصي لها بنص من الله ورسوله، ومن جهة أخرى اغفلوا النتائج الكبيرة التي حققها الإمام علي في أثناء خلافته رغم قصر مدتها، وذلك من خلال تطبيق مشروعه الإصلاحية، والذي شمل جميع مناحي الحياة، فأظهروا أنه محارب شجاع ليس له علم بالحرب والسياسة، قد قضى مدة خلافته يستنهض الناس للحرب التي لم يحقق فيها أية نتائج سوى سفك دماء المسلمين، فقد ورد عنه قوله: «حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ»^(٢)، متناسين دعواته إلى السلم والإصلاح، وأنهم هم الذين ألجؤوه إلى الحرب فاضطر إليها وذلك من اجل مصلحة الإسلام والمسلمين، لأن تلك الجماعات التي وقفت بوجه الإمام علي (عليه السلام) ما هي إلا موانع تقف بوجه مشروعه الإصلاحية المستمد من الكتاب والسنة، فلا بد له من أن يزيل تلك الموانع والعقبات، وهذا هو معنى قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (منكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله)^(٣).

على هذا فإننا عندما نستعرض سيرة الإمام علي (عليه السلام) في خلافته نجد:

- إن الإمام علياً (عليه السلام) اعتمد في سياسته العامة والخاصة مع أصحابه وأعدائه السير على كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) والبعد الأخلاقي الذي رباه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه،

(١) الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، ص ٣٧٤؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ٣، ص ١٥٦؛ ابن هلال الثقفي، الغارات، ج ١، ص ٧١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ١١٠؛ ابن اعثم، الفتوح، ج ٤، ص ٢٣٧؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٥٣٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧، ص ٣٢٦.

(٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة (٢٧)، ص ٥٢.

(٣) ابن حنبل، مسند، الحديث (١١٣٠٩)، ص ٧٩٩.

وأمر به الله عز وجل كل مسلم بأن يتحلى به^(١).

- تجنب علي بن أبي طالب انتهاج سياسة القهر والمكر والغدر والحيلة والمكيدة في تدبير شؤون الدولة والناس، وذلك طلباً لمرضاة الله تعالى^(٢)، وذلك لأنه يرى تلك الأساليب تقترن بأساليب الشيطان المنافية للورع عن المحارم، لذلك لما سئل عن معاوية وكيف يتخذ تلك الأساليب في سياسته قال: «وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَذْهَى مِنِّي وَلَكِنَّهُ يُغْدِرُ وَيَفْجُرُ وَلَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَذْهَى النَّاسِ وَلَكِنْ كُلُّ غُدْرَةٍ فُجْرَةٌ وَكُلُّ فُجْرَةٍ كُفْرَةٌ وَلِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مَا أَسْتَعْفَلَ بِالْمُكِيدَةِ وَلَا أَسْتَعْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ»^(٣).

- كانت العدالة السمة الأبرز في خلافة الإمام علي عليه السلام، فقد أشار عليه السلام في خطبة له يقول فيها: وَلَقَدْ أَصْبَحَتْ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا وَأَصْبَحَتْ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي^(٤)، وإن سيرته بالعدل تنطلق من إيمانه العميق بقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٥).

فيما يخص سياسته المالية العادلة أيام خلافته، وشدته على ولاته في إحقاق الحق، فإن سياسة توزيع العطاء بين المسلمين بالتساوي فهي سنة رسول الله وقد عمل بها أبو بكر أيام خلافته، وأما مفارقة أصحابه له لأنه حملهم على الحق، فلم يؤثر ذلك على الإمام علي ومشروعه لأنه يريد النخبة الصافية لله، وقد ورد عنه قوله للأشتر:

(١) الجاحظ، رسائل الجاحظ السياسية، (رسالة في الحكمين)، تحقيق: علي أبو ملح، ط ١، (بيروت، ١٩٨٧م)، ص ٣٦٦؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٠، ص ٢٦٠.

(٢) الجاحظ، رسائل الجاحظ السياسية، (رسالة في الحكمين)، ٣٦٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ١٣٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٠، ص ٢٢٩.

(٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة (٢٠٠)، ص ٣٣٠.

(٤) المصدر نفسه، الخطبة (٩٧)، ص ١٤٤.

(٥) سورة فصلت، الآية (٤٦).

(...) فقد علم الله أنهم لم يفارقونا من جور، ولا لجأوا إذ فارقونا إلى عدل، ولم يلتمسوا إلا دنيا زائلة عنهم... وما ذكرت من بذل الأموال، واصطناع الرجال فإنه لا يسعنا أن نؤتي امرأة من الفياء أكثر من حقه. وقد قال الله تعالى: ﴿كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١)، وقد بعث الله محمداً (عليه السلام) وحده^(٢).

إن الروايات التي تذكر تزعم جبهة العراق بسبب تمردات وثورات الخوارج وغارات معاوية، تصف تحاذل الرجال عن التصدي لها، وتوقف القتال في السنوات الأخيرة من حياة الإمام علي (عليه السلام)، ولكن الروايات نفسها تذكر إن جميع تلك الثورات أخمدت، وإن كل الغارات التي شنّها مرتزقة معاوية باءت بالفشل، ولم تحقق أهدافها، سوى دخول مصر، وكان ذلك بسبب سم معاوية للأشتر قبل وصوله إليها فلو كان الأشتر قد دخل مصر فقطعاً لن يتمكن لا معاوية ولا عمرو بن العاص من دخولها^(٣)، وهذا يدل على أن الإمام علياً لم يتوقف عن مشروعه في الجهاد والإصلاح إلى أن انتقل إلى الباري عز وجل حيث استشهد، ويدل أيضاً على أن هناك الكثير من أصحاب الإمام علي المخلصين الذين لديهم الإرادة للدفاع عن القضية، وعندهم كامل الاستعداد للقتال، والدليل على ذلك إصراره على المسير إلى الشام لضمها إلى الخلافة وإرغام معاوية على الطاعة، إلا أن المنية عاجلته، فخرج الإمام الحسن (عليه السلام) بالجيش الذي أعده الإمام علي (عليه السلام) لمحاربة معاوية^(٤)، وإنما كانت خطب الإمام علي (عليه السلام) لاستنهاض القاعدين عن

(١) سورة البقرة، الآية (٢٤٩).

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ١٩٧ - ١٩٨. نقلاً عن: النصر الله، شرح، ص ٣٣٣.

(٣) ينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٨٨؛ أبو هلال الثقفي، الغارات، ج ١، ص ٢٥٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ١٣٤ وما بعدها.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٩٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ١٦٠؛ ابن اعثم، الفتوح، ج ٤، ص ٢٨٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٧.

القتال لا حاجته لهم، بل لخوفه عليهم من أن يطمع بهم معاوية والخوارج من بعده.

أثارت الانتصارات التي حققها الإمام علي عليه السلام وأصحابه المخلصون سواء في حروبه ضد مخالفيه، أو في قضائه على جميع الثورات الداخلية والغارات الخارجية مخاوف معاوية والخوارج، مما حدى بهم أن يدبروا مؤامرة لاغتيال الإمام علي، ولا يسعنا أن نتجاوز الحس الأمني لدى الإمام فقد كان واعياً لكل حركة في دولته، محيطاً بأخبار ولاته وعماله فضلاً عن أنه يحيط بأخبار أعدائه حيث يعد مؤسس جهاز الشرطة، وجهاز المراقبة السري الذي يأتيه بالأخبار مباشراً، ولكنه على ما تشير إليه الروايات كان موعوداً من قبل النبي بخبر استشهاده، وذلك بعد أن يكون قد أنهى تكليفه الشرعي المتضمن وضع الأسس السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية وفق المنظور الإسلامي، لذلك لا نكاد نعرف علماً ظهر بعده إلا وقد استمد واضعوه من تلك الأسس^(١)، وهذا يفسر معنى قوله (فزت ورب الكعبة) لما ضرب في محرابه.

ب/ استشهاد علي عليه السلام: أشارت الأحاديث الواردة في مسند أحمد بن حنبل إلى أن الإمام علي عليه السلام كان يعلم بمقتله، ويعرف قاتله، وذلك عن طريق إخبار النبي صلى الله عليه وآله له، فعن عمار بن ياسر قال: (كنا أنا وعلي في غزوة العشير... فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا أبا تراب لما يرى عليه من التراب، ثم قال: ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟ قلنا بلى يا رسول الله، قال: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه يعني قرنه حتى تبل منه هذه يعني لحيته)^(٢). وعن فضالة بن أبي فضالة

(١) محبوبة، مهدي، ملامح من عبقرية الإمام علي، ط ٢، مطبعة الإرشاد، (بغداد، ١٩٦٧م)، ص ١١٦.

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٨٥١١)، ص ١٣٣٤-١٣٣٥.

الأنصاري قال: (خرجت مع أبي عائدا لعلني بن أبي طالب من مرض أصابه ثقل منه، فقال له أبي: ما يقيمك في منزلك هذا لو أصابك أجلك لم يلك إلا أعراب جهينة تحمل إلى المدينة فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك؟ فقال علي: إن رسول الله ﷺ عهد إلى أن لا أموت حتى أوامر ثم تخضب هذه يعني لحيته من دم هذه يعني هامته فقتل، وقتل أبو فضالة مع علي يوم صفين^(١)). وعن زيد بن وهب قال: قدم علي على قوم من أهل البصرة من الخوارج فيهم رجل يقال له الجعد ابن بعجة فقال له: (اتق الله يا علي فإنك ميت؟ فقال علي: بل مقتول ضربة على هذا تخضب هذه يعني لحيته من رأسه عهد معهود وقضاء مقضي وقد خاب من افتري، وعاتبه في لباسه، فقال: ما لكم ولللباس هو أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدي بي المسلم)^(٢).

وقد ذكرت الروايات التاريخية خطة الأعداد لقتل الإمام علي (عليه السلام)، ومعاوية، وعمر بن العاص من قبل ثلاثة أشخاص من الخوارج، اجتمعوا في مكة، بدافع مرضاة الله، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾^(٣). لذلك سمي الخوارج بالشراة بزعم أنهم شروا دينهم بأخراهم^(٤)، حيث تقول الروايات: أقام نفر من الخوارج مجاورين بمكة... فقالوا: فلو أن قوماً شروا أنفسهم فقتلوا هذين الرجلين اللذين قد أفسدا في الأرض وأستحلّا حرمة هذا البيت استراحت الأمة وأختار الناس لهم أماماً. فقال عبد الرحمن بن ملجم المرادي^(٥):

(١) المصدر نفسه، الحديث (٨٠٢)، ص ١٠٥.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (٧٠٣)، ص ٩٧.

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٠٧).

(٤) نزلت هذه الآية بحق الإمام علي ليلة ميته على فراش النبي ﷺ، وقد صرفت هنا إلى الخوارج.

الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ٢٠٧.

(٥) عبد الرحمن بن ملجم المرادي، هو من حمير وأعداده في مراد، وهو حليف بني جيلة من كندة

أنا أكفيكم أمر علي، وقال الحجاج بن عبد الله بن الصريمي ولقبه البرك: أنا أقتل معاوية، فقال أذويه^(١) وأسمه عمرو بن بكر مولى بني العنبر: والله ما عمرو بن العاص بدونها. وجاء ابن ملجم إلى الكوفة وفق خطة مسبقة وضعت له قبيل قدومه، بدليل ظهور شخصية قطام في هذه المؤامرة، حيث يذكر المؤرخين: أن ابن ملجم - زار رجلاً من أصحابه ذات يوم من تيم الرباب فصادف عنده قطام بنت الأخضر بن شجنة بن تيم الرباب وكان علي عليه السلام قتل أباه وأخاه بالنهروان فأعجبته فخطبها.. فقال: لا تسأليني شيئاً إلا أعطيتك، فقالت: ثلاثة آلاف درهم، وعبد وقينة، وقتل علي بن أبي طالب فأعطاه ذلك وأملكها، فتزوجها قبل تنفيذ الشرط الثالث - قتل علي - فأصبحت دارها مأوى للمتآمرين، حيث كان ابن ملجم يلقي أصحابه من الخوارج الذين كاتمهم بما يريد إن يفعل فكانوا يزورهم ويزورونه في دار قطام^(٢)، ولا بد أن تكون مدعومة من جهة غير الخوارج كان ابن ملجم على علاقة برجال من الكوفة، فنزل على الأشعث بن قيس الكندي، فقام عنده شهراً يستحد سيفه..^(٣)، ويروي ابن أبي الدنيا^(٤): (أتى ابن

خارجي، حينما أراد الحسن بن علي القصاص منه أقبل رأس اليهود حتى وقف على الحسن والناس حوله وأبن ملجم بين يده فقال له: يا أبا محمد أقتله قتله الله، فأني رأيت في الكتب التي نزلت على موسى، أن هذا أعظم عند الله عز وجلّ جرماً من ابن آدم قاتل أخيه ومن قدار عاقر ناقة ثمود. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ١٣٥؛ الصدوق الخصال، تحقيق: علي أكبر الغفاري.

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٥٣٩، يذكر اسمه (زادوية).

(٢) ينظر: ابن قتيبة، الإمامة، ج ١، ص ١٣٧ - ١٤٠؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٥٥ - ٢٥٧؛ ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد (ت: ٢٨١هـ / ٨٩٤م): مقتل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط ١، مؤسسة الطبع والنشر، (طهران، ١٩٩٠)، ص ٢٥.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٨٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ١٤٦.

(٤) مقتل الإمام علي، ص ٣٦.

ملجم وبات عند الأشعث بن قيس فلما سمع حجر بن عدي^(١) الأشعث يقول لابن ملجم: النجاء النجاء لحاجتك فقد فضحك الصبح)، وعليه فإن تواجد ابن ملجم في مواضع عدة مع لقاءه بأشخاص معروفين وغير معروفين وفضلاً عن توفير مساعدين له في مهمته وهما شبيب بن بجرة، ووردان بن مجالد^(٢). يدل على أن هذه المؤامرة على جانب كبير من التخطيط والدقة والسرية التامة مما يوحي باشتراك غير الخوارج بها، بل من جهات لها غير معلومة تريد التخلص من الإمام علي (عليه السلام).

وإن الاتجاه العقائدي والهدف الديني الذي استهدفه ابن ملجم لمرضاة الله تعالى بقتل الإمام علي، ليس له من الصحة شيئاً، لأنه لو كان يرغب في الشهادة، وتخليص الأمة من جور حكامها، لما زاعت عينه، وتعلق قلبه بقطام عندما رآها أول مرة وإن قطام قامت بوضع الحرير على صدره كي يقوى على قتل الإمام علي^(٣)، وقد نهى الرسول الكريم ﷺ عن لبس الحرير، فعن البراء بن عازب قال: (نهانا رسول الله (ص)..... عن لبس الحرير)^(٤). ثم كيف يتسنى لشخص مغمور^(٥) أن يقوم لوحده بمهمة جسيمة كهذه، وإذا ما قارنا بين أشقى الأولين - عاقر ناقة صالح - وأشقى الآخرين - قاتل الإمام علي - كما ورد في الحديث

(١) حجر بن عدي بن معاوية بن جبلة الكندي، المعروف بحجر الخير، وفد على النبي ﷺ، شهد القادسية، وصفين، والنهر، والجمل مع علي (عليه السلام) من فضلاء الصحابة، أمر معاوية بقتله، فقتل سنة ٥١ هـ، قبره مشهور بعذراء وكان مجاب الدعوة. ينظر: ابن الأثير، أسد، ج ١، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٣٧؛ ابن أبي الدنيا، مقتل الإمام علي، ص ٣٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ١٤٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧، ص ٢٦٧.

(٣) ابن أبي الدنيا، مقتل الإمام علي، ص ٣٤.

(٤) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٣١٨١)، ص ٩٢٥.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٣٥.

الشريف عن النبي ﷺ والمروى عن عمار بن ياسر حيث يقول: قال رسول النبي ﷺ: (قال ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه يعني قرنه حتى تبل منه هذه يعني لحيته)^(١).

نجد أن التاريخ يعيد نفسه، فالمالأ التي دفع أحيمر ثموداً لعقر الناقة^(٢)، هو نفسه الذي دفع ابن ملجم لقتل الإمام علي عليه السلام، عند ذلك يتضح أن ابن ملجم لم يكن سوى قاتل مأجور اختير لهذه المهمة عن قصد وعمد حيث كان معروفاً بين المسلمين في الكوفة، له معرفة متبادلة بينه وبين الإمام علي عليه السلام، فلما كان ابن ملجم معروفاً ومقرباً من الإمام علي عليه السلام، فإن ذلك مما يسهل وصوله إلى الإمام علي بسهولة وبدون اعتراض، حيث يذكر ابن عبد البر^(٣): «جاء عبد الرحمن بن ملجم يستحمل علياً عليه السلام فحمله، أي أعطاه من المال أو المؤونة»، وقد خاطبه بعد ضربه: أي عدو الله ألم أحسن إليك وأصنع ما أصنع؟ قال: بلى^(٤). وهذا الأمر يشير إلى وجود شبكة منتشرة تعمل في الكوفة على استمالة الخوارج واستغلال عدائهم للإمام علي عليه السلام بدعم وتمويل من قبل والي الشام أو أحد أعوانه كعمرو بن العاص منذ فترة ليست بالقليلة، وإن اجتماع نفر الثلاث في مكة لم يكن على سبيل المصادفة، ولا يستبعد أن تكون هناك يد لعمرو بن العاص في هذه المؤامرة، حيث تدور الشبهات المدعومة عليه بجملة من القرائن، منها: إن عمرو بن العاص معروفٌ بالمكر والدهاء، وإن خطة قتل علي عليه السلام إنما صاغت شخصيات

(١) ابن حنبل، مسند، الحديث (١٨٥١١)، ص ١٣٣٤-١٣٣٥.

(٢) الحسكاني، شواهد التنزيل، ج ٢، ص ٣٤٣.

(٣) الاستيعاب، ج ٣، ص ١١٢٥.

(٤) ابن أبي الدنيا، مقتل الإمام علي، ص ٣٠، الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج ٥، ص ١٤٥.

ماكرة كشخصية عمرو بن العاص، بدوافع عديدة منها حب السلطة التي طالما سعى إليها ابن النابغة، فسعى جاهداً للتخلص من المنافسين له - علي (عليه السلام) ومعاوية - منتهزاً انشغالهما بالحروب، ويستدل على اشتراك ابن العاص بتدبير تلك المؤامرة هو عدم خروجه لصلاة الصبح في المسجد، حيث ادعى المرض، في حين قتل الإمام علي بسيف ابن ملجم، وجرح معاوية بسيف البرك^(١)، كما أورد صاحب العدد القوية^(٢) شعراً قاله الإمام علي (عليه السلام) قبل استشهاده بأيام، يستدل به على أن قريش تريد أن تغدربه:

تلكم قريشٌ تمناني لتقتلني فلا وربك ما فازوا ولا ظفروا
فإن بقيت فرهناً ذمتي لهم وإن عدمت فلا يبقى لها أثر
وسوف يورثهم فقدي على وجل ذلّ الحياة بما خانوا وما غدروا

أما ابن حنبل^(٣) فقد أورد حديثاً صريحاً عن معرفة الإمام علي (عليه السلام) بأطراف خفية تخطط لقتله، ولكنه طالب بمعاقة القاتل المباشر فقط، لما أراد أصحابه معرفة هويتهم، فعن عبد الله بن سبع قال: خطبنا علي فقال: (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتخضبن هذه من هذا، فما ينتظر بي الأشقي، فقال الناس: يا أمير المؤمنين فأخبرنا من هو؟ والله لنبهرن عترته، قال: إذن تالله تقتلون بي غير قاتلي فأشدكم بالله أن يقتل غير قاتلي، قالوا: إن كنت قد علمت ذلك استخلف إذا

(١) ابن قتيبة، الإمامة، ج ١، ص ١٣٩؛ ابن أبي دنيا، كتاب مقتل الإمام علي، ص ٤٣؛ الدينوري، الأخبار، ص ٢١٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ١٤٤؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٦.

(٢) ابن المطهر الحلي، العدد القوية لدفع المخاوف اليومية، ص ٢٣٨.

(٣) مسند، الحديث (١٠٧٨)، ص ١٢٥، والحديث (١٣٤٠)، ص ١٤٤.

قال لا ولكن أكلكم إلى ما وكلكم إليه رسول الله ﷺ، قالوا: فما تقول لربك إذا لقيتَه؟ قال أقول: اللهم تركتني فيهم ما بدا لك ثم قبضتني إليك وأنت فيهم فإن شئت أصلحتهم وإن شئت أفسدتهم).

وبعد استشهاد الإمام علي عليه السلام اقتصر الإمام الحسن عليه السلام من ابن ملجم فضرب عنقه تنفيذاً لوصية أبيه له: إذا أنا مت فاقتلوه كما قتلني، ضربة بضربة ولا تمثل بالرجل^(١). إلا أن ابن حنبل^(٢) يذكر وصية لعلي تختلف عما ذكر، فعن أبي يحيى قال: لما ضرب ابن ملجم عليا الضربة قال علي: (افعلوا به كما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل برجل أراد قتله فقالوا قتلوه ثم حرقوه)، ويؤيده الدينوري^(٣) حيث يقول: (بأن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قد مثل بابن ملجم فقطع يديه ورجليه وسمل عينيه...).

ومن الصعب تصديق هاتين الروايتين لمخالفتها الصريحة للكتاب والسنة حيث يقول الله عز وجل في محكم كتابة: ﴿وَالْحَرَّمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ عَتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا عَتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٤)، ويقول رسول الله ﷺ: (لا تجوز المثلة ولو بالكلب العقور)^(٥)، ومن غير المعقول إن يخالف الإمام علي عليه السلام الكتاب والسنة لأن النبي ﷺ أراد أن يحرق شخصاً

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٢٥؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٤٠؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٦١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ١٥١؛ ابن اعثم، الفتوح، ج ٤، ص ٢٧٩.

(٢) مسند، الحديث (٧١٣)، ص ٩٨-٩٩.

(٣) الأخبار الطوال، ص ٢١٥.

(٤) سورة البقرة، الآية (١٩٤).

(٥) الطبراني، المعجم الكبير، ج ١، ص ١٠٠.

أراد إن يقتله! فلا يوجد حكم شرعي في الإسلام على النية بدون تحقق الفعل، ولا توجد أصلاً في كتب السيرة النبوية هذه الرواية، والإجماع التاريخي لرواية القصاص العادل لقاتل الإمام علي (عليه السلام) يؤكد بطلان رواية ابن حنبل وأبي حنيفة الدينوري، وبخاصة أن المنفذ للقصاص هو الإمام الحسن (عليه السلام) لأن الوصية له. وقد خرج بعد استشهاد الإمام علي (عليه السلام) لينقل إلى أهل الكوفة نبأ رحيل أبيه عن الدنيا مذكراً إياهم بفضائله، كما يروي ابن حنبل^(١) عن هبيرة قال: (خطبنا الحسن بن علي فقال: لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون بعلم ولا يدركه الآخرون، كان رسول الله ﷺ يبعثه بالراية وجبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله لا ينصرف حتى يفتح له)، وعن عمرو بن حبشي قال: (خطبنا الحسن بن علي بعد قتل علي فقال: لقد فارقكم رجل بالأمس ما سبقه الأولون بعلم ولا أدركه الآخرون، إن كان رسول الله ﷺ ليعثه ويعطيه الراية فلا ينصرف حتى يفتح له، وما ترك من صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم لأهله)^(٢).

سابعاً: موقف أحمد بن حنبل من الخلافة الراشدة:

ورد في مسند أحمد بن حنبل أحاديث بشأن ترتيب الخلافة الراشدة، فهو يقر بخلافة الإمام علي (عليه السلام) وصحة بيعته ويعدّ خلافة الإمام الحسن (عليه السلام) ضمن الخلافة الراشدة، وقد عد دولة بني أمية دولة ملك وملوك، ومن ابرز تلك الأحاديث:

(١) مسند، الحديث (١٧١٩)، ص ١٧٧.

(٢) المصدر نفسه، الحديث (١٧٢٠)، ص ١٧٧.

حديث سفينة^(١): فعن سعيد بن جهمان قال: (حدثني سفينة: قال رسول الله ﷺ: الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملكا بعد ذلك، ثم قال لي سفينة: أمسك خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان وأمسك خلافة علي، قال: فوجدناها ثلاثين سنة ثم نظرت بعد ذلك في الخلفاء فلم أجده يتفق لهم ثلاثون...^(٢)؟ والاستفهام الذي ورد في الحديث لسعيد بن جهمان، لأن سفينة ذكر مدة الخلافة ثلاثين سنة وعدّ أربعة الخلفاء الراشدين، فتكون بذلك اقل من ثلاثين سنة إلا إذا احتسبت مدة خلافة الإمام الحسن عليه السلام عندئذ تكون من تولي أبي بكر عام ١١هـ، إلى تنازل الإمام الحسن عليه السلام سنة ٤١هـ، ثلاثون عاماً كاملة)^(٣).

وقد كان ابن حنبل من العلماء الذين شددوا على صحة الحديث، والتمسك بمدلوله، والقول بمضمونه، حيث ذكر ابنه عبد الله انه قال: (الخلافة على ما روى سفينة عن النبي ﷺ، علي الرابع في الخلافة، نقول بقول النبي ﷺ: الخلافة في أمتي ثلاثون سنة...)^(٤). ويقول أبو زرعة الدمشقي^(٥) في تاريخه: (سألت أحمد بن حنبل عن حديث سفينة، الخلافة بعدي ثلاثون سنة، يثبت؟ قال: نعم)، ولما كان أحمد بن حنبل يستند في أحكامه إلى ما أثر عن النبي ﷺ بعد أن يحكم على صحته، لذلك كان يقول: (حديث سفينة في الخلافة صحيح، إليه أذهب في

(١) سفينة: هو سقية بن مارية من أبناء فارس، كان مولى لأم سلمة زوج النبي ﷺ فأعتقته على أن يخدم النبي ﷺ، ساء النبي ﷺ سفينة لأنه كان معه في سفر وقد أعيا بعض القوم فحمل عنهم أمتعتهم، فقال له النبي ﷺ: إنما أنت سفينة. ينظر: ابن الأثير، اسد الغابة، ج ٢، ص ٥٠٣.

(٢) ابن حنبل، مسند، الحديث (٢٢٢٧٣)، ص ١٦١٨.

(٣) ابن العربي، العواصم من القواصم، ص ٢٩٩-٣٠٤.

(٤) ابن حنبل، مسائل الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله، ص ٤٢٤.

(٥) عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري (ت: ٢٨١هـ / ٨٩٤م): تاريخ أبي زرعة، وضع حواشيه: خليل منصور، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٦م)، ص ٢١٥.

الخلفاء^(١)، ونقطة القوة التي يتمتع بها أحمد بن حنبل في القول بخلافة الإمام علي (عليه السلام) كونه إمام أهل السنة، وإمام المذهب الحنبلي، وأنه خالف معاصريه من أهل الحديث العثمانية، وكان جريئاً في معارضتهم، وقد سببت أقواله في قضية الخلافة حرجاً لأتباعه الذين جاءوا من بعده، والذين حاولوا الطعن بصحة الحديث، على الرغم من أن إمامهم ابن حنبل قد اثبت صحته، وذلك من اجل جعل معاوية من الخلفاء وتنزيهه من تحويل الخلافة إلى ملك استبدادي^(٢)، ويتجلى ذلك من قول عبد الله بن أحمد لأبيه، الذي يشير إلى طعن العثمانية بخلافة الإمام علي (عليه السلام)، حيث قال عبد الله: (إن قوماً يقولون إنه ليس بخليفة؟ فقال له أحمد بن حنبل: هذا قول سوء رديء، ودليله: إن أصحاب رسول الله كانوا يقولون له: يا أمير المؤمنين أفنكذبهم؟ وقد حج وقطع ورجم فيكون هذا إلا خليفة؟)^(٣).

ويبدو أن قول ابن حنبل هذا أساء بعضهم فقصد به بعضهم ليستطلع رأيه، كما يروي الخطيب البغدادي^(٤) عن عبد الله بن حنبل: (قال عبد الله: كنت بين يدي أبي جالساً ذات يوم، فجاءت طائفة من الكرخيين، فذكروا خلافة أبي بكر، وخلافه عمر بن الخطاب، وخلافة عثمان بن عفان، فأكثروا، وذكروا خلافة علي بن أبي طالب وزادوا فأطالوا، فرفع أبي رأسه إليهم، فقال لهم أبي: (يا هؤلاء، قد أكثرتم القول في علي والخلافة، والخلافة وعلي، إن الخلافة لم تزين علياً بل علي زينها)).

(١) ابن حنبل، مسائل، ص ٢٣٥.

(٢) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج ٤، ص ٤٩٩-٥٢٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٨٩ -

٩٢؛ ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٦٠.

(٣) ابن حنبل، مسائل، ص ٢٣٥.

(٤) تاريخ بغداد، ج ١، ص ١٣٥.

والجدير بالذكر هو أن حديث سفينة رغم شهرته لم يذكره أصحاب الصحاح، وذكره أصحاب السنن كأبي داود^(١) والترمذي^(٢)، ورواه البيهقي في الدلائل^(٣) والحاكم النيسابوري في المستدرک^(٤)، والطبراني في المعجم^(٥)، واعتمد عليه الإمام أحمد في تقرير خلافة الخلفاء الراشدين الخمسة، وثبته، وجادل به من توقف في خلافة علي، بزعم تخلف جماعة من الصحابة عنه منهم سعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وابن عمر وأسامة بن زيد وسواهم من نظرائهم، وإنهم إنما بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان، وأن أهل الشام؛ معاوية ومن معه لم يبايعوه بل قاتلوه^(٦)، حتى قال أحمد بن حنبل فيهم: (من لم يربع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله، ونهى عن مناكحته)^(٧). كما استدل ابن حنبل على أن الحق مع الإمام علي عليه السلام في صراعه مع معاوية من خلال حديثي النبي صلى الله عليه وآله: الأول: حديث الفئة الباغية المروي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله قال: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار)^(٨). الثاني: حديث الخوارج المروي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله: (تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق)^(٩). حيث كان أحمد يقول: (ليس عندي في تثبيت

(١) سنن أبي داود، ج ٤، ص ١١٢.

(٢) سنن الترمذي، ج ٤، ص ٥٠٣.

(٣) دلائل النبوة، ج ٦، ص ٣٤١.

(٤) المستدرک، ج ٣، ص ١٤٥.

(٥) المعجم الكبير، ج ٧، ص ٩٧.

(٦) العواصم من القواصم ص ١٤٥ - ١٤٧.

(٧) هذه الرسالة بالمكتبة الظاهرية بخطه في مسودته نقلا عن: الشيخ، ناصر بن علي عايض حسن، عقيدة

أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، ط ١، مكتبة الرشد، (الرياض، ١٩٩٣م)، ج ٢، ص ٢٨٦.

(٨) ابن حنبل، مسند، الحديث (١١٨٨٣)، ص ٨٤٠.

(٩) المصدر نفسه، الحديث (١١٢٩٥)، ص ٧٩٨.

خلافة علي (عليه السلام) اثبت من حديثي أبي سعيد الخدري (١).

وقد عدّ بعض المؤرخين (٢) محاربة الأمويين لعلي وأنصاره وإبعاد أبنائه عن الحكم، رغبةً منهم في سلب الخلافة والاستئثار بالسلطة، السبب الرئيس في جعل الخلافة تتحول إلى الملك الوراثي، وتنحرف عن الأسس الشرعية للحكم الإسلامي، لذلك وصفوا الأمويين بالطغاة المستبدين وملكهم بالخلافة الناقصة، لخروجهم على قواعد الخلافة الشرعية، لقد اتخذ معاوية بن أبي سفيان من مقتل الخليفة عثمان ذريعة للوصول إلى الحكم، وذلك بأن رمى علياً (عليه السلام) بتهمة قتله، وأغوى أهل الشام بإشاعته المطالبة بدم عثمان، وقد برأ ابن حنبل ساحة الإمام علي (عليه السلام) من دم عثمان، حيث أورد ابنه عبد الله حديثاً عن حصين الحارثي، قال: (جاء علي إلى زيد بن أرقم يعودوه وعنده قوم، قال: فقال علي: انصتوا، فوالله لا تسألوني عن شيء حتى أقوم إلا حدثتكم به، قال: فقال له زيد: أنشدك الله، أنت قتلت عثمان، قال: فأطرق علي ساعة، ثم رفع رأسه ثم قال: لا، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة ما قتلته، ولا أمرت بقتله) (٣). ومع ذلك ظل معاوية يصصر على استخدام هذه الورقة السياسية لتحقيق غايته الدنيوية، وما إن تحققت له أمانيه في الوصول إلى سدة الحكم حتى أصبح عثمان نسياً منسياً، وأصبحت الأمة كلها ملكاً لصاحب السلطان، وقد وصف الحسن البصري خصال معاوية حين استلم الحكم بقوله: (أربع خصال في معاوية، لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة

(١) ابن حنبل، مسائل، ص ٤١٤.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٦٩؛ الجاحظ، رسالة في الحكمين، ص ٣٦٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٢٢٧؛ ابن عنبه، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ص ٧٤؛ حسين، الفتنة الكبرى، الجزء الثاني (علي وبنوه)، ص ٢٢٥؛ طي، محمد، الإمام علي (عليه السلام) ومشكلة نظام الحكم، ط ٢، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، (بيروت، ١٩٩٧م)، ص ١٦٩.

(٣) ابن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، ص ٣٠٧.

لكانت موبقة: انتزأؤه هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضل، واستخلافه ابنه من بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعأؤه زياداً وقد قال: رسول الله ﷺ الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقتله حجر بن عدي وأصحابه، ويل له من حجر وأصحاب حجر^(١).

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٧٩؛ نقلاً عن: حسين، الفتنة الكبرى، الجزء الثاني (علي وبنوه)، ص ٢٢٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، عبر ما تطرقنا إليه في هذا البحث يمكننا استعراض أهم النتائج التي توصلنا إليها، بالآتي: -

يعد الحديث وأسانيده وعلومه الأساس الأول لنشأة التدوين التاريخي عند المسلمين، سيما في السيرة النبوية والمغازي، وتاريخ الصحابة.

على الرغم من أن النبي ﷺ قد أجاز رواية سنته وتدوينها، إلا أن الخلفاء الثلاث منعوا ذلك، فظلت السنة النبوية محفوظة في صدور الرجال، تتناقلها الشفاه حتى انتهى الحظر المفروض على تدوين السنة، فانطلق رجال الحديث يجوبون البلاد ويتجشمون عناء السفر بقصد الحصول على حديث واحد، أو جملة أحاديث من مظانها، إلا أن الرواة وخلال عملية جمع وتدوين الحديث جعلوا أحاديث الصحابة جزءاً من السنة النبوية، فخلطوا الغث مع السمين.

تبين أن أحمد بن حنبل يميل إلى مدرسة الخلفاء، ويرى أن السلطة السياسية تمثل تطبيق الشريعة، والوقوف ضدها خروجاً على الشريعة، وقد بولغ كثيراً في موقف أحمد بن حنبل في محنة خلق القرآن، فأصبح ابن حنبل من مشاهير أئمة الحديث عقب انجلاء المحنة، وتقريب المتوكل العباسي له دون سواه من المحدثين ممن صمدوا في الامتحان وظلوا في السجون إلى أن ماتوا.

لم يكن أحمد بن حنبل فقيهاً متمرساً في الفتوى، إنما أسس له أتباعه وتلاميذه مذهباً فقيهاً نسبوه إليه، وذلك بعد الانقلاب المتوكلي، وقد اتسم المذهب الحنبلي بالتطرف بآرائه والعنف في فرضها، الأمر الذي أدى إلى انتشار الفتن المذهبية، وتعمق الخلافات بين الفرق والمذاهب الإسلامية.

لم يدون أحمد بن حنبل أي مصنف، وكتابه المسند كان على شكل مسودات جمع فيها ابن حنبل الأحاديث التي سمعها من شيوخه، وقام ابنه عبد الله بجمعها وترتيبها، لأن أحمد بن حنبل كان ينهى عن الكتابة والتدوين ولكنه استدرك في أواخر حياته فقرأ المسند على ابنه سماعاً وأمره بتدوينه ليكون مرجعاً للأمة تستفيد منه عند الاختلاف، ويعد المسند من أوسع كتب الحديث وأشملها، فهو من الموسوعات الحديثية الضخمة فقد بلغت عدد أحاديثه على المشهور التاريخي الأربعين ألف حديث، ولكن ما وجدناه في النسخ المطبوعة أن عدد أحاديث المسند تتراوح ما بين (٢٧٠٠٠ - ٢٩٠٠٠) وهي أعداد تزيد ثلاثة أضعاف عما جاء في صحيح البخاري.

على الرغم من سعة مسند أحمد بن حنبل وشموليته إلا أنه اغفل عن بعض الأحداث المهمة في حياة الإمام علي عليه السلام، وقد اشرنا إلى أهم الأحداث التي أغفلها ابن حنبل في مسنده في طيات البحث.

ومن النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث هي أن الزيادات التي أضيفت على مسند أحمد بن حنبل من قبل ابنه عبد الله بن أحمد، وكذلك من قبل القطيعي، لم تكن تشكل نسبة كبيرة بالقياس مع عدد أحاديث المسند، فزوائد عبد الله بن أحمد بلغت (١٠٤٧) حديثاً، بينما اختلفت الآراء حول زوائد القطيعي في المسند فبلغ أعلاها حديث، بينما كان أقلها حديث واحد، وبذلك يسقط الزعم القائل بأن أحاديث الفضائل الواردة في المسند بحق الإمام علي عليه السلام هي من زيادات رواة المسند وهم ابنه عبد الله والقطيعي.

وثق أحمد بن حنبل أحاديثه ومروياته بسلسلة من الأسانيد تنتهي عند قول النبي ﷺ، أو عند قول الصحابي، وقد تباينت أطوال الروايات التاريخية التي

يوردها ابن حنبل في مسنده، فنجد بعض الأحاديث عبارة عن كلمات قليلة، بينما نجد روايات أخرى تصل إلى عدة صفحات.

وجدنا في كتاب المسند مادة تاريخية غزيرة وهامة، لدراسة السيرة النبوية، والمغازي، وتاريخ الصحابة، وإن الجمع بين الروايات التاريخية والروايات الحديثية تعطي الباحث تصوراً دقيقاً عن القضية المبحوث فيها، كما يجعل تحليلاته واستنتاجاته اقرب ما تكون إلى الواقع التاريخي، وبالمقابل فإن المصادر التاريخية تأتي بتفصيلات كثيرة تسد الفراغ الذي ينشأ من اقتصار الحديث على إلماح مختصر للعديد من القضايا ذات البعد التاريخي المهم.

من خلال البحث في أحاديث المسند وجدنا أن أحمد بن حنبل كان أكثر المحدثين الذين سبقوه أو عاصروه إيراداً لفصائل الإمام علي عليه السلام، بل انه تفرد في ذكر أحاديث لم يذكرها احد من المحدثين أو المؤرخين، وبعد الاطلاع على آرائه من خلال المؤلفات الأخرى تبين: أن أحمد بن حنبل خالف العثمانية -الذين يقفون عند خلافة عثمان وينكرون خلافة الإمام علي عليه السلام- في إقراره بخلافة الإمام علي عليه السلام.

أحياناً يورد أحمد بن حنبل في مسنده روايات متناقضة بشأن الإمام علي عليه السلام ولعل هذا التناقض يرجع إلى تعدد موارد ابن حنبل عن شيوخه الذين لم يكونوا على درجة واحدة من الضبط في رواية الحديث، أو الوثاقة، أو الاتجاه الفكري والعقائدي للراوي، الذي لا يروق له أن يكون الإمام علي عليه السلام فقط هو الحائز على كل الفضائل والمناقب، إذ ينقل أحمد بن حنبل رواية عن النبي ﷺ تشيد بعبادة الإمام علي عليه السلام في مسند احد الصحابة، بينما يذكر في مسند صحابي آخر رواية تشير إلى أن النبي يأمر الإمام علياً وفاطمة -عليهما السلام- ولا يستجيبون! كذلك سابقته عليه السلام إلى الإيمان، وغيرها من الأمور التي ناقشناها في طيات هذا البحث.

ومن النتائج المهمة التي كشفت عنها هذه الدراسة هي أن أحمد بن حنبل لا يشك في ترتيب خلفاء النبي ﷺ رغم أنه يروي لبيعة الغدير وحوادث السقيفة، مستدلاً بذلك بحديث النبي ﷺ المروي عن سفينة، والمعروف - بحديث سفينة - والذي يقول فيه: (الخلافة من بعدي ثلاثون سنة)، أي من سنة (١١هـ / ٦٣٢م) حتى سنة (٤١هـ / ٦٦١م)، ويجعل حكم بني أمية ملكاً بدليل قوله ﷺ في حديث سفينة نفسه: (... ثم يأتي بعد ذلك دولة الملوك).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المصادر الأولية:

* ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت: ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م):

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، (بيروت، د. ت).
٢. الكامل في التاريخ، ط ٤، تحقيق: مكتبة التراث، مؤسسة التاريخ العربي، (بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

* ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت: ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م):

١. جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط ١، دار الفكر، (دمشق، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م).

* الأربلي، علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت: ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م):

كشف الغمة في معرفة الأئمة، ط ٢، دار الأضواء (بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

* الأشبيلي: أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي (ت: ٥٧٥هـ / ١١٧٩م):

١. فهرسة ما رواه عن شيوخه، تحقيق: فرنشكة قدارة زيددين وآخرون، دار الآفاق الجديدة، (بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٩م).

* الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق (ت: ٣٢٤هـ / ٩٣٥م):

٢. الإبانة في أصول الديانة، ط ١، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).
٣. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تصحيح: هلموت ريتز، وفرانز شتايز، ط ٢، (فيسبادن، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م).

* ابن أعثم، أبو محمد أحمد بن اعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م):

١. الفتوح، ط ١، تحقيق: محمد عبد المنعم، مطبعة دار المعارف العثمانية، الهند، ١٩٧٥.

* البخاري، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م):

١. التاريخ الكبير، تحقيق: هاشم الندوي، دار الفكر للطباعة والنشر، (بيروت، د. ت).

٢. صحيح البخاري، ط ١، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

* ابن البطريق، يحيى بن الحسن الاسدي الحلي (ت: ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م):

١. عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي والشيخ إبراهيم البهادري، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)

* البغدادي، عبد القادر بن طاهر بن محمد (ت: ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م):

١. الفرق بين الفرق، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، (بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

* البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت: ٥١٦هـ/ ١١٢٢م):

١. معالم التنزيل (تفسير البغوي)، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، (الرياض، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)

* ابن بكار، الزبير (ت ٢٥٦م/ ٦٨٩م):

١. الأخبار الموفقيات، تحقيق: سامي مكّي العاني، دار إحياء التراث الإسلامي، مطبعة العاني، (بغداد، ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢).

* البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م):

١. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)

* البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت: ٢٧٩هـ / ٨٩٢م):

١. انساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، ورياض زركلي، ط ١، دار الفكر، (بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

* البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل، (ت: ٣٢٢هـ / ٩٣٣م):

١. البدء والتاريخ، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت).
- * البلقيني، عمر بن رسلان بن نصير (ت: ٨٠٥هـ، ١٤٠٢م):
١. محاسن الاصطلاح وتضمنين كتاب ابن الصلاح، تحقيق: د. عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطي، دار الكتب، (بيروت، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٤م)

* البيهقي: إبراهيم بن محمد (ت: ٣٢٠هـ / ٩٣٢م):

١. المحاسن والمساوي، دار صادر، (بيروت، ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م).
- * البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسن بن علي بن موسى (ت: ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م):
١. سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).

* الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت: ٢٧٩هـ / ٨٩٢م):

١. سنن الترمذي، تحقيق مصطفى محمد حسين الذهبي، ط ١، دار الحديث، (القاهرة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).

* ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت: ٨٤٧هـ / ١٤٤٣م):

١. النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، ط ٢، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة، ١٣٥٠هـ / ١٩٣٢م).

* ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني، (ت:

٧٢٨هـ / ١٣٢٧م):

١. منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط ١، مؤسسة قرطبة، (القاهرة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

* الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م):

١. رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م).

٢. العثمانية، تحقيق: عبد السلام هارون، ط ١، دار الجبل، (بيروت، د.ت) ومنشور مع كتاب الجاحظ (العثمانية) كتاب (نقض العثمانية)، لأبي جعفر الاسكافي، جمع وتحقيق: عبد السلام هارون.

* الجرجاني: أبو الحسن علي بن محمد بن علي (ت: ٨١٦هـ / ٤١٣م):

١. التعريفات، تحقيق: د. أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

* ابن الجوزي: شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن علي الدمشقي (ت ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م):

١. المصعد الأحمدي في ختم مسند الإمام أحمد، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ١، دار السلفية، (القاهرة، ١٩٩٠م).

* الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي (ت: ٣٧٠هـ / ٩٨٠م):

١. الفصول في الأصول، ط ١ (د.م، د.ت).

* أبو جعفر الاسكافي، محمد بن عبد الله المعتزلي (ت: ٢٢٠هـ / ٨٣٥م):

١. المعيار والموازنة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق محمد باقر المحمودي، ط ١، مكتبة الإسكندرية، (مصر، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م)

* ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م):

١. صفة الصفوة، تحقيق: محمد فاخوري، (مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م).

٢. صيد الخاطر، المكتبة السلفية (المدينة المنورة، د.ت)

٣. مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ط ١، دار الآفاق الجديدة، (بيروت، ١٣٩٢هـ /

١٩٧٣م).

٤. المتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، د. ت).

* الجوهري، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز البصري (ت: ٣٢٣هـ / ٩٣٤م):

١. السقيفة وفدك، تحقيق: محمد هادي الأميني، ط ٢، شركة الكتبي، (بيروت، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م)

* الجويني، إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن عبد الله (ت: ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م):

١. فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط ١، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، (بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٨م)

* ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت، ٣٢٧هـ / ٩٣٨م):

١. الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م)

* حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسنطي الرومي (ت، ١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م):

١. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، (بيروت، د. ت).

* الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت: ٤٠٥هـ / ١٠١٤م):

١. المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ٢، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م).

٢. معرفة علوم الحديث، تحقيق: لجنة إحياء التراث، ط ٤، دار الآفاق الجديدة، (بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م).

* ابن حبان، أبو حاتم محمد بن أحمد البستي (ت: ٣٥٤هـ / ٩٦٥م):

١. الثقات في الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، ط ١، دار الفكر، (بيروت، ١٣٨٤هـ / ١٩٧٣م).

٢. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمنكرين، تحقيق: إبراهيم محمود زايد، دار الوعي، (حلب، د.ت).

* ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي (ت، ٢٤٥هـ / ٨٥٩م):

١. المحبر، باعتناء ايلزة ليحتن شتير، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد الدكن، ١٣٦٠هـ / ١٩٤٢م).

* ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت، ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م):

١. الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتاب العربي، (بيروت، د.ت)
٢. إطراف المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي، تحقيق: د.زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار ابن كثير، (بيروت، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).
٣. تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، اعتنى به أيمن صالح شعبان، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م).
٤. تهذيب التهذيب، (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م).

٥. فتح الباري في شرح صحيح البخاري،، ط٢، دار المعرفة (بيروت، د.ت).

٦. القول المسدد في الذب عن المسند للإمام احمد، إدارة ترجمان السنة، (باكستان، د.ت).

* ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت، ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م):

١. جهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (دار المعارف، مصر، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م).

٢. الفصل في الملل والأهواء والنحل، مطبعة صبيح، (القاهرة، ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م).

* ابن أبي الحديد، أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين

المدائني (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م):

١. شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار إحياء الكتب

العربية، (بيروت، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م).

* ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني (ت: ٤١هـ / ٨٥٥م):

١. العلل ومعرفة الرجال، تحقيق: وصي الله محمد عباس، ط ١، المكتب الإسلامي، (بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

٢. فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق: حسن حميد السنيدي، المجمع العالمي لأهل البيت (ع)، (قم، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

٣. مسائل الإمام أحمد بن حنبل برواية ابنه عبد الله، تحقيق: علي سليمان المهنا، ط ١، مكتبة الدار، (المدينة المنورة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقبوال والأفعال للمتقي الهندي، عني بتصحيحه: محمد الزهري الغمراوي، المطبعة الميمنية، بإدارة أحمد الباي الحلبي، (مصر، ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م).

٥. المسند للإمام أحمد بن حنبل، شرحه وصنع فهارسه: أحمد محمد شاكر وأكملة حمزة الزين، ط ١، دار الحديث، (القاهرة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، ط ١، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل، حققه وضبط نصه: السيد أبو المعاطي النوري وآخرون، ط ١، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م).

٨. مسند الإمام الحافظ أبي عبد الله أحمد بن حنبل، بيت الأفكار الدولية، (الرياض، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م).

٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل، حققه ووضع حواشيه ورقم أحاديثه: محمد عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م).

١٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل مكنز المسترشدين في الدلالة إلى حديث سيد المرسلين، دار المنهاج، جمعية المكنز الإسلامية، (جدة، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م).

* ابن حنبل، أبو عبد الله حنبل بن إسحاق (ت: ٢٧٣هـ / ٨٨٦م):

١. ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: د. محمد نعش، ط ٢، (الرياض، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)

* ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت: حدود ٣٠٠هـ / ٩١٢م):

١. المسالك والممالك، مطبعة بريل (ليدن، ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م).
- * الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت: ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م):
١. تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).
٢. تقييد العلم، تحقيق يوسف العش، دار إحياء السنة النبوية، (د.م، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٤م).
٣. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: الدكتور محمود الطحان، مكتبة المعارف، (الرياض، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م)
٤. الرحلة في طلب الحديث، تحقيق: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٥م).
٥. الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أبو عبد الله السورقي وإبراهيم حمد المدني، المكتبة العلمية (المدينة المنورة، د.ت).

* ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت، ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م):

١. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط ٤، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٢٩٩هـ / ١٩٧٩م).
٢. مقدمة ابن خلدون، ط ٣ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت).

* ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت: ٦٨١هـ / ١٢٨٢م):

١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط ١، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة،

(بيروت، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م).

* الخوارزمي، أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي اخطب خوارزم (ت: ٥٦٨هـ / ١١٧٢م):

١. المناقب، تحقيق: مالك المحمودي، ط ٢، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٤١١هـ / ١٩٩١م)

* ابن خياط، خليفة بن خياط الليثي العصفري (ت: ٢٤٠هـ / ٨٥٤م):

١. تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط ٢، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م).

* الخياط، أبو الحسين عبد الرحمن بن محمد (ت: ٣٠٠هـ / ٩١٢م):

١. الانتصار والرد على ابن الراوندي، تحقيق: نيجرج، دار الكتب المصرية، (القاهرة، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م).

* ابن أبي داود، أبو بكر عبد الله السجستاني (ت: ٣١٦هـ / ٩٢٨م):

١. كتاب المصاحف، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)،

* ابن دحلان، أحمد بن زيني (ت: ٧٠٣هـ / ١٣٠٤م):

١. السيرة النبوية، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م)

* ابن دقيق العيد، محمد بن علي القشيري، (٧٠٢هـ / ١٣٠٢م):

١. الاقتراح في بيان الاصطلاح وما أضيف إلى ذلك من الأحاديث المعدودة في الصحاح، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

* ابن أبي الدم، شهاب الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الهمداني (ت: ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م):

١. أدب القضاء، تحقيق: محمد مصطفى الرحيلي، مجمع اللغة العربية، (دمشق، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٥م).

- * ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد (ت: ٢٨١هـ / ٨٩٤م):
١. مقتل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط ١، مؤسسة الطبع والنشر، (طهران، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م)
- * الديار بكري، الحسين بن محمد بن الحسن (ت: ٩٦٦هـ / ١٥٥٨م):
١. تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، مؤسسة شعبان، (بيروت، د. ت).
- * الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت: ٢٨٢هـ / ٨٩٥م):
١. الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، (القاهرة، ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م).
- * الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م):
١. تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، د. ت).
 ٢. سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).
 ٣. العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد سعيد، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).
 ٤. الكاشف في معرفة من له رواية في كتب السنة، تحقيق: محمد عوامة، ط ١، دار القبلة للثقافة الإسلامية، (جدة، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
 ٥. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: الشيخ علي محمود معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).
- * الرازي، محمد بن عمر التميمي، (ت: ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م):
١. مفاتيح الغيب المعروف ب(التفسير الكبير، وتفسير الفخر الرازي)، ط ٤، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م)
- * الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م):
١. مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، (بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

* الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن الفضل (المتوفي في حدود ٤٢٥هـ / ١٠٣٣م):
١. مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داودي، ط ٣، انتشارات ذوي القربى، (قم، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م).

* الربيعي، أبو سليمان محمد بن عبد الله بن زبر (ت: ٣٧٩هـ / ٩٨٩م):
١. تاريخ موالد العلماء ووفياتهم، تحقيق: د. عبد الله أحمد سليمان، دار العاصمة، (الرياض، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

* الرامهرمزي، أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن (ت: ٣٦٠هـ / ٩٧٠م):
١. الحد الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، ط ٣، دار الفكر، (بيروت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م).

* ابن رجب الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد البغدادي (ت: ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م):

١. الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق، أسامة حسن، وحازم علي بهجت، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).

* الزبيري، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن الزبير (ت: ٢٣٦هـ / ٨٥٠م):
١. نسب قريش، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط ٤، دار المعارف، (القاهرة، د.ت).

* أبو زرعة، عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان (ت: ٢٨١هـ / ٨٩٤م):
١. تاريخ أبي زرعة، وضع حواشيه: خليل منصور، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

* سبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن فرغلي (ت: ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م):
١. تذكرة الخواص، مؤسسة أهل البيت - ع - (بيروت، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

* السبكي: تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت: ٧٧١هـ / ١٣٦٩م):

١. طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وآخرون، ط ١، مطبعة

عيسى البابي الحلبي وشركاه، (القاهرة، ١٩٦٤م).

* السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي (ت: ٢٧٥هـ / ٨٨٨م):

١. سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، (د.م، د.ت).

* السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، (ت: ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م):

١. فتح المغيث في شرح ألفية الحديث، تحقيق: رياض عبد الله عبد الهادي، ط ١، دار

إحياء التراث العربي (بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م)

* ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت: ٢٣٠هـ / ٨٤٤م):

١. الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، د.ت).

* السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م):

١. نفثات صدر المكمد وقرة عين الأرمذ لشرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد، تحقيق:

عبد القادر الأرناؤوط، ط ٥، المكتب الإسلامي، (بيروت، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م).

* السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد (ت: ٥٦٢هـ / ١١٦٦م):

١. أدب الإملاء والاستملاء، تحقيق: سعيد محمد اللحام، ط ١، مكتبة الهلال،

(بيروت، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م).

٢. الأنساب، تعليق: عبد الله عمر البارودي، ط ١، دار الجنان، (بيروت،

١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م).

* ابن سيد الناس، محمد بن عبد الله بن يحيى (ت: ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م):

١. عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، مؤسسة عز الدين للطباعة

والنشر، (بيروت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

* السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت: ٥٨١هـ / ١١٨٥م).

١. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن

الوكيل، دار النصر للطباعة (القاهرة، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م)

* السيد الحميري، إسماعيل بن محمد (ت: ١٧٣هـ / ٧٨٩م):

١. ديوان السيد الحميري، جمع وتحقيق: شاكر هادي شكر، مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت).

* السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ / ١٥٠٥م).

١. تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأئمة، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط، مطبعة السعادة ١ (القاهرة، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م).

٢. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط ٣، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).

٣. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ط ١، دار المعرفة (بيروت، ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م).

٤. طبقات الحفاظ، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

٥. عقود الزبرجد في إعراب الحديث النبوي، تحقيق: سلمان القضاة، دار الجليل، (بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

* ابن شاذان، أبو الحسن محمد بن أحمد (ت: ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م):

١. مئة منقبة من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من ولده، تحقيق: نبيل رضا علوان، ط ٢، (د.م، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).

* الشافعي، محمد بن إدريس (ت: ٢٠٤هـ / ٨١٩م).

١. كتاب الأم، ط ٢، دار الفكر، (بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م).

* الشافعي، أبو المحاسن شمس الدين محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني (ت: ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م).

١. الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال سوى من ذكر في تهذيب الكمال، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، ط ١، منشورات جامعة الدراسات الإسلامية، (باكستان، د.ت).

* أبو شامة المقدسي، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل (ت: ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م).

١. مختصر كتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول، ضمن مجموع: من هدى المدرسة السلفية، دار الشهاب (الجزائر، د.ت).

* ابن شبة النميري، أبو زيد عمر بن شبة البصري (ت: ٢٦٢هـ / ٨٧٥م).

١. تاريخ المدينة المنورة، نظمه: فهيم محمد شلتوت، دار التراث، (بيروت، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

* الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى (ت: ٤٠٦هـ / ١٠١٥م).

١. خصائص الأئمة، مجمع البحوث الإسلامية، (النجف الأشرف، ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م).

٢. نهج البلاغة (مجموع ما اختاره السيد الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام)، تحقيق: جعفر الحسيني، ط ١، دار الثقلين، (قم، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).

* ابن شعبة الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين، (من أعلام القرن الرابع الهجري):

١. تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وسلم، قدم له وعلق عليه محمد الحسين الأعلمي، ط ١، منشورات آفرند، (قم، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م).

* ابن شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي المازندراني (ت: ٥٨٨هـ / ١١٩٢م).

١. مناقب آل أبي طالب، المكتبة الحيدرية، (النجف الأشرف، د.ت).

* الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت: ٥٤٨هـ / ١١٥٣م).

١. الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٨٠م).

* الشهيد الثاني، زين الدين علي بن أحمد العاملي (ت: ٩٦٥هـ / ١٥٥٧م):

١. شرح البداية في علم الدراية، تحقيق: محمد رضا الحسيني الجلاي، ط ١، منشورات

الفيروز آبادي، (قم المقدسة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م). الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم

بن علي بن يوسف (ت: ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م).

٢. طبقات الفقهاء، تحقيق: خليل الميس، دار القلم، (بيروت، د. ت)
- * ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد (ت: ٢٣٥هـ / ٨٤٩م):
١. المصنف في الحديث والآثار، تحقيق: عبد الخالق الأفغاني، الدار السلفية، (بومباي، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).
- * الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ / ٩٩١م):
١. التوحيد، ط ٢، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٧م)
٢. معاني الأخبار، تحقيق: علي أكبر غفاري، (قم، ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م)
٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ط ١، إنتشارات الشريف الرضي، (قم، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م).
٤. علل الشرائع، قدم له: محمد صادق بحر العلوم، ط ١، منشورات دار الزهراء، (قم، ١٣٨٤هـ / ١٩٩٤م).
- * ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت، ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م):
١. مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، تحقيق: نور الدين عتر، مطبعة الأصيل، (حلب، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م)،
- * الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م):
١. الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، ط ١، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).
- * الصنعاني، عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري (ت: ٢١١هـ / ٨٢٦م):
١. المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط ٢، المكتب الإسلامي، (بيروت، ١٤٠٣هـ).
- * الصنعاني، محمد بن إسماعيل (ت: ١١٨٢هـ / ١٧٦٨م):
١. توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد،

المكتبة السلفية، (المدينة المنورة، د.ت).

* الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت: ٣٦٠هـ / ٩٧٠م):

١. المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، ط٢، مكتبة ابن تيمية، (القاهرة، د.ت).

٢. المعجم الأوسط، تحقيق: محمود الطحان، ط١، (الرياض، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤).

* الطبرسي، أحمد بن علي بن طالب (ت: ٥٦٠هـ / ١١٦٤م):

١. الاحتجاج، تعليق: محمد باقر الخراسان، ط٤، منشورات ذوي القربى، (قم، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٨م).

٢. تاج الموالي في مواليد الأئمة ووفياتهم، مكتبة آية الله المرعشي، (قم، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

* الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨هـ / ١١٥٣م):

١. إعلام الوري، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الأعلمي، (بيروت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م)

٢. مجمع البيان في تفسير القرآن، دار الفكر، (بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م)

* الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ / ٩٢٢م):

١. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٦، دار المعارف، القاهرة، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٦م).

٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، ضبطه وعلق عليه: محمود شاکر الحرساني، ط١، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، د.ت)

* ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت: ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م):

١. الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، دار صادر، (بيروت، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م).

* الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت: ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م):

١. رجال الطوسي، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

٢. الفهرست، تحقيق: جواد القيومي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر مؤسسة نشر الفقهية، (قم، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

* ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن طاهر الكاتب (ت: ٢٨٠هـ / ٨٩٣م):

١. كتاب بغداد، شرح: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م).

* ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو الشيباني (ت: ٢٨٧هـ / ٩٠٠م):

١. الأوائل، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار الخلفاء للكتاب، (الكويت، د.ت).

* ابن عبد البر، أبو عمر يوسف النمري القرطبي الأندلسي (ت: ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م):

١. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، صححه وخرج أحاديثه: عادل مرشد، ط١، دار الأعلام، (الأردن، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م).

٢. جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م).

* ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد (ت: ٣٢٨هـ / ٩٣٩م):

١. العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، دار الفكر، (بيروت، د.ت)

* أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ / ٨٣٨م):

١. الأموال، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب المصرية، (القاهرة، ١٩٣٤م).

* ابن عدي، عبد الله بن عدي بن محمد بن المبارك الجرجاني (ت: ٣٦٥هـ / ٩٧٥م):

١. الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).

* العجلي، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي (ت: ٢٦١هـ / ٨٧٤م):

١. معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم

البستوي، ط ١، مكتبة الدار، (المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

* ابن عربي، محي الدين أبو بكر محمد بن علي (ت: ٥٧٥هـ / ١١٨٠م):

١. الفتوحات المكية، تحقيق: د. عثمان يحيى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

* ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المالكي الأندلسي (ت: ٥٤٣هـ / ١١٤٨م):

١. العواصم من القواصم، تحقيق: محب الدين الخطيب، ط ١، دار الكتب السلفية، (القاهرة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

* ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: ٥٧١هـ / ١١٧٥م):

١. تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، (بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٨٤م).

* العقيلي: أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى المكي (ت: ٣٢٢هـ / ٩٣٣م):

١. كتاب الضعفاء الكبير، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

* العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي (ت: ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م):

١. المستجاد من كتاب الإرشاد، تحقيق محمد البدري، ط ١، منشورات مؤسسة المعارف الإسلامية، (إيران، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

* العليمي، أبو اليمن مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن (ت: ٩٢٨هـ / ١٥٢١م):

١. المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط ١، عالم الكتب، (بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

* ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد (ت: ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م):

١. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، (بيروت، د. ت).

* ابن عنه، جمال الدين بن علي الحسيني (ت: ٨٢٨هـ / ١٤٣٦م):

١. عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب، ط٢، منشورات المطبعة الجديدة، (د.م، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م).

* الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد (ت: ٥٠٥هـ / ١١١١م):

١. سرّ العالمين وكشف ما في الدارين، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت)
٢. المنقذ من الضلال، (دمشق، ١٣٥١هـ / ١٩٣٣م).

* الفاكهي، محمد بن إسحق بن العباس الفاكهي (ت: ٢٧٥هـ / ٨٨٨م):

١. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ط٢، دار الخضر، (بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

* الفضل، صالح بن أحمد بن حنبل (ت: ٢٥٦هـ / ٨٦٩م):

١. سيرة الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: فؤاد عبد المنعم احمد، ط٣، دار السلف للنشر والتوزيع، (الرياض، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

* ابن الفرضي: أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت: ٤٠٣هـ / ١١٠٢م):

١. تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م).

* القاضي عبد الجبار، عبد الجبار بن أحمد الهمداني (ت: ٤١٥هـ / ١٠٢٤م):

١. شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، ط١، مطبعة مكتبة وهبة، (القاهرة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م).

٢. فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق: سيد فؤاد، دار التراث، (القاهرة، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م).

* القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت: ٥٤٤هـ / ١١٤٩م):

١. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبطه وجمعه: محمد سالم هاشم، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م).

٢. الالماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط٢، دار التراث، (القاهرة، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٧م).

* ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ / ٨٨٩م):

١. الإمامة والسياسة، مطبعة الفتوح الأدبية، (مصر، ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م)

٢. تأويل مختلف الحديث، دار الجبل، (بيروت، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م).

٣. المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢، دار المعارف، (القاهرة، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م).

* ابن قدامة المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت: ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م):

١. المغني، ط٣، (القاهرة، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م)

* القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت: ٦٧١هـ / ١٢٧٢م):

١. الجامع لأحكام القرآن، تحقيق سالم مصطفى البدر، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).

* القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت: ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م):

١. آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت، د. ت).

* القمي، علي بن إبراهيم بن هاشم (ت: ٣٢٩هـ / ٩٤٠م):

١. تفسير القمي، مكتبة الهدى، (النجف الأشرف، ١٩٦٧م).

* ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي (ت:

٧٥١هـ / ١٣٥٠م).

١. أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجبل،

(بيروت، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م).

٢. زاد المعاد في هدى خير العباد، ط٤، حققه: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر

الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

٣. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، (مكة المكرمة، ١٣٤٧هـ / ١٩٢٩م).

- * ابن كثير، أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م):
١. الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ٣، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، (مصر، د. ت).
 ٢. البداية والنهاية، مكتبة المعارف، (بيروت، د. ت).
- * الكشي، أبو عمرو محمد بن عبد العزيز (ت: ٣٤٠هـ / ٩٤٠م):
١. رجال الكشي، تحقيق: أحمد الحسيني، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت، د. ت).
- * الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي، (ت: ٣٢٩هـ / ٩٤٠م):
١. أصول الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط ٣، دار الكتب الإسلامية (طهران، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م).
- * الكنجي، عبد الله محمد بن يوسف الشافعي، (ت: ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م):
١. كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، مطبعة الغري، (النجف الأشرف، ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م).
- * ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٥هـ / ٨٨٨م):
١. سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، (بيروت، د. ت).
- * ابن مأكولا، أبو نصر علي بن هبة الله (ت: ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م):
١. الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد الدكن، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م).
- * الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت: ٤٠٥هـ / ١٠١٤م):
١. أدب القاضي، تحقيق: محي هلال السرحان، (بغداد، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م).
- * المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت: ٢٨٥هـ / ٨٩٨م):
١. الكامل في الأدب واللغة، تحقيق: محمد أحمد الدالي، ط ١، مؤسسة الرسالة،

(بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

* المتقي الهندي، علي بن حسام الدين المتقي الهندي الرهان خوري (ت: ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م).

١. منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، طبعه وفسر غريبه: الشيخ بكري حياني صححه ووضع فهارسه: الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

* محب الدين الطبري، أبو جعفر أحمد بن عبد الله (ت: ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م):

١. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، دار الكتب المصرية (القاهرة، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م).

* المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني (ت: ١١١١هـ/ ١٦٩٩م):

١. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٢، مؤسسة الوفاء، (بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

* أبو مخنف، لوط بن يحيى الأزدي الكوفي (ت: ١٥٧هـ/ ٧٧٣م):

١. الجمل وصفين والنهروان، جمع وتحقيق: حسن حميد السنيدي، ط١، دار الإسلام، (لندن، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢).

* المدني، أبو موسى (ت: ٥٨١هـ/ ١١٨٤م):

١. خصائص المسند، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الدار السلفية، (القاهرة، ١٩٩٠م)،

* المزني، أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (ت: ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م):

١. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

* مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ/ ٨٧٤م):

١. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، د.ت).

* المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت: ٣٤٦هـ / ٩٥٧م):

١. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: سعيد محمد اللحام، ط ٢، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).

* ابن المطهر الحلي: رضي الدين علي بن يوسف بن المطهر (ت: ٧١٠هـ / ١٣١٠م):

١. العدد القوية لدفع المخاوف اليومية، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، ط ١، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام، (إيران، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

* ابن معد، شمس الدين أبو علي فخار (ت: ٦٠٣هـ / ١٢٠٦م):

١. الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب، تحقيق: السيد محمد بحر العلوم، ط ٢، مكتبة النهضة، (بغداد، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م).

* ابن معين، أبو زكريا يحيى بن معين (ت: ٢٣٣هـ / ٨٤٧م):

١. التاريخ، تحقيق: أحمد محمد نور سيف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٩م).

* ابن المغازلي، أبو الحسن علي بن محمد الشافعي (ت: ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م):

١. مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ط ٣، دار الأضواء، (بيروت، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م).

* ابن مفلح، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الله (ت: ٨٨٤هـ / ١٤٧٩م):

١. المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الرشيد، (الرياض، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

* المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت: ٤١٣هـ / ١٠٢٢م):

١. الإرشاد، ط ١، مؤسسة انتشارات محين، (قم، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥).
٢. الجمل، تحقيق: علي مير شريف، ط ٢، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، (قم، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

* ابن النجار البغدادي، أبو عبد الله محمد بن محمود بن حسن بن هبة الله بن محاسن الشافعي (ت: ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م):

١. ذيل تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).

* النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الأسدي (ت: ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م):

١. رجال النجاشي، تحقيق: موسى الشبيري، ط ٥، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

* ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت: ٧١١هـ / ١٣١٤م):

١. لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، (القاهرة، د.ت).

* ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد الأنصاري (ت: ٨٠٤هـ / ١٤٠١م):

١. المنع في علوم الحديث، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، ط ١، دار فواز، (الرياض، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م)

* المنقري، نصر بن مزاحم بن سيار (ت: ٢١٢هـ / ٨٢٧م).

١. وقعة صفين، ط ٢، تحقيق: عبد السلام هارون، (مصر، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م).

* النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب (ت: ٣٠٣هـ / ٩١٥م):

١. خصائص أمير المؤمنين، تحقيق: أحمد البلوشي، ط ١، (الكويت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

* أبو نعيم الاصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت: ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م):

١. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط ٤، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).

٢. ذكر أخبار اصبهان، مطبعة بريل، (ليدن، ١٣٥٢هـ / ١٩٣٤م).

* ابن نقطة الحنبلي: أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي الحنبلي (ت: ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م):

١. التقييد لمعرفة الرواة والسنن والأسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م).

* النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري (ت: ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م):

١. تهذيب الأسماء و اللغات، دار الفكر (بيروت، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م).

٢. إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق ﷺ، تحقيق: نور الدين عتر، ط ٢، دار البشائر الإسلامية، (بيروت، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م)

* النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م).

١. نهاية الأرب في فنون الأدب، مطابع كوستاتوماس وشركاه، (القاهرة، د. ت).

* ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت: ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م):

١. السيرة النبوية، علق عليها وأخرج أحاديثها: عمر عبد السلام تدميري، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٨ م).

* ابن هلال الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد (ت: ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م):

١. الغارات، تحقيق: عبد الزهرة الخطيب، ط ١، دار الكتاب الإسلامي، (بيروت، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م).

* أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهيل (ت: ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م):

١. الأوائل، تحقيق: محمد السيد الوكيل، (المغرب، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م).

* الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت: ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م):

١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر، (بيروت، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م).

* ابن الوردى، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م):

١. تاريخ ابن الوردى، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م)

* الوادى آشى، محمد بن جابر، (ت: ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م):

١. برنامج الوادى آشى، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مركز البحوث العلمى، (مكة المكرمة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

* الواحدى، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابورى (ت: ٤٦٨هـ / ١٠٧٦م):

١. أسباب النزول، مؤسسة الحلبي وشركاؤه (القاهرة، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م).

* الواقدى: محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م):

١. كتاب المغازى، تحقيق: د. مارسدن جونز، ط ٣، عالم الكتب، (بيروت، ١٩٨٤م).

* وكيع، محمد بن خلف بن حيان (ت: ٣٠٦هـ / ٩١٨م):

١. أخبار القضاة، عالم الكتب، (بيروت، د. ت).

* اليافعى، أبو محمد عبد الله بن اسعد بن علي (ت: ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م):

١. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط ٢، منشورات

مؤسسة الاعلمى، (لبنان، بيروت، ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م).

* ياقوت الحموي: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى الحموي (ت:

٦٢٦هـ / ١٢٢٨م):

١. معجم البلدان، دار الفكر، (بيروت، د. ت).

٢. معجم الأدباء، دار الفكر، (بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)

* اليعقوبى، أحمد بن إسحاق بن جعفر (ت: ٢٩٢هـ / ٩٠٤م):

١. تاريخ اليعقوبى، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، (النجف

الأشرف، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م)

* ابن أبي يعلى الحنبلى، أبو الحسين محمد بن محمد الحسين (ت: ٥٢٦هـ / ١١٣١م):

١. طبقات الحنابلة، شرح أحاديثه ووضع حواشيه: أبو حازم أسامة بن حسن

وأبو الزهراء حازم علي بهجت، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١١٧هـ/ ١٩٩٧م).

ثانياً: المراجع الحديثة:

الأحذب، خلدون

١. علم زوائد الحديث، ط ١، دار القلم، (دمشق، ١٤١٣هـ).

الاعظمي، محمد مصطفى

١. دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، ط ٢، جامعة الرياض، (الرياض، ١٣٩٦هـ).

أمين، أحمد

١. ضحى الإسلام، ط ١٠، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، ٢٠٠٢م).

الأميني، عبد الحسين أحمد النجفي

١. الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ط ١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (بيروت، ١٩٩٤م).

باتون، ولتر ملفيل

١. احمد بن حنبل والمحنة، ترجمه وعلق عليه وحقق نصوصه وأعلامه: عبد العزيز عبد الحق، راجع الترجمة: محمود محمود، دار الهلال، (القاهرة، ١٩٥٨م).

الباقوري، أحمد حسن

١. علي إمام الأئمة، دار مصر للطباعة، (القاهرة، د.ت)

ابن بدران، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى

١. المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، المطبعة المنيرية (دمشق، د.ت).

بدوي، عبد الرحمن

١. موسوعة المستشرقين، ط ٣، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٩٣م).

بهاء الدين، محمد

١ . المستشرقون والحديث النبوي، ط، دار النفائس، (الأردن، ١٩٩٩).

التستري، محمد تقي

١ . قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ط ١٠، دار الشامي للطباعة، (بيروت، د. ت).

توماس، ارنولد

١ . الخلافة، ترجمة: حسن حيدر الشيباني، ط ٢، دار التضامن، (بغداد، ١٩٦١ م)

جامع، حامد

١ . علي بن أبي طالب حاكماً... وفقياً، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،

(القاهرة، ٢٠٠٣ م)

الجبري، عبد المتعال محمد

١ . السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، الناشر مكتبة وهبة، (القاهرة، د. ت)

جدعان، فهمي

١ . المحنة (بحث في جدلية الديني والسياسي في الإسلام)، ط ١، (الكويت، ١٩٨٩).

جرداق، جورج

١ . الإمام علي صوت العدالة الإنسانية (علي وسقراط)، ط ١، دار ومكتبة صرصعة،

(البحرين، ٢٠٠٣ م).

جرهارد، كونسلمان

١ . سطوع نجم الشيعة، ترجمة: محمد أبو رحمة، ط ٣، مكتبة مدبولي، (القاهرة،

٢٠٠٤ م).

الجلالي، محمد رضا الحسيني

١ . تدوين السنة الشريفة، ط ٢، مكتب الإعلام الإسلامي، (قم، ١٤١٨ هـ).

حسين، طه

١ . الفتنة الكبرى، ط ٦، دار المعارف، (مصر، ١٩٦٦ م)

حيدر، اسد

١. الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، ط ١، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، (د.م)،
(٢٠٠٤م)

الخطيب، عبد الكريم

١. علي بن أبي طالب (بقية النبوة وخاتم الخلافة)، ط ١، دار الفكر العربي، (القاهرة،
١٩٦٦م).

الخطيب، محمد عجاج

١. السنة قبل التدوين، دار الفكر، ط ٢، (بيروت، ١٩٧١م).

خليفات، مروان

١. النبي ومستقبل الدعوة، ط ١، مركز الأبحاث العقائدية، (د.م، ١٤٢٠هـ)

خورشيد: إبراهيم زكي، واحمد الشتناوي، وعبد الحميد يونس

١. دائرة المعارف الإسلامية، النسخة العربية، دار الشعب، (القاهرة، ١٩٦٩م).

درمنغم، أميل

١. حياة محمد، ترجمة: عادل زعير، مطبعة إحياء الكتب العربية، (القاهرة، ١٩٤٩م)

الدوري، عبد العزيز

١. نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، (د.م، ٢٠٠٠م).

الدومي، أحمد عبد الجواد

١. احمد بن حنبل بين محنة الدين ومحنة الدنيا، ط ١، المكتبة التجارية، (مصر، ١٣٨٠هـ).

أبورية، محمود

١. أضواء على السنة المحمدية، ط ٦، دار المعارف، (القاهرة، د.ت).

روجرسون، برنابي

١. ورثة محمد ﷺ جذور الخلاف السني الشيعي، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله

الشيخ، تعليق: عبد المعطي محمد بيومي، ط ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

(القاهرة، ٢٠١٠م)،

روزنثال، فرانز

١. علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: أحمد صالح العلي، مراجعة محمد توفيق حسين، مكتبة المثنى، (بغداد، ١٩٦٣م).

الرئيس، محمد ضياء الدين

١. النظريات السياسية، ط٦، مكتبة دار التراث، (القاهرة، ١٩٧٦م)

أبو زهرة، محمد

١. ابن حنبل حياته وعصره - وآراؤه الفقهية، دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٩٩٧م)

الساعاتي، أحمد عبد الرحمن البنأ

١. بلوغ الأماني من إسرار الفتح الرباني شرح وترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، اعتنى به: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، (الرياض، ٢٠٠٤).

السبحاني، جعفر

١. بحوث في الملل والنحل، ط٢، مؤسسة الإمام الصادق، (إيران، ١٤٢٤هـ).

٢. السيرة المحمدية، دراسة تحليلية للسيرة المحمدية على ضوء الكتاب والسنة والتاريخ الصحيح، تعريب: جعفر الهادي، ط٥، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، (قم، ١٣٩١هـ).

سفاري، آئين

١. مختصر حياة محمد، ترجمة: عبد العظيم علي، تحقيق: عبد المتعال الجبري، ط١، دار الدعوة، (الإسكندرية، ١٩٩٤م)

الشامي، صالح أحمد

١. مسند الإمام أحمد بن حنبل محذوف الأسانيد والأحاديث المكررة ومرتب على الأبواب، دار القلم، (دمشق، د. ت).

الشرهاني، حسين علي

١. أضواء على السنة النبوية، دراسة حياة الرسول ﷺ مع السيدة خديجة ع، ط ١، تموز للطباعة والنشر، (دمشق، ٢٠١٣م).
٢. التغير في السياسة المالية للدولة الإسلامية في خلافة علي بن أبي طالب، ط ١، تموز للطباعة والنشر، (دمشق، ٢٠١٣م).

الشيرازي، محمد الموسوي

١. ليالي بيشاور، تعريب وتحقيق: حسين الموسوي ط ١٢، دار الأضواء، (بيروت، ٢٠٠٣م).

الصالح، صبحي

١. علوم الحديث ومصطلحه، ط ١، مطبعة أمير، (قم، ١٤١٧هـ).
- صبحي، أحمد محمود
١. في علم الكلام (المعتزلة)، ط ٤، مؤسسة الثقافة الجامعية، (الإسكندرية، ١٩٨٢م).
- صبري، عامر حسن

١. معجم شيوخ الإمام أحمد بن حنبل، دار البشائر الإسلامية، (د. م، د. ت).
٢. زوائد عبد الله بن أحمد بن حنبل في المسند، ط ١، دار البشائر الإسلامية، (بيروت، ١٩٩٠م).
٣. الوجادة في مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط ١، دار البشائر الإسلامية، (بيروت، ١٩٩٦م).

أبو صعيلىك، محمد عبد الله

١. كتب الزوائد، ط ١، دار القلم، (دمشق، ١٩٩٦م).

طرابيشي، جورج

١. من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث (النشأة المستأنفة)، ط ١، دار الساقى، (بيروت، ٢٠١٠م).

العامي، جعفر المرتضى

١. الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ، ط ٤، دار الهادي (بيروت، ١٩٩٥ م).

العامي، محسن عبد الكريم الأمين

١. أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، ط ٥، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م).

عبد الحميد، صائب

١. تاريخ السنة النبوية ثلاثون عاما بعد الرسول ﷺ، ط ١، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، (بيروت، ١٩٩٧ م).

٢. تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي، ط ٢، مؤسسة دار معارف الفقه الإسلامي، (قم، ٢٠٠٥ م).

عبد الحميد، عرفان

١. الفلسفة في الإسلام، وزارة التربية، (بغداد، د. ت).

العسكري، نجم الدين

١. أبو طالب حامي الرسول ﷺ وناصره، مطبعة الآداب، (النجف الأشرف، ١٣٨٠ هـ).

العقاد، عباس محمود

١. عبقرية الإمام علي، (مصر، ١٩٦١ م).

عمارة، محمد

١. الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية، ط ٢، المكتبة العالمية، (بغداد، ١٩٨٢ م).

العمري، أكرم ضياء

١. بحوث في تاريخ السنة المشرفة، ط ٤، مكتبة العلوم والحكم، (المدينة المنورة، ١٩٨٤ م).

الفيروز آبادي النجفي، مرتضى الحسيني

١. فضائل الخمسة في الصحاح الستة، ط ٣، مؤسسة الاعلمي، (بيروت، ١٩٧٣ م).

القرشي، علي اكبر

١. ما للشيعنة في مسند احمد، دفتر انتشارات إسلامي، (قم، د.ت)

القزويني، محمد باقر

١. علي بن أبي طالب رجل المعارضة والدولة، ط ١، دار العلوم، (بيروت، ٢٠٠٤ م).

القزويني، محمد كاظم

١. الإمام علي من المهد إلى اللحد، ط، دار المرتضى، (بيروت، ٢٠٠٥ م).

القمني، سيد محمود

١. حروب دولة الرسول ﷺ، (مصر، ١٩٩٦ م).

القنوجي، صديق بن حسن:

١. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار

الكتب العلمية، (بيروت ١٩٨٧)

كافي، أبو بكر بن الطيب

١. منهج الإمام أحمد في التعليل وأثره في الجرح والتعديل، من خلال كتابه العلل

ومعرفة الرجال، ط ١، دار ابن حزم، (بيروت، ٢٠٠٥).

الكتاني: محمد بن جعفر (ت: ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦ م):

١. الرسالة المستطرفة، تحقيق: محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني، ط ٤، دار البشائر

الإسلامية، (بيروت، ١٩٨٦ م).

الكثيري، محمد

١. السلفية بين أهل السنة والإمامية، ط ١، مركز الغدير للدراسات الإسلامية،

(بيروت، ١٩٩٧ م).

الكوراني، علي

١. الإمام الهادي عليه السلام (عمر حافل بالجهاد والمعجزات)، ط ١، (قم، ٢٠١٣م).

٢. السيرة النبوية برواية أهل البيت - ع - دار المرتضى، (بيروت، ٢٠٠٩م)

محمديان، محمد

١. حياة أمير المؤمنين عليه السلام عن لسانه، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، (قم المقدسة، ١٤١٧هـ).

مصطفى، شاكر

١. التاريخ العربي والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله، ط ٣، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٨٣م).

معروف، بشار عواد

١. اثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين، (بغداد، ١٩٦٦م).

الملاح، هاشم يحيى

١. الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، (جامعة الموصل، ١٩٩١م).

النشار، علي سامي

١. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط ٣، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٥م)

النصر الله، جواد كاظم منشد

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، رؤية اعتزالية عن الإمام علي عليه السلام، ط ١، منشورات ذوي القربى، (قم، ١٣٨٤هـ).

٢. فضائل أمير المؤمنين عليه السلام المنسوبة لغيره، مركز الأبحاث العقائدية، (النجف الأشرف، ١٤٢٩هـ).

نوار، صلاح الدين محمد

١. نظرية الخلافة او الإمامة وتطورها السياسي والديني، دار المعارف، (الإسكندرية،

١٩٩٦م).

الهمداني، شير محمد بن صفر بن علي

١. سند الخصام في ما انتخب من مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد علي مجيد الحلي، ط ١، مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، (كربلاء، ٢٠٠٩م).

هوروفتس، يوسف

١. المغازي الأولى ومؤلفوها، ترجمة: حسين نصار، (القاهرة، ١٩٤٩م).

هيفا، راجي أنور

١. الإمام علي عليه السلام في الفكر المسيحي المعاصر، ط ١، دار العلوم، (بيروت، ٢٠٠٧م).

واشنطن، ارفنج

١. محمد وخلفاؤه، ترجمة: هاني يحيى، المركز الثقافي العربي، (بيروت، ١٩٩٩م).

اليحيى، يحيى بن إبراهيم

١. مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ط ١، دار العاصمة، (الرياض، ١٤١٠هـ).

يعقوب، سعيد

١. معراج الهداية (دراسة حول الإمام علي عليه السلام ومنهج الإمامة)، مركز الأبحاث العقائدية، (د.م، د.ت).

ثالثاً: الدوريات:

الحشماوي، رشيد لطيف إبراهيم

١. قواعد تحليل الرواية التاريخية، مجلة جامعة تكريت للعلوم، العدد التاسع، المجلد (١٨)، ٢٠١١م.

الشرهاني، حسين علي

١. أسلوب الرسول صلى الله عليه وآله في اختيار سفرائه، مجلة آداب ذي قار، العدد الثامن، المجلد، كانون الأول ٢٠١٢م.

عبد الحسن، شكري ناصر

١. الإشاعة في عصر الرسالة الفترة المدينة، بحث في ضوء القرآن الكريم، مجلة آداب البصرة، العدد ٥٣، لسنة ٢٠١٠ م، جامعة البصرة، كلية التربية.

نوري، موفق سالم

١. أحمد بن حنبل وعلاقته بالسلطة العباسية (إشكالية الفقيه والسلطان)، جامعة الموصل، مجلة كلية الآداب، العدد (٢٥)، لسنة ٢٠٠٨ م.

رابعاً: الرسائل والأطاريح:

جواد، حاتم كريم

١. الإمام علي في كتابات المستشرقين الغربيين، دراسة تاريخية تحليلية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الكوفة.

العيثاوي، يحيى محمد علي

١. الجوانب الاقتصادية والمالية في مسند الإمام احمد، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، (بغداد، ٢٠٠٦ م)

مطر، رحيم عباس

١. آل بيت النبوة - ع - في كتاب الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية، (كلية التربية، بغداد، ٢٠١٢ م)

الهلالي: ميثم عزيز ثجيل

١. الإمام علي عليه السلام في ابرز كتابات الباحثين والمفكرين العرب في القرن العشرين (عصر الرسالة أنموذجاً)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ذي قار، (كلية الآداب، ٢٠١٠ م).

المحتويات

| | |
|----|---|
| ٧ | مقدمة المؤسسة: |
| ٩ | مقدمة الكتاب: نطاق البحث واستعراض المصادر: |
| ٢٩ | التمهيد: أثر السنة النبوية في التاريخ الإسلامي |
| ٢٩ | أولاً: السنة النبوية بين جواز التدوين والمنع |
| ٤٢ | ثانياً: أثر الحديث النبوي وعلومه في التاريخ وتدوينه |
| ٥٧ | الفصل الأول: سيرة صاحب المسند |
| ٥٩ | المبحث الأول: حياة أحمد بن حنبل |
| ٥٩ | أولاً: أسمه ونسبه وكنيته: |
| ٦٣ | ثانياً: ولادته ونشأته: |
| ٦٥ | ثالثاً: زوجاته وأولاده: |
| ٦٦ | رابعاً: شخصيته: |
| ٧١ | خامساً: وفاته ومدفنه: |
| ٧٣ | المبحث الثاني: سيرته العلمية |
| ٧٣ | أولاً: رحلاته العلمية: |
| ٧٧ | ثانياً: شيوخه وتلاميذه: |
| ٨١ | ثالثاً: مذهبه الفقهي وأهم مؤلفاته: |
| ٩٠ | رابعاً: مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه: |

المبحث الثالث: محنة خلق القرآن وأثرها على أحمد بن حنبل ٩٧

أولاً: مسألة خلق القرآن: ٩٧

ثانياً: محنة خلق القرآن: ١٠٧

أ/ محنة خلق القرآن في عصر المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ / ٨١٣ - ٨٣٣ م): ١٠٩

ب/ المحنة في عهد المعتصم العباسي (٢١٨ - ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ - ٨٤١ م): ١٢٦

ج/ المحنة في عهد الخليفة الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ / ٨٤١ - ٨٤٦ م): ١٢٩

د/ نهاية المحنة في خلافة المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٦ - ٨٦١ م): ١٣١

هـ/ موقف أئمة أهل البيت -عليهم السلام- من خلق القرآن: ١٣٣

الفصل الثاني: مسند أحمد بن حنبل ١٣٥

المبحث الأول: الوصف العام لكتاب مسند أحمد بن حنبل ١٣٧

أولاً: تعريف المسند. ١٣٧

ثانياً: أهمية المسانيد: ١٣٨

ثالثاً: من ألف في المسانيد قبل أحمد بن حنبل: ١٤٠

رابعاً: تاريخ تأليف المسند، ودافع التأليف: ١٤٢

خامساً: رواية المسند. ١٤٣

سادساً: أشهر نسخ المسند وطبعاته: ١٤٤

سابعاً: أقوال العلماء في المسند: ١٤٦

ثامناً: الكتب المؤلفة حول المسند: ١٤٨

المبحث الثاني: منهج أحمد في المسند ١٥١

أولاً: ترتيب المسند ومضمونه: ١٥١

| | |
|--|-----|
| ثانياً: منهجية ابن حنبل في المسند: | ١٦٥ |
| ثالثاً: منهج ابن حنبل في أداء الرواية (التحمل): | ١٧٠ |
| رابعاً: منهج ابن حنبل في المرويات التاريخية: | ١٧٨ |
| المبحث الثالث: موارد أحمد بن حنبل في المسند | ١٨٣ |
| أولاً: موارد المسند: | ١٨٣ |
| ثانياً: المعايير التي اعتمدها ابن حنبل في موارده عن شيوخه: | ١٨٩ |
| المعيار الأول: أقسام رواة الحديث من شيوخ أحمد: | ١٨٩ |
| المعيار الثاني: شيوخ أحمد بن حنبل من أهل الفرق: | ١٩٤ |
| أ/ شيوخه من الشيعة: | ١٩٤ |
| ب/ شيوخه من المرجئة: | ١٩٨ |
| ب/ شيوخه من القدرية: | ٢٠٠ |
| المعيار الثالث: شيوخه ممن خالفوا أصوله في نقل الحديث: | ٢٠١ |

الفصل الثالث: الإمام علي عليه السلام في مرويات ابن حنبل [العهد النبوي] .. ٢٠٧

| | |
|--|-----|
| المبحث الأول: الإمام علي عليه السلام في مرويات ابن حنبل (العهد المكي) | ٢٠٩ |
| أولاً: أسبقية الإمام علي عليه السلام في التصديق بالنبى ﷺ: | ٢١٣ |
| ثانياً: الإعلان الأول (آية الإنذار): | ٢٢٩ |
| ثالثاً: تحطيم الأصنام بيد الإمام علي عليه السلام: | ٢٤٠ |
| رابعاً: وفاة أبي طالب: | ٢٤٦ |
| الصنف الأول: أحاديث في لحظات احتضار أبي طالب: | ٢٤٦ |
| الصنف الثاني: الأحاديث الواردة في وفاة أبي طالب: | ٢٤٩ |

- الصف الثالث: أحاديث تذكر إخبار النبي ﷺ مصير أبي طالب بعد وفاته: ٢٥١ ...
- خامساً: المبيت على فراش النبي ﷺ: ٢٥٧ ...
- المبحث الثاني: الإمام علي عليه السلام في مرويات ابن حنبل (العهد المدني)** ٢٦٧ ...
- أولاً: حياة الإمام علي عليه السلام الأسرية: ٢٦٧ ...
- أ/ تزويج النبي ﷺ ابنته الإمام علي عليه السلام: ٢٦٨ ...
- ب/ حياة الإمام علي عليه السلام مع السيدة فاطمة الزهراء - عليها السلام -: ٢٧٣ ...
- ج/ خصوصية أهل البيت - عليهم السلام - لدى الله ورسوله ﷺ: ٢٧٧ ...
- د/ خصوصية الإمام علي عليه السلام لدى الله ورسوله: ٢٨٤ ...
- هـ/ الأحاديث الواردة في المسند التي تطعن بشخص الإمام علي عليه السلام وأسرته: ٢٨٨ ...
- ثانياً: دور الإمام علي عليه السلام العسكري: ٢٩٥ ...
- معركة بدر الكبرى (٢هـ / ٦٢٣م): ٣٠٠ ...
- معركة أحد (٣هـ / ٦٢٤م): ٣١٥ ...
- ثالثاً: تبليغ سورة براءة: ٣٧٩ ...
- رابعاً: قضاء الإمام علي عليه السلام في اليمن: ٣٨٥ ...
- خامساً:بيعة الغدير: ٣٩٠ ...
- تاريخ حجة الوداع ومشاركة الإمام علي عليه السلام النبي ﷺ في مراسيم الحج: ٣٩١ ...
- خطب النبي ﷺ في حجة الوداع: ٣٩٢ ...
- مناشدة الإمام علي عليه السلام صحابة النبي ﷺ ممن سمع حديث الغدير للشهادة له: ٣٩٦ ...
- سادساً: رزية يوم الخميس واستشهاد النبي ﷺ: ٣٩٩ ...

الفصل الرابع: الإمام علي عليه السلام في مرويات ابن حنبل [بعد النبي صلى الله عليه وآله] ٤١١..

المبحث الأول: الإمام علي عليه السلام وقضية الخلافة ٤١٣

- مشكلة الخلافة: ٤١٣

أولاً: حادثة السقيفة: ٤١٧

ثانياً: موقف الإمام علي عليه السلام من البيعة لأبي بكر: ٤٣١

ثالثاً: استخلاف أبي بكر عمر بن الخطاب، وموقف الإمام علي عليه السلام: ٤٥١

رابعاً: قصة الشورى: ٤٥٦

خامساً: موقف الإمام علي عليه السلام من البيعة لعثمان: ٤٦٣

سادساً: الثورة ضد الخليفة عثمان بن عفان: ٤٨٠

المبحث الثاني: خلافة الإمام علي عليه السلام في مرويات ابن حنبل ٤٩٣

أولاً: بيعة الإمام علي عليه السلام: ٤٩٣

ثانياً: تحليل مواقف الناكثين والقاسطين والمارقين: ٥٠٩

ثالثاً: معركة الجمل: ٥٢٣

رابعاً: معركة صفين: ٥٣٧

خامساً: الخوارج والنهروان: ٥٥٨

سادساً: استشهاد الإمام علي عليه السلام: ٥٧٦

سابعاً: موقف أحمد بن حنبل من الخلافة الراشدة: ٥٨٨

الخاتمة ٥٩٥

المصادر والمراجع ٥٩٩

المحتويات ٦٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ